

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم شرع يخبر عن أشياء تقع منهم عند الرجوع دلالة على أن هذا كلامه وأنه عالم بالمغيبات كلياً وجزئياً، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف [كان - ١] يكون، فقال مبيناً لعدم علمهم: ﴿يعتذرون﴾ أى يثبتون الأعذار لأنفسهم: وأشار إلى بعدهم بالقلوب بقوله: ﴿اليكم﴾ أى عن التخلف ﴿إذا رجعت إليهم﴾ أى من هذه الغزوة، كأنه قيل: فماذا يقال في جوابهم؟ فقال للرأس الذى لا تأخذه في الله لومة لائم: ﴿قل لا تعتذروا﴾ أى فإن أعذاركم كاذبة، ولذلك علل النهى بقوله: ﴿لن تؤمن لكم﴾ أى تصدقكم فى شيء منها، ثم علل عدم تصديقهم بما أوجب لهم القطع بذلك فقال: ﴿قد بانا الله﴾ أى أعلمنا الملك الذى له الإحاطة الكاملة بكل شيء إعلاما جليلاً ١٠ ﴿من أخباركم﴾ أى التى ظنتم جهلاً بالله أنها تخفى فقد علمناها؛ ثم هددهم بقوله: ﴿وسيرى الله﴾ أى لأنه عالم بكل شيء وإن دق قادر على كل شيء ﴿عملكم﴾ أى بعد ذلك أتقبنون؛ أم تثبتون على حالكم هذا الخبيث / كما رأى الذى قبل ﴿ورسوله﴾ أى بما يعلم به سبحانه

٥٤٠ /

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : أحب (٣) من ظ ، وفى الأصل : قائم (٤) فى ظ : تدبون - كذا .

وحيا أو تفرسا ، ولما كان الكلام في المنافقين ، فكانت الرؤية لتفاهم  
الذى ' يجتهدون في إخفائه ، وكان المؤمنون لا اطلاع لجميعهم عليه ، لم يذكرهم  
بخلاف من يأتي بعد فانهم مؤمنون .

ولما كان هذا ربما أوهمهم أنه لا يعلم إلا ما أوقعوه بالفعل ، نقي  
ه ذلك باظهار وصفه في موضع الإضمار مهددا بقوله مشيرا بأداة التراخي  
إلى استبعادهم لقيامهم إلى معادهم : ﴿ ثم تردون ﴾ أى يراد قاهر لا تقدرُونَ  
على دفاعه بعد استيفاء آجالكم بالموت وإن طالت ثم البعث ﴿ إلى علم الغيب ﴾  
وهو ما غاب عن الخلق ﴿ والشهادة ﴾ وهو ما اطلع عليه أحد منهم .

فصار بحيث يطلعون عليه وهذا ترجمة عن الذى يعلم الشيء قبل كونه  
١٠ كما يعلم بعد كونه ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما جليلا مستوعبا  
﴿ بما كنتم ﴾ أى بجلالاتكم ﴿ تعملون ﴾ أى بما أبرزتموه إلى الخارج  
وبما كان في جلالاتكم ، ولو تأخرتم لبرز ، وهو تهديد عظيم ، ووقع  
ترتيبهم للاعتذار على الأسهل فالأسهل على ثلاث مراتب : الأولى مطلق  
الاعتذار وقد مضى ما فيها ؛ الثانية " تأكيد ذلك بالخلف ؛ الاعراض  
١٥ عنهم فقال سبحانه : ﴿ سيخلقون بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه  
﴿ لكم إذا انقلبتم إليهم ﴾ أى جهد أيمانهم أنهم كانوا معذورين في التخلف

(١) من ظ ، وفي الأصل : التى (٢-٢) في ظ : آجالهم وإن طالت وهو الموت  
ثم بالبعث (٣) تأخر في الأصل عن " تأكيد ذلك " والترتيب من ظ (٤) من  
ظ . وفي الأصل : الخلف (٥) تقدم في الأصل على " اعتقدتم فيه " والترتيب  
من ظ .

كذباً منهم إرادة أن يقلبوا قلوبكم<sup>١</sup> عما اعتقدتم فيهم (لترضوا عنهم<sup>٢</sup>)  
 أى إعراض الصفح عن معاتبتهم (فاعرضوا عنهم<sup>٣</sup>) إعراض المقت؛  
 روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تجالسوهم [ ولا تكلموهم -<sup>٤</sup> ] ؛  
 ثم علل وجوب الإعراض بقوله : (انهم رجس<sup>٥</sup>) أى لا يظهرهم العتاب  
 فهو عبث .

ولما كان من المقرر أنه لا بد لهم من جزاء . وأن النفس تشوف إلى  
 معرفته ، قال : (وماؤنهم<sup>٦</sup>) أى فى الآخرة (جهنم<sup>٧</sup> جزاء<sup>٨</sup>) أى لأجل جزائهم  
 (بما كانوا يكسبون<sup>٩</sup>) أى فلا تتكلفوا لهم جزاء غير ذلك بتوبيخ ولا غيره ؛  
 المرتبة ؛ الثالثة الحلف للرضى عنهم فقال : (يخلفون لكم<sup>١٠</sup>) أى مجتهدين  
 فى الحلف بمن تقدم أنهم يخلفون به وهو الله (لترضوا عنهم<sup>١١</sup>) خوفاً .  
 من غائلة غضبكم (فان رضوا عنهم<sup>١٢</sup>) أى لمجرد إيمانهم المبى على عدم  
 إيمانهم (فان الله<sup>١٣</sup>) [ أى -<sup>١٤</sup> ] الذى له الغنى المطلق (لا يرضى<sup>١٥</sup>) عنهم ،  
 هكذا كان الأصل ولكنه قال : (عن القوم الفاسقين<sup>١٦</sup>) إشارة إلى تعليق  
 الحكم بالوصف وتعمياً لكل من اتصف بذلك ، والمعنى أنه لا ينفعهم  
 رضاكم و تكونون به مخالفين الله . فهو فى الحقيقة نهى للمؤمنين عن  
 الرضى عنهم ، أبرز فى هذا الأسلوب العجيب المرقص ، وفى ذلك رد على  
 من يتوهم أن رضى المؤمنين لو رضوا عنهم [ يقتضى -<sup>١٧</sup> ] رضى الله ،  
 فان ذلك نزغة مما يفعل الأجار والرهبان فى رضاهم وغضبهم وتحليلهم  
 وتحريمهم الذى يعتقد أتباعهم أنه عن الله تعالى .

(١) فى ظ : قلوبهم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : تعليم .

ولما رتب سبحانه الاستئذان في العقود والرضى بما فيه من الدناءة  
على عدم الفقه نارة والعلم أخرى وختم بصف الأعراب، بين أن  
الأعراب أولى بذلك لكونهم أعرق في هذا الوصف وأجراً على الفسق  
لبعدهم عن معدن العلم وصرفهم أفكارهم في غير ذلك من أنواع المخازي  
هـ. لتحصيل المال الذي كلما داروا عليه طار عنهم فابعد. فهم لا يزالون في  
همه قد شغلهم ذلك عن كل هم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال  
تعالى: ﴿الاعراب﴾ أي أهل البدء ﴿أشد﴾ أي من أهل المدر  
﴿كفرا وثقافا﴾ لبعدهم عن دار الهجرة ومعدن العلم وجفائهم بأن  
مرآى قلوبهم لم تصقل بأنوار الكتاب والسنة ﴿واجدران﴾ أي وأحق  
١٠ بأن ﴿لا يعلموا﴾ ولما كان الإحجام أصعب من الإقدام، وأطراف  
الاشياء المختلطة في غاية الإلباس، قال: ﴿حدود ما أنزل الله﴾ أي  
المحيط علما وحكمة بكل شيء ﴿على رسوله﴾ أي الذي أعلم الخلق  
من القرآن والشرائع والأحكام لعدم إقبالهم عليه شغلا بغيره فان الله  
يعلم ذلك منهم ﴿والله﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال / ﴿عليم﴾  
١٥ أي بالغ العلم بكل شيء. ﴿حكيم﴾ أي بالغ الحكمة فهو يضع الاشياء  
في آتم محالها.

/ ٥٤١

ولما أثبت هذا الوصف لهذا الصنف بين أن أفرادهم انقسموا إلى من

(١) في ظ: اعرف (٢) من ظ، وفي الأصل: أجرى (٣) من ظ، وفي الأصل:  
عليهم (٤) كذا إنباع للتفسير، وإلا فرسم خط القرآن «الا» (هـ) زيد في ظ:  
أي (٦) زيد بعده في الأصل: فهو، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها.

ثبت

(١)

٤



- ثبت على ما هو الالىق بحالهم ، وقسم نزع إلى ما هو الالىق بأهل المدر، كما انقسم أهل المدر إلى مثل ذلك ، وبدأ بالحديث لأنه الأصل فيهم فقال :  
 ﴿ ومن الاعراب ﴾ أى المذكورين ﴿ من يتخذ ﴾ أى يتكلف غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الارباحية والهمم العلية بأن يعد ﴿ ما ينفق مغرماً ﴾ أى فلا يبدله إلا كرها ولا يرى له فائدة أخروية بل يراه مثل الصنائع<sup>٥</sup> بالنهب ونحوه ﴿ و يترص ﴾ أى يكلف نفسه الرصد ، وهو أن يسكن ويصر و ينتظر ﴿ بكم الدوائر ﴾ أى الدواهي التى تدور بصاحبها فلا يتخلص منها ، وذلك ليستريح من الإنفاق وغيره مما ألزمه به الدين .  
 ولما تربصوا هذا التربص ، دعا عليهم بمثل ما تربصوه فقال :  
 ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ أى دائماً لا تنفك<sup>٦</sup> إما باذلال الإسلام وإما<sup>١٠</sup> بعذاب الاصطلام ، فهم فيما أرادوه بكم على الدوام . وقراءة ابن كثير وأبى عمرو بضم السين<sup>٧</sup> على أن<sup>٨</sup> معناه الشر والضرر ، وقراءة الباقرين بالفتح على أنه مصدر ، فهو ذم للدائرة .  
 ولما كان الانتقام من الأعداء وإيقاع الباس بهم لا يتوقف من القادر غالباً إلا على سماع أخبارهم والعلم بها ، جرت سنته تعالى فى ختم<sup>١٥</sup> مثل ذلك بقوله : ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ سميع ﴾ [ يسمع ما يقولون -<sup>٩</sup> ] ﴿ عليم ﴾ أى<sup>١١</sup> فهو يعلم ما يضمرون عطفاً على نحو أن يقال : فأنه على كل شيء قدير ، ونحوه قوله " أنى  
 (١) فى ظ : الصانع (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا ينفك (٣) فى ظ : ذلال .  
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : أبو (٥) من ظ ، وفى الأصل : الشين (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

معكما اسمع و اری“ .

ولما افتتح الآية الثانية بقوله : ﴿ ومن الاعراب من يؤمن ﴾ أى لا يزال يحدد إيمانه آثار الدين ﴿ بالله و اليوم الآخر ﴾ علم أن القسم الأول غير مؤمن بذلك ، وإنما وقع منهم الإقرار باللسان من غير إذعان ، ه و الإيمان هو الأصل الذى يرتب عليه الإنفاق [ عن طيب نفس لما يرجى من ثوابه فى اليوم الآخر لئلا هو انتفت الحكمة - ٢ ] من هذا الخلق على هذا الترتيب : ثم عطف عليه ما يثمره الإيمان فقال : ﴿ و يتخذ ﴾ أى يبحث نفسه و يحاددها إن عرضت له الوسوس الشيطانية عني أن يعد ﴿ ما ينق ﴾ أى فيما أمر الله به ﴿ قربت ﴾ جمع قرب لما تقرب ١٠ إليه سبحانه ﴿ عند الله ﴾ [ أى - ٢ ] الذى لا أشرف من القرب منه . لأنه الملك الأعظم ﴿ و صلوات ﴾ أى دعوات ﴿ الرسول ﴾ أى الذى وظيفته التبليغ فهو لا يقول لهم شيئا إلا عن الله ، و أطلق القربة و الصلاة على سيئها .

ولما أخبر عن أفعالهم ، أخبر عن عاقبتهم و مآلهم ؛ فقال مستاقفا ١٥ محققا لرجائهم ترغيبا فى الصدقة بأبلغ تأكيد لما لأعدائهم من التكذيب : ﴿ إلا انها ﴾ أى نفقاتهم ﴿ قربة لهم ﴾ أى كما أرادوا ؛ ثم بين ثمرة كونها قربة بقوله : ﴿ سيدخلهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بوعده لا خلف فيه ﴿ فى رحمته ﴾ أى : كرامه فتكون محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله

(١) سورة ٢٠ آية ٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ان (٤) فى ظ : شرف (٥) فى ظ : عنه (٦) من ظ ، وفى الأصل : فيكون .

معبرا بالاسم الأعظم تنيها على أنه لا يسع الإنسان إلا العفو وإن أعظم  
الاجتهاد : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا يقدر أحد على أن يقدره حق قدره  
﴿ غفور ﴾ أى بليغ السر لقبائح من تاب ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الإكرام ،  
ذلك وصف له ثابت ، يحمله كل من يستأهله <sup>١</sup> .

ولما ذكر القسم الصالح منهم ، كانوا متفاوتين فمنهم <sup>٢</sup> السابق وأكثرهم <sup>٥</sup>  
التابع اللاحق ، أتبعه ذكر السابقين على وجه شامل حاصر لصنفى البادى  
والحاضر إشارة إلى أنه - وإن أحره - أصله فقد قدمه وصفه بحيث  
ساوى أهل الكمال فى مطلق الانخراط فى سلكهم و الفوز بدرجتهم  
لإحسانه فى اتباعهم ترغيبا لأهل تقدره والرحمة فى اتباع أهل الرضوان

والنعمة فقال : ﴿ والسبقون ﴾ ولما دل على سبقهم بالعلو فى مراتبه <sup>١٠</sup>

دل على قديم دخولهم فيه فقال : ﴿ الاولون ﴾ أى إلى هذا الدين القيم

﴿ من المهجرين ﴾ أى لدار تكفر فضلا عن أهلها ﴿ والانصار ﴾ أى

الذين آووا ونصروا ﴿ والذين اتبعوهم ﴾ أى / الفريقين ﴿ باحسان ﴾ <sup>٥٤٢ /</sup>

أى فى اتباعهم فلم يحولوا عن شىء من طريقهم ﴿ رضى الله ﴾ أى الذى

له الكمال كله ﴿ عنهم ﴾ أى بأفعالهم هذه التى هى وفق ما أمر [ به - ° ] <sup>١٥</sup>

﴿ ورضوا عنه ﴾ أى بما تهم عنه من البسرى <sup>١</sup> وقذف فى قلوبهم من

تنور بلطف الوعظ <sup>٢</sup> والذكرى ﴿ واعد لهم ﴾ أى جزاء على فعلهم

﴿ جنت تجرى ﴾ ونبه على عميم ربها وكثرة ماؤها بنزع الجار على قراءة

(١) فى ظ : يتأهله (٢) من ظ ، وفى الأصل : فيهم (٣) فى ظ : معاتبه .

(٤) فى ظ : طريقته (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : البسرى (٧) فى

ظ : الوعد .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٠٠ و ١٠١) ج - ٩

الجماعة فقال: ﴿تحتها الانهر﴾ أى هى كثيرة المياه. فكل موضع أردته نبع منه ماء فجرى منه نهر؛ ولما كان المقصود من الماء إنما هو السهولة فى إنباطه بقربه ويسر جريه وانبساطه أثبتته ابن كثير دلالة على ذلك كسائر المواضع، ولعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف لأنه يخص هذه الأمة، فلعلها تخص بجمعة هى أعظم الجنان ربا وحسنا وزيا.

ولما كان أعظم العيوب الانقطاع. نفاه بقوله: ﴿تخلدين فيها﴾ وأكد المراد من الخلود بقوله: ﴿ابدا﴾ ثم استأنف مدح هذا الذى أعدّه لهم بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العالى المكافئة خاصة ﴿الفوز العظيم﴾ ولما استوفى الأقسام الأربعة: قسمى الحضر وقسمى البدو ثم خلط بين قسمين منهم تشريفا للسابق وترغيبا لللاحق. خلط بين الجميع

على وجه آخر ثم ذكر منهم فرقا منهم من نجز الحكم بجزائه باصرار أو متاب. ومنهم من أخر أمره إلى يوم الحساب، وابتدأ الأقسام بالمستور عن غير علمه ليعلم أهل ذلك القسم أنه سبحانه عالم بالحقايا فلا يزالوا أذلاء خوفا مما هددهم به فقال مصرحا بما لم يتقدم التصريح به من ثقافتهم: ﴿ومن حولكم﴾ أى حول بلدكم المدينة ﴿من الاعراب﴾ أى الذين قدمنا أنهم أشد كفرا لما لهم من الجفاء ﴿منفقون﴾ أى راحلون فى الفاق، وكأنه قدمهم لجلافتهم وعتوهم، وأتبعهم من هو أصنع منهم

(١) من ظ، وفى الأصل: سير (٢) فى ظ: اتبعه (٣) من ظ، وفى الأصل: فريقا (٤) من ظ، وفى الأصل: بمن (٥) من ظ، وفى الأصل: حددهم (٦) فى ظ: الذى.

فى النفاق فقال: ﴿ومن أهل المدينة ق﴾ أى منافقون أيضا ؛ ثم بين أنهم لا يتوبون بوصفهم بقوله: ﴿مردوا﴾ أى صلبوا وداموا وعتوا وعسوا وعصوا وصار لهم [ به - ١ ] دربة عظيمة<sup>٢</sup> و ضراوة حتى ذلت لهم فيه<sup>٣</sup> جميع أعضائهم الظاهرة والباطنة وصار لهم خلقا ﴿على النفاق ق﴾ أى استعلوا على هذا الوصف بحيث صاروا فى غاية المكنة<sup>٤</sup> منه ؛ ثم بين ه مهارتهم فيه بقوله: ﴿لا تعلمهم<sup>٥</sup>﴾ أى بأعيانهم مع ما لك من عظيم الفطنة وصدق الفراسة لفرط توقيهم و تحامى ما يشكل من أمرهم ؛ ثم هددهم و بين خسارتهم بقوله: ﴿نحن﴾ أى خاصة ﴿نعلمهم<sup>٦</sup>﴾ [ ثم - ١ ] استأنف جزاءهم بقوله: ﴿سنعذبهم﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿مرتين﴾ أى إحداها برجوعك سالما و شقوف<sup>٧</sup> أمرك و علو شأنه و ضخامة أركانه ١٠ و عز سلطانه و ظهور برهانه ، فانهم قطعوا لغباوتهم و جلافتهم و قساوتهم كما أشرت إليه بقولى ” و يترصن<sup>٨</sup> بكم الدوائر “ - أنك لا ترجع هذه المرة من هذه السفرة لما يعرفون من ثباتك للأقران ، و إقدامك على اللبوث الشجعان ، و اقتحامك للأهوال . إذا ضاق المجال ، و نكص الضراغة الأبطال ، و من عظمة الروم و قوتهم و تمكّنهم و كثرتهم ، و غاب عن ١٥ الأغنياء و خفى عن الأشقياء الأغنياء أن الله الذى خلقهم أعظم منهم . أكبر ، و جنوده أقوى من جنودهم و أكثر ؛ و الثانية بعد وفاتك بقهر أهل الردة و محقهم و رجوع ما أصلته بخليفتك الصديق رضى الله عنه إلى

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عظيم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : المنكر - كذا (ه) من ظ ، و فى الأصل : سوف (٦) فى ظ : يترصن .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٠١ و ١٠٢) ج- ٩

ما كان عليه في أيامك من الظهور وانتشار الضياء والنور والحكم على من خالفه بالويل وانتبور، وسيأتى أنه يمكن أن تكون المرة الثانية إخراج مسجد الضرار والإخبار بما أضروا في شأنه من خفي الأسرار (ثم يردون) أى بعد الموت (إلى / عذاب عظيم ع) أى لا يعلم عظمه حق عليه إلا الله / ٥٤٣  
٥ تعالى، وهو العذاب الأكبر الدائم الذى لا ينفك أصلا .

ولما ذكر هذا القسم المارد الجافى، تبنى بمقابلة اللين الصافى، وهى القرعة التى تجزى الحساب عليها والنظر بعين الرحمة إليها فقال: (والأخرون) أى ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة آخرون (اعترفوا بذنوبهم) أى كفوا أنفسهم ذكرها توبة منهم ندما<sup>٢</sup> وإقلاعا وعزما ولم يفزعوا ١٠ إلى المعاذير الكاذبة [وهم المقتصدون - ٢] .

ولما كان الخلط جمعا في امتزاج، كان بمجرد ذكره يفهم أن المخلوط امتزج بغيره، فالإتيان بالواو في "الآخر" يفهم أن المعنى: (خلطوا عملا صليحا) بسبب (والآخر سيئات) بصلح، فهو من أطف شاهد لنوع الاحتباك، ولعل التعبير بما أفهم ذلك إشارة إلى تساوى العاملين وأنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلا، [وقد فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في أناس رأهم في المنام شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح كما رواه البخارى في التفسير عن سمرة رضى الله عنه - ٢] ثم أوجب تحقيق توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله: (عسى الله) أى بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال

(١) في ظ: يكون (٢) في ظ: بدعا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

أن

( ان يتوب عليهم <sup>١</sup> ) فان " عسى " منه سبحانه و تعالى واجبة لأن هذا دأب الملوك و لعل التعبير بها يفيد - مع الإيذان <sup>٢</sup> بأنه لا يجب عليه لأحد <sup>٣</sup> شيء و أن كل <sup>٤</sup> إحسان يفعله فانما هو على سبيل الفضل إشارة <sup>٥</sup> إلى أنهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين غير المعصومين فى مواجهة <sup>٦</sup> التقصير و توقع الرحمة من الله بالرجوع بهم إلى المراقبة ، فكما أن أولئك معدودون <sup>٧</sup> فى حزب الله مع هذا التقصير المرحوله "مغو" فكذلك هؤلاء ؛ ثم علل فعله بهم مرجيا للزبد بقوله : ( ان الله ) أى ذا الجلال و الإكرام ( غفور رحيم <sup>٨</sup> ) أى لم يزل موصوفا بقبول المعرض إذا أقبل و إبدال سيئه بحسن فضلا منه <sup>٩</sup> و إكراما <sup>١٠</sup> ؛ روى البخارى فى صحيحه فى التفسير عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠ لنا : أتانى <sup>١١</sup> الليلة آتيان فابتمتاني فاتنهما إلى مدينة مبنية ببلن ذهب و لبن فضة فلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راه <sup>١٢</sup> و شطر كأقبح ما أنت راه <sup>١٣</sup> ، قالوا [ لهم - <sup>١٤</sup> ] : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالوا لى : هذه جنة عدن ، و هذا منزلك ، قالوا : أما القوم ١٥ الذين كانوا شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا عفا <sup>١٦</sup> الله عنهم .

(١) فى ظ : الاستيذان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لك - كذا .  
(٤) من ظ ، وفى الأصل : لاشارة (٥) فى ظ : موافقة (٦) فى ظ : اتى (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) زيد من ظ و صحيح البخارى (٩) فى الصحيح : تجاوز .

و لما كان من شأن الرضوان قبول القربان ، أمره صلى الله عليه وسلم  
تطهيراً لهم و تطيباً لقلوبهم بقوله : ﴿ خذ ﴾ و رحمهم بالتبويض فقال :  
﴿ من اموالهم صدقة ﴾ أى تطيب أنفسهم باخراجها ﴿ تطهرهم ﴾ أى  
هى من ذنوبهم و تجرى بهم ' مجرى الكفارة ﴾ و تزكيتهم ﴾ أى أنت  
٥ تزيدهم ' و تنميتهم ﴾ بها ﴾ بتكثير حسناتهم ﴾ و صل ﴾ أى اعطف  
﴿ عليهم ﴾ و أظهر شرفهم بدعائك لهم ؛ ثم علل ذلك بقوله :  
﴿ ان صلواتك ﴾ أى دعواتك التى تصلهم بها فتكون موصلة لهم إلى الله  
﴿ سكن لهم ﴾ أى تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب  
لما يعلمون من أن القبول لا يكون إلا بمن حصل له الرضى عنهم ' و من  
١٠ [ أن - ' ] الله يسمع قولك إجابة لك و يعلم صدقك ' فى صلاحهم  
﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شئ . ﴿ سميع عليم ﴾ أى لكل ما يمكن أن  
يسمع و ما يمكن أن يعلم منك و منهم و من غيركم . فهو جدير بالإجابة  
و الإثابة ، و ذلك أن هذا الصنف لما اشتد ندمهم على التخلف أوثقوا  
أنفسهم بسوارى المسجد فسأل عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
١٥ قدم ف قيل : ندموا على التخلف عنك فخلفوا : لا يطلقهم إلا أنت . فقال :  
و أنا لا أطلقهم حتى أومر بذلك ، فأنزل الله سبحانه و تعالى هذه الآيات  
فقالوا : يا رسول الله ! هذه أموالنا التى خلقتنا عنك فتصدق بها ! فقال :  
ما أمرت بذلك ' ، فلما أنزل [ الله - ' ] / هذه الآية أخذ الثلث فتصدق به .

١٥٤٤

(١) فى ظ : لهم (٢) فى ظ : تزكيتهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : عنه (٤) زيد  
من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : قصدك (٦) فى ظ : مما (٧) سقط من ظ .

ولما

(٣)

١٢



و لما ساق توبتهم سبحانه فى حيز " عسى " ، و كان الاصل فيها  
الترجىة فى المحبوب و الإشفاق فى المكروه ، [ و - ٩ ] أمر سبحانه بالأخذ  
من أموالهم لذلك ، و كان إخراج المال شديدا على النفوس لا سيما فى  
ذلك الزمان ، كان ربما استوقف الشيطان من لم يرسخ قدمه فى الإيمان  
عن التوبة و ما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بأنها تقبل ، فاتبع ه  
ذلك سبحانه بقوله : ﴿ اَلَمْ يَعْلَمُوْا ﴾ أى المعترفون بالذنوب حتى تسمح  
أنفسهم بالصدقة أو غيرهم حتى يرغبوا فى التوبة و الصدقة ﴿ اِنْ اَللّٰهُ ﴾  
أى الذى له الكمال كله ﴿ هُوَ ﴾ أى وحده ﴿ يَقْبَلُ ﴾ أى من شأنه أن يقبل  
﴿ التوبة ﴾ تجاوزا ﴿ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ أى التائبين المخلصين ﴿ وَيَاخُذُ ﴾ أى  
يقبل قبول الآخذ لنفسه ﴿ - الصَّدَقَتِ ﴾ أى ممن يتقرب بها إليه بنية ١٠  
خالصة ﴿ وَاِنْ اَللّٰهُ ﴾ أى المحيط بصفى الجلال و الإكرام ﴿ هُوَ ﴾ أى  
وحده ﴿ التَّوَابُ الرَّحِيْمُ ﴾ أى لم يزل التجاوز و الإكرام من شأنه و صفته ،  
و فى ذلك إنكار على غيرهم من المتخلفين فى كونهم لم يفعلوا مثل فعلهم  
من الندم الحامل على أن يعذبوا أنفسهم بالإيثاق فى السوارى و يقربوا  
بعض أموالهم كما فعل هؤلاء أمر نحو ذلك مما يدل على الاعتراف و الندم . ١٥  
و لما أمره من تطهيرهم بما يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل الذنب ،  
عطف على قوله " خذ " قوله تحذيرا لهم من مثل ما رقعوا فيه :  
﴿ وَاَقْلِعُوا ﴾ أى بعد طهارتكم ﴿ فَيَسِّرِ اللّٰهُ ﴾ أى الذى له الإحاطة  
الكاملة ﴿ عَمَلِكُمْ ﴾ أى بما له من إحاطة العلم . القدرة فاعملوا عمل من  
(١) زيد من ظ (٢ - ٢) - قط ما بين الرقین من ظ .

ظلم الدرر (سورة برآة ٩: ١٠٥ - ١٠٧) ج - ٩

يعلم أنه بعين الله ﴿ ورسوله ﴾ أى بإعلام الله له . ولما كان هذا القسم من المؤمنين فكانت أعمالهم لا خفاء فيها ، قال ﴿ والمؤمنون ﴾ فزينا أعمالكم جهدكم وأخلصوا ، وفى بعض الأحاديث : لو أن رجلا عمل فى صحرة لا باب لها لأظهر الله عمله للناس كائن ما كان . .  
 ٥ ولما كان هذا السياق للمؤمنين حذف منه ' ثم ' لكنه لما كان للمذنبين ، أكد بالسین فقال : ﴿ وستردون ﴾ أى بوعده لا خلف فيه ﴿ الى غلم الغيب و الشهادة ﴾ أى بعد الموت والبعث ﴿ فينبئكم ﴾ أى بعلمه بكل شيء ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أى ما أظهرتم عمله وما كان فى غرائزكم ، فلو تأخرتم تظهروا ، مجازيكم على حسنة ويزيد من فضله ،  
 ١٠ وعلى سيرة عدلا إن شاء . ولا يظلم مثقال ذرة .

ولما ذكر القسمين المنجز عذابهم و مثابهم ، ذكر المؤخر أمرهم [ وهو القسم الظالم لنفسه فى الذى بدأ به فى سورة فاطر سورة الحشر الآخر ، ولا يبعد أن تكون هذه سورة الحشر الأولى لأنه صلى الله عليه وسلم ساق الناس إلى أرض المحشر - ٢ ] فقال : ﴿ والآخرون ﴾  
 ١٥ أى ومنهم آخرون ﴿ مرجون ﴾ أى مؤخرون بين الرجاء والخوف ﴿ لامر الله ﴾ أى لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذى له الأمر كله لا يدرون أيعذبون أم يرحمون ؛ وقدم قوله - : ﴿ اما يعذبهم ﴾ إن أصروا - تخويفا [ لهم - ٢ ] حملا على المبادرة إلى التوبة و تصفيتهما والإخلاص فيها وحثا<sup>٢</sup> على أن يكون الخوف ما دام الإنسان صحيحا  
 (١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ . وفى الأصل : حقا .

أغلب و ثنى بقوله : ﴿ واما يتوب عليهم ﴾ أى إن تابوا ترجية لهم  
وترقيقا لقلوبهم بالتذكير بمنزل 'الانس' الذى أخرجوا أنفسهم منه ومنعوها  
من حلوله و طيب مستقره و مقيله و حلّ أوقاته و على مقاماته و شهى أوقاته .  
و لما كان ربما قال قائل : ما فائدة التأخير و ما المانع من التجيز ؟

قال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عليم حكيم ٥ ﴾  
ترهيا و ترغيبا و تبعيدا و تقريبا و احتراسا مما قد يوهمه التردد من الشك  
و تدريبا ، و قراءة " غفور رحيم " للزيادة فى الترجية .

و لما ذكر الذين أقامهم فى مقام الخطر أتبعه تعيين طائفة من  
القسم الاول المستور الموصوف بالمرود . فألحق بهم الضرر فقال :

﴿ و الذين ﴾ و هو معطوف فى قراءة من أثبت الواو على قوله " و الآخرون " ١٠

٥٤٥ /

و خبره على ما يليق بالقصة : مناقبون / ماردون ، و أما على قراءة المدنيين  
و ابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل ، و ذلك أنه [ لما - ' ]  
قال تعالى " لا تعلمهم نحن نعلمهم " تشوفت النفس إلى الإعلام بهم ،  
فلما قال " و الآخرون اعترفوا بذنوبهم " اشتغل السامع بفهمه ، و ربما

ظن أنه يأتى فى آخر الكلام من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال ، فلما ١٥

انتقل بقوله " و الآخرون مرجون " إلى قسم آخر ، و ختم الآية بصفتى  
العلم و الحكمة ليعلم أن التردد للتقسيم ، أنه إن كان شك فهو بالنسبة  
إلى العباد و أما الله تعالى فنزه عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار

(٠) فى ظ : بمنزلة (٢) من ظ . وفى الأصل : الانسان (٣) سقط من ظ (٤) زيد  
من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ لحذفناها .

في خلده و مال إليه قلبه من الإعلام بالماردين على النفاق ، فاشتد تشوفه  
إليه فكان كأنه قال : من من الماردين منهم ؟ فقال تعالى [ الذين - ١ ]  
( اتخذوا مسجداً ) [ أى - ١ ] من الماردين وهم من أعظمهم مهارة في  
النفاق و إخفاء الكيد و الشقاق لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن كلفوا أنفسهم  
٥ الأخذ لأعظم عرى الدين مع المنازعة للفتنة الأولى و الحذر من أن  
يفضحوا<sup>٢</sup> ، فكان ختام هذه الآية من بديع الختام فانه احتباس عما يتوهم  
فيما قبله و دليل على ما بعده ، ولذلك ختم قصته أيضاً بصفى العلم  
و الحكمة . و لاح من هذا أن قوله ” سنعذبهم مرتين “ يمكن أن يراد به :  
مرة برجوعك . مرة باخراك مسجدهم و تقريقك لشملهم بعد هتك  
١٠ سرائرهم بكشف ضمائرهم ، و بين سبحانه علة اتخاذهم بقوله : ( ضرارا ) أى  
لأهل مسجد قباء أو لحزب الله [ عامة - ١ ] ( وكفرا ) أى بالله لاتخاذ دينه  
هزواً ( و تقريقا ) أى [ بما - ١ ] يبيتونه من المكاييد باستجلائهم لبعض  
من يخذلونه من المؤمنين و يطمعون فيه ليأتى مسجدهم و يترك المسجد  
المؤسس<sup>٤</sup> على التقوى ( بين المؤمنين ) أى الراسخين في الإيمان بما جاء  
١٥ من عند الله ، لأنهم كانوا يجتمعون في مسجد قباء فيقتص بهم ( و ارسادا )  
أى إعدادا و انتظارا ( لمن حارب الله ) أى الملك الأعظم ( و رسوله )  
و لما لم تكن محاربتهم مستغرقة للزمن الماضي ، أدخل الجار فقال : ( من قبل ط )  
( ١ ) زيد من ظ ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ - ٢ ) سقط ما بين الرقيين من ظ ( ٤ ) في  
ظ : المس ( ٥ ) من ظ . و في الاصل : فيفيض .

أى قبل اتخذهم لهذا المسجد بزمى قريب و هو أبو عامر الفاسق لَبَّاتِ  
إِلَيْهِمْ فَيَزِيدُهُمْ قُوَّةً عَلَى تَفَاقُهُمْ بِأَنْ يَصِيرَ كَهَفًا يَأْوُونَ إِلَيْهِ وَرَأْسًا [لَهُمْ - ]  
يَتَجَمَعُونَ<sup>٢</sup> عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنَى غَنَمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُوَ وَالِدُ<sup>٣</sup>  
حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ الَّذِى كَانَ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ قَدْ تَرَهَّبَ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَبَسَ الْمَسُوحَ. فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ قَالَ ه  
لَهُ: مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِى جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: الْخَنِيفَةُ دِينُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ أَبُو عَامِرٍ:  
أَنَا عَلَيْهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ عَلَيْهَا، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكَ أَدْخَلْتَ  
فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا، قَالَ: مَا فَعَلْتُ، وَلَكِنِّى جِئْتُ بِهَا بِيضًا<sup>٤</sup> نَقِيَّةً، قَالَ  
أَبُو عَامِرٍ: أَمَاتَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مَنْ طَرِدَا شَرِيدَا وَحِيدَا غَرِيْبَا! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آمِينَ! وَسَمَاءُ الْفَاسِقِ، ثُمَّ تَحَيَّزَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَاتَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ وَكَانَ: لَا أَجِدُ قَوْمًا يَقَاتِلُونَكَ إِلَّا قَاتَلْتُكَ مَعَهُمْ،  
فَلَمَّا قَاتَلَ يَوْمَ حَنْزِ مَعَ هَوَازَنَ<sup>٥</sup> وَانْهَزَمُوا أَيْسَ وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ،  
وَأَرْسَلَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ أَنْ اسْتَعِدُّوا فَإِنِى ذَاهِبٌ إِلَى قِصْرِفَاتٍ بِجُنُودٍ وَمُخْرَجٍ  
مُحَمَّدًا! وَكَانُوا قَدْ حَسَدُوا إِخْوَانَهُمْ بَنَى عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ عَلَى مَسْجِدٍ قَبَاءَ لَمَّا  
بَنَوْهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهِ وَيُصَلِّى فِيهِ، فَبَنَوْا مَسْجِدَ الضَّرَارِ ١٥  
(١) زَيْدٌ مِنْ ظ (٢) فِى ظ: يَجْتَمِعُونَ (٣) فِى ظ: وَلَدٌ (٤) مِنْ ظ: وَفِى  
الْأَصْلِ: فَانْ، وَالْقِصَّةُ مَسْوُوقَةٌ فِى مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ أَيْضًا - رَاجِعْ لِابِ التَّوَابِلِ ١٢١/٣.  
(٥) فِى ظ: بِيضَةٌ (٦) زَيْدٌ بَعْدَهُ فِى الْأَصْلِ: مَا، وَلَمْ تَكُنِ الزِّيَادَةُ فِى ظ وَالْمَعَالِمِ  
فَحَذَفْنَاهَا (٧) فِى ظ: هَوَام.

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٠٧ و ١٠٨) ج - ٩

و أرسلوا إليه صلى الله عليه وسلم ليأتيهم فيصل في، وكان يتجهز لتبوك  
فقال: أنا على جناح سفر و حال شغل، وإذا قدمنا صلينا فيه إن شاء الله!  
فلما قدم فكان قريبا من المدينة نزلت الآية، فدعا مالك بن الدخشم  
و جماعة وقال [لهم - ٢]: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدوه  
و أحرقوه، ففعلوا، و أمر صلى الله عليه وسلم أن يتخذ مكانه كناسه يلقى  
فيها الجيف و القمامة؛ و مات أبو عامر بالشام [وحيدا غريبا طريدا - ٢].  
و قيل: كل مسجد بنى مباهاة أو لغرض ليس به إخلاص أو بمال مشتب  
فهو لاحق بمسجد الضرار.

/ ٥٤٦

و لما أخبر عن سر أمرهم، أخبر عن نفاقهم في ٢ ظواهرهم بقوله:  
١٠ ﴿و ليحلفن﴾ أى جهد أيمانهم ﴿ان﴾ أى ما ﴿اردنا﴾ [أى - ١]  
باتخاذنا له ﴿الا الحسنى﴾ أى من الخصال؛ ثم كذبهم بقوله: ﴿والله﴾  
أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿يشهد﴾ أى يخبر بإخبار الشاهد  
﴿انهم لكذبون﴾ و قد بان بهذا كله أن سبب فضيحتهم ما تضمنه فعلهم  
من عظيم الضرر للإسلام و أهله؛ ثم قال ناهيا عن إجابتهم إلى ما أرادوا به  
١٥ من التليس إلتاجا عن هذا الكلام الذى هو أمضى من السهام:  
﴿لا تقم فيه﴾ أى مسجد الضرار ﴿ابدا﴾ أى سواء تابوا أولا، و أراد  
بعض المخلصين أن يأخذوه أولا، أى لا بد من إخراجه و محو أثره عن  
وجه الأرض.

و لما ذمه و ذم أهله، مدح مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، إما الذى

(١) فى ظ: ان (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ: اى (٥) فى ظ:  
بأخذوه.

بالمدينة الشريفة وإما الذى بينى عمرو بن عوف بقاء على الخلاف فى ذلك .  
و هو الذى اتخذ فى أول الإسلام مسجداً إحساناً وإيماناً وجمعاً بين  
المؤمنين وإعداداً لمن صادق الله ورسوله ، ومدح أهله إرشاداً لكل من  
كان مال إليه من المؤمنين لقرب أو غيره إلى العوض عنه ، وأهله  
أبهم تعيينه وذكر وصفه ليكون صالحاً لكل من المسجدين . ٥

لما اتصف بهذا الوصف من غيرهما فقال مؤكداً تعريفاً بما له  
من الحق ولما للناقضين من التكذيب : ( مسجد اس ) أى وقع  
تأسيسه ( على التقوى ) أى فأحاطت التقوى به لأنها إذا أحاطت  
بأوله أحاطت بآخره ؛ ولما كان التأسيس قد تطول مدة أيامه فيكون  
أوله مخالفاً لآخره ، قال : ( من أول يوم ) أى من أيام تأسيسه ، ١٠  
وفيه إشارة إلى ما تقدم من احتمال أن يريد أحد من أهل الإخلاص  
أن يتخذ مصلى . فبين أنه لا يصلح لذلك لأن تأسيسه كان لما هو  
مباعد له ( احق ان تقوم فيه ) أى بالصلاة والوعظ وغيره من  
مسجد لم يقصد به تقوى على تقدير فرض محال إلا فى ٢ ثانى الحال .  
ولما مدحه مدح أهله بقوله : ( فيه رجال ) أى لهم كمال ١٥

الرجولية ( يحبون ان يتطهروا ) أى فى أبدانهم وقلوبهم كمال الطهارة -  
بما أشار إليه الإظهار ، فهم دائماً فى جهاد أنفسهم فى ذلك فأجهم الله ٢

( ١ ) فى ظ : لم تقصد ( ٢ ) من ظ ، وفى الأصل : الى ( ٣ ) زيد بعده فى الأصل :  
ولانبات ما افهم الاجتهاد حصل الغنى عن إظهار تاء التفعّل فقال ، ولم تكن  
الزيادة هنا فى ظ لحذفها وسيأتى .

نظم الدرر (سورة برآة ٩: ١٠٨ و ١٠٩) ج - ٩

﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يجب ﴾ أى يفعل ما يفعل المحب من الإكرام بالفضل والإحسان ، ولإثبات ما أفهم الاجتهاد حصل الغنى عن إظهار تاء الفعل أو للندب إلى الطهارة ولو على أدنى الوجوه المجزئة فقال : ﴿ المطهرين ﴾ أى قاطبة منهم و من غيرهم .

٥ ولما علم من هذا بطريق الإشارة والتلويح أن التأسيس مثل ابتداء خلق الحيوان ، فن جبل من 'أول مرة' جلة شر لا يصلح للخير أبدا ولا يقبله كما قال تعالى "ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون" ذكره على سبيل التصريح فسبب عما مضى قوله ممثلا الباطل ببناء على حرف واد واه جدا على شفير جهنم : ﴿ افن اسس بنيانه ﴾ أى

١٠ كما أشرت إليه فى المسجد المحثوث بالإقبال عليه ﴿ على تقوى من الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ ورضوان ﴾ فكان كمن بنى بنيانه على جبل لا تهدمه الأمطار ولا تؤثر فيه السيول ﴿ خير ام من اسس بنيانه ﴾ على فسق وفجور وعدم اكتراث بالأمور فكان كمن بنى بنيانه ﴿ على شفا ﴾ أى حرف ، ومنه الشفة ﴿ جرف ﴾ أى مكان جفرة السيل / و جرفه / ٥٤٧

١٥ فصار مشرفا على السقوط ، ولذلك قال : ﴿ هار ﴾ أى هائر ، من هار الجرف - إذا أشرف لتخريق السيول على السقوط ﴿ فانهار ﴾ أى فكان بناؤه لذلك سببا لأنه سقط سقوطا لا تماك معه ﴿ به ﴾ أى وهو فيه آمنا من سقوطه بقله عقله وسفاهة رأيه ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : امره - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : الا -

(٣) سورة ٨ آية ٢٣ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فن .

(٥) فالجواب



فالجواب : لا شك الأول خير بل ، لا خير فى الثانى أصلاً ، والعجب كل العجب من كونه بنى هذا البناء هكذا ، فأجيب بأنه لا عجب لأن الأمر بيد الله ، لا مفر من قضائه ، وهو قد هدى الأول إلى ما فيه صلاحه ، ولم يهد<sup>١</sup> الثانى لما علم فيه من عدم قابلية الخير ( والله ) الذى له صفات الكمال ( لا يهدى القوم ) أى الذين لهم قوة المحاولة لما يريدون ( الظلمين ) ٥  
أى المطبوعين على ظلام البصائر ، فهم لا يفكرون فى شيء إلا جاء فى غير موضعه وعلى غير نظام كخطوات<sup>٢</sup> الماشى فى الظلام ، وقد علم أن الآية من قبيل الاحتباك : أثبت أولاً التقوى لأن أهل الإسلام أحق بها ، فدللت على حذف<sup>٣</sup> ضدها ثانياً ، وأثبت ثانياً ضعف البناء حسلاً لأن مسجد الضرار أولى به ، فدل على حذف ضده أولاً ، فذكر ١٠  
النهاية المعقولة لأهلها و البداية المحسوسة للناظرين لها ؛ و روى عن جابر رضى الله عنه قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ؛ وحكى عن خلف بن يسار<sup>٤</sup> أنه رأى فيه حجراً يخرج منه الدخان فى أول دولة بنى العباس .

ولما كان ما تقدم غير قاطع فى إخراجه لما ثبت للمساجد من الحرمه ، ١٥  
استأنف الإخبار عن أنه لا يعد فى عداد المساجد بوجه ، وإنما هو فى عداد بيوت الأصنام فهو واجب الإعدام فقال : ( لا يزال بنيانهم )  
( ١ ) فى الأصل وظ : لم يهدى ( ٢ ) من ظ ، وفى الأصل : لخطوات ( ٣ ) زيد بعده فى الأصل : مضاف ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها ( ٤ ) فى تفسير الطبرى : ياسين - راجع آية ١٠٩ فيه .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٠٩ - ١١١) ج - ٩

أى نفس المبنى وهو المسجد ﴿الذى بنواريبة﴾ أى شكا ونفاقا ﴿فى قلوبهم﴾ كما أن بيوت الأصنام كذلك لأهلها. فكان ذلك حثا على إخراجه و محوه وقطع أثره. والمعنى أنه جامع لهم على الريبة فى كل زمان يمكن أن يكون ﴿الآن﴾ ولما كان القطع محصلا للقصور من غير نظر إلى قاطع معين. قال بانيا للفعول: ﴿تقطع قلوبهم﴾ أى إلا زمان يوجد فيه القطع البليغ "كثير لقلوبهم وعزائمهم وياعد بينهم ويفرق شملهم باخراجه، وقراءة يعقوب بـ 'الى' الجارة واضحة فى المراد، أو يكون المراد أنه لا يزال حاملا لهم' على التصميم على النفاق إلى أن يموتوا، فهو كناية عن عدم توبتهم.

١٠ ولما كان التقدير: فانه عليم بما أخبركم به فلا تشكروا فيه، عطف عليه تعميما للحكم وتعظيما للأمر قوله: ﴿والله﴾ أى انذى له الإحاطة بكل شئ. ﴿عليم﴾ أى بالغ تعلم بكل معلوم ﴿حكيم﴾ فهو يتقن ما يأمر به.

ولما تقدم الإنكار على المتأفلين عن النفر فى سبيل الله فى قوله ١٥ تعالى "مالكم اذا قيل لكم انفروا" - الآية، ثم الجزم بالأمر بالجهاد بالنفس والمال فى قوله "انفروا خفا و ثقلا" - الآية. و كان أمره تعالى كافيا للتؤمن الذى صدق إيمانه بالإسلام فى امثاله لذلك فى منشطه ومكرهه. و كان كثير منهم قد فعلوا بتأفلهم ما يقدر فى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: تعليقا (٣-٢) من ظ و القرآن الكريم سورة ٩ آية ٣٨، وفى الأصل: ما قيل لكم (٤) فى ظ: بها (٥) من ظ، وفى الأصل: ذلك.

إيمانهم طمعا فى ستره بمعاذيرهم وإيمانهم، اقتضى المقام تبكيت المشاغلين  
و تأنيب المناقضين على وجه مهتك لاستارهم مكشف لأسرارهم. فلما  
استوفى تعالى فى ذلك أقسامهم، ونكس ألويتهم وأعلامهم، وختمهم  
بهذه الطائفة التى ظهر فيها امثاله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى "جاهد  
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" بأن هذا مسجدهم وحرقة بالنار  
و أزال بنيانه وفرقه، وقد أديمه عن جديد الأرض ومزقه، أتبع  
ذلك سبحانه بتذكير المؤمنين ما أمرهم به فى قوله تعالى "قاتلوا الذين  
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر" وقوله "انفروا خفا و ثقالا"  
ليفعلوا فيه ما فعله / رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به، فساق  
مساق الجواب لسؤال من كأنه قال: لقد طال المدى وعظم الخطب فى ١٠  
هذه السورة فى إبانة الفضائح وهتك السرائر وإظهار القبائح، فلم  
فعل ذلك وقد جرت عادته بالأمر بالستر وأخذ العفو؟ قوله: ﴿ان الله﴾  
أى الملك الذى لا ملك فى الحقيقة غيره ولا يخشى إلا عذابه ولا يرجى  
إلا خيره ﴿اشترى﴾ [أى - °] بعهود أكيدة ومواثيق غليظة شديدة،  
ولذلك عبر بما يدل على اللجاج فيها فقال: ﴿من المؤمنين﴾ أى بالله ١٥  
وما جاء من عنده، وقدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على  
اكتساب المال فقال مقدما للأعر: ﴿انفسهم﴾ أى التى تفرد بخلقها  
﴿واموالهم﴾ أى التى تفرد برزقها وهو يملكها دونهم.

(١) فى ظ: تانيث (٢) فى ظ: اظهر (٣) فى ظ: هذا (٤) فى ظ: فسر.  
(٥) زيد من ظ.

و لما ذكر المبيع أتبعه الثمن فقال: ﴿بأن لهم الجنة﴾ أى خاصة بهم مقصورة عليهم، لا يكون لغير مؤمن، فيزعم حتى يقابل كل بما يستحقه، فكأنه قيل: اشترى منهم ذلك بما ذا؟ قيل: ﴿يقاتلون في سبيل الله﴾ أى [الملك الأعلى - ٤] بسبب دينه الذى لا يرضى غيره، قتالا يكون الدين محيطا به وظرفا، فلا يكون فيه شائبة لغيره؛ ثم سبب عن ذلك ما هو حقيق به، فقال: ﴿فيقتلون و يقتلون ق﴾ أعم من أن يكون ذلك بالقوة أو بالفعل، فيخصهم بالجنة كما وعدهم، وقراءة حمزة والكسائي بتقديم المبنى للفعول أمدح، لأن من طلب الموت - لا يقف له خصمه. فيكون المعنى: فطلبوا أن يكونوا مقتولين فقتلوا أقرانهم، و يجوز أن يكون النظر إلى المجموع فيكون المعنى أنهم يقاتلون بعد رؤية مصارع أصحابهم من غير أن يوهنهم ذلك، وعن بعض الأعراب أنه لما سمع هذه الآية قال: بيع والله مريح! لا ثقيل ولا نستقيل، فخرج إلى الغزو فاستشهد. ولما كان القتل لكونه سببا للجنة بشارة وعدا. أكد ذلك بقوله: ﴿وعدا﴾ وزاده "بحرف الإيجاب فقال: ﴿عليه﴾ و آتم التأكيد بقوله: ﴿حقا﴾ ولما أكد هذه المبايعة "الكريمة هذه التأكيدات العظيمة، زاد ذلك بذكره في جميع الكتب القديمة فقال: ﴿في التوراة﴾

(١) في ظ: مقصودة (٢) في ظ: يعامل (٣) في ظ: لما ذا (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: هذا (٦) من ظ، وفي الأصل: فرا (٧) في ظ: أصابهم (٨) في ظ: يهينهم (٩) من ظ و البحر المحيط ١٠٢/هـ، وفي الأصل: العدو (١٠) سقط من ظ (١١) في ظ: زاد (١٢) في ظ: المبالغة.

كتاب موسى عليه السلام ﴿ و الانجيل ﴾<sup>١</sup> كتاب عيسى عليه السلام  
 ﴿ و القرآن ﴾<sup>٢</sup> أى الكتاب الجامع لكل ما قبله و لكل خير ، و هؤلاء  
 المذكورون<sup>٣</sup> فى هذه السورة كلهم ممن ادعى الإيمان و ارتدى به حلل  
 الأمان<sup>٤</sup> ، ثم إنهم فعلوا بتخلفهم عن الإقباض و توقفهم عن الإسراع  
 و الإيفاض و غير ذلك من أقوالهم و مساوئ أفعالهم فعل الكاذب فى هـ  
 دعواه أو الشاك أعم<sup>٥</sup> من أن يكون كذب بالآخرة المشتملة على الجنة  
 أو يكون شك فى وعد الله بإيمانهم إياها أو بتخصيصهم بها ، و جوز  
 أن يدخلها غيرهم و طمع أن يكون هو بمن يدخلها مع التكذيب ، و الله  
 تعالى منزّه عن جميع ذلك و هو وفى بعهده ﴿ و من ﴾ أى وعد بذلك  
 و الحال أنه أوفى المعاهدين فهو مقول<sup>٦</sup> فيه على طريق الاستفهام الإنكارى : ١٠  
 من ﴿ اوفى بعهده من الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال لأن  
 الإخلاف لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف بخالفهم<sup>٧</sup> الذى له  
 الغنى المطلق .

و لما كان ذلك سبباً للتبشير<sup>٨</sup> ، لأنه لا ترغيب فى الجهاد أحسن منه ، قال  
 مهتأ لهم : ﴿ فاستبشروا ﴾ أى فأوجدوا فى نفوسكم غاية البشر يا معاشر ١٥  
 المجاهدين . و لما ذكره فى ابتداء العقد بلفظ يدل على التأكيد ، ذكره فى آخره  
 بلفظ يدل على السعة إشارة إلى سعة الجزاء فقال : ﴿ يبيعكم الذى بايعتم ﴾

(١-١) فى ظ : أى الكتاب الجامع لكل ما قبله (٢) فى ظ : المذكورين (٣) فى  
 ظ : من (٤) من ظ ، وفى الأصل : الإيمان (٥) فى ظ : أوهم (٦) من ظ ، وفى  
 الأصل : يقول (٧) من ظ . وفى الأصل : يخالفهم (٨) فى ظ : للبشر .

أى أوقعتم المبايعة لله (به١) فانه موفيكم لا محالة فذلك هو الاجر الكريم (وذلك) أى إرائكم الجنة وتخصيصكم بها (هو) أى خاصة لا غيره (الفوز العظيم) فالحاصل أن هذه الآية واقعة موقع التعليل للأمر بالنفر بالنفس والمال .

٥٤٩ / ٥

ولما ثبتت المعاقدة / وأحكامها ، وصف المعاقدين على طريق المدح للحث على أوصافهم فقال : (التائبون) مبتدئا أوصافهم بالتوبة التى هى أساس العمل الصالح . ثم ابتدأ المؤسس بمطلق العبادة الشاملة لجميع أنواع الدين من العلم وغيره فقال : (العبدون) أى الذين أقبلوا على العبادة فأخلصوها لله ؛ ولما كان التزام الدين لا يعرف إلا بالإقرار باللسان ، أتبع ذلك الحمد الذى تدور مادته على بلوغ الغاية الذى من جملة الثناء اللسانى بالجليل الشامل للتوحيد وغيره فقال : (الحمدون) أى المتنون عليه سبحانه ثناء عظيما ، تطابقت عليه ألسنتهم وقلوبهم فتبعته آثاره ؛ ولما كان الإقرار باللسان لا يقبل إلا عند مطابقة القلب ، تلاه بالسياحة التى تدور بكل ترتيب على الاتساع الذى<sup>٢</sup> منه إصلاح انقلب ليتسع ١٥ للتجرد عن ضيق المألوفات إلى فضاء الحضرات الإلهيات فقال : (السائحون) ولما كانت الصلاة نتيجة ذلك لكونها جامعة لعمل القلب واللسان وغيرهما من الأركان ، وهى أعظم موصل إلى بساط الأنس فى حضرات القدس وأعلى مجرد عن الوقوف مع المألوف . وكان<sup>٣</sup> أول مراتب التواضع القيام وأوسطها الركوع وغايتها السجود . و كان جميع (١) فى ظ : المسر - كذا (٢) فى ظ : التى (٣) من ظ ، وفى الأصل : كانت .

أشكال

أشكال الصلاة موافقا للعادة<sup>١</sup> إلا الركوع والسجود ، أشار إليها بقوله  
مخصصا لها بالذكر تنديها على أن المراد من الصلاة نهاية الخضوع :  
(الركعون) فبين أن تمام هذه البشرى لهذه الأمة أن صلاة غيرهم  
لا ركوع فيها ، وأتمها بقوله : (السجدون) ولما كان الناصح لنفسه  
بتهذيب لسانه وقلبه وجميع جوارحه لا يقبل إلا إذا بذل الجهد في نصيحة  
غيره كما صرح به مثال السفر في السفينة ليحصل المقصود من الدين  
وهو جمع الكل على الله المقتضى للتعاقد والتناصر الموجب لدوام العبادة  
والنصرة وبذلك يتحقق التجرد عن كل مألوف مجانس وغير مجانس ،  
أتبع ذلك قوله : (الأمرون بالمعروف) أى السنة .

- ١٠ ولما كان الدين متينا فلن يشاده أحد إلا غلبه ، كان المراد من المأمورات  
مسماها دون تمامها ومتنهاها ، إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ،  
والمراد من المنهيات تركها كلها ، ومن الحدود الوقوف عندها من غير  
مجاوزة ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، رواه البخارى فى الاعتصام  
من صحيحه ومسلم أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وكانت العرب -  
كما تقدم فى البقرة عند قوله تعالى " والصلوة الوسطى " وفى آل عمران ١٥  
عند قوله " الصبرين والصدقين " عن الأستاذ أبى الحسن الحرالى -  
إذا أتبع بعض الصفات بعضا من غير عطف علم أنها غير تامة ، فإذا  
عطفها أردت التمكن فيها والعراقة والتمام . فأعلم سبحانه أن المراد

(١) من ظ ، وفى الأصل : للسانحة (٢) من ظ . وفى الأصل : لان (٣) آية ٢٣٨ .  
(٤) آية ١٧ ، (٥) من ظ ، وفى الأصل : اذ (٦) من ظ ، وفى الأصل : التمكين .

نظم الدرر (سورة براءة ٩ : ١١٢ و ١١٣) ج - ٩

فيما تقدم من الاوصاف الإتيان بما أمكن منها، فأقنى بها اتباعا دون عطف لذلك، وأشار إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف عند الحدود لا يقع منه إلا بالتام لأن المقصر في شيء من ذلك إما راض يهدم الدين وإما هادم بنفسه، فيجب التجرد التام [فيه-] لأن النهي أصعب أقسام العبادة لأنه متعلق بالغير وهو مشير<sup>١</sup> للغضب موجب للحمية وظهور الخصومة، فربما كان عنه ضرب وقتل، فلذلك عطفها ولم يتبعها فقال: (والناهون) أي بغاية الجد (عن المنكر) أي البدعة. ولما كان فاعل الخير لا ينفعه فعله إلا باستمراره عليه إلى الموت أتبعه قوله: (والحفظون) أي بغاية العزم والقوة (لحدود الله) أي الملك الأعظم التي حدها في هذا الشرع القيم فلم يتجاوزوا شيئا منها، نغتم بما به بدأ / مع قيد الدوام بالرعى والقوة، والحاصل أن الوصف الأول للتجرد عن ربة مألوف خاص وهو شرك المعصية بشركه أو غيره، والثاني للتجرد عن قيود العادات إلى قضاء العبادات، والثالث لبلوغ الغاية في تهذيب الظاهر. والرابع للتوسع إلى التجرد عن قيود الباطن. الخامس والسادس للجمع بين كمال الباطن والظاهر، والسابع للسير إلى إفادة ذلك على الغير، والثامن للدوام على تلك الحدود بترك جميع القيود. فقصود الآية العروج من الحضيض الجسماني إلى الشرف الروحاني؛ ثم أمره صلى الله عليه وسلم بتبشير المخلوق بهذه الأوصاف عاطفا لأمره به

(١) في ظ: لا يقع (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: مشير (٤) في ظ: الجزم (٥) في ظ: قيد.



على محذوف تقديره - والله أعلم : فأنذر من تخلى منها بكل ما يسوءه  
بعد سجنه فى دار الشقاوة فانه كافر و بشرم ، أى هؤلاء الموصوفين ،  
هكذا كان الأصل الإضمار ، ولكنه أظهر ختاماً بما به ' بدأ و تعليقاً  
بالوصف و تعميماً فقال : ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أى المتخلفين بها بكل  
ما يسرهم بعد تخصيصهم بدار السعادة ، و فى ٢ ختم الآيتين بالبشارة تارة ٥  
من الخالق و تارة من أكمل الخلائق أعظم منزلة للمؤمنين ، و فى جعل  
الأولى من الله أعظم ترغيب فى الجهاد و أعلى حث على خوض غمرات  
الجلاد ، و فى ابتداء الآيتين بالوصف المشعر بالرسوخ فى الإيمان الذى  
هو الوصف المتمم للعشر و ختمها بمثله إشارة إلى أن هذه مائدة لا يخلص  
عليها طفيل ، و أن من عدا الراضين فى درجة الإهمال لا كلام معهم ١٠  
ولا التفات بوجه إليهم .

ولما كثرت فى هذه السورة الأوامر بالبراءة من أحياء المشركين  
وجاء الأمر أيضاً بالبراءة من أموات المنافقين بالنهى عن الدعاء لهم ،  
جاءت هذه الآية مشيرة إلى البراءة من كل مشرك فوق التصريح بعدها  
بما أشارت إليه ، وذلك أنه لما ثبت بهذه الآية فى تقديم الجار أن ١٥  
المباينة وقعت على تخصيص الجنة بالمؤمنين وأنه تعالى أوفى من عاهد ،  
ثبت أنه لا يجوز أن يدخل غيرهم الجنة و أن غيرهم أصحاب النار . لأنه  
قد علم أن الآخرة داران : جنة و نار ، و لما ثبت هذا كله علم قطعاً علم  
النتيجة من المقدمات الصحيحة أنه ﴿ ما كان ﴾ أى فى نفس الأمر

(١) فى ظ : فيه (٢) زيد بعده فى الأصل : آية ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها .  
(٣) من ظ ، وفى الأصل : لا يخلص .

﴿لنبي﴾ أى الذى لا ينطق إلا بما عنده فيه بيان من الله ﴿والذين آمنوا﴾  
 أى أقروا بأنهم صدقوا بدعوته فلا يفعلون<sup>١</sup> إلا ما عندهم منه علم  
 ﴿ان يستغفروا﴾ أى يطلبوا المغفرة و يدعوا بها ﴿للمشركين﴾ أى  
 الراسخين فى الإشراك فى عبادة ربهم ﴿ولو كانوا﴾ أى المشركين  
 ﴿أولى قربى﴾ أى للذين آمنوا ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ أى بموتهم على  
 الشرك و إنزال<sup>٢</sup> هذه الآية للتحتم بالتخصيص بالجنة ﴿انهم اصحب الحميم﴾  
 أى لا أهلية لهم للجنة . فان الاستغفار معناه محو الذنوب حتى ينجو  
 صاحبها من النار و يدخل الجنة و ما ينبغي لهم أن يكون لهم إليهم  
 لتفات فان ذلك ربما جر إلى ملابنة تفكر عن القتال الواقع عليه المباشرة<sup>٣</sup>  
 ١. فما ينبغي إلا محض المفاطعة و المخاشنة و المنازعة . و تقيد النهى بالتبيين<sup>٤</sup>  
 يدل على جواز الدعاء للحى فان القصد بالاستغفار الإقبال به إلى الإيمان  
 الموجب للفرقان . و لما<sup>٥</sup> أنكر أن يكون لهم ذلك ، و كان الخليل عليه  
 السلام المأمور بالاعتداء به و اللزوم بملته<sup>٦</sup> قد استغفر لآيه ، بين أنه  
 كان أيضا قبل العلم بما فى نفس الأمر من استحقاقه للتأييد فى النار ،  
 ١٥ فقال دالا بواو العطف على أن التقدير : فما استغفر لهم بعد العلم أحد  
 من المؤمنين : ﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾ أى خليل الله ﴿لآيه﴾  
 أى بعد أن خالفه فى الدين ﴿الا عن مودة﴾ / أى و هى قوله  
 "لاستغفرون لك و ما املك لك من الله من شيء"<sup>٨</sup> و أكد صدور

/ ٥٥١

(١) فى ظ : فلا يفعلوا (٢) من ظ . وفى الأصل : الذين (٣) فى ظ : أنزل .  
 (٤) فى ظ : المبالغة (٥) فى ظ : بالتبيين (٦) فى ظ : ما (٧) من ظ ، وفى  
 الأصل : بمثله (٨) راجع آية ٤ سورة ٦٠ .

الوعد بقوله: ﴿وعدها آياه﴾ أى الخليل لآيه قبل أن يعلم أنه أبدى الشقارة، وقيل: 'لضمير لآيه. كان وعده أنه يسلم فاستغفر له ظنا منه أنه صدق فى وعده فأسلم، [والذى يدل على أنه كان قبل علمه بذلك قوله - ']: ﴿فلما تبين له﴾ [أى يانا شافيا قاطعا - ']: ﴿أنه عدو لله﴾ أى الملك الأعلى مؤيد "عداوة له بموته على الكفر أو بالوحى بأنه يموت عليه ﴿تبرا﴾ أى أكره نفسه على لبراءة ﴿منه﴾ ثم علل ما أفهمته صيغة النفع من المعالجة بقوله: ﴿إن إبراهيم لاواه﴾ أى شديد الرقة الموجبة للتأوه من خوف الله و من الشفقة على العباد؛ قال الزجاج: و التأوه أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء ﴿حليم﴾ أى شديد التحمل و الإغضاء عن المؤذى له. هكذا خلقه فى حد ذاته ١٠ فكيف فى حق آيه ولو قال له "لارجنك و ادجرنى" و أضعاف ذلك: قال الإمام "أبو محمد" إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل البستي القاضى فى تفسيره: حدثنا حرمة حدثنا ابن وهب أخبرنى ابن جريج عن أيوب بن هانىء عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما و خرجنا ١٥ معه حتى انتهى إلى المقابر فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فاجاه طويلا ثم ارتفع فحجب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: شديد (٣) من: ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣ / ١٢٧، وفى الأصل: تنفيس (٤) راجع سورة ١٩ آية ٤٦. (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ.

النبي صلى الله عليه وسلم أقبل إلينا فلقاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال:  
 ما الذى أبكك يا نبي الله فقد أبكنا وأفزعنا، فأخذ يد عمر رضى الله عنه  
 ثم أقبل إلينا فأتيناه فقال : أفزعكم بكائي ؟ قلنا : نعم يا رسول الله !  
 قال : إن القبر الذى رأيتموني أناجى قبر آمنة بنت وهب وإني  
 ٥ استأذنت<sup>١</sup> ربي فى الاستغفار لها فلم يأذن لى ونزل على<sup>٢</sup> " ما كان للنبي  
 والذين آمنوا<sup>٣</sup> أن يستغفروا للمشركين [ ولو كانوا أولى قربى<sup>٤</sup> ] -<sup>٥</sup> حتى  
 ختم الآية " وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه "  
 فأخذنى ما يأخذ الولد من الرقة فذلك الذى أبكاني<sup>٦</sup> - وهذا سند<sup>٧</sup> حسن .  
 ولمسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجه فى الجنايز عن أبى هريرة رضى الله عنه  
 ١٠ قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه<sup>٨</sup> فبكى وأبكى من حوله  
 وقال : استأذنت ربي فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته أن أزور  
 قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت . وللبخارى فى التفسير  
 وغيره عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب  
 الوفاة دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى  
 ١٥ أمية فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أى عم ! قل : لا إله إلا الله ، أحاج  
 لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن [ أبى -<sup>٩</sup> ] أمية : يا أبا طالب !  
 (١) فى ظ : اذنت (٢) زيد بعده فى ظ : معه (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم .  
 (٤) فى ظ : فلذلك (٥) وهذا الحديث قد أخرجه السيوطى فى الدر المنثور  
 حول تفسير هذه الآية بما يقاربه (٦) فى ظ : سنده (٧) من ظ والمراجع ، وفى  
 الأصل : آمنة - كذا (٨) زيد من صحيح البخارى .

أترغب عن ملة عبد المطلب؟ - وفي رواية : فكان آخر ما كلمهم أن قال : هو على ملة عبد المطلب - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك ، فزلت " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين " - الآية ، [ وأنزل الله في أبي طالب " انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " ] الآية - ٢ . ولعله استمر يستغفر له ٥ ما بين موته وغزوة تبوك حتى نزلت ، وروى في سبب نزولها غير هذا أيضا ، وقد تقدم أنه يجوز أن تتعدد الاسباب .

ولما كان الاستغفار للمشركين أمرا عظيما ، وكان فيه نوع ولاية لهم ، أظهر سبحانه للمؤمنين ما من عليهم به من عدم المؤاخذه بالإقدام عليه تهويلا لذلك وقطعا لما بين أوج الإيمان وحضيض الكفران بكل اعتبار ١٠ فقال تعالى : ﴿ وما كان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ؛ ولما كان الضلال سبب الهلاك ، وكان من شرع شريعة ثم عاقب ملتزمها من غير بيان كمن دل على طريق غير موصل فهلك صاحبه فكان الدال بذلك مضلا ، قال : ﴿ ليضل قوما ﴾ أى يفعل بهم ما يفعل بالضالين

٥٥٢ /

من العقوبة لأجر ارتكابهم لما ينهى عنه بناسخ نسخه ﴿ بعد اذ هداهم ﴾ ١٥ أى بشريعة نصبها لهم ﴿ حتى يبين لهم ﴾ أى بيانا شافيا لداء العي ﴿ ما يتقون ﴾ أى مما هو جدير بأن يحذروه ويتجنبوه خوفا من غائلته [ بناسخ ينسخ حال الإباحة التى كانوا عليها - ١ ] .

(١) سورة ٢٨ آية ٤٦ (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٣) فى ظ : يستمر .  
(٤) فى ظ : ملتزما (٥) زيد فى ظ : من .

و لما كان الذى يأمر بسلوك طريق ثم يترك فيها ما يحتاج إلى  
 البيان إنما يؤتى عليه من الجهل أو النسيان ، نفي ذلك سبحانه عن نفسه  
 فقال معللا لعدم الإضلال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال  
 ﴿ بكل شيء عليم ﴾ أى بالغ العلم فلا يتطرق إليه خفاء بوجه من  
 الوجوه فى حين من الأحيان فهو يبين لكم جميع ما تأتون و تذكرون  
 وما<sup>١</sup> يتوقف عليه الهدى ، وما تركه فهو إنما يتركه رحمة لكم ” لا بضل  
 ربى ولا ينسى<sup>٢</sup>“ فلا تبحثوا عنه ؛ ثم علل علمه بكل شيء بأن قدرته  
 شاملة فهو قادر على نصره من يريد و<sup>٣</sup> الانتقام من يريد ، فلا ينبغي  
 لأحد أن يحب إلا فيه ولا يبغض إلا فيه ولا يهتّم بعداوة أحد من عاده  
 ١٠ فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ له ﴾ أى بكل اعتبار تعدونه  
 من اعتبارات الكمال ﴿ ملك السموات والارض<sup>٤</sup> ﴾ فلا يخفى عليه شيء  
 فهو خير بكل ما ينفعكم و يضركم وهو وليكم ، بينه<sup>٥</sup> لكم ، و من كان له  
 جميع الملك كان بحيث لا يستعصى على أمره شيء : علم ولا غيره ، لأن  
 العلم من أعظم القوى و القدر ، ولا يكون الملك إلا عالما قادرا ؛  
 ١٥ ثم علل قدرته وعلمه بما يشاهد متكررا من فعله فى الحيوان والنبات  
 وغير ذلك فقال : ﴿ يحيى ويميت<sup>٦</sup> ﴾ أى بكل معنى فهو الذى أحياكم  
 وغيركم الحياة الجسدية و خصكم أنتم بالحياة الإيمانية ، وكما جعل غيركم  
 بعضهم<sup>٧</sup> أولياء بعض و جمعهم كلهم على ولاية عدوهم الشيطان جعلكم  
 (١) فى ظ : مما<sup>٢</sup> سورة ٢ آية ٢٠ (٣) سقطت الواو من ظ (٤) فى ظ : او .  
 (٥) من ظ ، وفى الأصل : بينه (٦) فى ظ : بينكم .

أتم أولياء ربكم الرحمن فهو وليكم وناصركم ﴿وما﴾ أى والحال أنه ما ﴿لكم﴾ ولما كان ليس لأحد أن يحوز كل ما دون رتبته سبحانه . أثبت الجار فقال : ﴿من دون الله﴾ أى [ الملك - ٢ ] الذى له الأمر كله ، وأغرق فى النفي بقوله ٢ : ﴿من ولى﴾ أى قريب يفعل معكم من الحيطة والنصح ما يفعل القريب من النصر وغيره . ٥

ولما كان الإنسان قد ينصره غير قريبه قال : ﴿ولا نصيره﴾ أى فلا توالوا ، إلا من كان من حزه وأهل حبه وقربه ، وفيه تهديد لمن أقدم على ما ينبغى أن يتقى لاسيما الملاينة لأعداء الله من المستاترين والمصارحين ، فان غاية ذلك موالاتهم وهى لا تقضى من الله شيئا .

ولما أشار إلى أنه هو وليهم أحيامهم بروح منه مبين لهم ما يصلحهم ١٠ وأنه لا ولى لهم غيره ، أقام الدليل على ذلك بقوله : ﴿لقد تاب الله﴾ أى الذى له الجلال والإكرام ﴿على النبي﴾ أى الذى لا يزال عنده من الله خبر عظيم يرشده إلى ما يؤذن بتقوية حياته برفع درجاته ، فما من مقام يرقه إليه إلا رأى أنه لمزيد علوه وتقربه للقام الذى كان دونه ، فهو فى كل لحظة فى ارتقاء من كامل إلى أكمل إلى ما لا نهاية له . ١٥

ولما أخبر تعالى بعلو رتبة النبي صلى الله عليه وسلم بترقيته فى رتب الكالات والأكمليات إلى ما لا نهاية له على وجه هو فى غاية البعث لكل

(١) من ظ ، وفى الأصل : ما (٢) تزيد من ظ (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : فلا يوالوا (٥-٥) فى إبط : له غيرهم (٦-٦) فى ظ : علو رتبة (٧-٧) فى ظ : بترقيه إلى .

مؤمن على المبادرة إلى التوبة ، أكد ذلك بقوله : ﴿ والمهجرين والانصار ﴾  
 بمحو هفواتهم ورفع درجاتهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ أى النبي صلى الله  
 عليه وسلم ﴿ فى ساعة العسرة ﴾ أى أزمنة غزوه تبوك . كانوا فى عسرة  
 من الزمان بالجذب والضيقة الشديدة . الحر الشديد ، وعسرة من الظهر  
 ٥ ' يعقب العسرة ' على بعير واحد . وعسرة من الزاد : تزودوا التمر  
 [ المدود - ٢ ] والشعير [ المسوس - ٢ ] والإهالة الزنخة ، وبلغت بهم  
 الشدة أن اقتسم الثمرة اثنان . وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ،  
 وفى ' عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها ؛ وسماها ' ساعة '  
 تهوينا ' لأوقات الكروب وتشجعا على مواجهة المكارها فان أمدھا  
 ١٠ يسير وأجرھا عظیم خطير ، فكانت حالهم باتباعه فى هذه الغزوة أكمل  
 من حالهم قبلها ، / وأشار سبحانه إلى تفاوتهم فى الثبات على مقامات  
 عالية ، ترقوا بالتوبة<sup>٩</sup> إلى أعلى منها ، وفى قبول وسواس أبعدهم التوبة  
 عن قبولها بقوله : ﴿ من بعد ما كاد ﴾ أى قرب قربا عظيما ﴿ يزيع ﴾  
 أى يزول عن أماكنها الموجبة لصلاحها . وأشار بـ ' من ' إلى تقارب  
 ١٥ ما بين كيدودة<sup>١١</sup> الزيع والتدارك بالتوبة . ولما كان المقام للزلازل<sup>١٢</sup> ،

/ ٥٥٣

(١-١) من ظ وروح المعانى ٣/ ٣٨٤ ، وفى الأصل : يعقب العسرة - كذا .  
 (٢) زيد من الروح (٣) زيد من ظ والروح (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ :  
 تهويلا (٦) من ظ ، وفى الأصل : لاهل<sup>٧</sup> (٧) فى ظ : امرها (٨) من ظ ، وفى  
 الأصل : بالسوية (٩) والقراءة الثابتة فى مصاحفنا : يزيع (١٠) فى ظ : تفاوت .  
 (١١) من ظ ، وفى الأصل : كيدورة (١٢) من ظ ، وفى الأصل : للزلازل .



ناسب التعبير بما منه الانقلاب و الفرقة فقال : ﴿ قلوب فريق ﴾ أى هم  
 بحيث تحصل<sup>١</sup> منهم الفرقة لما هناك من الزلازل المميلة<sup>٢</sup> ﴿ منهم ﴾ أى  
 من<sup>٣</sup> تعظيم ما نلهم من الشدائد فتميل<sup>٤</sup> لذلك عن الحق كأبى خيشمة  
 و من أحب الراحة و هاب السفر فى ذلك الحر الشديد إلى بنى الأصفر  
 الملوك الصيد الأبطال الصناديد . و هم ملء الأرض كثرة و قدر الحصى ه  
 عدة و مثل الجبال شدة ، ثم عزم الله له فتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فرجع سبحانه بالجميع إلى ما كانوا عليه قبيل<sup>٥</sup> مقاربة الزبغ من مباعده ،  
 و لما صاروا كمن لم<sup>٦</sup> يقارب الزبغ . أعلام إلى مقام آخر عبر عن  
 عظمتها بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم تاب عليهم<sup>٧</sup> ﴾ أى [ كلهم تكريرا  
 للرفعة ، أو على من كاد يزبغ -<sup>٨</sup> ] بالثبات على مباحدة الزلات و بالتبقى ١٠  
 فى أعالي الدرجات إلى الممات : و نقل أبو حيان عن الحسن أن زبغها  
 همها بالانصراف لما لقيت من المشقة . قال : و قيل : ساء ظنها بما  
 رآته من شدة العسرة و قلة الوفرة<sup>٩</sup> و بعد الشقة و قوة العدو المقصود -  
 انتهى . و يجوز أن يكون عبر بـ "ثم" لوصولهم إلى حالة يبعد<sup>١٠</sup> معها  
 الثبات فضلا عن مباحدة مواقع الزلات فثبتها حتى عادت كالحديد من ١٥  
 غير سبب ظاهر من "جيش أو غيره" فثبت بذلك أنه "مالك الملك متمكن

(١) فى ظ : تص (٢) فى ظ : المهية (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
 يميل (٥) فى ظ : قبل (٦) من ظ ، وفى الأصل : لا (٧) زيد من ظ .  
 (٨) من ظ و البحر المحيط ٥ / ١٠٩ . وفى الأصل : الوفد (٩) من ظ ، وفى  
 الأصل : تعدد ١٠ - ١١ من ظ ، وفى الأصل : عيش أو عبرة (١١) فى ظ : ان .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١١٧ و ١١٨) ج - ٩

من فعل كل ما يريد و أنه لا ولى لهم سواه : ثم علل لطفه بهم بقوله :  
 (انه بهم رموف رحيم لا) و الرأفة : شدة الرحمة ، فقدم الأبلغ فيقال فيه  
 ما قيل في " الرحمن الرحيم " فالمنى أنه يرحمهم أعلى لرحمة بأسباغ  
 جلائل النعم و دفع جلائل النقم ، و يرحمهم أيضا بأسباغ دقائق النعم  
 و دفع دقائق النقم ، و قيل : الرأفة : إزالة الضرر ، و الرحمة : إيصال النفع ،  
 و مادة 'رأف' تدور مع السعة على ما أشير إليه في سورة سبحان على  
 شدة الوصلة . فالرأفة - كما قال الحرالي في البقرة - عطف العاطف على  
 من يحرم عنده منه وصلة . فهي رحمة ذى الصلة بالراحم . و الرحمة تعم من  
 لا صلة له بالراحم - انتهى . فتكون الرأفة حينئذ للثابتين و الرحمة لمن  
 ١٠ قارب الزيف . فيصير الثابت مرحوما مرتين لأنه منظور إليه بالصفتين .  
 و تقدم عند الحزين من البقرة ما ينفع هنا .

و لما صرح بثبوتة على من قارب الزيف و خلط معهم أهل الثبات  
 إشارة إلى أن كل أحد فقير إلى الغنى الكبير [ و ليكون اقترانهم  
 بأهل المعالي ، و جعلهم في حيزهم تشريفا لهم و تأنيسا لئلا يشتد انكسارهم - ٧ ] ،  
 ١٥ أتبعه التوبة على من وقع منه الزيف فقال غير مصرح بالزيف تعليما  
 للأدب و جبرا للخواطر المنكسرة - ٧ : ﴿ ' و على ' ﴾ أى و لقد  
 (١-١) فى ظ : لرحيم الرحمن (٢) فى ظ يرحم (٣) من ظ ، وفى الأصل : السبعة .  
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : قالوا (٥) من ظ . وفى الأصل : للياس (٦) فى ظ :  
 واحد (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : تعظيما (٩-٩) تأخر ما بين  
 الرقيقين فى ظ عن « الله على » .

تاب الله على ﴿ الثلاثة الذين ﴾ .

ولما كان الخاضع للقلوب مطلق التخليف، بنى للفعول قوله:

﴿ خلفوا ﴾ أى خلفهم<sup>٢</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجران ونهى

الناس عن كلامهم، وآخر الحكم فيهم لىأتى أمر الله فى بيان أمرهم

واستمر تخليفهم ﴿ إذا ضاقت ﴾ وأشار إلى عظيم الأمر بأداة هـ

الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم الأرض ﴾ أى كلها ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع

شدة اتساعها. أى ضاق عليهم فسيحها ووسعها<sup>٣</sup>.

ولما كان هذا قد يراد به<sup>٤</sup> الحقيقة، وكان ضيق المحل [ قد - ° ]

لا يستلزم ضيق الصدر. أتبعه الدلالة على أن المراد المجاز فقال:

﴿ وضاقت عليهم ﴾ بألم المزيج . الغم المقلق ﴿ انفسهم ﴾ أى من ١٠

شدة ما لا قوام لهجران حتى بالكلام حتى برد السلام؛ ولما كان ذلك

لا يقتضى تنويه لا بالمراقبة، أتبعه - يابا للتخلف بها - قوله: ﴿ وظنوا ﴾

أى أيقنوا، ولعله عبر بظن إيذانا بأنهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم

لا تستقر على حال، فكان يقينهم لشدة الخواطر كأنه ظن. [ أو يقال -

وهو أحسن - : إن التعبير به عن يقين المخلصين إشارة إلى أن أعلى ١٥

ليقين فى التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما معنى عليه أن لا يقدر

أحد أن يقدر الله حق قدره - كما قال أصدق الخلق صلى الله عليه وسلم

• لا أحصى ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك . وهذا من النفائس

فاستعمله فى أمثاله - ° ] ﴿ ان لا ملجأ ﴾ أى مهرب ومفزع ﴿ من الله ﴾

(١) وقع فى ظ بعد « الخواطر المنكسرة » (٢) فى ظ : خلفوا (م) فى ظ : اوسعها .

(٤) فى ظ : منه (هـ) زيد ما بين الحازرين من ظ .

أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿الآية﴾ / أى بما يرضيه، وهو مثل  
 تحييرهم فى أمرهم، وجواب 'إذا' محذوف دل عليه صدر الكلام  
 تقديره<sup>١</sup> : تداركهم بالتوبة فردم إلى ما كانوا عليه قبل موافقة الذنب .  
 ولما كان ما عملوه من التخلف عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم  
 عظيماً بمجرد المخالفة ثم<sup>٢</sup> بترك المواساة ثم بالرغبة عنه صلى الله عليه وسلم  
 ثم بأمور عظيمة شديدة القبح وخيمة فكان يبعد معه الزيادة عن رتبة  
 التوبة ، أعلم سبحانه أنه رقام<sup>٣</sup> فى رتب الكمال بأن جعل ذلك سبباً لتطهيرهم  
 من جميع الأدناس و تنقيتهم من سائر الأدران المقتضى لمزيد القرب  
 بالعروج فى مصاعد المعارف - كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم  
 ١٠ لكعب رضى الله عنه ، أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .

أتبع ذلك سبحانه الإعلام به بقوله - مشيراً إلى [ ما - : ] بعده لولا  
 فضل الله - بأداة الاستبعاد : ﴿ثم تاب عليهم﴾ أى رجع بهم بعد التوبة  
 إلى مقام من مقامات سلامة الفطرة الذى هو أحسن تقويم يعولوا لعلوه  
 بالنسبة إلى مادونه ، توبة ﴿ليتوبوا﴾ أى ليرجعوا إلى ما تقتضيه الفطرة  
 ١٥ الأولى من الثبات على ما كانوا عليه من الإحسان فى الدين والتخلق بأخلاق  
 السابقين ، ولعله عبر بالظن موضع العلم إشارة إلى أنه يكفى فى الخوف من  
 جلاله للانقطاع إليه مجرد الظن بأنه لا سبب إليه لإلمته لأنه محيط بكل شئ  
 لا يعجزه شئ . . ويمكن أن يكون التعبير - "ثم" إشارة إلى عظيم ما قاسوا  
 من الأحوال وما ترقوا إليه من مراتب الخوف ، و امتناناً عليهم بالتوبة

(١) فى ظ : بتقدير (٢) من ظ . وفى الأصل : لم (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
 رقام (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : بعد .

من عظيم ما ارتكبوا، وإنما خصوا عن رفقائهم بأن أرجئوا<sup>١</sup> لأمر الله  
لعلو مقامهم بما لهم من السابقة ورسوخ القدم في الإسلام، فالمخالفة  
اليسيرة منهم أعظم من الكثير من غيرهم لأنهم أئمة الهدى و مصايح الظلم،  
و من هذا البارق وحسنات الأبرار سيئات المقرين<sup>٢</sup>، ثم علل التوبة  
بأمرهم غيرهم ترغيباً فقال معبراً بما<sup>٣</sup> يشير مع أعلى مقامهم إلى<sup>٤</sup> نزوله عن<sup>٥</sup>  
مقام من قبلهم: (ان الله) أى الذى له الكمال كله (هو) أى وحده  
(التواب) أى البليغ التوبة على من تاب و إن عظم جرمه و تكررت  
توبته لتكرر ذنوبه (الرحيم) أى المكرم لمن أراد من عباده بأن<sup>٦</sup>  
يحفظه على ما يرتضيه فلا يزيغ، و يبالغ في الإنعام عليه.

- و لما كان الذى نالوا به الإقبال من مولاهم عليهم - بما وصفهم به ١٠  
[من الضيق و ما معه -] - هو التقوى و الصدق فى الإيمان كما كان ما يحمده<sup>٧</sup>  
الإنسان فى نفسه بما الموت عنده و القذف فى النار أحب إليه من التلفظ  
به صريح الإيمان بشهادة المصطفى صلى الله عليه و سلم، رغب سبحانه  
فى الصدق فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى ادعوا ذلك (اتقوا الله) أى  
خافوا سطوة من له العظمة الكاملة تصديقاً لدعواكم فلا تفعلوا إلا ما يرضيه ١٥  
(وكونوا) أى كونوا صادقاً بجميع الطبع و الجبلة (مع الصديقين) أى  
أى فى كل أمر يطلب منهم<sup>٨</sup>، ولعله أخرج الأمر مخرج العموم ليشمل  
(١) من ظ، وفى الأصل: اذهبوا (٢) فى الأصل: مع ما، وفى ظ: ما - كذا.  
(٣) فى ظ: مع (٤) فى ظ: إلى (٥) من ظ، وفى الأصل: ان (٦) زيد من  
ظ (٧) فى ظ: حده (٨) فى ظ: منه.

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١١٩ و ١٢٠) ج - ٩

كل مؤمن ، فمن كان مقصرا كانت أمرة له باللاحق ، ومن كان مسابقا  
كانت حادثة له على حفظ مقام الاستباق ، ولعله عبر بـ "مع" ليشمل  
أدنى الدرجات ، وهو الكون بالجئت ، وقد روى البخارى توبة كعب  
أحد هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم فى مواضع من صحيحه منها التفسير ،  
وكذا رواه غيره عن كعب نفسه رضى الله عنه أنه لم يتخلف عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم [ فى غزوة غزاهما قط غير غزوتين : غزوة العسرة<sup>١</sup> -  
يعنى هذه - وغزوة بدر . وأن تخلفه ييدر إنما كان لأن النبي صلى الله  
عليه وسلم - ]<sup>٢</sup> لم يندب الناس إليها ، ولا حثهم عليها ، لأنه ما خرج  
أزلا إلا لأجل العير ، قال : فأجمعت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
١٠ . كان قل ما يقدم من سفر سافره إلا ضحى ، وكان يبدأ بالمسجد فيركع  
ركعتين ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي - يعنى  
مرارة بن الربيع العمرى وهلال / بن أمية الواقفى - ولم ينه عن كلام  
أحد من المتخلفين غيرنا ، فاجتنب<sup>٣</sup> الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال  
على الأمر . وما من شيء أهم إلى من أن أموت فلا يصلى على النبي  
١٥ صلى الله عليه وسلم أو يموت النبي صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس  
بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ، فأزول الله عز وجل  
توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الآخر من الليل ورسول الله  
صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها ، وكانت أم سلمة

(١) فى ظ : سابقا (٢) من صحيح البخارى كتاب التفسير والسياق له ، وفى ظ :  
العسرة - كذا (٣) زيد من ظ (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ،  
وفى الأصل : فقال (٥) فى ظ : فاجتنب .

محسنة فى شأنى معنية<sup>١</sup> فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
يا أم سلمة ! تيب على كعب ، قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره ؟ قال :  
إذن يحضركم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى الله عليه وسلم  
صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا<sup>٢</sup> ، وكان إذا استبشر استنار<sup>٣</sup> وجهه  
حتى كأنه قطعة من القمر ، وكنا - أيها الثلاثة الذين خلفوا - خلفنا عن ه  
الأمر الذى قبل من هؤلاء الذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة ، فلما  
ذكر الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتخلفين واعتذروا  
بالباطل ذكروا بشر<sup>٤</sup> ما ذكر به أحد ، قال الله عز وجل " يعتذرون اليكم  
إذا رجعت إليهم " - الآية .

ولما كان ما نالهم من الأحوال إنما نالهم بتخلفهم عن أشرف الخلق ، ١٠  
والذى<sup>٥</sup> التفت بهم إلى مرابع الإقبال إنما هو الصديق ، قال تعالى ناهيا  
بصيغة الخبر ليكون أبلغ ، جامعا إليهم من كان على مثل حالهم فى مطلق  
التخلف<sup>٦</sup> : ﴿ ما كان ﴾ أى ما صح وما انبغى بوجه من الوجوه  
﴿ لا هل المدينة ﴾ أى التى هى سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى  
دار الهجرة ومعدن النصره ﴿ ومن حولهم ﴾ أى فى جميع نواحي المدينة ١٥  
الشريفة ﴿ من الاعراب ﴾ أى من سكان البوادي الذين أقسموا  
بالإسلام ﴿ ان يتخلفوا ﴾ أى فى أمر من الأمور ﴿ عن رسول الله ﴾

(١) فى ظ و صحيح البخارى بعلامة النسخة : معينة (٢) سقط من ظ (٤) فى  
ظ : نار - كذا (٤) من ظ والصحيح ، وفى الأصل : كان (ه) من ظ  
والصحيح ، وفى الأصل : بنشر (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : التصرف .

أي الملك الأعلى<sup>١</sup>، ومن شأن المرسل إليه أن لا يبرح عن جناب  
الرسول لاسيما وهو رأس الصادقين الذين وقع الأمر بالكون معهم  
(ولا يرغبوا) أي و [ما -<sup>٢</sup>] كان لهم أن يرغبوا، ولعله قللهم بصيغة  
القلة بالنسبة إلى من أيده به<sup>٣</sup> صلى الله عليه وسلم من جنوده فقال تعالى:  
هـ (بأنفسهم عن نفسه<sup>٤</sup>) أي التي هي أشرف النفوس مطلقا بأن يصونوا  
نفوسهم<sup>٥</sup> عما باشره<sup>٦</sup> صلى الله عليه وسلم بل يلقونها في المتألف<sup>٧</sup> دونه<sup>٨</sup>  
وصيانة لنفسه الشريفة عن أدنى الأذى، فهي<sup>٩</sup> كالتعليل للأمر بالتقوى  
أي خافوا الله وصدقوه كما صدق هؤلاء ليتوب عليكم كما تاب عليهم  
فانه لم يكن لكم التخلف فهو<sup>١٠</sup> نهى بليغ مع تقييد و توبيخ وإلهاب

١٠. و تهيج .

ولما علل الأمر<sup>١١</sup> بالتقوى ، علل النهى عن التخلف بما يدل على  
صدق الإيمان فيصير نقيضه دالا على نقيضه فقال: (ذلك) أي النهى  
العظيم عن التخلف في هذا الأسلوب النافي للكون (بأنهم لا يصيبهم ظمأ)  
أي عطش شديد (ولا نصب) أي تعب بالغ (ولا مغمصة) أي  
١٥ شدة مجاعة (في سبيل الله) أي طريق دين الملك الأعظم المتوصلة<sup>١٢</sup>  
به إلى جهاد أعدائه، ورتبت هذه الأشياء ترتيبها في الوجود فان<sup>١٣</sup> مطلق  
الحركة يهيج الحرارة فينشأ العطش وتماديها يورث التعب ، والأغلب  
(١) في ظ : الأعظم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤-٤) في ظ : يصونوها .  
(٥) من ظ ، وفي الأصل : بأمره (٦) في ظ : فهو (٧) في ظ : فانه (٨) في ظ :  
الإلهاب (٩) في ظ : المتوصل .



أن يكون قبل الجوع .

ولما كان المقصود من إجهاد النفس بما ذكر إرغام الكفار باقتحام أرضهم المتوصل به<sup>١</sup> إلى إيهانهم بالنيل منهم ، أتبع ذلك قوله :  
( ولا يظؤون موطئا ) أى وطئا أو مكانا وطؤه<sup>٢</sup> ( يغيظ الكفار )  
أى وطؤهم له بأرجلهم أو دوابهم<sup>٣</sup> ( ولا ينالون من عدو نبلا ) أى كائنا  
ما كان صغيرا أو كبيرا ( إلا كتب لهم به ) أى فى صحائف الأعمال ،  
بنى للفعول لأن القصد إثباته<sup>٤</sup> لا من معين ( عمل صالح<sup>٥</sup> ) أى رتب<sup>٦</sup>  
لهم عليه أجر جزيل .

ولما كان فاعل هذه الأشياء مقدما على المعاطب فى نفسه ومحصلا  
لفرض الجهاد ، أشير على وجه التأكيد فى جملة اسمية إلى أنه محسن ، ١٠  
أما فى حق نفسه فبإقامة الدليل بطاعته على صدق إيمانه . وأما فى غيره  
من المؤمنين فبحمايتهم عن طمع الكافرين . وأما فى حق الكفار فبحملهم  
على الإيمان بغاية الإمكان ، فقال تعالى معللا للجأزة : ( إن الله ) أى  
الذى له صفات الكمال ( لا يضيع ) أى لا يترك تركه ما من  
شأنه الإهمال ( أجر المحسنين لا ) وأظهر موضع الإضمار تعميما وتعليقا ١٥  
بالوصف .

ولما كانت<sup>٧</sup> المشقة بالإتفاق العائد ضرره إلى المال ، ووطئ مطلق الأرض

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : مكان وطي (٣-٣) فى ظ : بدوابهم وأرجلهم .  
(٤) فى ظ « و » (٥) فى ظ : آتيانه (٦) فى ظ : يرتب (٧) من ظ ، وفى  
الأصل : كان .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٢١ و ١٢٢) ج - ٩

الذى قد لا يلزم منه وصول إلى ما يغيظ العدو دون المشقة الحاصلة  
 في النفس بالظماً وما معه من فعل ما يغيظ العدو وينقصه ، قدم ذلك  
 على قوله : ﴿ ولا ينفقون ﴾ ولما كان القليل قد يحتقر ، ابتداء به ترغيباً  
 في قوله : ﴿ نفقة صغيرة ﴾ ولما كان ربما تعنت متعنت فجعل ذكرها  
 قيدا ، قال : ﴿ ولا كبيرة ﴾ إعلاما بأنه معتد به لئلا يترك ، وفيه إشارة  
 إلى آية اللز للطوعين في الصدقات ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ أى من  
 الأودية بالسير في الجهاد ، والوادي : كل منفرج بين جبال وآكام ينفذ  
 فيه السيل ، وهو في الأصل فاعل من ودى - إذا سال ﴿ الا كتب لهم ﴾  
 أى ذلك الإنفاق والقطع ، بناء للفعول لأن القصد الحفظ بالكتابة مطلقا  
 ١٠ ﴿ ليجزيهم الله ﴾ أى ذو الجلال والإكرام . أى<sup>٢</sup> بذلك من فضله  
 ﴿ احسن ما كانوا ﴾ أى جلة وطبعا ﴿ يعملون ﴾ مضاعفا على  
 قدر الثبات ، وأكدت فاصلة الأولى دون هذه لزيادة تلك في المشقة  
 والنفع ، ولذا صرح فيها بالآجر والعمل الصالح - نبه على ذلك الإمام  
 أبو حيان . ومن هنا بل من عند " ان الله اشترى " شرع في عطف  
 ١٥ الآخر على الاول الذى مضمونه البراءة من المشركين والاجتهاد في قتالهم  
 بعد انقضاء مدتهم حيث وجدوا - إلى أن قال " قاتلوا الذين لا يؤمنون  
 بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله " - إلى أن قال  
 " ما لكم اذا قيل لكم اتفروا في سبيل الله اثاقم الى الارض " ثم قال  
 (١) من ظ ، وفي الأصل : مفترج (٢) في ظ : فيها (٣) سقط من ظ (٤) في  
 ظ : النيات (٥) راجع البحر المحيط ١١٣/٥ .

” انفروا خفافا وثقالا “ ثم أتبع ذلك قصص المنافقين كما أنه فعل هنا كذلك أن ختم بقوله ” قاتلوا الذين يلونكم من الكفار “ الآية ثم أتبعها ذكر المنافقين .

و لما تواترت النواهي للمتخلفين و تواصلت الزواجر و تعاظم التبكيت و التهديد ، طارت القلوب و أشفقت النفوس ، فكان ذلك مظنة أن ه لا يتخلف بعدها أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و عن يقيم مقامه فيتمكن حينئذ الأعداء من الأموال و الذراري و العيال ، فأتبع ذلك قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون ﴾ أى الذين حثهم على النفر الرسوخ في الإيمان ﴿ لينفروا كافة ﴾ أى جميعا فان ذلك يحل بكثير من الأغراض الصالحة ، و هو تعليم لما هو الأنسب بالدين و الدنيا من ١٠ اقسام الناس قسمين : قسما للجهاد ، و قسما للنفقة و حفظ الأموال و الأولاد ، كل ذلك بأمره عليه الصلاة و السلام و العمل بما يرضاه ، ولا يخفى ذلك على المخلص ، و لعل التعبير بالفعل الماضى فى قوله مسيبا عما قبله : ﴿ فلو لا نفر ﴾ ليفهم تبكيت من قصد تبكيته من المتخلفين فى جميع هذه السورة بأنه كان عليهم أن ينفر مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٥ ﴿ من كل فرقة ﴾ أى ناس [ كثير - ٢ ] يسهل اقترافهم ، قالوا : و هو اسم يقع على ثلاثة ﴿ منهم طائفة ﴾ أى ناس لا ينفكون حافين بالنبي صلى الله عليه وسلم يلزمونه ، قيل : و الطائفة واحد و ٢ اثنان ، فالآية حجة على قبول خبر الواحد و وجوب العمل به ، [ و كأنه عبر به للإشارة

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : او .

إلى الحث على كثرة التافرين كما هو أصل مدلولها الاغلب فيه -<sup>١</sup> [ ( ليتفقوا ) أي ليكلف التافرون أنفسهم التفهم منه صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا / ( في الدين ) أي بما يسمعون من أقواله و يرونه من جميل أفعاله و يصل إلى قلوبهم من مستير أحواله ، وهذا غاية الشرف للعلم حيث جعل غاية الملازمة له صلى الله عليه وسلم للجهاد<sup>٢</sup> ، هذا إن كان هو صلى الله عليه وسلم التافر في تلك الغزاة ، وإن كان<sup>٣</sup> غيره كان ضمير " يتفقوا " للباقيين معه صلى الله عليه وسلم .

/٥٥٧

ولما كان من العلم بشاره ومنه نذارة ، وكان الإنسان - لما فيه من النقصان - أحوج شيء إلى النذارة ، خصها بالذكر فقال عطفًا على نحو :  
١٠. ليخافوا في أنفسهم فيعملوا في خلاصها : ( ولينذروا قومهم ) أي يحذروهم ما أمامهم من المخاوف إن فرطوا في جانب التقوى ( إذا رجعوا إليهم ) أي ما أئذروهم الرسول صلى الله عليه وسلم و يبشروهم [ بما بشرهم -<sup>١</sup> ] به ؛ ثم بين<sup>٢</sup> غاية العلم مشيرًا إلى أن من جعل له غاية غيرها من ترفع أو افتخار<sup>٣</sup> فقد ضل ضلالا كبيرا . فقال موجبا لقبول خير من بلغهم :  
١٥ ( لعلهم ) أي كلمهم ( يحذرون ) أي ليكون حالهم حال أهل الخوف من الله بما حصلوا من الفقه لأنه أصل كل خير ، به تنجلي القلوب فتقبل على الخير و تعرض عن الشر . فان الحذر تجنب الشيء لما فيه من الضرر ، والمراد بالفقه هنا حفظ الكتاب و السنة و فهم معانيهما من

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : في الجهاد (٣) زيد بعده في الأصل : في ، ولم تكن الريادة في ظ لخذفها (٤) سقط من ظ (٥-٥) في ظ : افتخار او ترفع .

الأصول والفروع والآداب والفضائل ، وقال الرمانى<sup>١</sup> : الفقه فهم موجبات المعاني المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها .  
ولما علت المقاصد ونهيات القلوب [ لقبول -<sup>٢</sup> ] الفوائد ، وأمر بالإنذار بالفقه ، وكان من الناس من لا يرجع إلا بشديد البأس ، أقبل على الكل مخاطبا لهم بأدنى أسنان القلوب<sup>٣</sup> ليتوجه إلى الأدنى ويتناول الأعلى<sup>٥</sup> منه من باب الأولى<sup>٥</sup> فقال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ) أى ادعوا بالسنتهم الإيمان ( قَاتِلُوا ) أى تصديقا لادعواكم ذلك ( الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ) أى يقربون منكم ( مِنَ الْكُفَّارِ ) فالذين يلونهم إن لم تروا غيره أصح لمعنى يعرض لما فى ذلك من حسن الترتيب ومقتضى الحكمة ولأن الجهاد معروف وإحسان ، والاقربون أولى بالمعروف ، ولتبعدوا<sup>٦</sup> العدو عن بلادكم فيكثر صلاحكم ويقل فسادكم وتكونوا قد جمعتم بالفقه<sup>٧</sup> والقتال بين الجهادين : جهاد الحجة و جهاد السيف مع الاحتراس بهذا الترتيب من<sup>٨</sup> أن يبقى وراءكم إذا قاتلتم من تخشون كيده .  
ولما كانت الملاينة أولى بالمسألة ، والمخاشنة أولى بالمصارمة<sup>٩</sup> ، قال : ( وَلِيَجِدُوا ) من الوجدان ( فِيكُمْ غَلْظَةً<sup>١٠</sup> ) أى شدة وحية لأن ذلك<sup>١٥</sup> أهيب فى صدورهم<sup>١٠</sup> .

(١) هو على بن عيسى بن على - راجع معجم المؤلفين ١٦٢/٧ (٢) زيد من ظ .  
(٣) فى ظ : بتشديد (٤) فى ظ : القبول (٥) فى ظ : الأدنى (٦) من ظ ، وفى الأصل : ليعبد (٧) فى ظ : بالفقه (٨) فى ظ : مع (٩) من ظ ، وفى الأصل : بالمضاربة (١٠) فى ظ : صدرهم .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٢٣ - ١٢٥) ج - ٩

وأكف عن لجورهم، وحقيقة الغلظة في الأجسام، استعيرت هنا للشدة في الحرب، وهي تجمع الجراءة<sup>١</sup> والصبر على القتال وشدة العداوة، فإذا فعلوا ذلك كانوا جامعين بين جهاد الحجة والسيف كما قيل:

من لا يعدله القرآن كان له من الصغار<sup>٢</sup> ويض الهند تعديل  
 هـ نبه على ذلك<sup>٣</sup> أبو حيان .

ولما كان التقدير: وليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال ولا جاه فانها ملاك الأمر كله، قال: منها على ذلك بقوله: (واعلموا أن الله) أى الذى له الكمال كله (مع المتقين هـ) فلا تخافوا أن يودى شيء من مصاحبته إلى وهن فإن العبرة بمن كان الله معه .

١٠ ولما ذكر هذه السورة آى الطائفة الحاضرة بصيغة 'لولا' على

النفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الآمرة بجهاد الكفار والغلظة عليهم، وكان لا يحمل على ذلك إلا ما أشار إليه ختم الآية السالفة من التقوى بتجديد الإيمان كلما نزل شيء من القرآن، وكان قد ذكر سبحانه المخالفين لأمر الجهاد بالتخلف دون أمر الإيمان حين قال "وإذا أنزلت

١٥ سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك أولوا الطول منهم وقالوا

ذرنا نحن مع القعدين" انتفت إلى ذلك ليدكر القسم الآخر وهو القاعد عن الإيمان فقال: (وإذا) وأكد<sup>٤</sup> بزيادة النافي<sup>٥</sup> تنبيها على فضل الإيمان

(١) فى ظ: الحرارة (٢) من البحر المحيط ١١٤/٥، وفى الأصل وظ: الصعاد -

كذا (٣-٣) فى ظ: عليه (٤) زيد بعده فى الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة

فى ظ لغزناها (٥) فى ظ: الخاصة (٦) -قط من ظ (٧-٧) فى ظ: بالنافي .

فقال

فقال : ( مَا ) .

- ولما كان المنكى لهم / مطلق النزول، بنى للفعول قوله : ( أنزلت سورة ) ٥٥٨ /  
 أى قطعة من القرآن، أى ' فى معنى من المعانى ( فمنهم ) أى من ' المنزل  
 إليهم ( من يقول ) [ أى - ٢ ] إنكاراً واستهزاء، وهم المناقون  
 ( ايكم ) أى أيها العصاة المناققة ( زادته هذه إيماناً ) إيهاما لأنهم ه  
 متصفون بأصل الإيمان، لأن الزيادة ضم الشيء إلى غيره مما يشاركه فى  
 صفته، هذا ما يظهرون تستراً<sup>٢</sup>، وأما حقيقة حالهم عند أمثالهم<sup>٣</sup> فالاستهزاء  
 استبعاداً لكونها تزيد أحداً فى حاله شيئاً، وسبب شكهم واستفهامهم  
 أن سامعياً انقسموا إلى قسمين : مؤمنين ومناققين، ولذلك أجاب تعالى  
 بقوله مسياً عن إنزالها : ( فاما الذين آمنوا ) أى أوقعوا الإيمان حقيقة ١٠  
 لصحة أمرجة قلوبهم ( فزادتهم ) أى تلك السورة ( إيماناً ) أى  
 بإيمانهم بها إلى ما كان لهم من الإيمان بغيرها وتدبرها<sup>٤</sup> و رقة القلوب  
 بها وفهم ما فيها من المعارف الموجبة لطمأنينة القلوب وتلج الصدور .  
 ولما كان المراد بالإيمان الحقيقة وكانت الزيادة مفهومة لمزيد عليه،  
 استغنى عن أن يقول : إلى إيمانهم، لذلك ولدلالة " الذين آمنوا " عليه ١٥  
 ( وهم يستبشرون ه ) أى يحصل لهم البشر بما زادتهم من الخير الباقي الذى  
 لا يعدله شيء ( واما الذين ) وبين أن أشرف ما فيهم مسكن الآفة فقال :  
 ( فى قلوبهم مرض ) فنعهم الإيمان وأثبت لهم الكفران فلم يؤمنوا .  
 (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : ستراً (٤) فى ظ : استألمهم .  
 (٥) فى ظ : بتدبرها (٦) فى ظ : يجعل .

ولما كان المراد بالمرض الفساد المعنوى المؤدى إلى خبث العقيدة،  
عبر عنه بالرجس فقال: ﴿فزادتهم رجسا﴾ أى اضطرابا موجبا للشك،  
وزاد الأمر يانا بأن المراد المجاز بقوله: ﴿الى رجسهم﴾ أى شكهم  
الذى كان فى غيرهما ﴿وماتوا﴾ أى واستمر بهم ذلك لتمكنه عندهم  
ه إلى أن ماتوا ﴿وهم كفرون﴾ أى عريقون فى الكفر، وسمى الشك  
فى الدين مرضا لأنه قساد فى الروح يحتاج [إلى علاج - ' ] كفساد  
البدن فى الاحتياج، ومرض القلب أعزل. وعلاجه أعسر<sup>١</sup> وأشكل،  
ودواؤه أعز وأطباؤه أقل. ولما زاد الكفار بالسورة رجسا من أجل  
كفرهم بها<sup>٢</sup>، كانت [كأنها - ' ] هى التى زادتهم، وحسن وصفها  
١٠ بذلك، كما حسن: كفى بالسلامة داء، وكما قال الشاعر:

أرى بصرى قد رابنى بعد نصحه وحسبك داء أن تصح وتسلما

قاله الرمانى، فالؤمنون يخبرون عن زيادة إيمانهم وهؤلاء يخبرون عن  
عدمه فى وجدانهم<sup>٣</sup>، فهذا موجب شكهم وتماديهم فى غيهم وإفكهم،  
ولو أنهم رجعوا إلى حاكم العقل لأزال شكهم وعرفهم صدق المؤمنين  
١٥ بالفرق بين حالتهم، فإن ظهور الثمرات مزيل للشبهات، والآية من  
الاحتباك: إثبات الإيمان أولا دليل على حذف<sup>٤</sup> ضده ثانيا، وإثبات  
المرض ثانيا دليل على حذف الصحة أولا.

ولما كان التقدير تسييا عما<sup>٥</sup> جزم به من الحكم بعراقهم فى الرجس

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: اغسل (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل:  
لك (٥) فى ظ: وحدتهم (٦) من ظ، وفى الأصل: صدق (٧) فى ظ: كما.  
٥٢ (١٣) وازديادهم



و ازديادهم منه : أفلا يرون إلى تماديهم في النفاق و ثباتهم عليه ؟ عطف عليه<sup>١</sup> تقريرهم بعذاب الدنيا و الإنكار عليهم في قوله : ﴿ او لا يرون ﴾ أى المنافقون . قال الرماني : و الرواية<sup>٢</sup> هنا قلبية لأن رؤية العين لا تدخل على الجملة لأن الشيء لا يرى<sup>٣</sup> من وجوه مختلفة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين ؛ و لما كان مطلق وقوع الفتنة من العذاب ، بنى للفعول قوله : ﴿ يفتنون ﴾ هـ أى يخالطون من حوادث الزمان و نوازل الحدثن بما يضطربهم إلى بيان أخلاقهم باظهار سرائرهم في نفاقهم ﴿ في كل عام ﴾ أى و إن كان الناس أخصب ما ؛ يكونون و أرفعه ؛ عيشا ﴿ مرة او مرتين ﴾ فيفضحون بذلك ، و ذلك موجب<sup>٤</sup> للتوبة للعلم بأن من علم سرائرهم - التى هم يجتهدون في إخفائها - عالم بكل شيء قادر على كل مقدور ، فهو جدير بأن تمثل ١٠ أوامره و تخشى زواجه .

و لما كان عدم توبتهم مع فتنهم على هذا الوجه مستبعدا ، أشار إليه بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ أى لا يجددون توبة ﴿ و لا هم ﴾ أى بضائرهم ﴿ يذكرونه ﴾ / أى أدنى تذكر بما أشار إليه<sup>٥</sup> الإدغام ، ٥٥٩ / فلو لا أنه حصلت لهم زيادة في الرجس لاوشك تكرار الفتنة أن يوهى ١٥ رجسهم إلى أن يزيله و لكن كلما أوهى شيئا خلقه مثله أو أكثر بسبب<sup>٦</sup> الزيادات المترتبة على وجود نجوم القرآن ، و التذكر طلب الذكر للغنى بالكفر فيه ، [ فالآية دامة لهم على عدم التوبة باصابة المصائب لعدم تذكر

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الرواية (٣) في ظ : لا يبط (٤) في ظ : يكون وارفعهم (٥) من ظ ، و في الأصل : موجبة (٦) زيد بعده في ظ : بأداة (٧) من ظ ، و في الأصل : تسبب .

نظم الدرر (سورة براءة ٩: ١٢٧ و ١٢٨) ج - ٩

أنه سبحانه ما أصابهم بها إلا بذنوبهم " ويعفو عن كثير " كما أن  
أحدهم لا يعاقب فإياه إلا بذنب وما لم يتب فهو يوالى عقابه - [ ١ ] .  
ولما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء ، أتبعه تأكيداً لزيادة  
كفرهم وتوضيحاً لتصويره ما يحدث من فعلهم استهزاء من الإيمان  
و التغامر<sup>٢</sup> بالعيون فقال : ( وإذا ) و أكد بالنافي فقال : ( ما )  
ولما كان الغرض نفس الإنزال لا تعيين المنزل ، بنى للفعول قوله :  
( انزلت سورة ) أى طائفة من القرآن ( نظر بعضهم ) أى المنافقين  
( الى بعض ) أى متغامزين سخرية و استهزاء قائلين : ( هل يرؤنكم )  
و أكدوا العموم فقالوا : ( من احد ) أى من المؤمنين إن انصرفتم ،  
١٠ فانه يشق علينا [ سماع مثل هذا ، ويشق علينا - [ ١ ] أن يطلع المؤمنون  
على هذا السر منا .

ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجننا ، أشار إلى شدة  
قبحه بأداة التراخي فقال : ( ثم انصرفوا<sup>٣</sup> ) أى إن لم يكن أحد يراهم ،  
و إن رآهم أحد من المؤمنين تجشموا المشقة و ثبتوا ؛ ولما كانوا مستحقين  
١٥ لكل سوء ، أخبر عنهم فى أسلوب الدعاء بقوله : ( صرف الله ) أى  
الذى له الغنى المطلق و الكمال كله ( قلوبهم ) أى عن الإيمان ؛ ثم علل  
ذلك بقوله : ( بأنهم قوم ) و إن كانوا ذوى قوة على ما يحاولونه فانهم  
( لا يفقهون<sup>٤</sup> ) أى قلوبهم مجبولة على عدم الفهم لما بها من الغلظة ،  
( ١ ) زيد ما بين الحاجزين من ظ ( ٢ ) فى ظ : توييحاً ( ٣ ) فى ظ : التعابير .  
( ٤ ) سقط من ظ .

وهذا

وهذا دليل على ختام الآية قلبها ، وهاتان الآيتان المحتمتان - ب - " لا يفقهون " التاليتان للأمر بالجهاد فى قوله " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " الموازى لـ " انفروا خفافا وثقالا " الآية - قد احتوتا مع وجازتهما على حاصل أوصاف المناققين التالية لآية " انفروا " المحتمتم ما هو العام منها فى أهل الحاضرة<sup>١</sup> فى قوله " استاذنك اولوا الطول منهم " ب - " يفقهون " هـ ثم عند إعادة ذكرهم بـ " لا يعلمون " ، و تصويب هاتين الآيتين إلى أهل الحاضرة<sup>٢</sup> ظاهر لكونهم ممن يحضر نزول الذكر كثيرا مع احتمالها للعموم ، والختم هنا بـ " لا يفقهون " أنسب لأن المقام - وهو النظر فى زيادة الإيمان بالنسبة إليهم - يقتضى فكرا و تأملا وإن كان بالنظر إلى المؤمنين فى غاية الوضوح .

١٠

ولما أمر صلى الله عليه وسلم أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة<sup>٣</sup> جدا من أمر هذه السورة ، وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى ، وأما المناقون فيكرهون ذلك وكان انصرافهم دالا على الكراهة ، عرفهم أن الأمر كان يقتضى توفر دواعيهم على محبة هذا الداعى لهم المقتضى لملازمته والبعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه ، هـ [ و - ' ] أن أحواله<sup>٤</sup> الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التى أوجبت لهم منهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به والمغالاة فيه ، وأن كل ما يحصل بهذا القرآن من العز

(١) فى ظ : الكافر (٢) فى ظ : الحاضر (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو لاستقامة العبارة (هـ) من ظ ، وفى الأصل : احوالهم .

والشرف في الدنيا فهو لكل من آمن به فقال: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ .  
ولما كان الرسول يجب إكرامه والوقوف في خدمته لأجل مرسله  
ولو تجرد عن غير ذلك الوصف، شرع يذكر لهم من أوصافه ما يقتضى  
لهم مزيد إكرامه فقال: ﴿من انفسكم﴾ أى ترجعون معه إلى نفس  
واحدة بأنكم لأب قريب، وذلك أقرب إلى الألفة وأسرع إلى فهم الحاجة  
وأبعد من المحل واللجاجة ﴿عزيز﴾ أى شديد جدا ﴿عليه ما عنتم﴾  
والعزة: امتناع الشيء بما يتعذر معه<sup>١</sup> ما يحاول منه بالقدرة أو بالقلة  
أو بالصعوبة، والعنت: لحاق الأذى الذى يضيق الصدر به ولا يهتدى  
للخروج<sup>٢</sup> منه / ﴿حريص﴾ أى بليغ الحرص ﴿عليكم﴾ أى على تفعلكم،  
١٠. والحرص: شدة طلب الشيء على الاجتهاد فيه. وقدم الجار لإفادة  
الاختصاص فقال: ﴿بالمؤمنين﴾ أى العريقين في هذا الوصف كافة  
خاصة. ولما ذكر الوصف المقتضى للرسوخ، قدم ما يقتضى العطف على  
من يتسبب<sup>٣</sup> له بما يقتضى الوصلة فقال: ﴿رهوف﴾ أى شديد الرحمة  
لمن له منه عاطفة وصلة لما تقدم من معنى الرأفة قريبا .

١٥. ولما كان المؤمن يطلق مجازا على من يمكن منه الإيمان فوصلته  
الآن<sup>٤</sup> ليست بالفعل بل بالإمكان، قال تعميما لرحمته صلى الله عليه وسلم  
كما هو اللائق بشريف منصبه وعظيم خلقه: ﴿رحيم﴾ ولأجل  
مثل هذه الأغراض النفسية رتب سبحانه هذين الوصفين هكذا<sup>٥</sup>، ولكن  
(١) سقط من ظ (٢) في ظ: المخرج (٣) في ظ: تسبب (٤) زيدت الواو  
بعده في ظ .

المعاني المرادة تارة يظهرها الله تعالى لعبده منحة له وإكراما ، وتارة يخفيها إظهارا لعجزه ونقصانه ثم يظهرها له في وقت آخر إن صدق في التضرع وإظهار الافتقار والتذلل وأدام الطلب ، أو غيره ممن هو أقل منه علما وأضعف نظرا وفهما ، وإذا تأملت كتابي هذا ظهر لك أن كثيرا من الآيات فسرنا على غير المراد منها قطعاً أكابر العلماء ، هـ

فعلى الإنسان - إذا خفي عليه أمر - أن يقول : لا أعلم ، ولا يظن أنه رتب شيء من هذا الكتاب العزيز لأجل الفواصل ، فذلك أمر لا يليق بكلام الله تعالى ، وقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم السجع ، لأن الساجع يكون محط نظره الألفاظ ، فيدير المعاني عليها ويتبعها إياها ،

فرما عجز اللفظ عن توفية المعنى ؛ روى البخاري في الطب وغيره من ١٠ صحيحه ومسلم في الديات وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في الجنين يقتل في بطن أمه بغرة عبد أو وليدة ، فقال الذي قضى عليه : كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، ففش ذلك بحال ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما هذا من إخوان الكهان - من أجل يجمعه الذي ١٥ يجمع ، وفي رواية : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يجمع كسجع الأعراب .

وذلك - والله أعلم - أنه لو كان نظره إلى المعنى وتصحيحه لأغنى عن هذا السجع أن يقال : كيف أغرم من ' لا حياة له ' ، ولو قصد السجع وتهذيب المعنى لآتى بما يدل على نقي الحياة التي جعلها محط أمره فان

(١) في ظ : ما .

ما أتى به لا يستلزم تفهيمًا. ولو 'تقيد بالصحة لاغنى' بنى النطق عن  
نفي الاستهلال، فصح بهذا أنه دائر مع تحسين اللفظ 'صح المعنى أم لا،  
ولا ينطبع في عقل عاقل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يذم السجع  
وهو يأتي به ويقصده في القرآن أو في السنة، ولو كان ذلك لآسروا  
الرد عليه، و ذكر أصحاب فتوح البلاد في فتح مكران من بلاد فارس  
أن الحكم بن عمرو لما فتحها أرسل بالأخماس مع صحار العبدى، فلما  
قدم على عمر رضى الله عنه سأله عن مكران وكان لا يأتيه أحد إلا سأله  
عن الوجه الذى يحى منه فقال: يا أمير المؤمنين! أرض سهلها جبل،  
وماءها وشل، وثمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها  
طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراها شرمها؛  
فقال، أجماع أنت أم مخبر؟ فقال: لا بل مخبر، قال: لا والله! لا يغزوها  
جيش لى<sup>٦</sup> ما أطعت. فقد جعل تقاروق السجع قسيما للتخبر فدل على  
أن التقيد به عيب لإخلاله بالفائدة وبتمام الفائدة، وإعله إنما جوز أن  
يكون مخبرا لأنه تفك عن السجع في آخر كلامه وكرر لفظ 'قليل'  
فكان ما ظنه، لأنه لو أراد السجع لأمكنه<sup>٧</sup> أن يقول: والكثير بها ذليل،

(١) من ظ، وفي الأصل: لا (٢) من ظ، وفي الأصل: لاغنى (٣) في ظ: اللذة.  
(٤) من ظ والإصابة، وفي الأصل: صحارى - كذا (٥) من ظ وتاريخ  
الطبرى ه/٧، وفي الأصل: ثمرها (٦) من التاريخ، وفي الأصل و ظ: الى.  
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفي الأصل: التعصيد - كذا (٩) من ظ، وفي  
الأصل: لاخلال (١٠) من ظ. وفي الأصل: إنما (١١) من ظ، وفي الأصل:  
لا يمكنه.

٥٦١ /

والقليل<sup>١</sup> بها ضائع قليل . وما وراءها شر منها بأقوم قيل ؛ <sup>٢</sup>وقد<sup>٣</sup> نفى  
 سبحانه عن هذا القرآن المجيد / تصويب النظر إلى السجع كما نفى عنه  
 الشعر فإنه تعالى قال ” وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون<sup>٤</sup> .  
 ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون<sup>٥</sup> “ فكما أن [ قول - <sup>٦</sup> ] الشاعر  
 إتيانه بالكلام موزونا ، فكذلك قول الكاهن إتيانه بالكلام مسجوعا<sup>٧</sup> .  
 والقرآن ليس من هذا ولا من هذا ، وإن وقع فيه كل من الأمرين  
 فغير مقصود إليه ولا معول عليه ، بل لكون المعنى انتظم به على أتم  
 الوجوه فيؤتى به لذلك ، ثم تبين أنه غير مقصود بالافتكاك عنه في كثير  
 من الأماكن بقربة ليس لها مجانس في اللفظ لتام المعانى المرادة عندها  
 فيعلم قطعا أن ذلك غير مقصود أصلا لأن مثل ذلك لا يرضى به أقول<sup>٨</sup> ١٠  
 الساجعين ، بل يراه عجزا وضيقا عن تكميل المشاكلة ونقصا - تعالى  
 الله عن ذلك علوا كبيرا ، وبما يوجب لك القطع بأن ترتيب هذين  
 الاسمين الشريفين هكذا لغير مراعاة الفواصل قوله تعالى في سورة الحديد  
 ” وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة<sup>٩</sup> “ وسيأتى إن شاء الله  
 في سورة طه عن الفخر الرازى والقاضى أبى بكر الباقلانى منع النظر<sup>١٠</sup> ١٥  
 إلى السجع فى الكتاب العزيز نقلا عن جميع الأشاعرة ، وإذا تأملت  
 الفواصل<sup>١١</sup> فى الإتيان بها تارة بكثرة وتارة [ بقلة ، وتارة - <sup>١٢</sup> ] تترك<sup>١٣</sup>  
 (١) فى ظ : العليل (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) سورة ٦٩ آية ٤١  
 و ٤٢ (٤) زيد من ظ (٥) آية ٢٧ (٦) فى ظ : الفاصل (٧) من ظ ، وفى  
 الأصل : يترك .

بالكلية ويؤتى في كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى ، علمت أن هذا المذهب هو الصواب ولا سيما آخر سورة " اقرا " وإذا تأملت كتب أهل العدد أتقنت علم هذا المستند ، وإذا تأملت ما قلته في هذا النحو من كتابي 'مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور' لم يبق عندك شك في شيء من هذا ، فإياك أن تجنح لهذا القول فتكون قد وقعت في أمر عظيم وأنت لا تشعر ، وأورد سبحانه هذه الآية لإيراد المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من الرب بالقسم ، فكأنه قال : [ ما لكم - ٢ ] تصرفون<sup>٢</sup> عن حضرة الشاه وشمائله العلي<sup>١</sup> والله لقد جاءكم - إلى آخره ، ثم أقبل عليه مسلماً له مقابل لإعراضهم إن أعرضوا بالإعراض عنهم ١٠ والبراءة منهم ملتفتاً إلى أول السورة الأمر<sup>٢</sup> بالبراءة من كل مخالف ، قائلاً مسلماً عن النصيحة بهذه الآية التي لا يشك عاقل في مضمونها : ﴿ فان تولوا ﴾ أى اجتهدوا في تكليف فطرهم الأولى أن ولوا مدبرين عنك بالانصراف المذكور أو غيره بعد النصيحة لهم بهذه الآية ﴿ فقل ﴾ [ أى - ٢ ] استعانة بالله [ تفويضاً إليه - ٢ ] ﴿ حسبي ﴾ أى كافٍ ؛ قال ١٥ الرماني : وهو من الحساب لأنه جل ثناءه يعطى بحسب الكفاية التي تغنى عن غيره ، ويزيد من نعمته ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائمة ومنه متظاهرة ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى الذي لا كفوء له ، وإنما كان كافياً لأنه ﴿ لا اله الا هو ﴾ فلا مكافئ له فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه . ولما قام الدليل على أنه لا كفوء له . وجب قصر الرغائب عليه

(١) في ظ : تنجح (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : ينصرفون .

(٤) في ظ : علينا (٥) في ظ : الآمرة .



فقال : ﴿ عليه ﴾ أى وحده ﴿ توكلت ﴾ لأن أمره نافذ فى كل شيء .  
 ﴿ وهو رب ﴾ أى مالك و مخترع و مدبر ؛ [ و لما كان فى سياق القهر  
 و الكبرياء بالبراءة من الكفار و الكفاية للأبرار ، كان المقام بالعظمة  
 أنسب كآية النمل فقال - ١ ] : ﴿ العرش العظيم ٤ ﴾ أى المحيط بجميع  
 الأجسام الحادى لسائر الأجرام [ الذى ثبت بآية الكرسي وغيرها أن ه  
 ربه أعظم منه لأن عظمته على الإطلاق - ١ ] فلا شيء إلا وهو فى  
 قبضته و داخل فى دائرة مملكته ، و إذا كان كافى فأننا برىء ممن تولى  
 عنى و بعد منى كائنا من كان فى كل زمان و مكان ؛ فقد عائق آخر  
 السورة أولها و واضح منتهاها مبتدأها و تأكد ما فهمته من سر الالتفات  
 فى " فسيحوا " و فى " فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا انكم ١٠  
 غير معجزى الله " - [ و الله تعالى أعلم - ١ ] .

### سورة يونس عليه السلام

و هى أولى المثين إن جعلنا براءة مع الانتقال من الطول ، و إلا براءة  
 أولاهن ، مقصودها وصف الكتاب بأنه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة  
 و أنه ليس إلا من عنده سبحانه لأن غيره لا يقدر على شيء منه ، و ذلك ١٥  
 دال بلا ريب على أنه واحد فى ملكه لا شريك له فى شيء من أمره ،  
 و تمام الدليل على هذا قصة قوم يونس عليه السلام بأنهم لما آمنوا

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : دابر (٤) فى ظ :  
 ان (٥) هى السورة العاشرة ، مكية على المشهور و آياتها مائة و تسع عند الجميع  
 غير الشامى (٦) فى ظ : نوح .

عند المخايل كشف عنهم ، فدل قطعاً على أن الآتى به هو الله الذى  
 آمنوا به إذ لو كان غيره لكان إيمانهم به موجبا للإيقاع بهم ، ولو عذبوا  
 كغيرهم لقليل : هذه عادة الدهر ، كما قالوا : قد مس آباءنا الضراء والسراء  
 ودل ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم إنما هو من عند الله لكفرهم  
 ٥ لما اتسق من ذلك طرداً بأحوال سائر الأمم من أنه كلما وجد الإصرار  
 على التكذيب وجد العذاب ، وعكسا من أنه كلما اتقى فى وقت يقبل  
 قبول التوبة اتقى - والله الموفق ﴿ بسم الله ﴾ أى الذى لا أمر لاحد  
 سواه فلا كلام يشبه كلامه فلا كفوه له ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بكلامه  
 جميع خلقه فأوضح البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى آتم لمطيعهم نعمة الامتثال  
 ١٠ ﴿ الرءوف ﴾ نغم الرأى ابن كثير و نفع و حفص عن عاصم ، وأمالها ورش  
 عن نافع بين بين ، والباقون بالإمالة المحضة ، والأصل فى ذلك الفتح ،  
 وكذا ما كان من أمثالها مما ألفاتها ليست منقلبة عن ياء نحو ما ولا ،  
 وإمالتها للتنبية على أنها أسماء للحروف وليست حروفاً - نقل ذلك  
 عن الواحدى .

١٥ لما قدم فى أول الاعراف الحث على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب  
 وفرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الأولين ومصارع  
 الماضين وما استتبع ذلك من توضيل القول فى ترجمة هذا النبى الكريم  
 مع قومه فى أول أمره وأثنائه وآخره فى سورتي الانتقال وبراعة ،  
 وختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد ما هو ملائم له منتهى

(١) من ظ ، وفى الأصل : كغير (٢) من ظ ، وفى الأصل : اساق (٣) فى ظ :  
 بأوضح (٤) من ظ ، وفى الأصل : منتهى .

لقبوله و تبعده عما هو منافر له بعيد من<sup>١</sup> قبول ملامته ، و أن الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قد حوى من<sup>٢</sup> الأوصاف و الحلى و الأخلاق العلى ما يوجب الإقبال عليه و الإسراع إليه . و الإخبار بأن توليهم عنه لا يضره شيئا لأن ربه كافيه لأنه لا مثل له و أنه ذو العرش العظيم ؛ لما<sup>٣</sup> كان ذلك كذلك ، أعاد سبحانه القول فى شأن الكتاب الذى افتتح به الاعراف و ختم به سورة التوبة ، و زاده وصف الحكمة و أشار بأداة البعد إلى أن رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال : ﴿ تلك ﴾ أى الآيات العظيمة جدا التى اشتملت عليها هذه السورة ، أو السور التى تقدمت هذه السورة أو هذه<sup>٤</sup> الحروف المقطعة المشيرة إلى أن القرآن كلام الله و إلا لما أعجز<sup>٥</sup> القادرين على التلفظ بهذه الأحرف<sup>٦</sup> ﴿ آيت الكشبة ﴾ ١٠ أى الذكر الجامع لكل خير ، و هو هذا القرآن الذى وافق كل ما فيه من القصص كل ما فى<sup>٧</sup> التوراة و الإنجيل من ذلك ، فدل ذلك على صدق الآتى به قطعاً لأنه لم يكن يعرف شيئاً بما فى الكتابين و لا جالس أحداً يعلمه ﴿ الحكيم ﴾ فكان فيما مضى - أن كونه من عند الله كاف فى وجوب اتباعه - و فيما هنا تأكيد<sup>٨</sup> الوجوب بكونه مع ذلك حكيماً ، ١٥ و الآية : العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة ، و الحكيم الناطق بالحكمة ، و هى المعروف بما يجتمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد

---

(١) فى ظ : عن (٢) - قط من ظ (٣) فى ظ : كما (٤) من ظ ، و فى الأصل : ترتيبه (٥) فى ظ : هى (٦) فى ظ : أعجز (٧) فى ظ : الحروف (٨) فى ظ : فيه من . (٩) من ظ ، و فى الأصل : تأكد .



لسحر<sup>١</sup> مبین " ثم قال " ان ربکم الله " - الآيات ، فبین انفراده تعالى بالربوبية والخلق و الاختراع والتدیر ، فكيف تعترض<sup>٢</sup> أفعاله أو یطلع البشر على وجه الحكمة فى كل ما یفعله و یدیه ، و إذا كان الكل ملكه و خلقه فیفعل فى ملكه ما یشاء و یحكم فى خلقه بما<sup>٣</sup> یرید " ذلکم الله ربکم فاعبدوه " " ما خلق الله ذلك الا بالحق " ثم توعده سبحانه الغافلين عن التفكير فى عظیم آياته حتى أدتهم الغفلة إلى مرتكب سلفهم فى العجب و الإنكار حتى قالوا " مال هذا الرسول یاكل الطعام و یمشی فى الاسواق " و قالوا " لولا انزل علینا المنشکة او نرى ربنا<sup>٤</sup> " و هذه مقالات الامم المتقدمة " قالوا ما اتم<sup>٥</sup> الا بشر مثلنا<sup>٦</sup> " ، " قالوا انومن لبشرین مثلنا<sup>٧</sup> " ، " ما " هذا الا رجل یرید ان یصدکم عما كان یعبد اباؤکم " فقال تعالى متوعدا للغافلين " ان الذين لا یرجون لقاءنا و رضوا بالحویة الدنيا " - الآية ، ثم وعد المعتبرین " فقال " ان الذين امنوا و عملوا الصلحت یرہم ربهم بإیمانهم " - الآيات ، و كل هذا بآین الالتحام جلیل الالتزام . ثم تناسجت آى السور - انتهى . و لما كان كونه من عند الله - مع كونه حکیمًا - موجبا لقبوله بادی بدیه و السرور به لما تقرر فى العقول و جبلت علیه الفطر من أنه تعالى ١٥

- (١) و اختلاف القراءة فيه یأتى فى محله (٢) فى ظ : یعترض (٣) فى ظ : ما .  
 (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) سورة ٢٥ آية ٧ (٦) سورة ٢٥ آية ٢١ .  
 (٧) فى ظ : هذا (٨) فى ظ : انت (٩) سورة ٣٦ آية ١٥ (١٠) سورة ٢٣ آية ٤٧ .  
 (١١) من القرآن الکریم سورة ٣٤ آية ٤٣ ، و فى الأصل و ظ : ان - کذا .  
 (١٢) من ظ ، و فى الأصل : المغترین .

الخالق الرازق كاشف الضر ومدبر الامر، كان ذلك موضع أن يقال :  
ما كان حال من تلى عليهم؟ فقيل: لم يؤمنوا، فقيل: ما شبهتهم؟ هل  
قدروا على معارضته و الطعن في حكمته؟ فقيل: لا بل تعجبوا من إنزاله  
على محمد صلى الله عليه وسلم وليس بأكثرهم مالا ولا 'بأقدمهم سنا'،  
هـ فرجع حاصل تعجبهم إلى ما قاله تعالى إنكارا عليهم . فانه لو أرسل

ذا سن قالوا مثل ذلك، وهل مثل<sup>٢</sup> ذلك محل العجب! ﴿اكان﴾

[أى بوجه من الوجوه - ٢] ﴿لنأس عجا﴾ أى الذين فيهم أهلية  
التحرك<sup>٥</sup> إلى المعالى<sup>٥</sup>، و العجب: تغير النفس بما لا يعرف<sup>٦</sup> سبه بما

خرج عن العادة؛ ثم ذكر الحامل على العجب وهو اسم 'كان' فقال  
١٠ بعد ما حصل لهم<sup>٢</sup> شوق إليه: ﴿ان اوحينآ﴾ أى ألقينا أوامرنا بما لنا

من العظمة بواسطة رسلنا فى خفاء [منهين - ٢] ﴿الى رجل﴾ أى  
[هو - ٢] فى غاية الرجولية، و هو مع ذلك ﴿منهم﴾ بحيث أنهم

يعرفون جميع أمره كما فعلنا بمن قبلهم و المليك العظيم المالك التام  
المليك لا اعتراض عليه فيما به تظهر خصوصيته من إعلاء من شاء .

١٥ ولما كان فى<sup>٢</sup> الإيحاء معنى القول، فسر به قوله: ﴿ان انذر الناس﴾

أى عامة، وهم الذين تقدم نداءهم أول البقرة، ما أمامهم من البعث  
و غيره إن لم يؤمنوا أصلا أو إيمانا خالصا ينق كل معصية صغيرة

أو كبيرة و كل هفوة جليلة أو حقيرة على اختلاف الرتب و تباين  
المقامات ﴿و بشر﴾ أى خص ﴿الذين آمنوا﴾ أى أوجدوا هذا

(١ - ١) من ظ ، وفى الأصل: باسنهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

(٤) تأخر فى ظ عن «والعجب تغير» (هـ - هـ) فى ظ: للمعالي (٦) فى ظ: تعرف .

الوصف و عملوا تصديقا لدعواهم [ له - ١ ] الصالحات ، أى من الأعمال  
اللسانية وغيرها ، بالبشارة بقبول حسناتهم و تكفير سيئاتهم و التجاوز  
عن هفواتهم و ترفع درجاتهم كما كان إرسال الرسل قبله و كما هو مقتضى  
العدل فى إثابة الطائع و عتاب العاصى ، و الإنذار : الإعلام بما ينبغى أن  
يحذر منه ، و التبشير : التعريف بما فيه السرور ، و أضاف القدم - الذى ه  
هو السابقة بالطاعة - إلى الصدق فى قوله تعالى موصلا لفعل<sup>٢</sup> البشارة  
إلى المبشر به دون حرف جر : ( ان لهم ) أى خاصة ( قدم صدق )  
أى أعمالا حقة ثابتة قدموها لأنفسهم صدقوا فيها و أخلصوا فيما يسروا  
له / لأنهم خلقوا له و كان مما يسى إليه بالأقدام ، [ وزاد فى البشارة  
بقوله - ١ ] : ( عند ربهم<sup>٣</sup> ) [ فى إضافة القدم - ١ ] تنبيه<sup>٤</sup> على أنه ١٠  
يجب أن يخلص<sup>٥</sup> [ له - ١ ] الطاعة كإخلاص الصدق من شوائب الكذب ،  
وفى التعبير بصفة<sup>٦</sup> الإحسان إشارة إلى المضاعفة .

ولما ثبت أن الرسول و ما أرسل به على وفق<sup>٧</sup> العادة ، اتفق أن  
يكون عجبا من هذه الجهة ، فصار المحل قابلا لأن يتعجب منهم فيقال :  
ما قالوا حين أظهروا العجب ؟ و من أى وجهه رآوه عجبا ؟ ف قيل : ١٥  
( قال الكفرون ) أى الراجعون فى هذا الوصف [ منهم و تبعهم  
غيرهم - ١ ] مؤكدين لما [ يحق - ١ ] لقولهم من الإنكار ( ان هذا )  
أى القول و ما تضمنه من الإخبار بما<sup>٨</sup> لا يعرف من البعث و غيره

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عقاب (٣) فى ظ : فعل (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
تنبيها (٥) فى ظ : تخلص (٦) فى ظ : بصفة (٧) فى ظ : وقف (٨) من ظ ،  
وفى الأصل : ما .

﴿سحر﴾ أى محمد لساحر - كما فى قراءة ابن كثير و حمزة و الكسائى  
 ﴿مبين﴾ أى ظاهر فى نفسه ، و هو من شدة ظهوره مظهر لكل شىء  
 أنه كذلك ، فجاءوا<sup>٢</sup> بما هو فى غاية البعد عن وصفه ، فان السحر قد تقرر  
 لكل ذى لب أنه - مع كونه<sup>٣</sup> تمويها لا حقيقة له - شر محض ليس فيه  
 ه شىء من الحكمة فضلا عن أن يمتطى<sup>٤</sup> الذروة منها مع أن فى ذلك  
 ادعاءم أمرا متناقضا ، و هو أنه من قول البشر كما هى العادة فى السحر ،  
 و أنهم عاجزون عنه ، لأن السحر فعل تخفى الحيلة فيه حتى يتوهم  
 الإعجاز به ، فقد اعترفوا بالعجز عنه و كذبوا فى ادعاء أنه لسحر<sup>٥</sup> لأن  
 الآتى [ به - ٦ ] منهم لم<sup>٦</sup> يفارقهم قط و ما خالط عالما لا بسحر ولا  
 ١٠ غيره حتى يخالطهم فيه شبهة ، فهم يعلمون أن قولهم فى غاية الفساد ،  
 فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم من أنه - مع ما تضمنه من  
 البعث<sup>٧</sup> - سحر ، و على حقيقة<sup>٨</sup> أنه من عنده من غير شبهة ، و على أن  
 الرسالة لا عجب فيها ، لأنه سبحانه خلق الوجود كله و هو نافذ الأمر  
 فيه و قد ابتلى من فيه من العقلاء ليردّم إليهم و يحاسبهم فانه لم يخلقهم  
 ١٥ سدى لأنه حكيم ، فلا بد من رسول يخبرهم بما يرضيه و ما يغضبه لتقوم  
 بذلك الحجة فقال : ﴿ان ربكم﴾ أى الموجد لكم و المربى و المحسن  
 ﴿الله﴾ أى من ربى<sup>٩</sup> شيئا ينبغي أن يكون حكيما و قادرا على أسباب  
 (١) و فى قراءة حفص عن عاصم أيضا كما فى مصاحفنا (٢) فى ظ : بغاء (٣) فى  
 ظ : كونها (٤) فى ظ : يمتطى (٥) فى ظ : سحر (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ،  
 و فى الأصل : لا (٨) من ظ ، و فى الأصل : حقته (٩) فى الأصل و ظ : رب .  
 صلاحه (١٧) ٦٨



صلاحه ، فأيقظوا أنفسهم من سنة غفلتها تعلموا أن هذا الكتاب من عند [ الذى - ' ] له العظمة كلها قطعاً ، وأنه قادر على بعثكم لأنه ربكم (الذى) بدأ الخلق بأن (خلق) أى قدر وأوجد (السموات والارض) على اتساعهما وكثرة ما فيهما<sup>٢</sup> من المنافع ( فى ستة ايام ) لحكمة أرادها على أن ذلك وقت يسير لا يفعل مثل ذلك فى مثله إلا من ٥ لا يعجزه شيء .

ولما أوجد سبحانه هذا الخلق الكثير المتباعد الاقطار الواسع الانتشار المفتقر إلى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير ، عبر سبحانه عن عمله فيه عمل الملوك فى ممالكهم بقوله مشيراً إلى عظمته بأداة التراخي : ( ثم استوى ) أى عمل فى تدبيره وإتقان<sup>٣</sup> ما فيه ١٠ وإحكامه عمل<sup>٤</sup> المعنى بذلك (على العرش) المتقدم وصفه بالعظمة ، وليست 'ثم' للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منالها ؛ ثم بين ذلك الاستواء بقوله : ( يدبر ) لأن التدبير أعدل أحوال الملك<sup>٥</sup> فالاستواء كناية عنه ( الامر<sup>٦</sup> ) كله فلا يخفى عليه عاقبة أمر من الأمور ، فحصل الأمن بهذا من أن يفعل شيء بغير علمه ، لأن التدبير ١٥ تنزيل الأمور فى مراتبها على<sup>٦</sup> إحكام عواقبها ، وهو مع ذلك منزه عما تعرفونه من أحوال الملوك من أنه يكون فى ممالكهم من يقضى<sup>٧</sup> بعض الأمور بغير<sup>٨</sup> إذن منهم وإن علموا به لعجزهم عن المجاهرة بادامة دفعه ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فيها (٣) فى ظ : اتقانه (٤) من ظ ، وفى الأصل : على (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) من ظ ، وفى الأصل : يقتضى (٨) فى ظ : من غير .

بل هو متصف بأنه ﴿ما من شفيع﴾ أى وإن كان بليغ الاتصاف بذلك .

ولما كان تمام قهره وعظيم سلطانه لا يفيد أحدا عند إذنه له إذنا عاما لجميع<sup>١</sup> الأزمان والأماكن ، أتى بالجاء فقال : ﴿الامن بعد اذنه<sup>٢</sup>﴾  
 ٥ . فاذا لم يقدر شفيع على الكلام فى الشفاعة إلا باذنه فكيف يقدر أحد أن يأتى بشيء من الأشياء بغير إذنه فكيف يأتى بكتاب حكيم<sup>٣</sup> ليس من عنده يعجز الخلق عن معارضته ، فحصل الأمن أن يكون غيره قاله أو شفيع فيمن أبلغه فأبلغه من غير إرادة منه سبحانه ، فتحرر أنه / ليس إلا من عنده<sup>٤</sup> ، وأنه أمر بابلاغه ، وقد عرف من هذا أن " ما من شفيع "

/ ٥٦٥

١٠ . فى موضع الدلالة على أنه لا يخرج عن تديره<sup>٥</sup> أمر من الأمور<sup>٦</sup> ولا يغلّب شيء أصلا فبطل ما كانوا يقولون فى الأصنام من الشفاعة وغيرها<sup>٧</sup> .  
 و الشفيع : السائل فى غيره بتبليغ منزلته من عفو أو زيادة منزلة ، وقد وقع ذكر<sup>٨</sup> الكتاب و الرسول و العرش مرتبا فى أول هذه على ما رتب آخر تلك ؛ فلما تقرر ما وصف به من العظمة التى لا يشاركه<sup>٩</sup> فيها  
 ١٥ . أحد<sup>١٠</sup> ، وجب أن يعبد عبادة لا يشاركه [ فيها - <sup>١١</sup> ] شيء ، فنبه على ذلك بقوله : ﴿ذلكم﴾ أى العظيم الشأن العالى المراتب ﴿الله﴾ أى

(١) فى ظ : بجميع (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : يعجز الخلق عن معارضته لفصل ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ : وغيره (٦) فى ظ : ذلك (٧) من ظ ، وفى الأصل : لم يشاركه (٨) زيد لاستقامة العبارة .

الملك الأعلى ﴿ ربكم ﴾ الذى تقرر<sup>١</sup> له من العظمة والإحسان بالإيجاد والتربية<sup>٢</sup> ما لا يبلغه وصف ﴿ فاعبدوه ﴾ أى تخصّوه بالعبادة فإن عبادتكم مع الإشراف ليست عبادة، ولولا فضله لم يكن [ لمن -<sup>٣</sup> ] زل أدنى زلة طاعة .  
 ولما سبب [ سبحانه -<sup>٤</sup> ] عن أوصافه<sup>٥</sup> العلى ما وجب له<sup>٦</sup> من الأمر بالعبادة، تسبب<sup>٧</sup> عن ذلك الإنكار عليهم فى التوقف عنها والاحتياج<sup>٨</sup> فيها إلى بروز الأمر بها لما قام على استحقاقه للأفراد بها من الأدلة التى فى فهم<sup>٩</sup> شواهد ما فقال: ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى ولو بأدنى أنواع التذكر بما أشار إليه الإدغام، ما أخبركم سبحانه به ونهكم عليه بما يعلمه كل أحد من نفسه من أنه لا يقدر أحد أن يعمل كل ما يريد به ويعمل كثيرا مما لا غرض له فيه ويعلم أنه يضربه<sup>١٠</sup> إلى غير ذلك من الأمور .  
 ليعلم قطعاً أن الفاعل الحقيقى غيره [ و -<sup>١١</sup> ] أنه لا بد لهذا الوجود من مؤثر فيه هو فى غاية العظمة لا يصح [ بوجه -<sup>١٢</sup> ] أن يشاركه شئ . ولو كان أعظم ما يعرف من الأشياء فكيف بجهاذ لا يضرب ولا ينفع ! فلما تقرر أنه هو الذى بدأ الخلق، تقرر بذلك أنه قادر على إعادته فقال: ﴿ إليه ﴾ أى خاصة ﴿ مرجعكم ﴾ [ أى رجوعكم وموضع<sup>١٥</sup> رجوعكم ووقته -<sup>١٣</sup> ] حال كونكم ﴿ جميعاً ﴾ لا يتخلف منكم أحد، تقدم وعده لكم بذلك ﴿ وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ حقاً<sup>١٤</sup> ﴾

(١) من ظ، وفى الأصل: يقر (٢) فى ظ: بالتربية (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: اوصاف (٥) فى ظ: عليه (٦) فى ظ: سبب (٧) من ظ، وفى الأصل: فهم . (٨) فى ظ: يضرب (٩) ليس فى الأصل .

فهو تعليل لعبادته لوحديته، فيحيون<sup>١</sup> بعد الموت ويحشرون إلى موضع جزاء الله تعالى لهم في زمانه الذي قدره له، ويرفع ما كان لهم من المكنة في الدنيا، فعلم قطعاً أنه لا بد من الرسول، فاستعدوا للقاء هذا الملك الأعظم بكل ما أمركم به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ثم<sup>٢</sup> أوضح التنبيه على قدرته مضمناً له<sup>٣</sup> يان حكمته فقال معللاً لوجوب المرجع إليه مؤكداً عدا لهم في عداد المنكر الابتداء لأجل إنكارهم ما يلزم عنه من تمام القدرة على البعث وغيره: ﴿ انه يبدؤا الخلق ﴾ أى ينشئه النشأة الأولى، له هذه الصفة متجددة التعلق على سبيل الاستمرار ﴿ ثم يعيده ﴾ ليقيم العدل في خلقه بأن ينجز لمن عبده، ١٠ وعده بأن يعزه ويذل عدوه وذلك معنى قوله: ﴿ ليجزى ﴾ .

ولما كان في سياق البعث، قدم أهل الجزاء وبدأ بأشرفهم فقال: ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف الذى هو الأساس المتقن لكل عمل صالح ﴿ وعملوا ﴾ أى وصدقوا إيمانهم بأن عملوا ﴿ الصلحت ﴾ جزاء كائناً ﴿ بالقسط<sup>٤</sup> ﴾، [واقصر على العدل دون ١٥ الفضل ليفهم أن ترك الحشو مغل بالعمل الذى هو محط الحكمة التى هى أعظم مصالح السورة -٤]، والجزاء: الإعطاء بالعمل<sup>٥</sup> ما يقتضيه من خير أو شر، فلو كان<sup>٥</sup> الإعطاء ابتداء لم يكن جزاء، ولو كان

(١) من ظ، وفى الأصل: يحيون (٢-٢) تقدم ما بين الرقنين فى الأصل على « فعلم قطعاً » والترتيب من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ .

ما لا يقتضيه العمل لم يكن جزاء مطلقا، والقسط: العدل ﴿والذين كفروا﴾  
 أى أوجدوا هذا الوصف ﴿لهم﴾ أى فى الجزاء على جهة الاستحقاق  
 ﴿شراب من حميم﴾ أى مسخن بالنار أشد الإسحان ﴿وعذاب اليم﴾  
 أى بالغ الإيلام ﴿بما كانوا﴾ أى جبلة وطبعا ﴿يكفرون﴾ فان  
 عذابهم من أعظم نعم المؤمنين الذين عادوهم فيه سبحانه " قال يوم الذين ه  
 امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار  
 ما كانوا يفعلون<sup>٢</sup> " وكأنه قال: " يبدو " مضارعا لا كما قال فى آية  
 أخرى " كما بدأكم تعدون<sup>٣</sup> " حكاية للحال و تصويرا لها تنبيها على تأمل  
 ما يتجدد إنشاء ليكون أدعى لهم إلى تصور القدرة على الإعادة؛ قال  
 الرمانى: وقد تضمنت الآية البيان عما يوجه التمكين / فى الدنيا من تحديد ١٠ / ٥٦٦  
 النشأة للجزاء لأنه لا بد - مع التمكين من الحسن والقيح - من ترغيب  
 وترهيب لا يؤمن معه العذاب على الخلود ليخرج المكلف بالزجر عن  
 القبيح عن حال الإباحة له برفع التبعة عليه - انتهى . فقد لاح بما ذكر  
 - مع ما تعين<sup>٤</sup> فى أثناء السورة بتكريره لتوضيحه و تقريره - أن مقصودها  
 وصف الكتاب بما يدل قطعا على أنه من عنده سبحانه و باذنه ، لأنه ١٥  
 لا غائب عن عليه ولا مدانى<sup>٥</sup> لقدرته ولا يجترئ على عظمته ، وأنه تام  
 القدرة متفرد بالخلق والامر<sup>٦</sup> فهو قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء ،

(١) فى ظ : الذى (٢) سورة ٨٣ آية ٣٤-٣٦ (٣) فى ظ : تعدون، وراجع سورة ٨  
 آية ٢٩ (٤) فى ظ : من (٥) فى ظ : يعنى (٦) زيدت الواو بعده فى ظ .  
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : يدان - كذا (٨) من ظ ، وفى الأصل : بالامه .

و أن المراد بالكتاب البشارة و النذارة للفوز عند البعث و النجاة من غوائل يوم الحشر مع أنه سبحانه نافذ القضاء، فلا تغنى الآيات و الدلالات اليئات عن حكم بشقاوته و قضى بغوايته، و أن ذلك من حكمته و عدله فيجب التسليم لأمره و قطع الهمم عن سواه؛ ثم شرع سبحانه يقرر<sup>٥</sup> أمر بدمه للخلق و إعادته في سياق مذكر بالنعم التي يحب شكرها،<sup>٦</sup> و يسمى المعرض عن شكره<sup>٧</sup> كافرا فقال: ﴿هو﴾ أى لا غيره ﴿الذى جعل﴾ أى عما هيا من الأسباب ﴿الشمس﴾ .

ولما كان النور كيفية قابلة<sup>٨</sup> للشدة و الضعف، خالف سبحانه في الأسماء؛ بما يدل على ذلك فقال في نور الشمس: ﴿ضياء﴾ أى ذات نور قوى ساطع و قدرها منزل، هكذا التقدير<sup>٩</sup>، لكن لما كانت في قلبها بطيئة بالنسبة إلى القمر ذكره دونها فقال: ﴿و القمر﴾ أى و جعل القمر ﴿نورا﴾ أى ذا نور من نورها ﴿و قدره﴾ أى و زاده<sup>١٠</sup> عليها بأن قدره مسيرة<sup>١١</sup> ﴿منازل﴾ سريعا يقبله<sup>١٢</sup> فيها، و باختلاف حاله في زيادة نوره و نقصانه تختلف أحوال الرطوبات و الخرات التي<sup>١٣</sup> دبر الله بها هذا الوجود - إلى غير ذلك من الأسرار التي هي فرع وجود الليل و النهار ﴿لتعلموا﴾<sup>١٤</sup> بذلك علما سهلا ﴿عدد السنين﴾<sup>١٥</sup> أى المنقسمة إلى الفصول الأربعة و ما يتصل بذلك من الشهور و غيرها

(١) في ظ: يقدر (٢-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) في ظ: قابلية .  
(٤) في ظ: الاشياء (٥) في ظ: التقرير (٦) في ظ: زاد (٧-٧) في ظ: قدر  
مسيره (٨) في ظ: قلبه (٩) في ظ: اى (١٠) في ظ: عدد - كذا (١١) زيد بعده في ظ: لتعلموا .

ليمكن لكم تدبير المعاش فى أحوال الفصول و غيرها ﴿ و الحساب ﴾<sup>١</sup>  
 أى فى غير ذلك مما يدل على بعض تدبيره سبحانه .

[ و لما كان ذلك مشاهدا لا مرية - ' ] فيه ، وصل به قوله :

﴿ ما خلق الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم  
 جدا ﴿ الا بالحق ﴾ أى خلقا ملتبسا<sup>٢</sup> بالحق الكامل فى الحقيقة لا مرية ه  
 فيه ، فلم أنه قادر على إيجاد الساءة كذلك إذ لا فرق ، و إذا كان خلقه  
 كذلك فكيف يكون أمره الناشئ عنه الخلق غير الخلق<sup>٣</sup> بأن يكون  
 من السحر الذى عباه على التوحيه و التخيل الذى هو عين الباطل ،  
 أو ما خلقه إلا بسبب إظهار الحق من العدل بين العباد باعزاز الطائع  
 و إذلال العاصي ، فاه لا نعيم كالانتصار على المعادى و الانتقام من المشائى ،<sup>١٠</sup>  
 و الجعل : وجود ما به يكون الشئ على صفة<sup>٤</sup> لم يكن عليها ، و الشمس :  
 جسم عظيم النور ، به يكون ضياء النهار ؛ و القمر : جسم نير يبسط نوره  
 على جميع الظاهر من الأرض و يكشفه<sup>٥</sup> نور الشمس ؛ و النور : شعاع  
 فيه ما ينشأ فى الظلام ؛ و الحساب : عدد<sup>٦</sup> يحصل به<sup>٧</sup> مقدار الشئ  
 من غيره .

و لما كان النظر فى هذه الآيات من الواضوح بحيث لا يحتاج<sup>٨</sup> إلى

كثير<sup>٩</sup> من الاتصاف بقابلية العلم . ختم الآية بقوله : ﴿ يفصل ﴾ أى الله

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : ملتبسا (٣) من ظ ، و فى الأصل : حق (٤) فى  
 ظ « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل : صفته (٦) فى ظ : يكشفه (٧-٧) فى ظ :  
 به يحصل (٨-٨) فى ظ : لاكثر .

في قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص عن عاصم بالياء التحتيّة،  
وبالالتفات إلى أسلوب العظمة تعظيماً للبيان في قراءة الباقيين بالنون  
(الأيّت) أي يبين الدلائل الباهرة واحدة في إثر واحدة متفاعلة  
يانا شافيا . ولما كان البيان لمن لا علم له كالعدم، قال : ﴿ لقوم ﴾ أي  
هـ لهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ يعلمون ﴾ أي لهم هذا الوصف على سبيل  
التجديد والاستمرار ؛ ولما كانت لهم المعرفة التامة والنظر الثاقب في  
منازل القمر عدت من الجلى .

ولما أشار سبحانه إلى الاستدلال على فناء العالم بتغييره وإلى القدرة

على البعث بإيجاد كل من / الملوك بعد إعدامه في قوله - مؤكدا له / ٥٦٧

١٠ لإنكارهم أن يكون في ذلك دلالة - : ﴿ ان في اختلاف الليل ﴾ أي على

تباين أوصافه ﴿ والنهار ﴾ أي كذلك ﴿ وما ﴾ أي وفيما ﴿ خلق الله ﴾

أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ في السموات والارض ﴾ من أحوال

السحاب والأمطار وما يحدث من ذلك الخسف<sup>١</sup> والزلازل<sup>٢</sup> والمعادن<sup>٣</sup>

والنبات<sup>٤</sup> والحيوانات وغير ذلك من أحوال الكل التي لا يحيط البشر

١٥ بأحوالها ؛ لما أشار إلى ذلك ختمها بقوله : ﴿ لايت ﴾ أي دلالات

بينه جدا ﴿ لقوم يتقون هـ ﴾ أي أن من نظر في هذا الاختلاف وتأمل

تغير الأجرام الكبار كان جديرا بأن يخاف من أن تغير أحواله

وتضطرب أموره فيتق الله لعله قطعاً بأن أهل هذه الدار غير مهملين ،

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : الحن - كذا (٣-٣) في ظ : النبات

و المعادن (٤) في ظ : بينات (هـ) من ظ ، وفي الأصل : يغير .



فلا بد لهم من أمر ونهى و ثواب وعقاب ؛ و الاختلاف : ذهاب كل من الشيتين فى غير جهة الآخر . فاختلاف الملون : ذهاب هذا فى جهة الضياء و ذاك فى جهة الظلام ؛ و الليل : ظلام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى ، و هو جمع ليلة كتمر و تمرة ؛ و النهار : اتساع الضياء من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس ، و الخلق : فعل الشئ . على ٥ ما تقتضيه الحكمة ، و أصله التقدير ؛ و به بما خلق فى السماوات و الأرض على وجوه الدلالات . لأن الدلالة فى الشئ قد تكون من جهة خلقه أو اختلاف صورته أو حسن منظره أو كثرة نفعه أو عظم أمره أو غير ذلك .

- و لما أشير بالآية إلى انقراض الدنيا بأن الحادث لا ثبات له ، ١٠ و قام الدليل القطعى على المعاد ، ناسب تعقيبها بعبء من اطمأن إليها فى سياق مبين أن سبب الطمأنينة إنكار الطمأنينة ٢ اعتقادا أو حالا ؛ و لما كان ختم تلك بـ "يتقون" لاح أن ثم من يتقى و من لا يتقى ؛ و لما كان المغرور أكثر ، بدأ به تنفيرا عن حاله ، لأن دره المفاصد أولى من جلب المصالح ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان الذين ﴾ و لما ١٥ كان الخوف و الرجاء معدن السعادة ، و كان الرجاء أقرب إلى الحث على الإقبال ، قال مصرحا بالرجاء ملوحا إلى الخوف : ﴿ لا يرجون لقاءنا ﴾ بالبعث بعد الموت و لا يخافون ما لنا من العظمة ﴿ ورضوا ﴾ أى عوضا
- (١-١) فى ظ : لترفعه (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعقيب (٣) زيد بعده فى الأصل : اعتقاد الطمأنينة . و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .

عن الآخرة ﴿ بالحياة الدنيا ﴾ [ أى - ' ] فعملوا لها عمل المقيم فيها مع ما اشتملت عليه بما يدل على حقارتها ﴿ واطمانوا ﴾ إليها<sup>٢</sup> مع الرضى<sup>١</sup> ﴿ بها ﴾ طمأنينة من لا يزجج عنها مع ما يشاهدونه مع سرعة زوالها ﴿ و الذين هم ﴾ أى خاصة ﴿ عن البتة ﴾ أى على ما لها من العظمة لا عن غيرها من الأحوال الدنية القانية ﴿ غفلون لا ﴾ أى غريقون في الغفلة . وتضمن قوله تعالى استئنفاً - : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ ماؤهم النار بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ أى جلة وطبعاً ﴿ يكسبون ه ﴾ فان كسبهم كله ضلال - أنه لا يعاجلهم بالعقاب على تأخير المتاب . وجعلت ملاقة ما لا يقدر عليه إلا الله ملاقة الله<sup>٢</sup> تفخيماً لشأنها كما جعل إتيان<sup>١</sup> جلائل آيات الله في قوله " الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام " ونحوه . و الاطمئنان : الركون إلى الشيء على تمكن<sup>٢</sup> فيه ، فهو لا مكنوا الأحوال للدنيا فصار فرحهم وسخطهم لها ؛ و الغفلة : ذهاب المعنى عن القلب بما يضاد حضوره إياه ، و اليقظة نقيضها .

ولما انقضى هذا القسم خلا وما لا ، أتبعه سبحانه القسم الآخر ١٥ بقوله مؤكداً لإنكار الكفار هدايتهم : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف بما لهم من القوة النظرية التى كمالها معرفة الأشياء و سلطانها معرفة الله تعالى ﴿ وعملوا ﴾ أى وصدقوا دعواهم الإيمان بأن عملوا ﴿ الصلحت ﴾ بالقوة العملية التى سلطانها عبودية الله تعالى ، و الصالح : ما جاء بالحث عليه الأنبياء عليهم السلام ﴿ يهديهم ﴾ أى على

(١) زيد من ظ (٢-٣) فى ظ : راضين (٣) فى ظ : لله (٤) من ظ ، وفى الأصل : اثبات (٥) من ظ ، وفى الأصل : تمكين (٦) فى ظ : سلطانها .

سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم ﴿بإيمانهم<sup>٥</sup>﴾ أى  
بسبب تصديقهم و إذعانهم لمعرفة الآيات التى غفل عنها الذين يأملون البقاء  
ولا يرجون اللقاء . فقادتهم إلى دار السلام ، وهذا كما كان كثير من  
الصحابه رضى الله عنهم بعد إسلامهم يشتد تعجبهم [ عما كان - ١ ] من  
تباطؤهم عن الإسلام ، وكما ترى أنك تختق على بعض الكلمة<sup>٦</sup> فلا يدعك<sup>٥</sup>  
حظ النفس ترى له حسنة . ثم إنك قد ترى عنه فتراه كله محاسن .  
ولما ذكر أن مآل القسم الأول النار ، ذكر مآل هذا القسم فى  
معرض سؤال من يقول : ماذا تورثهم هدايتهم ؟ فقول له : ﴿تجرى﴾  
و أشار إلى ٢ قرب مآل<sup>٢</sup> المياه و انكشافها عن كل ما ينتفع به فى غير  
ذلك بآيات الجار فقال : ﴿من تحتهم﴾ أى تحت غرفهم و أسرتههم ١٠  
وغير ذلك من مشتبهاتهم كقوله تعالى " قد جعل ربك تحتك مرياً<sup>٦</sup> "  
وكذا قول فرعون " وهذه الانهر تجري من تحتي<sup>٦</sup> " ﴿الانهر﴾  
كائنين ﴿فى جنت النعيم<sup>٥</sup>﴾ [ أى التى ليس فيها من غيره - ١ ] .  
ولما كان الواجب على العباد أولاً تنزيهه تعالى عن النقائص التى  
أعظمها الإشراك . وكان من فعل ذلك سلم من غوائل الضلال فربح ١٥  
نفسه فعرف ربه و فاز فى شهود حضرته بمشاهدة أرصاف الكمال ، أشار  
إلى التسليك فى ذلك بقوله : ﴿دعوتهم﴾ أى دعاؤهم العظيم الثابت  
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الكلمة (٣-٣) فى ظ : اقرب مال - كذا .  
(٤) فى ظ : باتيان (٥) من ظ ، وفى الأصل : لقوله (٦) سورة ١٩ آية ٢٤ .  
(٧) - سورة ٣٤ آية ٥١ .

الكثير الذى يقولونه فيها [ لا - ١ ] على وجه التكليف ، بل يلهمونه إلهام النفس فى الدنيا ﴿ فيها ﴾ وأشار إلى مجامع التنزيه عن كل شائبة نقص فقال : ﴿ سبّحك اللهم ﴾ إشارة إلى الأمر الأول الذى هو الأساس وهو المعراج فى الآخرة ﴿ وتحيّتهم ﴾ أى لله<sup>٢</sup> وفيما بينهم ﴿ فيها سلم ﴾ إشارة إلى أول نتائج الأساس بأنه لا عطب<sup>٣</sup> معه بوجه وهو نزول عن المعراج بالنظر فى أحوال الخلق ﴿ واخر دعوتهم ﴾ أى دعائهم العظيم وهو المعراج الكمال ﴿ ان الحمد ﴾ أى الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بجميع أوصاف<sup>٤</sup> الجلال والجمال يعنى أن التنزيه<sup>٥</sup> عن النقص أوجب لهم السلامة ؛ ولما سلخوا من كل نقص وصلوا إلى الحضرة ففرقوا فى ١٠ بحار الجلال وانكشفت لهم سمات الكمال ؛ والدعوى : قول يدعى به إلى أمر ؛ والتحية : التكرمة بالحال الجليلة ، وأصله من قولهم<sup>٦</sup> : أحياك الله حياة طيبة ، وأشار بقوله : ﴿ رب العالمين ﴾ إلى نعمة الإيجاد إرشادا بذلك إلى القدرة على المعاد ، وفيه هبوط عن المعراج الكمال إلى<sup>٧</sup> الخلق ، وذلك إشارة إلى أن الإنسان لا ينفك عن الحاجة والنقصان . ولما أشير فى هذه الآية إلى تنزهه تعالى وعلوه وتفرد به بنعوت الكمال ، و دل بحتمها بالحمد على إحاطته ورب العالمين على تمام قدرته وحسن تديره فى ابتدائه<sup>٨</sup> وإعادته ، / اتبعت بما يدل على ذلك من لطفه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الله (٣) فى ظ : عطف (٤-٥) فى ظ : بأوصاف (٥) فى ظ : التنويه (٦) فى ظ : قوله (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : إبدائه .

فى معاملته من أنه لا يفعل شيئاً قبل أوّنه لأنّ الاستعجال من سمات  
 الاحتياج<sup>٢</sup>، بل وروى أبو يعلى وأحمد بن منيع عن أنس رضى الله عنه  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «التأني من الله والعجلة من الشيطان»  
 قال شيخنا ابن حجر: وفى الباب عن سهل وسعد رضى الله عنهما،  
 فقال تعالى عاطفاً على قوله "يدبر الأمر" ما معناه أنه تعالى يفعل فعل  
 من ينظر فى أدبار الأمور فلا يفعل إلا ما هو فى غاية الإحكام، فهو  
 لا يعاجل العصاة بل يمهّلهم ويسبغ عليهم النعم وهم فى حال عصيانهم  
 له أضل من النعم يطلبون خيراته ويستعجلونه بها: ﴿ولو يعجل الله﴾  
 أى المحيط بصفات الكمال ﴿لنّاس﴾ [أى - ٢] الذين اتخذوا القرآن  
 عجباً لما لهم من صفة الاضطراب ﴿الشر استعجلهم﴾ أى عاملاً فى ١٠  
 إرادته لإيقاع الشر بهم مثل عملهم فى إرادتهم وطلبهم العجلة ﴿بالخير لقضى﴾  
 أى حُتم وبت وأدى، بناء للفعول فى قراءة الجماعة دلالة على هوّاه  
 عنده، ولأن المحذور مجرد فراغه لا كونه من معين. وبناء ابن عامر  
 للفاعل ونصب الأجل ﴿اليهم﴾ أى الناس خاصة ﴿اجلهم﴾ أى  
 عمرهم أو آخر لحظة تكون منه، فأهلك من فى الأرض فاختل النظام ١٥  
 الذى دبره، ولكنه لا يفعل إلا ما تقدم من إمهاله لهم إلى ما سُمى من  
 الآجال المتفاوتة، وذلك سبب/ ضلال من يريد ضلاله، ولعل التعبير بنون  
 العظمة فى "فذر" إشارة إلى أن الأمر فى غاية الظهور؛ فكان  
 القياس هدام لكثرة ما عليه من الدلائل الظاهرة ولكنه تعالى أراد ضلالهم

(١) فى ظ: لا ان (٢) من ظ، وفى الأصل: الاحتجاج (٣) زيد من ظ.

(٤) فى ظ: اى (٥) سقط من ظ.

وهو من العظمة بحيث لا يعجزه شيء، ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله "إزائلك ماؤهم النار" لأن معناه: أولئك يمهلهم الله إلى انقضاء ما ضرب لهم من الآجال مع مبالغتهم في<sup>١</sup> الإعراض، ثم يكون مأوهم النار<sup>٢</sup> "ولا يعجل لهم" ما يستحقونه من الشر "ولو يعجل الله للناس الشر" أي ولو يريد عجلة الشر للناس إذا خالفوه أو إذا استعجلوه به في نحو قولهم "امطر علينا [حجارة من السماء]" -<sup>٣</sup> ودعاء الإنسان على ولده وعبد، مثل استعجالهم أي مثل إرادتهم تعجيل الخير، وعدل عن أن يقال: ولو يستعجل الله للناس الشر "استعجالهم بالخير" أي يعجل، دفعا للإيهام النقص بأن من يستعجل الشيء ربما يكون طالبا لمجملته من غيره لعدم قدرته، وتنبه على أن الأمر ليس إلا يده "لقضى اليهم آجلهم" فانه إذا أراد شيئا كان ولم يتخلف أصلا.

ولما كان التقدير لأن 'لو' امتناعية: ولكنه سبحانه لا يفعل ذلك لأنه لا يفوته شيء بل يمهّل الظالمين ويدر لهم النعم ويضربهم بشيء من النقم حتى يقولوا: هذه عادة الدهر، قد مس آباءنا الضراء والسراء، ١٥ سبب عنه قوله: ﴿فذر﴾ أي على أي حالة كانت، ووضع موضع الضمير تخصيصا وتنبها على ما أوجب لهم الإعراض والجرأة قوله: ﴿الذين﴾ وأشار بنفي الرجاء إلى نفي الخوف على الوجه<sup>٤</sup> الأبلغ فقال: ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ [أي -<sup>٥</sup>] بعد الموت بهذا الاستدراج على ما لنا

(١) من ظ، وفي الأصل «و» (٢ - ٢) في ظ: لا يعاجلهم (٣) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ٨ آية ٣٢ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ. (٥) في ظ: امتناعه (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: الاوجه (٨) زيد من ظ.

من العظمة التى من أمنها كان أضل من الانعام ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود تجاوزا لا يفعله من له أدنى روية ﴿ يعمهون ه ﴾ [أى - ١] بحكم مشيئتنا السابقة فى الأزل عميا عن رؤية الآيات صما عن سماع البنات ؛ و التعجيل : تقديم الشيء على وقته الذى هو أولى به ؛ والشر : ظهور ما فيه الضر ، وأصله الإظهار من قولهم : شررت ه الثوب - إذا أظهرته للشمس ، ومنه شرر النار - لظهوره بانتشاره ؛ والطغيان : الغلو فى ظلم العباد ؛ و العمه ، شدة الحيرة .

ولما بين تعالى أن دأبهم استعجالهم بالخير ، وكان منه استكشاف الضر ، بين أن حالهم عنده الاعتراف ، وشكرهم على النجاة منه الإنكار [ فدأبهم الطغيان و العمه - ] ، و ذلك فى غاية المناقاة لما يدعونه من ١٠ رجاحة العقول و إصالة الآراء و سلامة الطباع ، فالحاصل أن الإنسان عند البلاء غير صابر ، و عند الرجاء غير شاكر ، فكأنه قيل : فإذا مس الإنسان منهم الخير كان فى غفلة بالفرح و الأشر و المرح ﴿ و اذا مس الانسان ﴾ منهم ﴿ الضر ﴾ [ و إن كان من جهة يتوقعها لطغيان هو فيه و لا ينزع عنه خوفا مما يتوقعه من حلول الضر لشدة طغيانه و جهله - ١ ] ﴿ دعائنا ﴾ ١٥ مخلصا معترفا بحقنا علما بما لنا من كمال العظمة عاملا بذلك معرضا عما ادعاه شريكنا لنا كائنا ﴿ جنبه ﴾ أى مضطجعا حال إرادته للراحة ، و كأنه عبر باللام إشارة إلى أن ذلك أسر<sup>٢</sup> أحواله إليه ﴿ او قاعدا ﴾ أى متوسطا<sup>٣</sup> [ فى أحواله - ١ ] ﴿ او قائما ﴾ أى فى غاية السعى فى (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : احد (٣) من ظ ، وفى الأصل : متوطنا .

نظم الدرر ( سورة يونس ١٠ : ١٢ و ١٣ ) ج - ٩

مهاته، لا يشغله عن ذلك شيء في حال من الأحوال، [ بل يكون  
ظرف المس بالضر ظرف الدعاء بالكشف - ' ]، ويجوز أن يكون عبر  
بالأحوال الثلاثة عن مراتب الضر، وقال: لجنبه، إشارة إلى استحكام  
الضر وغلبته بحيث لا يستطيع جلوساً كما يقال: فلان لما به، وأشار  
ه بالفاء إلى قرب زمن الكشف فقال: ﴿ فلما كشفنا ﴾ أى بما لنا من  
العظمة ﴿ عنه ضره ﴾ [ أى - ' ] الذى دعانا لأجله ﴿ مر ﴾ أى فى  
كل ما يريده لاهيا عنا بكل اعتبار ﴿ كان ﴾ أى كأنه ﴿ لم يدعنا ﴾ أى  
على ما كان يعترف به وقت الدعاء من عظمتنا؛ ولما كان المدعو يأتى إلى  
الداعى فيعمل ما دعاه لأجله قال: ﴿ الى ﴾ أى كشف ﴿ ضرمه ﴾  
١٠. أى كأن لم يكن له بنا معرفة أصلاً فضلاً عن أن يعترف بأننا نحن كشفنا  
عنه ضره، فهذه الآية<sup>١</sup> فى بيان ضعف الإنسان و سوء عبوديته، و<sup>٢</sup> التى  
قبلها فى بيان قدرة الله وحسن ربييته؛ والمس: لقضاء من غير فضل؛  
والدعاء: طلب الفعل من القادر عليه؛ والضر: إيجاب الألم بفعله  
أو السبب المؤدى إليه.

١٥ / ٥٧٠ / ولما كان هذا من فعل الإنسان من أعجب العجب، كان كأنه قيل:

لم يفعل ذلك؟ فقيل: لما<sup>٢</sup> يزين له من<sup>٣</sup> الأمور التى يقع بها الاستدراج<sup>٤</sup>  
لإسرافه، وهذا دأبنا أبداً ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التزيين العظيم  
الرتبة؛ ولما كان الضار مطلق التزيين، نبى للفعول قوله: ﴿ زين للسرفين ﴾

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: ما (٤) من ظ، وفى الأصل:  
تسع (٥) فى ظ: الاستدراج.



أى كلهم العريقين<sup>١</sup> فى هذا الوصف ﴿ ما كانوا ﴾ أى بجلالتهم ﴿ يعملون ﴾ أى يقبلون عليه على سبيل التجديد والاستمرار من المعصية بالكفر وغيره مع ظهور فسادهم ووضوح ضرره ؛ والإسراف : الإكثار من الخروج عن العدل .

و لما كان محط نظرهم الدنيا ، وكان هذا صريحا فى الإمهال للظالمين ه  
والإحسان إلى المجرمين ، اتبعه بقوله تعالى مهددا لهم رادعا عما هم فيه من اتباع الزينة مؤكدا لأنهم ينكرون أن<sup>٢</sup> هلاكهم لأجل ظلمهم : ﴿ ولقد اهلكنا ﴾ [ أى - ٢ ] بما لنا من العظمة ﴿ القرون ﴾ أى على ما لهم من الشدة والقوة ؛ و لما كان المهلكون هلاك العذاب المستأصل بعض من تقدم ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم لما ظلموا ﴾ أى تكامل ١٠ ظلمهم إهلاكا عم آخرهم وأولهم كنفس واحدة دفعا لتوهم أنه سبحانه لا يعم بالهلاك ، وقال تعالى عطفًا على ” اهلكنا “ : ﴿ وجاءهم رسلهم ﴾ أى إلى كل أمة رسولها ﴿ بالبينات ﴾ أى التى ينته بمثلها الرسالة ﴿ وما ﴾ أى والحال أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ أى بجلالتهم ، وأكد التثنية ١٥ من ينكر أن يتأخر إيمانهم عن البيان فقال : ﴿ ليؤمنوا ﴾ ولو جاءتهم ١٥ كل آية ، تنديها لمن قد يطلب أنه سبحانه يريهم بوادر العذاب أو ما اقترحوه من الآيات ليؤمنوا ، فبين سبحانه أن ذلك لا يكون سببا لإيمان من قضى بكفره ، بل يستوى فى التكذيب حاله قبل مجيء الآيات وبعدها ليكون سببا لهلاكه . فكأنه قيل : هل يخص ذلك بالأمم

(١) فى ظ : العريقون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : رءما (٥-٥) فى ظ : الذى ثبت .

الماضية؛ فقيل: بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿ نجزي القوم ﴾ أى الذين لهم قوة على محالة ما يريدونه ﴿ المجرمين ٥ ﴾ لأن السبب هو العراقة في الإجرام وهو قطع ما ينبغي وصله، فحيث ما وجد وجد جزاؤه؛ والإهلاك: الإيقاع فيما لا يتخلص منه من العذاب؛ والقرن: أهل العصر لمقارنته بعضهم لبعض .

ولما صرح بأن ذلك عام لكل مجرم، أتبعه قوله: ﴿ ثم جعلناكم ﴾ أى أيها المرسل إليهم<sup>٢</sup> أشرف رسلنا ﴿ خلّفت في الأرض ﴾ أى لا في خصوص ما كانوا فيه؛ ولما كان زماننا لم يستغرق ما بعد زمان المهلكين أدخل الجار فقال: ﴿ من بعدهم ﴾ أى القرون المهلكة إهلاك الاستئصال ١٠ ﴿ لتنظر ﴾ ونحن - بما لنا من العظمة - أعلم بكم من أنفسكم، وإنما ذلك لئلا في عالم الشهادة لإقامة الحجة ﴿ كيف تعملون ٥ ﴾ فيتعلق نظرنا بأعمالكم موجودة تخويفا للخاطئين من أن يجرموا فيصيهم ما أصاب من قبلهم .

ولما تقدم أن من قضى بشقاوته لا يتأتى إيمانه بآية من الآيات ١٥ حتى تنزل؛ [ به - ° ] سطوته و تذيقه بأسه ونقمته، وكان القرآن أعظم آية أنزلت<sup>٣</sup> إلى الناس لما لا يخفى. أتبع ذلك عطفًا على قوله " قال الكافرون ان هذا لسحريين " بقوله يانا لذلك: ﴿ واذا تتلى ﴾ بناه للفعول إيذانا بتكذيبهم عند تلاوة<sup>٤</sup> أى تال كان، وأبداء مضارعا

---

(١) من ظ، وفي الأصل: منهم (٢) في ظ: لمقاربة (٣) في ظ: البنا (٤) في ظ: ينزل (٥) زيد من ظ (٦) في ظ: نزلت (٧) في ظ: تلاوته .

إشارة إلى أنهم يقولون ذلك ولوتركرت التلاوة ﴿عليهم﴾ أى على هؤلاء الناس ﴿إياتنا﴾ أى على ما لها من العظمة 'باسنادها إلينا' ﴿يثبت﴾ فانه مع ما اشتمل عليه مما لزمهم به الإقرار بحقيقته قالوا فيه ما لا معنى له إلا التلاعب والعناد ، ويجوز عطفه على "ثم جعلكم خلفاً" - الآية . والاتفات إلى مقام الغيبة للايدان بأنهم أهل للاعراض ه لإساءتهم الخلافة ، والموصول بصلته فى قوله : ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ فى موضع الضمير تنديها على أن هذا الوصف علة قولهم ، ولعله عبر بالرجاء ترغيباً لهم لأن الرجاء محط أمرهم فى طلب / تعجيله للخير ودفعه للضرر ، فكان من حقهم أن يرجوا لقاءه تعالى رغبة فى مثل ما أعدّه لمن أجابه ، ولوح إلى الخوف بنون العظمة ليكون ذلك أدعى لهم ١٠ إلى الإقبال ﴿أنت﴾ أى من عندك ﴿بقرآن﴾ أى كلام مجموع جامع لما تريد ﴿غير هذا﴾ فى نظمه ومعناه ﴿أو بدله﴾ أى بألفاظ أخرى والمعانى باقية وقد كانوا عالمين بانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا أنه يأخذ فى التغير حرصاً على إجابة مظلومهم فيطّل مدعاه أو يهلك .

١٥

[ولما - ٢] كان كأنه قيل : فما ذا أقول لهم ؟ قال : ﴿قل ما يكون﴾ أى يصح ويتصور بوجه من الوجوه ﴿لّى﴾ ولما كان التبديل بعم القسمين الماضيين قال : ﴿ان ابدله﴾ و قال : ﴿من تلقأئى﴾ أى عند وقيل

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : باستنادنا إليها (٢) فى ظ : أعدوه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : فقال (ه) سقط من ظ .

(نفسى ع) إشارة إلى الرد عليهم في إنكار تبديل الذى أنزله بالنسخ بحسب المصالح كما أنزل أصله لمصلحة العباد مع نسخ الشرائع الماضية به<sup>١</sup>، فأتى ذلك قطعاً قوله : ﴿ ان اتبع ﴾ أى بغاية جهدى ﴿ الا ما ﴾ ولما كان قد علم أن الموحى إليه الله قال ﴿ يوحى<sup>٢</sup> الى ع ﴾ [ أى -<sup>٣</sup> ] هـ سواء كان بدلاً أو أصلاً؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكداً لإنكارهم مضمونه : ﴿ انى اخاف ﴾ أى على سبيل التجدد والاستمرار ﴿ ان عصيت ربى ﴾ أى المحسن إلى والموجد لى والمرنى والمدير بفعل غير ما شرع لى ﴿ عذاب يوم عظيم ه ﴾ فأن مؤمن به غير مكذب ولا شاك كغيرى من<sup>٤</sup> يتكلم من الهذيان بما لا يخاف عاقبته فى ذلك اليوم ، وإذا خفقه ١٠ - مع استحضار صفة الإحسان - هذا الخوف فكيف يكون خوفاً مع استحضار صفة الجلال . ولما تم<sup>٥</sup> ما دفع به مسكرهم فى طعنهم ، اتبعه بعذره<sup>٦</sup> صلى الله عليه وسلم فى الإبلاغ على وجه يدل قطعاً على أنه كلام الله وما تلاه إلا بأذنه فبجئت طعنهم من أصله ويزيله بخلافه فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم معلماً أنه سبحانه إما أن يشاء الفعل وإما أن يشاء عدمه وليست ثم حالة سكوت أصلاً ﴿ لو شاء الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها أن لا أتلوه عليكم ﴿ ما تلوته ﴾ أى تابعت قراءته<sup>٧</sup> انا ﴿ عليكم ولا ادرنكم ﴾ أى أعلمكم على وجه المعالجة هو سبحانه ﴿ به رطب ﴾ على لسانى<sup>٨</sup> ولما ذكر ذلك أتبعه السبب المعروف به فقال : ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٢) فى ظ : لو شاء لغيرى مما (٤) زيد بعده فى ظ : مع (٥) فى ظ : تعذره (٦) فى ظ : قراءة (٧) فى ظ : ما .

ولما كان عمره لم يستغرق زمان <sup>١</sup> القبل قال: ﴿ من قبله ﴾ مقدار أربعين سنة بغير واحد من الأمرين لكون الله لم يشأ واحدا منها إذ ذاك، ثم أتيتكم بهذا الكتاب الأحكم المشتمل على حقائق علم الأصول ودقائق علم الفروع ولطائف علم الأخلاق وأسرار قصص الأولين في عبارة قد عجزتم - وأنتم أفصح الناس وأبلغهم - عن معارضة آية منها، ه فوق ذلك العلم القطعى الظاهر جدا أنه من عند الله فلذلك سبب عنه إنكار العقل فقال: ﴿ افلا تعقلون ه ﴾ إشارة إلى أنه يكفى - في معرفة أن القرآن من عند الله وأن غيره عاجز عنه - كون الناظر في أمره وأمرى من أهل العقل، أى أفلا<sup>٢</sup> يكون لكم عقل فتعرفوا به حقيقة القرآن بما أرشدكم إليه في هذه الآية من هذا البرهان الظاهر ١٠ والسلطان القاهر القائم على أنه ما يصح لى بوجه أن أبدله من قبل نفسى لأنى مثلكم [و-<sup>٣</sup>] قد عرفتم أنكم عاجزون عن ذلك مع التظاهر، فأنا وحدى - مع كونى أميا - أعجز، و<sup>٤</sup> من أنه تعالى لو شاء ما بلغكم، ومن أنى مكثت فيكم قبل إتيانى به زمانا طويلا لا أتلو عليكم شيئا ولا أدعى فيكم علما ولا أتردد إلى عالم؛ و تعرفوا أن ١٥ قائل ما قلتم مكذب بآيات الله، و فاعل ما طلبتم كاذب على الله، وكل من ذلك أظلم الظلم ﴿ فن ﴾ أى فهو سبب لأن يقال: من ﴿ اظلم من افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ كذبا ﴾ أى أى كذب كان، وكان الأصل: منى، على تقدير أن لا يكون هذا القرآن

(١) من ظ، وفى الأصل: انبشكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى: زمانا.

من عند الله ' كما زعمتم'، ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ﴿او كذب بآياته﴾ كما فعلتم أتم، وذلك من أعظم الكذب. ولما كان التقدير: لا أحد أظلم منه فهو لا يفلح لأنه مجرم، علله بقوله مؤكدا لاجل إنكارهم: ﴿انه لا يفلح﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿المجرمون ه﴾ فقد وضع / أن المقصود نفي الكذب عن نفسه صلى الله عليه وسلم وإلحاق الوعيد حيث كذبوا بالآيات بعد ثبوت أنها من عند الله والإعلام بأنه لا أحد أظلم منهم لأنهم كذبوا على الله فى كل ما ينسبونه إليه مما نهى عنه وكذبوا بآياته، والإتيان بالغير قد يكون مع وجود الأول والتبديل لا يكون إلا برفع الأول ووضع غيره مكانه؛ والتلقاء:

/ ٥٧٢

١٠ جهة مقابلة الشيء، 'اتبه' بتجنيته بعده؛ والمشية خاصة تكون سببا مؤديا إلى وقوع الشيء ومرتبيا له على وجه قد يمكن أن يقع على خلافه. والإرادة نظيرها؛ والعقل: العلم الغريزي الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب، ويجوز أن يكون ﴿ويعبدون﴾ حالا من "الذين لا يرجون لقاءنا" أى قالوا "ذلك عابدين ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال الذى ثبت عندهم أن هذا القرآن كلامه لم يجزم عن معارضة شيء منه وهو ينهائم عن عبادة غيره وهم يعلمون قدرته على الضر والنفع.

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: يلبسونه.  
(٤) من ظ، وفى الأصل: التقاء (ه) من ظ، وفى الأصل: الغزير - كذا.  
(٦) فى ظ: قال.

ولما كان السياق للتهديد و التخويف ، قدم الضر لذلك و نتيها  
لهم على أنهم مغمورون فى نعمه التى لا قدرة لغيره على منع شىء منها .  
فعليتهم أن يقيدوها بالشكر فقال : ﴿ ما لا يضرهم ﴾ أى أصلا من الأصنام  
و غيرها ﴿ ولا ينفعهم ﴾ فى معارضة القرآن بتبديل أو غيره و لا فى شىء  
من الأشياء . و من حق المعبود أن يكون ماثيا على الطاعة معاقبا على  
المعصية و إلا كانت عبادته عبثا . معرضين عما جاءهم من الآيات البينات  
من عند<sup>١</sup> [من -<sup>٢</sup>] يعلمون أنه يضرهم و ينفعهم و لا يملك شيئا من ذلك أحد  
سواه ، و قد أقام الأدلة على ذلك غير مرة . و فى هذا غاية التبكيت لهم<sup>٣</sup>  
بمناذرة العقل مع ادعائهم رسوخ الأقدام فيه و تمكن المجال منه ؛ و العبادة :  
خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع ؛ ثم عجب منهم تعجيبا آخر ١٠  
فقال : ﴿ و يقولون ﴾ أى لم يكفهم قول ذلك مرة من الدهر حتى يحددوا  
قوله مستمرين عليه : ﴿ هؤلاء ﴾ أى الأصنام أو غيرهم ﴿ شفعاؤنا ﴾ أى  
ثابتة شفاعتهم لنا ﴿ عند الله<sup>٤</sup> ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يمكن الدنو  
من شىء من حضراته إلا بأذنه ، و قد مضى إبطال ما تضمنته هذه المقالة  
فى قوله تعالى ” ما من شفيع الا من بعد اذنه “ و فيه تحجيلهم فى العجز ١٥  
عن تبديل القرآن أو الإتيان بشىء من مثله حيث لم تنفعهم فى<sup>٥</sup> ذلك  
فصاحتهم و لا أغنت عنهم شيئا بلاغتهم ، و أغوزهم فى شأنه فصحاءهم ،  
و ضل عنهم شفعاؤهم ، فدل ذلك قطعا على أنه ما من شفيع إلا<sup>٦</sup> بأذنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنده (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :  
عليهم (٤) سقط من ظ (هـ - هـ) فى ظ : لشيء (٦) فى ظ : من (٧) زيد بعده فى

'من بعد'، فكأنه قال: بما ذا أجيبهم؟<sup>٢</sup> فقال: ﴿قل﴾ منكرا عليهم هذا العلم ﴿انتبهون﴾ أى تخبرون إخبارا عظيما ﴿الله﴾ وهو العالم بكل شيء المحيط بكل كمال ﴿بما لا يعلم﴾ أى لا يوجد له به علم فى وقت من الأوقات ﴿فى السموات﴾ ولما كان الحال مقتضيا للغاية الإيضاح، كرر التانى ٥. تصریحا فقال: ﴿ولا فى الارض﴾ وفى ذلك من الاستخفاف بعقولهم بما<sup>٣</sup> لا يقدرّون على الطعن فيه بوجه ما يخجل الجاد، فان ما لا يكون معلوما لله<sup>٤</sup> لا يكون له وجود أصلا، فلا نقي أبلغ من هذا كما أنك إذا بالغت فى نقي شيء عن نفسك تقول: هذا شيء ما علمه الله منى .

ولا بين تعالى هنا ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الآراء<sup>٥</sup>، ١٠. ختم ذلك بتزيه<sup>٦</sup> نفسه بقوله: ﴿سبحنه﴾ أى تنزهه عن كل شائبة نقص تنزهها لا يحاط به ﴿وتعالى﴾ أى وفعل بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال فعل المبالغ فى التنزه<sup>٧</sup> ﴿عما يشركون ٥﴾ أى يوجدون الإشراك به .

ولما بين شرارتهم بعبادة غير الله وختم بتزيهه و كاله ، بين أن ١٥ هذا الدين الباطل حادث ، وبين نزاهته و كاله ببيان أن الناس كانوا أو لا مجتمعين على طاعته ثم خالفوا أمره فلم يقطع إحسانه إليهم بل استمر

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) فى ظ : اجبیم (٣) فى ظ : ما (٤-٤) تكرر بعده فى الأصل : لا يكون معلوما لله ، ولم يكن التكرار فى ظ لحذفناه (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ لحذفناها (٦) فى ظ : بتبوية (٧) من ظ ، وفى الأصل : النقرة .



٥٧٣/

فى إمهالهم مع تماديهم فى سوء أعمالهم على ما سبق فى علمه و مضى به  
 قضاءه فقال تعالى: / ﴿ وما كان الناس ﴾ أى كلهم مع ما لهم من  
 الاضطراب ﴿ الآ امة ﴾ ولما أفهم ذلك وحدتهم فى القصد حققه  
 و أكدّه فقال: ﴿ واحدة ﴾ [أى - ١] حنفاء متفقين على طاعة الله  
 ﴿ فاختلفوا ﴾ فى ذلك على عهد نوح عليه السلام - كما روى عن ه  
 ابن عباس رضى الله عنهما - عقب وحدتهم بسبب ما لهم من أنوس فاستحق  
 كافرهم تنجيز العقاب ﴿ ولولا كلمة ﴾ أى عظيمة ﴿ سبقت ﴾ أى فى  
 الأزل ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك برحمة أمك بامهالهم ، وبين  
 التأكيد بما دل على القسم لاجل إنكارهم أن يكون تأخيرهم لاجل  
 ذلك فقال: ﴿ لفضى بينهم ﴾ أى عاجلا بأيسر أمر ﴿ فيها ﴾ [ ولما ١٠  
 لم ين الكلام على اتخاذ الذى محط أمره معالجة بالباطن ، لم يذكر  
 الضمير بخلاف الزمر فقال - ١ ]: ﴿ فيه ﴾ أى لا فى غيره بأن يعجل  
 جزاءهم عليه: ﴿ يختلفون ﴾ وأشار ذلك إلى أن هذا الأمر الذى  
 دعوا إليه ليس أمرا طارئا حادثا فيكون بحيث يتوقف فيه للنظر فى  
 عواقبه و التأمل فى مصادره و موارده ، بل هو - مع ظهور دلائله و امتقاة ١٥  
 مناهجه و صحة مذاهبه و إلقاء الفطر أزمة الاقياد إليه - أصل ما كان العباد  
 عليه ، و ما هم فيه الآن هو الطارئ الحادث مع ظهور فساده و وضوح  
 سقمه ، و هو ناظر إلى قوله تعالى ” اكان للناس عجا ” لأن قوله ” قال  
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: لما (٣) تأخر فى الأصل عن ” برحمة  
 أمك ” و الترتيب من ظ (٤-٥) فى ظ : باللام (٥) سقط من ظ .

الكفرون ان هذا لـسحر مبين“ دال على أنهم قسمان : كافر و مؤمن ؛  
والامة : الجماعة على معنى واحد فى خلق واحد كأنها قوم - أى تقصد -  
شيئا واحدا ؛ ثم قال تعالى عطفًا [ على - ٢ ] قوله ” و يعبدون “ :  
( و يقولون ) أى أنهم لما اتهم البينات قالوا : ائت بقرآن غير هذا ،  
٥ كافرين بتزلها عابدين من دونه ما لا يرضى عاقل بتسويته [ بنفسه - ٢ ]  
فكيف بعبادته [ قائلين بفرط عنادهم و تماديهم فى التمرد - ٢ ] : ( لو لا )  
أى هلا ولم لا ( ازل ) ( أى بأى وجه كان - ٢ ) ( عليه آية )  
أى واحدة كائنه و آية ( من ربه ج ) أى المحسن إليه غير ما جاء به  
و ذلك إما لطلبهم آية ملجئة لهم إلى الإيمان أو لكونهم لم يعدوا ما أنزل  
١٠ عليه عدد الآيات فضلا عن كونها بينات ، وكفى بالقرآن وحده آية  
باقية على وجه الدهر بديعة فى الآيات دقيقة المسلك بين المعجزات مع  
عجزهم عن معارضته بتبديل أو غيره ، فأى عناد أعظم من هذا .  
ولما كان فى ذلك شوب من الاستفهام ، قال [ مسيحا عن قولهم - ٢ ] :  
( فقل ) قاصرا قصرا حقيقيا ( إنما نغيث ) أى الذى ننأه عيسى  
١٥ عليه السلام بقوله ” ولا اعلم ما فى نفسك “ وهو ما لم يطلع عليه  
مخلوق أصلا ( الله ) أى الذى له الإحاطة الكاملة وحده ، لا علم لى  
بعله عدم إزال ما تريدون ، وهل تجاؤون إليه أو لا .

(١) فى : ظ : واحد (٢) زيد من ظ (٣-٤) من ظ و اقرآن الكريم ، وفى الأصل :  
انزلت (٤) فى ظ : او (٥) - قط من ظ (٦) - سورة آية ١١٦ (٧) فى ظ : ام .  
ولما

و لما خصه سبحانه بعلم . وكان إزال الآيات من الممكنات .  
 سبب عنه قوله : ﴿ فانتظروا ﴾ ثم أجاب من كأنه يقول له<sup>١</sup> : فا تعمل  
 أنت ؟ بقوله : ﴿ إني معكم ﴾ أى فى هذا الامر غير مخالف لكم فى  
 التشوف إلى آية تحصل بها هدايتكم ، ثم حقق المعنى وأكده فقال<sup>٢</sup> :  
 ﴿ من المنتظرين ﴾ أى لما يرد على من آية وغيرها .

و لما كان طلبهم لذلك محركا لنفوس الخيرين إلى ترجى إجابة سؤالهم ،  
 أتبعه سبحانه بما يبين أن ذلك غير نافع لهم لأنه محض تعنت . فقال  
 تعالى عاطفا على قوله ” قال الكفرون [ ان - ] هذا لسحر مبين “  
 أى على قوله ” و اذا مس الانسان الضر “ مبينا أن رحمته \* محقة الوجود  
 كثيرة الورد إليهم [ مبينا أن لهم آية عظمى من أنفسهم لا يحتاجون ١٠  
 معها إلى التعنت بطلب آية وهى دالة على نتيجة مقصود السورة الذى  
 هو الوحداية و أن يشركهم إنما هو بما لهم من نقص الغرائز الموجب  
 لكفران الإحسان ، و ذلك أنهم عامة إذا أكرموا بنعمة قابلوها بكفر جعلوا  
 ظرفه على مقدار ظرف تلك النعمة بما أشار إليه التعبير بـ ’ اذا ’ ثم إذا  
 مسهم الضر ألجأهم إلى الحق فأخلصوا ، لم يختلف حالهم فى هذا قط ، ١٥  
 . هذا الإجماع من الجانبين دليل واضح على كلا الأمرين : الكفر ظلما  
 بما جر إليه من البطر . و لتوحيد حقا بما دعا إليه من الفطرة القويمة  
 الكائنة فى أحسن تقويم بما زال عنها حاق الضرر من الحطوظ و الشهوات  
 و القصور ، و هذا كما وقع فى سورة الروم الموافقة لهذه فى الدلالة على  
 (١) فى ظ : المسكنات (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بقوله (٤) زيد من ظ  
 و القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٢ (٥) فى ظ : رحمة الله .

الوحدانية فلذا عبر في كل منهما بالناس ليكون إجماعهم دليلا كافيا عليها  
وسلطانا جليلا مضطرا إليها - والله الهادي - [ ١ ] : ﴿ واذا اذنا ﴾  
أى على ما لنا من العظمة ﴿ الناس ﴾ أى الذين لهم وصف الاضطراب  
﴿ رحمة ﴾ أى نعمة رحمتهم بها من غير استحقاق .

٥ ولما كان وجود النعمة لا يستغرق الزمان الذى يتعقب النعمة ٢ ،  
أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد ضراء ﴾ أى قحط وغيره ﴿ مستهم ﴾  
فاجأوا المكر وهو معنى ﴿ اذا لهم مكر ﴾ أى عظيم بالمعاصى التى يفعلون  
فى الاستخفاء بأغلبها فعل الماكر ﴿ فى آياتنا ﴾ إشارة إلى أنهم لا ينفكون  
عن آياته العظام ، فلو كانوا متفعين بالآيات اهتدوا بها . فاذا أتتهم رحمة  
١٠ من بعد نعمة لم يعدوها آية دالة على من أرسلها لهم لحرقها لما كانوا فيه  
من عادة النعمة مع أنهم يعترفون بأنه لا يقدر على إرسالها و صرف  
الشدة إلا هو سبحانه . بل يعملون فيها عمل الماكرين بأن يصرفوها عن  
ذلك بأنواع الصوارف كأن ينسبها إلى الأسباب / كنسبة المطر  
للأنواء ونحو ذلك غير خائفين من إعادة مثل تلك الضراء أو ما هو  
د أشد منها .

/ ٥٧٤

ولما كانت هذه الجملة دالة على إسراعهم بالمكر من ثلاثة أوجه :  
التعبير بالذوق الذى هو أول المخالطة ولفظ 'من' التى هى للابتداء  
'إذا' الفجائية ، كان كأنه قيل : أمرعوا جهدهم فى المكر ، فقيل :  
﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شئ ﴿ اسرع مكر ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : بإفعالها (٤) فى ظ : بلفظ .  
(٥) سقط من ظ .

ومعنى الوصف: بالأسرعية<sup>١</sup> أنه قضى بعقابهم قبل تديبرهم<sup>٢</sup> مكايدهم - [نبه  
 عليه أبو حيان<sup>٣</sup> / ولما كان المكر إخفاء الكيد، بين لهم سبحانه -<sup>٤</sup> ]  
 "أنهم غير قادرين على مطلق المكر فى جهته عز شأنه" وتعالى كبرياه  
 وسلطانه، لأنه عالم بالسر وأخفى، بل لا يمكرون مكرًا إلا ورسله  
 سبحانه مطلعون عليه فكيف به سبحانه! فقال تعالى مؤكداً لأجل ٥  
 إنكارهم: ﴿ انزل رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم إلينا  
 ﴿ يكتبون ﴾ أى كتابة متجددة على سبيل الاستمرار باستمرار المكتوب  
 ﴿ ماتمكرون ﴾ لأنهم قد وكلوا بكم قبل كونكم نطقاً ولم يوكلوا بكم  
 إلا بعد علم موكلهم بكل ما يفعلونه<sup>٦</sup> ولا يكتبون مكرهم إلا بعد اطلاعهم  
 عليه، وأما هو سبحانه فاذا قضى قضاء لا يمكن أن يطلع عليه رسله ١٠  
 إلا باطلاعه فكيف بغيرهم! وإذا تبين أنه عالم بأمورهم وهم جاهلون  
 بأموره، علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا إلا وقد سبب له ما يجعله<sup>٧</sup> فى  
 نحورهم؛ والمكر: فعل الشيء إلى غير وجهه على طريق الحيلة فيه؛  
 والسرعة: الشيء فى وقته الذى هو أحق به، وقد تضمنت<sup>٨</sup> الآية البيان  
 عما يوجب حال الجاهل من<sup>٩</sup> تضيق حق النعمة والمكر فيها وإن جلت ١٥  
 منزلتها وأنت على فاقة إليها وشدة حاجة إلى نزولها مع الوعيد<sup>١٠</sup> بعائد

---

(١) من ظ، وفى الأصل: الاسراعية (٢) من ظ، وفى الأصل: تديبرهم -  
 كذا (٣) راجع البحر المحيط ١٣٦/٥ (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) تأخر ما بين  
 الرقيين فى الأصل عن " فكيف به سبحانه " والترتيب من ظ (٦) فى ظ:  
 تفعلونه (٧) من ظ، وفى الأصل: يحمله (٨) فى ظ: ضمنت (٩) سقط من ظ.  
 (١٠) فى ظ: وعيد.

الربال على الماكر فيها؛ ثم أخذ سبحانه يبين ما يتضح<sup>(١)</sup> به أسرع مكره  
 في مثال دال على ما في الآية قبلها من نقله سبحانه لعباده<sup>(٢)</sup> من الضر  
 إلى النعمة ومن سرعة قلبهم فقال: ﴿هو﴾ أى لا غيره ﴿الذى يسيركم﴾  
 [أى - ٣] في كل وقت تسيرون فيه سيرا عظيما لا تقدرون على الانفكاك  
 عنه ﴿في البر والبحر﴾ أى بسبب لكم أسبابا توجب سيركم فيها وبقدركم  
 على ذلك ويهديكم من بين سائر الحيوانات إلى ما فيه من أصناف المنافع  
 مع قدرته على إصابتكم في البر بالحسف وما دونه وفي البحر بالغرق  
 وما أشبهه .

ولما كان العطب بأحوال البحر أظهر مع أن السير فيه من أكبر  
 ١٠ الآيات وأوضح البينات، بينه معرضا عن ذكر البر فقال: ﴿حتى إذا كنتم﴾  
 أى كونا لا براح لكم منه ﴿في الفلك ج﴾ أى السفن، يكون واحدا وجمعا؛  
 وأعرض عنهم بعد الإقبال لما سيأتى فقال: ﴿وجرين﴾ أى الفلك؛  
 ﴿بهم﴾ ولما ذكر جريها وهم فيها، ذكر سببه فقال: ﴿بريح طيبة﴾  
 ثم أوضح لهم عدم علمهم بالعواقب بقوله: ﴿وفرحوا بها﴾ أى بتلك  
 ١٥ الريح وبالفلك الجارية بها ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ فازعجت سفنهم  
 وساءتهم ﴿وجاءهم الموج﴾ أى المعروف لكل أحد بالرؤية أو الوصف  
 ﴿من كل مكان﴾ أى يعتاد الإتيان منه فأرجف قلوبهم ﴿وظنوا أنهم﴾  
 ولما كان الخوف الملاك، لا كونه من معين، بنى للفعول ما هو كناية  
 عنه لأن العدو إذا أحاط بعدوه أيقن بالهلاك فقال: ﴿احيط بهم لا﴾ .

(١) في ظ: اتضح (٢) في ظ: العبادة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفي  
 الأصل: السفن (٥) في ظ: اوضحوا .

ولما كان ما تقدم من حالهم الغريبة<sup>١</sup> التى تجب لها القلوب وتضعف عندها<sup>٢</sup> القوى - مقتضيا لأن يسأل عما يكون منهم عند ذلك ، أتى المقال على مقتضى هذا السؤال مخبرا عن تركهم العناد وإخلاصهم الدال على جزعهم عند سطواته وانحلال عزائمهم فى مشاهدة ضرباته ، وعبارة الرمانى : اتصال دعوى اتصال الأجوته ، كأنه قيل : لما ظنوا أنهم أحيط بهم (دعوا الله) أى الذى له صفات الكمال بالرغبة إليه فى الخلاص والعبادة له بالإخلاص (مخلصين) أى عن كل شرك<sup>٣</sup> (له الدين) أى التوحيد والتصديق<sup>٤</sup> بالظاهر والباطن ، وقد تضمنت الآية البيان عما يوجه<sup>٥</sup> بديهة العقل من الفرع عند الشدة إلى واهب السلامة ومسبغ<sup>٦</sup> النعمة / فى كشف تلك البلية ؛ ثم أتبع سبحانه ذلك حكاية حالهم<sup>٧</sup> ١٠ / ٥٦٩ / فى وعدم الشكر على النجاة ثم كذبهم فى ذلك مع ادعائهم أنهم أظهر الناس ذيو لا عن الكذب وأشدهم استقباحا له وأبعد الناس من كفران الإحسان ، فقال تعالى حاكيا قولهم الذى دلوا بتأكيدهم له أنهم قالوه بغاية الرغبة نافرين ما يظن بهم<sup>٨</sup> من الرجوع إلى ما كانوا فيه قبل تلك الحال من الكفر : (لئن أنجيتنا) أى أيها الملك الذى لا سلطان لغيره ١٥ (من هذه) أى الفادحة (لنكونن) أى كونا لا تنفك عنه (من الشكرين) أى المديمين لشكرك العريقين فى الاتصاف به .

(١) فى ظ : القرية (٢) فى ظ : عنها (٣) فى ظ : شك (٤-٤) فى ظ : التوجه  
و القصد (٥) فى ظ : توجه (٦) فى ظ : منبع (٧) من ظ ، وفى الأصل : لهم .  
(٨) فى ظ : به .

ولما أعلم سبحانه أنهم أكدوا هذا الوعد هذا التأكيد ، أتبعه  
 بيان أنهم أسرعوا في نقضه غاية الإسراع فقال : ﴿ فلما انجهم ﴾ ولما  
 أبانت الفاء عن الإسراع في النقص ، أكد مناجاتهم لذلك بقوله :  
 ﴿ اذا هم يغفون ﴾ [ أى - ٢ ] يتجاوزون الحدود ﴿ في الارض ﴾ أى  
 ٥ جنسها ﴿ بغير الحق ﴾ أى الكامل ، فلا يزال الباغي مذموماً حتى يكون  
 على الحق الكامل الذى لا باطل فيه بوجه ، وجاء الخطاب أولاً فى  
 " يسيركم " ليعلم المؤمنين لأن التيسير يصلح للامتنان ، ثم التفت إلى  
 الغيبة عند صدور ما لا يليق بهم - نبه على ذلك أبو حيان ، وأحسن  
 منه أن يقال : إنه سبحانه أقبل عليهم تنبيهاً على أنه جعلهم - بما هيأ فيهم  
 ١٠ من القوى - أهلاً لخطابه ثم أعرض عنهم إشارة إلى أنهم استحقوا  
 الإعراض لإعراضهم اغتراراً بما أناحهم من الریح الطيبة فى محل يجب  
 فيه الإقبال عليه والغنى عن كل ما سواه لعظم الخطر وشدة الأمر ،  
 وكأنه يذكر لغيرهم من حالهم ما يعجبه منه لينكر عليهم ويقبح حالهم ؛  
 والتيسير : التحريك فى جهة تمتد كالسير ؛ والبر : الأرض الواسعة التى  
 ١٥ تقطع من بلد ، ومنه البر لاتساع الخير به ؛ والبحر : مستقر الماء الواسع  
 حتى لا يرى من وسطه حافته ؛ والفلك : السفن التى تدور فى الماء ،  
 وأصله الدور ، فنه فلكة المغزل ، والفلك " الذى يدور " فيه النجوم ؛  
 والنجاة : التخليص من الهلاك ؛ والبغى : قصد الاستعلاء بالظلم ، وأصله  
 الطلب ؛ والحق : وضع الشيء فى موضعه على ما يدعو إليه العقل ؛  
 (١) فى ظ : نجاهم (٢) زيد من ظ (٣) فى إظ : السير (٤) راجع البحر المحيط  
 ١٣٨/٥ و ١٣٩ (٥-٥) فى ظ : التى تدور (٦) فى ظ : التخلص .



ثم بين أن ما هم فيه من الإمهال إنما هو متاع الدنيا و أنها دار زوال  
 فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أى الذى غلب عليهم وصف الاضطراب  
 ﴿ إِنَّمَا بَغِيكُم ﴾ أى كل بغى يكون منكم ﴿ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ لعود الوبال  
 عليها خاصة وهو على تقدير انتفاعكم به عرض زائل ﴿ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾  
 ثم ببق عاره و خزيه بعد الموت ﴿ ثُمَّ الْيَوْمَ ﴾ أى خاصة ﴿ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ٥  
 بعد البعث ﴿ فَنُنَبِّئُكُمْ ﴾ على ما لنا من العظمة إنباء عظيمة ﴿ بِمَا كُنْتُمْ ﴾  
 أى كونا هو كالجبله ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ و نجازيكم عليه .

ولما كان السياق لإثبات البعث و تخويفهم به و كانوا ينكرونه  
 و يعتقدون بقاء الدنيا و أنها إنما هى أرحام تدفع و أرض تبلى دائما  
 بلا انقضاء [ فهى دار يرضى بها فيطمأن إليها - ١ ] ، و للتفسير من البغى ١٠  
 و التعرز بغير الحق ، و كانت الأمثال أجلى لمحال الاشكال ، قال تعالى  
 مثلا لمتاعها قاصرا أمرها على الفناء ردا عليهم فى اعتقاد دوامها من  
 غير بعث: ﴿ إِنَّمَا ﴾ [ فهو قصر قلب - ٢ ] ﴿ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ التى  
 تنافسون ٢ فيها فى سرعة انقضائها و انقراض نعيمها بعد عظيم إقباله  
 ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [ أى - ٢ ] بما لنا من العظمة ، [ وحق أمره و بينه ١٥  
 بقوله - ٢ ]: ﴿ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ فشبهه بأمر النبات و أنه عما قليل يبلغ  
 منتهاه فتصبح الأرض منه بلاقع بعد ذلك الاخضرار و النوى ، و فى  
 ذلك إشارة إلى البعث و إلى أنه تعالى قادر على ضربه قبل نهايته أو بعدها  
 (١) فى ظ : يجازيكم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : يتنافسون (٤) فى ظ : بعد .

نظم الدرر ( سورة يونس ١٠ : ٢٤ و ٢٥ ) ج - ٩

بعض الآفات كما يوجد في بعض السنين، فيفقدون منه ويفتقرون إليه، وفي ذلك تحذير عظيم ﴿فاختلط﴾ أي بسبب إزالنا له ﴿به﴾ أي بسبب تليينه واطافته ﴿نبات الارض﴾ عموما في بطنها ﴿بما ياكل الناس﴾ أي كافة ﴿والانعام﴾ من الحبوب و الثمار و البقول فظهر على وجهها ﴿حتى﴾ ولم يزل كذلك ينمو ويزيد في الحسن و الجرم؛ ولما كان الخصب هو الأصل، عبر عنه بأداة التحقيق فقال: / ﴿اذآ﴾ ولما كانت بهجة النبات تابعة للخصب<sup>٢</sup>، فكان الماء كأنه يعطيها إياها فتأخذه، قال: ﴿اخذت الارض﴾ [أي - ٢] التي لها أهلية النبات ﴿زخرفها وازينت﴾ بأنواع ذلك النبات زينة منها الجلى ومنها الخفى - بما يفهمه الإدغام ١٠ ﴿وظن اهلها﴾ أي ظنا مؤكدا جدا بما أفاده العدول عن 'قدرتهم' إلى ﴿انهم قدرون﴾ أي ثابتة قدرتهم ﴿عليها﴾ باجتناء الثمرة من ذلك النبات و غاب عنهم لجهلهم علم العاقبة، فلما كان ذلك ﴿انها امرنا﴾ [أي - ٢] الذي لا يرد من البرد أو الحر المفرطين ﴿ليلا او نهارا فجعلناها﴾ أي زرعها وزيبتها بعظمتنا بسبب ذلك الأمر و تعقيبه<sup>٥</sup> بالإهلاك ١٥ ﴿حصيدا﴾ و عبر بما أفهمه فعيل من المبالغة و الثبات بقوله: ﴿كأن﴾ أي كأنها ﴿لم تغن﴾ أي لم تكن غاية أي ساكنة<sup>٦</sup> حسنة غنية ذات و فر مطلوبة مرغوبا فيها أي زرعها وزيبتها ﴿بالامس﴾ فكان (١) في ظ: التحقيق (٢) في ظ: للخشب (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ: يعقبه (٦) من ظ، وفي الأصل: عما (٧) سقط من ظ. (٨) في ظ: ما كته.

حال الدنيا فى سرعة انقضائها<sup>١</sup> و انقراض نعميها بعد عظيم إقباله كحال نبات الأرض فى جفافه و ذهابه حطاما بعد ما التفت و زين الأرض بخضرته و ألوانه و بهجته .

و لما كان هذا المثل فى غاية المطابقة للساعة، هز السامع له فازداد عجبه من حسن تفصيله بعد تأصيله فقبل جوابا له : ( كذلك ) أى هـ مثل هذا التفصيل الباهر ( تفصيل ) أى تفصيلا عظيما ( الأيت لقوم ) أى فاس أقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون ( بتفكرون هـ ) أى يحدون الفكر على وجه الاستمرار و المبالغة ؛ و المثل : قول سائر يشبه فيه<sup>٢</sup> حال الثانى بالأول ؛ و الاختلاط : تداخل الأشياء بعضها فى بعض ؛ و الزخرف : حسن الألوان .

١٠

و لما قرر سبحانه هذه الآيات التى حذر فيها من أنواع الآفات ، و بين أن الدار التى [ رضوا بها و اطمأنوا إليها دار المصائب و معدن الهلكات و المعاطب و أنها ظل زائل تحذيرا منها و تنفيرا عنها ، بين تعالى أن الدار التى - ٣ ] دعا إليها سالمة من كل نصب ورم و وصب ، ثابتة بلا زوال ، فقال تعالى عاطفا على قوله ” ان ربكم الله الذى خلق السموات ١٥ و الارض ” ترغيبا فى الآخرة و حثا عليها : ( و الله ) أى الذى له الجلال و الإكرام ( يدعو آ ) أى يعلق دعاءه على سبيل التجدد و الاستمرار بالمدةوين ( الى دار السلم<sup>٣</sup> ) عن قتادة أنه سبحانه أضافها إلى اسمه تعظيما لها و ترغيبا فيها ، يعنى بأنها لا عطب فيها أصلا ، و السلامة فيها دائمة ،

(١) فى ظ : انقلابها (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

و السلام فيها فاش من بعضهم على بعض و من الملائكة وغيرهم ؛ والدعاء :  
 طلب الفعل بما يقع لأجله ، و الدواعى إلى الفعل خلاف الصوارف عنه .  
 ولما أعلم - بالدعوة بالهداية بالبيان وأفهم ختم الآية بقوله :  
 ﴿ ويهdy من يشاء ﴾ أى بما يخلق فى قلبه من الهداية  
 ٥ ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾ أن ' من الناس من يهديه ومنهم من يضله .  
 وأن الكل فاعلون لما يشاء - كان موضع أن يقال : هل هم واحد فى  
 جزائه كما هم واحد فى الانقياد لمراذه ؟ فقل : لا ، بل هم فريقان :  
 ﴿ للذين احسنوا ﴾ أى الأعمال فى الدنيا منهم وهم من هداه ﴿ الحسنى ﴾  
 أى الخصلة التى هى فى غاية الحسن من الجزاء ﴿ وزيادة ﴾ [ أى عظيمة - ٢ ]  
 ١٠ من فضل الله فالناس : مريد خرجت هدايته من الجهاد " والذين  
 جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ٢ " ، و مراد خرجت هدايته من المشيئة ،  
 فالدعوة إلى الجنة بالبيان عامة ، و الهداية إلى الصراط خاصة لأنها الطريق  
 إلى المنعم .

ولما كان النعيم لا يتم إلا بالدوام بالأمن ' من المضار قال :  
 ١٥ ﴿ ولا يرهق ﴾ أى يغشى ويلحق ﴿ وجوههم قتر ﴾ أى غبرة كغبرة  
 الموت وكربة\* ، وهو تغير ' فى الوجه معه ' سواد وعبوسة تركبهما غلبة  
 ﴿ ولا ذلة ' ﴾ أى كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان .  
 ولما كان هذا واضحاً فى أنهم أهل السعادة ، وصل به قوله :

(١) من ظ ، وفى الأصل : اى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٢٩ آية ٦٩ (٤) فى ظ :  
 والامن (٥) فى ظ : كبره (٦) من ظ ، وفى الأصل : تغيير (٧) فى ظ : مع .  
 ٢٠٤ (٢٦) اولئك

﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ اصحب الجنة ج ﴾ ولما كانت الصلبة جديرة  
بالملازمة ، صرح بها فى قوله : ﴿ هم ﴾ أى لا غيرهم ﴿ فيها ﴾ أى خاصة  
﴿ تخلصون ه ﴾ أى مقيمون لا يرحلون ، لأنهم لا يريدون ذلك لطبيها  
ولا يراد بهم .

ولما بين حال الفضل فيمن / أحسن ، بين حال العدل فيمن أساء ه / ٥  
فقال : ﴿ والذين كسبوا ﴾ أى منهم ﴿ السيئات ﴾ أى المحيطة بهم  
﴿ جزاء سيئة ه ﴾ أى منهم ﴿ بمثلها لا ﴾ بعدل الله من غير زيادة  
﴿ وترهقهم ذلة ه ﴾ أى من جملة جزائهم ، فكأنه قيل : أما لهم انفكاك  
عن ذلك ؟ فقبل جوابا : ﴿ ما لهم من الله ﴾ أى الملك الأعظم ، وأغرق  
فى التنى فقال : ﴿ من عاصم ه ﴾ أى يمنعهم من شيء يريد بههم . ١٠

ولما كان من المعلوم أن ذلك مغير لآحوالهم ، وصل به قوله :  
﴿ كأنما ﴾ ولما كان المسكروه مطلق كونها بالمنظر السيئ ، بنى  
للفعل قول : ﴿ أغشيت وجوههم ﴾ أى أغشاها مغش لشدة سوادها  
لما هى فيه من السوء ﴿ قطعا ﴾ ولما كان القطع بوزن غن مشترك بين  
ظلمة آخر الليل ه جمع القطعة من الشيء ه ، بين وأكد فقال : ١٥  
﴿ من الليل ﴾ أى هذا الجنس حال كونه ﴿ مظلم ه ﴾ ولما كان ذلك  
ظاهرا ه فى أنهم أهل الشقاوة ، وصل به قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء

(١) زيد بعده فى ظ : أى (٢) من ظ ، وفى الأصل : لظمها - كذا (٣) من  
ظ ، وفى الأصل : شاء (٤-٤) فى ظ : هى (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ :  
ذله متغير (٧) من ظ . وفى الأصل : التى (٨) فى ظ : ظاهر .

نظم الدرر ( سورة يونس : ٢٧ و ٢٨ ) ج - ٩

البغضاء ( اصحب النار ج ) ولما كانت الصعبة الملازمة ، بينها بقوله :  
 ( هم فيها ) [ أى خاصة - ١ ] ( 'خلدون ' ) أى لا يمكنون من  
 مفارقتها ؛ والرهق : لحاق الأمر ، ومنه : راهق الغلام - إذا لحق حال  
 الرجال ؛ والقتر : الغبار ، ومنه الإقترار فى الإتفاق لقلته ؛ والذلة : صغر  
 النفس بالإهانة ؛ والكسب : الفعل لاجتلاب النفع إلى النفس  
 أو<sup>٢</sup> استدفاع الضر .

ولما بين سبحانه مآل الفريقين ، نبه على بعض مقدمات ذلك ، المانعة  
 أن يشفع أحد من غير إذنه بقوله : ( ويوم ) أى و<sup>٣</sup> فرقنا بينهم لأنه  
 لا أنساب هناك ولا أسباب فلا تناصر يوم ( نحشرهم ) أى الفريقين :  
 ١٠. الناجين والهالكين العابدين . منهم والمعبودين حال كونهم ( جميعا )

ثم يقطع ما بين المشركين وشركائهم فلا يشفع فيهم<sup>٤</sup> شئ مما يعتقدون  
 شفاعته ولا ينفعهم بنافعة ، بل يظهرون الخصومة و يبارزون<sup>٥</sup> بالعداوة وهو  
 ناظر إلى قوله تعالى " انه يدؤ الخلق ثم يعيده " وإلى قوله " ويعبدون  
 من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم " والحشر : الجمع بكرة<sup>٦</sup> من كل  
 ١٥. جانب إلى موقف واحد ؛ وأشار سبحانه إلى طول وقوفهم بقوله :

( ثم نقول للذين اشركوا ) أى بنا<sup>٧</sup> من لم يشارك فى خلقهم ؛ وقوله :  
 ( مكانكم ) نقل أبو حيان<sup>٨</sup> عن النحويين أنهم جعلوه اسما لا ثبوتا ، ورد

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : تقطع (٥) فى  
 ظ : يادرون (٦) من ظ ، وفى الأصل : بكثرة (٧) من ظ ، وفى الأصل :  
 بما (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ١٥١ و ١٥٢ .

على الزمخشري تقديره بالزموا لأنه متعدد<sup>١</sup> ويجب أن يساوى بين الاسم  
والمسمى فى التعدى والزموم ، أى نقول لهم : قفوا وقوف الذل ﴿ اتم  
وشركاءكم ﴾ حتى ينفذ فيكم أمرنا إظهارا لضعف معبوداتهم التى كانوا  
يترجونها وتحسيرا لهم ، فلا يمكنهم<sup>٢</sup> مخالفة ذلك .

ولما كان التقدير : فوقفوا موافقة للأمر على حسب الإرادة ، هـ  
عطف عليه مسييا عنه قوله : ﴿ فزيلنا ﴾ أى أزلنا إزالة كثيرة<sup>٣</sup> مفرقة  
ما كان ﴿ بينهم ﴾ فى الدنيا من الوصلة والآلفة حتى صارت عداوة  
ونفرة فقال الكفار : ربنا هؤلاء الذين أضلونا ، وكنا ندعو من دونك  
﴿ وقال شركاءهم ﴾ لهم متبرئين منهم بما خلق لهم سبحانه من النطق  
﴿ ما كنتم ﴾ أى أيها المشركون ، وأضاف الشركاء إليهم لأنهم هم الذين ١٠  
نصّبهم بغير أمر ولا دليل ولأنهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم  
﴿ ايانا تعبدون هـ ﴾ أى تخصونا بالعبادة لآنا لا نستحق ذلك إشارة إلى  
أنه لا يعبد<sup>٤</sup> إلا من يستحق الإخلاص فى ذلك بأن يعبد<sup>٥</sup> وحده من  
غير شريك ، ومن لا يستحق ذلك لا يستحق مطلق العبادة ولا يصلح  
لها ، وكل عبادة فيها شرك لا تعد أصلا ولا يرضى بها جماد لو نطق ، ١٥

فتى<sup>٦</sup> نفى المقيد بالخلوص نفى المطلق لأنه لا اعتداد به أصلا ، ومن  
المعلوم أن ما كان بهذه الصفة لا يقدم عليه أحد ، فنحن نظن أنه لم يعبدنا  
عابد فضلا عن أن يخصنا بذلك ، والشخص يجوز له أن ينفى ما

(١) من ظ ، وفى الأصل : يتعدد (٢) فى ظ : فلا تمكنهم (٣) فى ظ : كبيرة .  
(٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : حتى .

'يظن فيه' ونحن لم نعلم شيئا من ذلك .

ولما نفوا ذلك عطفوا عليه مسيين عنه قولهم : ﴿ فكفى بالله ﴾

أى المحيط علما وقدره ﴿ شهيدا ﴾ أى هو يكفينا كفاية عظيمة جدا

من جهة الشهادة التى / لا غيبة فيها بوجه ولا ميل أصلا ﴿ بيننا وبينكم ﴾

/ ٥٧٨

في ذلك يشهد لنا وعلينا ؛ ثم استأنفوا خبرا يصحح نفيتهم فقالوا مؤكدين

لأنهم كانوا يعتقدون عليهم<sup>٢</sup> : ﴿ ان ﴾ أى إنا ﴿ كنا ﴾ أى كونا

هو جيلة لنا ﴿ عن عبادتكم ﴾ لنا أو لغيرنا مخصصة أو مشوبة ؛ ولما كانت

'إن' هى المخففة من الثقلية تلقيت باللام الفارقة بينها وبين النافية فقليل :

﴿ لغفلين ﴾ لأنه لا أرواح فينا ، فلم نسكن بحيث نأمر بالعبادة

١٠ ولا نرضاها فاللوم عليكم دوننا ، وذلك اقتداء من موقف الدال أو أنهم

لما تخيلوا فى الشركاء صفات عبدوها لأجلها وكانت خالية عنها صح النفي

لأنهم عبدوا ذات موصوفة بصفات لا وجود لها فى الأعيان ، وأيضا

فأنهم ما عبدوا إلا الشياطين التى كانت تزين لهم ذلك و تغويهم ، ويكون

التقدير على ما دل عليه السياق : " فزينا بينهم " أى منعناهم مما كانوا

١٥ فيه من التواصل و التواد المقتضى للتناصر بعبادة الأوثان ، فقال المشركون

لشركائهم لما أبطأ عنهم نصرهم : إنا كنا نعبدكم من دون الله فأغوا عنا

كما كنا نذب عنكم ونصر دينكم " وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون "

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : نطق فيه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى

الأصل : عليهم (٤) فى ظ : فقال (٥) من ظ ، وفى الأصل : وصفات (٦) فى

ظ : عليهم .

أى

(٢٧)

١٠٨



أى كُشِفَ لنا اليوم بتفهيم الله أنه ليس الأمر كما زعتم وأنكم لم تخصونا بالعبادة حتى<sup>١</sup> يلزمنا منعكم على أنكم لو<sup>٢</sup> خصصتمونا ما قدرنا على ذلك كما قال الشيطان "ما انا بمصرخكم [ وما انتم بمصرخى ] - <sup>٣</sup> " فكفى " أى قسب عن نفينا لذلك<sup>٤</sup> على ما كشف لنا من العلم أن تقول : كفى " بالله شهيدا بيننا وبينكم " فى ذلك ، يشهد<sup>٥</sup> أنكم لم تخصوا أحدا منه ٥  
ومنا بعبادة بل كنتم مذبذبين ، وهذا كله إشارة إلى أن العبادة المشوبة لا اعتداد بها ولا يرضاها جماد لو نطق ، وأن من استحق العبادة استحق الإخلاص فيها وأن لا يشرك به أحد<sup>٦</sup> وأنه لا يستحق ذلك إلا القادر على كشف الكرب<sup>٧</sup> والمنع من أن يقطع بينه وبين متوليه وعابده قاطع ؛ ولما كانت فائدة الشاهد ضبط ما قد ينسأه المتشاهدان ، ١٠  
عللوا<sup>٨</sup> اكتفاءهم بشهادة الله بقولهم : " ان كنا عن عبادتكم " فى تلك الأزمان " لغفلين " فأقروا لهم بما هو الحق بما كان يعلمه كل من له تأمل صحيح أنهم لم يشعروا بعبادتهم ساعة من الدهر قبل ساعتهم هذه ، فهم أجدر الخلق بالاكتفاء بشهادة الشهيد لأنهم أسوأ حالا ممن يعلم المشهود به ويخشى النسيان ، أو يقال : فقال<sup>٩</sup> المشركون لشركائهم : إنا كنا نعبدكم ١٥  
فهل أتم ناصرونا أو شافعون لنا فنجونا بما وقعنا فيه " وقال شركاؤهم (١) من ظ ، وفى الأصل : كما - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ١٤ آية ٢٢ (٤) زيد بعده فى ظ : باقه (٥) فى ظ : ذلك (٦) فى ظ : تشهد (٧) فى ظ : احدا (٨) فى ظ : الكذب (٩) فى ظ : علل . (١٠) من ظ ، وفى الأصل : فيقال .

ما كنتم ايانا " وحدثنا " تعبدون " أى ما كنتم تخلصون لنا العبادة حتى يلزمنا أن نخلصكم كما أعلننا بذلك الله ربنا وربكم المحيط بكل شيء علما " فكفى " أى فتسبب عن ذلك أنه كفى " بالله شهيدا بيننا وبينكم " فى ذلك ، فكأن المشركين قالوا : قد تضمن كلامكم أنا عبدناكم على غير منهج الإخلاص ، أفليس قد عبدناكم ؟ أفلا تغنون عنا شيئا ؟ فأجاب الشركاء<sup>١</sup> بقولهم : " ان<sup>٢</sup> كنا عن عبادتكم " خالصة كانت أو مشوبة " لغفلين " فلا نقر لكم بعبادة أصلا وإن يتقنا الإخلاص لسلب العلم عنا بما كنا فيه من الجمادية فضلا عن أن نأمركم أو نرضى بعبادتكم على أنه لا غناء عندنا على تقدير من التقادير ؛ أو يقال - وهو ١٠ أحسن مما مضى - : " وقال شركاؤهم " لما تحققوا العذاب طلبا لأن يخفف عنهم منه بتوزيعه عليهم وعلى كل من عبده من غيرهم " ما كنتم " أيها العابدون لنا " ايانا " أى خاصة " تعبدون " بل<sup>٣</sup> كنتم تعبدون<sup>٤</sup> أيضا غيرنا ، وهذا يعم ؛ والله كل من يرآيه غيره بعمل وهو يعلم أنه يرآيه فيقره<sup>٥</sup> ولا ينكره عليه ؛ ولما أفهموا بنى العبادة بقيد الخصوص ١٥ أنهم كانوا يعبدون معهم غيرهم ، وكان المخلوق قاصر العلم غير محيط بوجه بأحوال نفسه فكيف / بأحوال<sup>٦</sup> غيره ، سيوا عن ذلك قولهم : " فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان " أى فى أنا " كنا عن عبادتكم " أى فى الجملة " لغفلين " والحاصل أن هذا ترجمة كلام الكفار وهو ناشئ منهم عن محض غلبة ودهش وفرط غم وندم وقلق ،

/ ٥٧٩

(١) فى ظ : شركاء (٢) فى ظ : انا (٣-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : نعم (٥) فى ظ : فيقره .

فلا يشترط أن يكون معناه على<sup>١</sup> الوجه الأسد و الطريق الأبلغ ، فالإعجاز في نظمه ، و مرادهم به أن يخفف عنهم من العذاب ولو بمشاركة من كانوا يعبدونهم معهم ، فهو من وادى قوله تعالى ” فهل اتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء؟<sup>٢</sup> “ ، ” فهل اتم مغنون عنا نصيبا من النار؟<sup>٣</sup> “ ، ” فاتهم عذابا ضعفا من النار؟<sup>٤</sup> “ ونحوه ” فا كان لكم علينا من فضل ه فذوقوا العذاب؟<sup>٥</sup> “ - و الله أعلم .

ولما أخبر عن حال المشركين ، تشوفت النفس إلى الاطلاع على حال غيرهم فقال مستأنفا مخبرا عن كلا الفريقين : ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الموقف من المكان و الزمان العظيم الأحوال المتوالى الزلازل<sup>٦</sup> ﴿ تبلوا ﴾ أى تجرب و تخاطب مخالطة بميلة محيلة ﴿ كل نفس ﴾ طائفة و عاصية ١٠ ﴿ ما أسلفت ﴾ أى قدمت من العمل فيعرف<sup>٧</sup> هل كان خيرا أو شرا و هل [ كان -<sup>٨</sup> ] يؤدى إلى سعادة أو شقاوة .

ولما كان مطلق الرد - و هو صرف الشيء إلى الموضع الذى ابتدأ منه - كافيا فى الرهبة لمن له لب ، بنى للفعل قوله : ﴿ و ردوآ ﴾ أى بالبعث بالإحياء كما كانوا أولا ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الأعظم ١٥ ﴿ مولهم الحق ﴾ فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره ولا الالتفات إلى سواه من تلك الأباطيل ، بل انقطع رجاءهم من كل ما كانوا يدعونه

(١) تكرر فى ظ (٢) سورة ١٤ آية ٢١ (٣) سورة ٤٠ آية ٤٧ (٤) سورة ٧ آية ٣٨ (٥) سورة ٧ آية ٣٩ (٦) فى ظ : الزلازل (٧) فى ظ : فتعرف (٨) زيد من ظ .

في الدنيا، وهو المراد بقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ أى بطل وذهب وضاع<sup>١</sup> ﴿ما كانوا﴾ أى كونا هو جلة لهم ﴿يفترون﴾ أى يتعمدون كذبه من أن معبوداتهم شركاء، و يقنوا في ذلك المقام أن توليهم لغير الله كان باطلا غير حق؛ والتزيل<sup>٢</sup>: تفريق يزول به كل واحد عن مكانه، وهو من تفريق الجثث، وليس من الواوى، بل من اليأى، يقال: زلته عن الشيء أزيله - إذا فرقت بينه وبينه؛ والكفاية: بلوغ مقدار الحاجة في دفع الأذية أو حصول المنفعة؛ والإسلاف: تقديم أمر لما بعده؛ والرد: الذهاب إلى الشيء بعد الذهاب عنه كالرجع؛ والمولى: من يملك تولى أمر مولاه.

١٠. ولما قدم سبحانه أن شركاءهم مريبون مقهورون، لا قدرة لهم إلا على ما يقدرهم الله عليه، وأنه وحده المولى الحق، وبانت بذلك فضائحهم، أتبعه ذكر الدلائل على فساد مذهبهم، فوبخهم بأن وجه السؤال إليهم عما هم معترفون بأنه مختص به و يدل قطعاً على تفرده بجميع الأمر الموجب من غير وقفة لا اعتقاد تفرده بالإلهية فقال: ﴿قل﴾ [أى يا أكرم خلقنا وأرقهم بالعباد - ٢] ﴿من يرزقكم﴾ [أى يجلب لكم الخيرات - ٢] أيها المنكرون للبعث المدعون للشركة ﴿من السماء﴾ [أى - ٢] بالمطر وغيره من المنافع ﴿والأرض﴾ بالنبات وغيره لتعيشوا ﴿أمن يملك السمع﴾ [أى - ٢] الذى تسمعون به الآيات، ووحده للتساوى؛ فيه فى الغالب

(١) من ظ، وفى الأصل: ضل (٢) فى ظ: الترتيل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: لما تساوى (ه) من ظ، وفى الأصل: من.

( و الابصار ) التى تبصرون بها ما أنعم عليكم به فى خلقها ثم حفظها فى المدد الطوال على كثرة الآفات فيفيضها عليكم لتكمل حياتكم الحسية ببقاء الروح ، و المعنوية بوجود العلم ؛ روى عن على رضى الله عنه أنه قال : سبحان من بصر بشحم ، و أسمع بعظم ، و أنطق بلحم .

فلما سألهم عن أوضح ما هم فيه و أقرب به ، نههم على ما قبله من ه .  
 بدء الخلق فقال : ( و من يخرج الحى ) من الحيوان و النبات ( من الميت ) أى من النطفة و نحوها ( و يخرج الميت ) أى [ من - ٢ ] النطفة و نحوها بما لا ينمو ( من الحى ) [ أى فينقل من النقص إلى الكمال - ٢ ] ؛ ثم عم فقال : ( و من يدبر الامر ) أى كله ، التدبير العام .

١٠

و لما كانوا مقرين بالرزق و ما معه من الخلق و التدبير ، أخبر عن جوابهم إذا سئلوا عنه بقوله : ( فيقولون الله ج ) أى مسمى هذا الاسم الذى له الكمال كله بالحياة و القيومية بخلاف ما سيأتى من الإعادة و الهداية ( فقل ) أى فتسبب عن ذلك أنا نقول / لك : قل لهم مسييا عن

٥٨٠ /

جوابهم هذا الإنكار عليهم فى عدم التقوى : ( افلا تتقون ؟ ) أى ١٥ تجعلون وقاية بينكم و بين عقابه على اعترافكم بتوحيده فى ربوبيته و إشراككم غيره فى إلهيته ؛ ثم علل إنكار عدم تقواهم بقوله : ( فذلکم ) أى العظيم الشأن ( الله ) أى الذى له الجلال و الإكرام ، فكانت هذه قدرته و أفعاله ( ربكم ) أى الموجد لكم المدبر لأموركم الذى لا إحسان

( ١ ) فى ظ : حقها ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ ) زيد من ظ ( ٤ ) زيد بعده فى ظ : الكلمة .  
 ( ٥ ) فى ظ : العالم ( ٦ ) فى ظ : فلا يتقون ( ٧ ) من ظ ، وفى الأصل : الواحد .

عندكم لغيره ﴿الحق ج﴾ أى الثابتة ربوبيته ثباتا لا ريب فيه [ لاجتماع الصفات الماضية له لا لغيره لأنه لا تكون الربوبية حقيقة لمن لم تجتمع له تلك الصفات - ١ ] ﴿فأ﴾ أى فسبب عن ذلك أن يقال لكم: ما ﴿ذا بعد الحق﴾ أى الذى له أكمل الثبات ﴿الا الضلال﴾ فانه لا واسطة بينهما - بما أنبأ عنه إسقاط الجار، ولا يعدل عاقل عن الحق إلى الضلال فأنى تصرفون أتم عن الحق إلى الضلال؛ ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فانى﴾ أى فكيف ومن أى جهة ﴿تصرفون﴾ [ أى - ١ ] أنتم من صارف ما كائنا ما كان، عن الحق إلى الضلال .

ولما كانوا جديرين عند تقريرهم بهذه الآية وإقرارهم بمضمونها ١٠ بأن يقولوا: سلمنا فأسلمنا ولا نصرف عن الحق أبدا، فلم يقولوا، كانوا حقيقين بأن يقال [ لهم - ١ ] : حققت عليكم كلمة الله لفسقكم وزوغانكم عن الحق، فقليل: هل خصوا بذلك؟ فقليل: بل ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الحقوق العظيم ﴿حققت كلمت ربك﴾ أى المحسن إليك باهلاك أعدائك: الكلمة الواحدة النافذة التى لا تردد فيها، ومعنى الجمع فى قراءة نافع ١٥ وابن عامر أنه لا شئ من كلماته يناقض الكلمة التى أوجبت عذابهم، بل كلها توافقها فالمراد واحد، أو يكون ذلك كناية عن أن عذابهم دائم فإن كلماته لا تنفد ﴿على﴾ كل ﴿الذين﴾ فعلوا فعلهم لأنهم ﴿فسقوا﴾ أى أوقعوا [ الترك لأمر الله وأوجدوا عصيانه وفعلوا الخروج عن طريق الحق و - ١ ] الخروج عن دائرة الصلاح، [ وهو ٢٠ كونهم أمة واحدة إلى دين أبيهم آدم صلى الله عليه السلام - ١ ]،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الا (٣) من ظ، وفى الأصل: ايقعوا - كذا .

ثم علل ذلك الحقوق بقوله : ﴿ انهم لا يؤمنون ٥ ﴾ أى لا يتجدد<sup>١</sup> منهم إيمان أصلا ، [ وعبر بالفسق المراد به الكفر لأن السياق للخروج عن دائرة الدين الحق فى قوله " وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا " وهذا المعنى أحق بالتعبير للفسق الذى أصله الخروج عن محيط فى قولهم : فسقت الرطبة عن قشرها - أى خرجت - ٢ ] ، أو<sup>٢</sup> يكون المعنى : ٥ حقت الربوبية له سبحانه بهذا الدليل ، وهو فعل هذه الامور المحتمة بالتدبير المقتضى للوحدانية [ له سبحانه - ٢ ] قطعا لانه لو كان قادر يساويه فى مقدوره لأمكن أن يمانه ، وبطل أن يكون قادرا ، وحق أن<sup>٣</sup> من زاغ عن الحق كان فى الضلال كما حق هذا " كذلك حقت " [ أى ثبتت ثباتا عظيما - ٢ ] " كلمت ربك على " كل " الذين " قضى بفسقهم ١٠ منهم ، [ و - ٢ ] " انهم لا يؤمنون " تفسير لكلمته التى حقت ؛ والرزق : جعل العطاء الجارى .

ولما علم أنهم معترفون بأمر الهداية وما يتبعها من الرزق والتدبير<sup>٤</sup> أعاد سبحانه السؤال عنها مقرونة بالإعادة تنبيها لهم على ما يتعارفونه من أن الإعادة أهون ، فانكارها مع ذلك إما جمود أو عناد<sup>٥</sup> ، وإنكار<sup>٦</sup> المسلمات كلها هكذا . وسوقه على طريق الاستفهام [ أبلغ وأوقع فى القلب - ٢ ] ، فقال : ﴿ قل ﴾ [ أى - ٢ ] على سبيل الإنكار عليهم

(١) فى ظ : لا يجدد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل «و» (٤) من ظ ، وفى الأصل : او (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : عادة .

والتوبيخ لهم ﴿هل من شركاء لكم﴾ [أى - ١] الذين زعمتموه<sup>١</sup> شركاء<sup>٢</sup> لى<sup>٣</sup> وأشركتموه في أموالكم من أنعامكم وزروعكم<sup>٤</sup> (من يبدؤا الخلق) كما بداته ليصح لهم ما ادعيت من الشركة<sup>٥</sup> (ثم يعيده<sup>٦</sup>) .

ولما كان الجواب قطعاً من غير توقف : ليس فيهم من يفعل شيئاً من ذلك ، وكان لجاههم في إنكار الإعادة وعنادهم لا بدعهم أن يحبوا بالحق ، أمره بجوابهم بقوله : ﴿قل الله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿يبدؤا الخلق﴾ أى مهما أراد (ثم يعيده<sup>٦</sup>) وأنى هنا يجزئ الاستفهام وكذا ما يأتى في السؤال عن الهداية تأكيداً للأمر بخلاف ما اعترفوا به ، فانه اكتفى فيه بأحد الجزئين في قوله ” فيقولون الله “

١٠ ولم يقل : يرزقنا - إلى آخره ؛ ثم زاد في تبكيتهم على عدم الإذعان لذلك بالتعجب منهم في قوله : ﴿فانى تؤفكون<sup>٧</sup>﴾ أى كيف ومن أى جهة تصرفون بأقبح الكذب عن وجه الصواب من صارف ما ، وقد استنارت جميع الجهات ، ورتب هذه الجمل أحسن ترتيب ، وذلك أنه<sup>٨</sup> سألهم أولاً عن سبب دوام حياتهم وكالها بالرزق والسمع والبصر ١٥ وعن بدء<sup>٩</sup> الخلق في إخراج الحى من الميت وما بعده ، وكل ذلك تنبيهاً على النظر في أحوال أنفسهم مرتباً على الأوضح<sup>١٠</sup> [فالأوضح ، فلما اعترفوا به كله أعاد السؤال عن بدء الخلق ليقرب به الإعادة - ١] تنبيهاً على أنهما بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، فلما فرغ<sup>١١</sup> مما يتعلق بأحوال<sup>١٢</sup>

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : شركائى (٣) من ظ ، وفي الأصل : ازراعتكم .  
(٤) في ظ : الشرك (٥) في ظ : لانه (٦) من ظ ، وفي الأصل : مبدا (٧) من ظ ،  
وفي الأصل : الاصح (٨-٨) في ظ : من احوال .



الجد امره أن يسألهم عن غاية ذلك ، والمقصود منه من أحوال الروح فى الهداية التى فى سبب السعادة إمعانا فى الاستدلال بالمصنوع على الصانع على وجه مشير إلى التفضيل فقال : ﴿ قل ﴾ [ أى - ' ]  
يا أفهم العباد و أعرّفهم بالمعبود ﴿ هل من شركائكم ﴾ أى الذين زعمتم أنهم شركاء لله ، فلم تكن شركتهم إلا لكم لأنكم جعلتم لهم حظا من ٥  
أموالكم وأولادكم ﴿ من يهدى ﴾ أى بالبيان أو<sup>٢</sup> التوفيق ولو بعد حين ﴿ الى الحق<sup>١</sup> ﴾ [ فضلا عن أن يهدى للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلاما - ' ] .

ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق فى ذلك أو معاندين ، أمره أن يحببهم معرضا عن انتظار جوابهم آتيا بجزئى<sup>٢</sup> الاستفهام أيضا فقال : ١٠  
﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يهدى ﴾ ولما كان قادرا على غاية الإسراع ، عبر باللام فقال : ﴿ للحق<sup>١</sup> ﴾ [ إن أراد ، ويهدى إلى الحق من يشاء - ' ] ، لا أحد ممن زعمهم شركاء ، فالاشتغال بشئ منها بعبادة أو غيرها جهل محض واختلال فى المزاج كبير ، [ فالآية من الاحتباك : ذكر " الى الحق " أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و " للحق " ١٥

ثانيا دليلا على حذفه أولا - ' ] ، فتسبب عن ذلك إنكار اتباعهم لهم فقال : ﴿ افن يهدى ﴾ أى متبها فى هداه ولو على بعد ﴿ الى الحق ﴾ أى الكامل الذى لا زيف فيه بوجه [ ولو على أبعد الوجوه - ' ]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) من ظ ، وفى الأصل : بخبرى (٤) من ظ ، وفى الأصل : اختلاف .

﴿ احق ان يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ ام من لا يهدى ﴾ أى يهتدى  
 فضلا عن أن يهدى غيره إلى شئ من الاشياء أصلا ورأسا ؛ وإدغام  
 تاء الاقتعال للايماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية حتى أدانها ، فان  
 التاء عند أرباب القلوب معناها انتهاء التسبب إلى أدناه ﴿ إلا ان يهدى ﴾  
 ٥ أى يهديه هاد غيره كائنا من كان ، وهذا يعم كل ما عبد من دون الله  
 ممن يعقل ومن لا يعقل ؛ فلما أتم ذلك على هذا النهج<sup>٢</sup> القويم ، كان  
 كأنه قيل : أتجيئون أم تسكتون ؟ وإذا أجبتم أتؤثرون الحق فترجعوا  
 عن الضلال أم تعاندون ، تسبب<sup>٣</sup> عن ذلك سؤالهم على وجه التوبيخ  
 بقوله : ﴿ فما ﴾ أى أى شئ ثبت ﴿ لكم ﴾ فى فعل غير الحق من كلام  
 ١٠ أو سكوت ؛ ثم استأنف تبكيئا آخر فقال : ﴿ كيف تحكمون ٥ ﴾ فيما  
 سالناكم عنه مما لا ينبغي أن يخفى على عاقل ، أه بالباطل أم بالحق ؟ فقد تبين  
 الرشد من الغي ؛ والبدء : العقل الأول ؛ والإعادة : إيجاد الشئ ثانيا ؛  
 والهداية : التعريف بطريق الرشد من الغي .

ولما أخبر بأقرارهم عن بعض ما يسألون عنه ثم عقبه بما لوح إلى  
 ١٥ إنكارهم أو سكوتهم عن بعضه مما يتعلق بشركائهم ، عطف على ما صرح  
 به من قولهم "فسيقولون" وما لوح إليه من "فسينكرون" أو "فسيسكتون"  
 قوله : ﴿ وما يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ أكثرهم ﴾ أى فى<sup>٤</sup> نطقه  
 أو سكوته فى عبادته للأصنام وقوله : إنها شفعاء ، وغير ذلك

(١) من ظ ، وفى الأصل : لا (٢) فى ظ : النهج (٣) فى ظ : فديب (٤) فى  
 ظ : اما (٥) فى ظ : عقب (٦) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٧) فى ظ : من .

( الاظن ) تنبها على أنهم إنما هم مقلدون و تابعون للاهواء .  
ولما كان الظن لا ينكر استعماله فى الشرائع ، نه على أن محله  
إنما هو حيث لا يوجد نص على المقصود ، فيقاس حينئذ على النصوص  
بطريقه ، وأما إذا وجد القاطع فى حكم فانه لا يجوز العدول عنه بوجه  
من الوجوه فقال تعالى فى جواب من يقول : أو ليس الظن مستعملا  
فى كثير من الأحكام ؟ : ( ان الظن لا يغنى ) أى أصلا ( من الحق )  
أى الكامل ( شيئا ) أى بدله ، ولا يكون بدل الحق إلا إذا كان تابعه  
مخالفا فيه لقاطع يعلمه .

ولما صار ظهور الفرق ضروريا . أوقع تهديد المتباعدى فى غيه فى  
جواب من كأنه قال : إن ذلك غير خفى عنهم ولكنهم يستكبرون ١٠  
فلا يرجعون ، فقال : ( ان الله ) أى المحيط بكل شىء . ( عليم ) أى بالغ  
العلم ( بما يفعلون ) فاصبر فلسوف يعلمون .

ولما قدم فى هذه السورة قولهم " لولا أنزل عليه آية من ربه "   
وأتى فيها ردا عليهم و وعظا لهم من الآيات البالغة فى الحكمة جدا  
يتجاوز قوى البشر و يضمحل<sup>٢</sup> دونه من الخلق القدر<sup>٣</sup> . وكان آخر ذلك ١٥  
التنبيه على أن<sup>٤</sup> شركاءهم لا يهتدون إلا أن<sup>٥</sup> هداىهم الهادى فضلا عن أن  
يهدوا ، وإقامة الدليل على أن مذاهبهم ليست مستندة إلى علم بل هى<sup>٦</sup>  
تابعة للهوى ، أتبع ذلك دليلا قطعيا فى أمر القرآن من أنه لا يصح  
/ أصلا أن يؤتى به من دون<sup>٧</sup> أمره سبحانه ردا لقولهم : إنه مفترى ، لأنه

٥٨٢ /

(١) فظ : به (٢) فظ : تضمحل (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل وظ : عن .  
(٥) من ظ ، وفى الأصل : دونه .

من وادى ما ختم به هذه الآيات من اتباعهم للظنون لانه لا سند لهم  
 فى ذلك بل ولا شبهة أصلا، وإنما هو مجرد هوى بل وأكثرهم عالم  
 بالحق فى أمره، فتنى ذلك بما يزيح الظنون ويدمغ الخصوم ولا يدع  
 شبهة لمفتون، وأثبت أنه هو [ الآية الكبرى و - ' ] الحقيق بالاتباع  
 ه لانه هدى، فقال تعالى: (وما كان) عاطفا له على قوله "ما يكون لى  
 إن أبدله" - إلى آخره، فهو حينئذ مقول القول، أى قل لهم ذاك  
 الكلام وقل لهم "ما كان" أى قط بوجه من الوجوه، وعينه تعيينا  
 لا يمكن معه لبس، فقال: (هذا القرآن) أى الجامع لكل خير مع<sup>٢</sup>  
 التأدية بأساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق (ان يفترى) [ أى - ' ]  
 ١٠ أن يقع فى وقت من الأوقات [ تعتمد نسبته كذبا إلى الله - ' ] من  
 أحد من الخلق كائنا من كان؛ وعرف بتضاؤل رتبهم دون شاخ  
 رتبه سبحانه بقوله: (من دون الله) أى الذى تقرر أنه يدبر الأمر  
 كله، فامن شفيح إلا من بعد إذنه وما يعزب عنه شىء فسبحان المتفضل  
 على عباده بإيضاح الحجج وإزالة الشكوك والدعاء إلى سبيل الرشاد  
 ١٥ مع غناه عنهم وقدرته عليهم؛ والاقراء: الإخبار على القطع بالكذب،  
 لانه من فرى الاديم وهو قطعه بعد تفزيه .

ولما كان إتيان الامى - الذى لم يجالس عالما - بالإخبار والقصص  
 الماضية على التحرير دليلا قطعيا على صدق الآتى فى ادعائه أنه لا معلم

(١) زيد من ظ (٢) فظ: من (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل: تعتمد كذبه،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفها (٥) من ظ، وفى الأصل: وقتين (٦) فظ: لا .  
 (٣٠) له

له إلا الله ، عبر بأداة<sup>١</sup> العناد فقال : ( ولكن ) أى كان<sup>٢</sup> كونا لا يجوز غيره ( تصديق الذى ) أى<sup>٣</sup> تقدم ( بين يديه ) أى قبله من الكتب ، والدليل على تصادقه شاهد الوجود مع أن القوم كانوا فى غاية العداوة له صلى الله عليه وسلم وكان أهل الكتائب عندهم فى جزيرة العرب على غاية القرب منهم مع أنهم كانوا يتجرون إلى بلاد الشام [ وم - ٣ ] هـ متمكنون من السؤال عن كل ما يأتى به ، فلو وجدوا مغمزا ما لقدحوا به ، فدل عدم قدحهم على التصادق قطعا .

ولما كان ذلك سلطانا قاهرا على صدقه صلى الله عليه وسلم ، زاده ظهورا بما اشتمل الكتاب الآتى به عليه من التفصيل الذى هو نهاية العلم فقال : ( وتفصيل الكتب ) أى الجامع المجموع فيه الحكم والأحكام ١٠ وجوامع الكلام من جميع الكتب الساوية فى بيان مجملاتها وإيضاح مشكلاتها ، فهو ناظر إلى قوله " أفن يهدى الى الحق " - الآية ، فهو برهان على أنه هو الهادى وحده ، فهو الحقيق بالاتباع والتفصيل بتبيين الفصل بين المعانى الملتبسة حتى تظهر كل معنى على حقه ، ونظيره التقسيم ، ونقيضه التخليط والتلبس ، وبيان تفصيله أنه أتى من العلوم العلية ١٥ الاعتقادية من معرفة الذات والصفات بأقسامها ، والعملية التكليفية المتعلقة بالظاهر وهى علم الفقه وعلم الباطن ورياضة النفوس بما لا مزيد عليه ولا يدانيه فيه كتاب<sup>٢</sup> ، وعلم الأخلاق كثير فى القرآن مثل

(١) من ظ ، وفى الأصل : بارادة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

نظم الدرر (سورة يونس ١٠ : ٣٧ و ٣٨) ج - ٩

”خذ العفو“ - الآية ”ان الله يامر بالعدل“ - الآية و أمثالها<sup>٢</sup> .  
ولما كان - مع الشهادة لنفسه بالصدق بتصديق ما ثبت حقيقة -  
معجزا بالجمع والتفصيل لجميع العلوم [ الشريفة - <sup>١</sup> ] : عقلها و نقلها  
إعجازا لم يثبت لغيره ، ثبت أنه مناقض للافتراء حال كونه ( لا ريب فيه )  
و أنه ( من رب العالمين ) أى موجدهم ومدبر أمرهم والمحسن إليهم  
لأنه - مع<sup>٣</sup> الجمع لجميع ذلك - لا اختلاف فيه بوجه ، وذلك خارج  
عن طوق البشر .

ولما كان هذا موضع أن يدعنوا لأن هذا القرآن ليس إلا من  
عند الله و بأمره قطعا ، كان كأنه قيل : أرجعوا عن غيهم فآمنوا  
١٠ و استقاموا ( ام ) استمروا على ضلالهم ( يقولون ) على سبيل التجديد  
و الاستمرار عنادا ( اقترنه<sup>٤</sup> ) [ أى تعدد نسبته كذبا إلى الله - <sup>٥</sup> ] ،  
فكانه قيل ، تبادوا على عتوهم فقالوا ذلك فكانوا كالباحث عن حقه  
بظلفه ، لأنهم أصلوا أصلا فاسدا لزم عليه / قطعا إمكان أن يأتوا بمثله  
لأنهم عرب مثله ، بل منهم من قرأ و كتب<sup>٦</sup> و خالط العلماء و اشتد  
١٥ اعتناؤه بأنواع البلاغة من النظم و النثر و الخطب و تمرنه فيها بخلافه صلى الله  
عليه و سلم في جميع ذلك ، فلهذا أمره في جوابهم بقوله : ( قل ) أى  
لهم يا أبلغ خلقنا و أعرفهم بمواقع الكلام لجميع أنواعه ، أتى بالفاء

٥٨٣ /

(١) سورة ٧ آية ١٩٩ (٢) سورة ١٦ آية ٩٠ (٣) في ظ : أمثالها (٤) من ظ ،  
وفي الأصل : ثبت (٥) من ظ ، وفي الأصل : لجموع (٦) زيد من ظ (٧) في  
ظ : من (٨) من ظ ، وفي الأصل : يكتب (٩) من ظ ، وفي الأصل : بموقع .

السبية

السببية في قوله : ﴿ فاتوا ﴾ أى أتم تصديقا لقولكم هذا الذى تبين وأنكم فيه 'معاندون' ؛ ولما كانوا قد جزموا في هذه السورة بأنه اقتراه ، وكان مفصلا إلى سور كل واحدة منها لها مقصد معين يستدل فيها عليه ، و تكون خاتمتها مرتبطة بفتحها متحدة بها ، اكتفى في تحديدهم بالإتيان بقطعة واحدة غير مفصلة إلى مثل سورة لكن تكون مثل جميع ه القرآن في الطول والبيان وانتظام العبارة والتام المعانى فلذلك قال : ﴿ بسورة ﴾ قال الرماني : والسورة منزلة محيطة بآيات من أجل الفاتحة والخاتمة كاحاطة سور البناء ، وهذا نظرا إلى أن المتحدى به سورة اصطلاحية ، والصواب أنها لغوية ، وهى - كما قال الحرالي - تمام جملة من المسوع تحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة ؛ و وصفها بقوله - : ﴿ مثله ﴾ أى في ١٠ البلاغة وحسن النظم وصحة المعانى ومصادقة الكتب وتفصيل العلوم لأنكم مثلى في العربية وتزيدون بالكتابة ومخالطة العلماء - من غير إتيان بـ 'من' لما 'تقدم من أن المراد كونها' مثل القرآن كله ، ولذلك وسع لهم في الاستعانة بجميع من قدروا عليه ووصلت طاقتهم إليه ولم يقصرهم على من بحضرتهم فقال : ﴿ وادعوا ﴾ أى لمعاونتكم ١٥ ﴿ من استطعتم ﴾ أى قدرتم على طاعته ولو يبذل الجهد من الجن والإنس وغيرهم للمعاونة ' ، و حقق أن هذا القرآن من عنده سبحانه

---

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : سورة (٣) زيد بعده في الأصل : فاتوا اتم تصديقا لقولكم ، ولم تكن الزيادة في ظ فخذفناها (٤) في ظ : اصطلاحية (ه-ه) تكرر ما بين الرقین في ظ .

باستثنائه في قوله: ﴿من دون الله﴾ أى الذى له الكمال كله ، ونبه على أنهم معتمدون لما نسبوه إليه - و حاشاه من تعدد الكذب - وأنهم معاندون بقوله: ﴿ان كنتم﴾ أى جبلة وطبعا ﴿صدقين﴾ أى فى أنه أتى به من عنده ، لأن العاقل لا يحزم بشيء إلا إذا كان عنده منه مخرج ، وذلك لا يكون إلا عن دليل ظاهر و سلطان قاهر باهر ، وقد مضى فى البقرة و يأتى فى هود إن شاء الله تعالى ما يوضح هذا المعنى ؛ والاستطاعة : حالة تتطاول بها الجوارح و القوى للفعل لأنه مأخوذ من الطوع ؛ ثم كان كأنه قيل : فقال لهم ذلك فلم يأتوا لقولهم بشبهة توجب شكاً فضلاً عن مصدق ، لأنه معجز لكونه كلاماً فى أعلى طبقات البلاغة بحسن النظام و الجزالة منزلاً من عند الله المحيط علماً و قدرة ، فهو مشتمل من كل معنى على ما علا كل العلو عن مدانٍ ﴿بل﴾ . وأحسن من ذلك أنه لما أقام الدليل على أن القرآن كلامه ، وكان الدليل إنما من شأنه أن يقام على من عرض له غلط أو شبهة ، وكان قولهم "افترأه" لا عن شبهة وإنما هو مجرد عناد ، نبه سبحانه على ذلك وعلى أنه إنما أقام الدليل لإظهار عنادهم لا لأن عندهم شبهة فى كونه حقاً بالإضراب عن قولهم فقال: "بل" أى لم يقولوا "افترأه" عن اعتقاد منهم لذلك بل ﴿كذبوا﴾ أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه مسرعين<sup>٢</sup> فى ذلك من غير أن يفهموه مستهينين ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أى فى نظمه أو معناه من غير شبهة أصلاً بل

(١-١) فى ظ : انى اتيت (٢) من ظ ، وفى الأصل : مسترعين .



عنادا و طغيانا و نفورا عما يخالف دينهم و شرادا ، فهو من باب ' من جهل شيئا عاداه ، و الإحاطة : إرادة ' ما هو كالحائظ حول الشيء ، فاحاطة العلم بالشيء العلم به من جميع وجوهه .

ولما كان لا بد من وقوع تأويله ، وهو إتيان ما فيه من الإخبار بالمغيبات على ما هي عليه ، قال : ﴿ ولما ياتهم ﴾ أى إلى زمن تكذيبهم ٥ ﴿ تأويله ﴾ أى ترجيعنا لأخباره إلى مراجعها و غاياتها حتى يعلموا أصدق هى أم كذب ، فانه معجز من جهة نظمه و من جهة / صدقه فى أخباره ؛ و التأويل : المعنى الذى يؤل إليه التفسير ، وهو منتهى التصريح من التضمنين .

ولما كان كأنه قيل : إن فعلهم هذا لعجب ، فاحملهم على التماذى ١٠ فيه ؟ فقيل : تبعوا فى ذلك من قبلهم لموافقتهم فى سوء الطبع ، قال مهددا لهم و مسليا له صلى الله عليه و سلم : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم فى الشناعة قبل تدبير المعجز ﴿ كذب الذين ﴾ ولما كان المكذبون بعض السالفين ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى من كفار الأمم الحالية فظلموا فأهلكناهم بظلمهم ؛ ولما كان التكذيب ١٥ خطرا لما يثير من السرور . سبب عنه - تحذيرا منه - انظر فى عاقبة أمره ٢ فقال : ﴿ فانظر ﴾ أى بعينك ديارهم و بقلبك أخبارهم . ولما كان من نظر هذا النظر وجد فيه أجل معتبر و أعلى مزدجر ، وجه السؤال إليه بقوله : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الظلمين ٥ ﴾

(١) فى ظ : ادارة (٢) سقط من ظ .

أى الذين رسخت أقدامهم فى وضع الأشياء فى غير مواضعها حتى كذبوا  
من لا يجوز عليه الكذب بوجه ، ومن المقطوع به أن هذا المسؤل  
يقول من غير تلثم ولا تردد : عاقبة وخيمة قاصمة ذميمة ، والعاقبة سبب  
تؤدى إليه البادئة ، فالذى أدى إلى هلاكهم بعذاب الاستئصال ما تقدم  
من ظلمهم لأنفسهم وعتوهم فى كفرهم .

ولما ذكر سبحانه تكذيبهم . كان ذلك ربما أياس من إذعانهم  
وتصديقهم ، وآذن باستئصالهم لتكمل المشابهة للأولين ، وكان صلى الله  
عليه وسلم شديد الشفقة عليهم و الحرص على إيمانهم ، فأتبعه تعالى  
بقوله يانا لأن عليه باتقسامهم أوجب عدم استئصالهم [ عاطفا على  
١٠ "كذبوا" - ١ ] : ﴿ ومنهم ﴾ أى قومك ﴿ من يؤمن به ﴾ أى فى المستقبل  
﴿ ومنهم من لا يؤمن به ﴾ أى القرآن أصلا ولو رأى كل آية  
﴿ وربك ﴾ أى المحسن إليك بالرفق بأمتك ﴿ اعلم بالمفسدين ﴾ أى  
الذين هم عريقون فى الإفساد ، فسيعاملهم بما يشقى صدورك .

ولما قسمتهم هذه الآية قسمين ، وتليت بذكر القسم الثانى بالواو<sup>١</sup> ،  
١٥ عرف أنه معطوف على مطوى القسم الاول ، فكان كأنه قيل : فان  
صدورك فقل : الله دلى هدايتكم دلى [ مثل - ١ ] أجوركم بنسبتى فيها  
فضلا من ربى : ﴿ وان<sup>٢</sup> كذبوك فقل ﴾ [ أى - ١ ] قول منصف  
معتمد على قادر عالم ﴿ لى عملى ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿ ولكم عملكم ﴾  
(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣-٣) من ظ والقرآن الكريم ،  
وفى الأصل : فان .

ما لاحد منا ولا عليه من جزاء الآخر شيء ؛ ثم صرح بالمقصود من ذلك بقوله محذرا لهم : ( اتم بريؤن بما اعمل ) أى فان كان خيرا لم يكن لكم<sup>٢</sup> منه شيء وإن كان غيره لم يكن عليكم منه شيء ( وانا برىء مما تعلمون ) لا جناح على<sup>٣</sup> في شيء منه لأنى لا أقدر على ردكم عنه ؛ و البراءة : قطع العلقه الذى يوجب رفع المطالبة ، ولا حاجة هـ إلى ادعاء نسخ هذه الآية بآية السيف ، فانه لا منافاة بينهما ، لأن هذه فى رفع لحاق الإثم وهو لا يتنافى الجهاد .

ولما قسمهم إلى هذين القسمين ، قسم القسم<sup>٤</sup> الأخير إلى قسمين فقال : ( ومنهم ) أى المكذبين ( من ) ولما كان المستمع إليه أكثر لأنهم أشهى الناس إلى تعرف حاله ، وكان طريق ذلك السمع والبصر ، ١٠ وكان تحديق [ العين - ٤ ] إليه لا يخفى ، فكان أكثرهم يتركه إظهارا لبغضه وخوفا من إنكار من يراه عليه ، وكان إلقاء السمع بغاية الجهد يمكن إخفاءه بخلاف الإبصار ، عبر هنا بالافتعال ، وجمع دالا على كثرتهم نظرا إلى معنى ' من ' وأفرد فى النظر اعتبارا للفظها ودالا على قلة الناظر بما ذكر فقال : ( يستمعون ) وضمن الاستماع الإصغاء ١٥ ليؤدى مؤدى الفعلين ، ودل على الإصغاء بصلته معلقة بحال انتزعت منه ' فكأنه : قال ' مصغين<sup>٥</sup> ( اليك<sup>٦</sup> ) أى عند قراءة القرآن وبيان<sup>٧</sup> بالسنه ، ولكنهم وإن كانوا قسمين بالنسبة إلى الاستماع والنظر فهم

(١) فى ظ : لكم (٢) من ظ ، وفى الأصل : له (٣) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

(هـ - هـ) فى ظ : فكان كان (٩) من ظ ، وفى الأصل : مصغرين (٧) من ظ ، وفى

نظم الدرر (سورة يونس ١٠: ٤٢ و ٤٣) ج-٩

قسم واحد بالنسبة إلى الضلال. فكان تعقيب ذلك بحشرهم بعد قصر الهداية عليه سبحانه كذكر حشرهم فيما مضى بعد تقسيمهم<sup>١</sup> إلى قسمين بعد قوله "و يهدي من يشاء الى صراط مستقيم".

ولما كان صلى الله عليه وسلم يريد - بإسماعه لهم ما أنزل الله<sup>٢</sup> - هدايتهم

٥٨٥ / ٥ / به، سبب عن استماعهم إنكار إسماعهم الإسماع المترتب عليه الهدى

فقال: ﴿افانت﴾ أى وحدك ﴿تسمع الصم﴾ أى فى آذان قلوبهم

لأنهم يستمعون إليك وقد ختم على أسماعهم فهم لا ينتفعون بإسماعهم

لأنهم يطلبون السمع للرد لا للفهم؛ والسمع إدراك الشيء بما يكون

به<sup>٣</sup> مسموعا، فكانوا بعدم انتفاعهم كأنهم [هم - ٢] مجانين، لأن الأصم

١٠. العاقل ربما فهم بالتفريس فى تحريك الشفاء وغيرها فلذا قال: ﴿ولو كانوا﴾

أى جيلة وطبعا ﴿لا يعقلون﴾ أى لا يتجدد لهم عقل أصلا فصاروا

بحيث لا يمكن إسماعهم لأنه لا يمكن إلا بسماع الصوت الدال على

المعنى [وبفهم المعنى - ٢]، والمانع من الأول الصمم، ومن الثانى عدم

العقل، فصاروا شرا من البهائم لأنها وإن كانت لا تعقل فهى تسمع.

١٥ والأصم: المنسد السمع بما يمنع من إدراك الصوت ﴿و منهم من ينظر﴾

محدقا او راميا يبصره من بعيد ﴿إليك﴾ فهو من التضمين<sup>٤</sup> كما سبق

فى "يستمعون"؛ نقل عن التفتازانى أنه قال<sup>٥</sup> فى حاشية الكشف:

و"حقيقة التضمين أن يقصد<sup>٦</sup> بالفعل معناه الحقيقى مع فعل آخر يناسبه

(١) فى ظ: تقسيمين (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: التضمن .

(٥) من ظ، وفى الأصل: قاله (٦) من ظ، وفى الأصل: تقصد .

و هو كثير فى كلام العرب ، و ذلك مع حذف حال مأخوذ من  
 الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية . و يتعين جعل الفعل المذكور أصلا  
 و المذكور حاله تبعا ، لأن حذفه و الدلالة عليه بصلته بدل على  
 اعتباره فى الجملة لا على زيادة "قصد إليه ، و من أمثله : أحمد إليك الله ،  
 أى منها إليك حمده ، و يقلب كفيه على كذا ، أى نادما عليه . " و لا تعد  
 عينك عنهم " أى مجاوزين عنهم إلى غيرهم ، " و لا تاكلوا أموالهم -  
 - ضامياها - إلى أموالكم " . " الرفث - مفضين - إلى نساءكم " ، " و لا تعزموا " -  
 أى على النكاح و أتم تنوون عقده " و لا يسمعون - مصفين - إلى الملا  
 الأعلى " ، سمع الله - أى مستجيبا - لمن حمده . " و الله يعلم الفساد - بمزاله -  
 من المصلح " ، " و الذين يؤلون - بممتعين " من - و طئ - نساءهم " ١٠ .  
 و لما كان المعنى أنك يا أكرم الخلق تريد بنظر هذا الناظر إليك  
 أن ينظر إلى ما تأتى به من باهر الآيات فيتهدى " و هو غير منتفع  
 بنظره لما جعل عليه من الغشاوة " فكان كالأعمى الذى زاد على عدم بصره  
 عدم العقل فلا بصر ولا بصيرة " ، قال منكرا لذلك : ( أفانت تهدى العمى )

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فصليه - كذا (٢) سورة ١٨ آية ٢٨ (٣) من ظ ،  
 و فى الأصل : مجاوزين (٤) سورة ٤ آية ٢ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) راجع  
 سورة ٢ آية ٢٣٥ (٧) سورة ٣٧ آية ٨ (٨) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢  
 آية ٢٢٠ ، و فى الأصل : المصلح (٩) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل :  
 الفساد (١٠) سورة ٢ آية ٢٢٦ (١١) من ظ ، و فى الأصل : يأتى (١٢) من  
 ظ ، و فى الأصل : ان يتهدى (١٣) من ظ ، و فى الأصل : قساوة (١٤) زيد =

ظلم الدرر (سورة يونس ١٠: ٤٣ - ٤٥) ج - ٩

أى عيونا وقلوبنا ﴿ولو كانوا﴾ أى بما جبلوا عليه ﴿لا يصرونه﴾  
 أى لا يتجدد لهم بصر ولا بصيرة ، فلا تمكن هدايتهم ، لأن هداية  
 الطريق الحسى لا تمكن إلا بالبصر ، وهداية الطريق المعنوى لا تمكن  
 إلا بالبصيرة ؛ والنظر : طلب الرؤية بتقليب البصر ، ونظر القلب طلب  
 العلم بالفكر ؛ والعمى : آفة تمنع الرؤية عن العين والقلب ؛ والإبصار :  
 إدراك الشيء بما به يكون مبصرا ، فكأنه قيل : ما له فعل بهم هذا  
 والأمر يده ؟ فقيل : لأنه تام المملك والمملك وهو متفضل فى جميع  
 نعمه لا يجب عليه لأحد شيء فهو لا يسأل عما يفعل ، وبني عليه قوله :  
 ” ان الله “ وأحسن منه أن يقال : ولما كان التقدير : إذا علت ذلك  
 ١٠ تخفف عنك بعض ما أنت فيه ، فانك لا تقدر على إسماعهم ولا  
 هدايتهم لأن الله تعالى أراد ما هم عليه منهم لاستحقاقهم ذلك لظلمهم  
 أنفسهم ، علله بقوله : ﴿ان الله﴾ أى المحيط بجميع الكمال  
 ﴿لا يظلم الناس شيئا﴾ وإن كان هو الذى جبلهم على الشر  
 ﴿ولكن الناس﴾ أى لما عندهم من شدة الاضطراب والتقلب ﴿انفسهم﴾  
 ١٥ أى خاصة ﴿يظلمون﴾ بحملهم لها على الشر وصرف قواهم فيه  
 باختيارهم مع زجرهم عن ذلك وحجبهم عما جبلوا عليه وإن كان الكل  
 يده سبحانه ولا يكون إلا بخلقه .

= بعده فى الأصل : فلذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذناها .

(١) من ظ ، وفى الأصل : خلقوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : يمكن (٣) من  
 ظ ، وفى الأصل : سلمت .

ولما كان فى هذه الآيات ما ذكر من أفانين جداهم فى أباطيلهم  
 وضلالهم ، وكان فعل ذلك - بمن لا يرى حشرا ولا جزاء ولا نعيما  
 وراء نعيم هذه الدار - فعل فارغ السر مستطيل للزمان آمن من نوازل  
 الحدثن، حسن تعقيه بأنهم يرون يوم الحشر / من الأهوال ما يستقصرون  
 ٥٨٦ / معه مدة لبثهم فى الدنيا، فقد خسروا إذن دنياهم بالنزاع، وآخرتهم  
 بالعذاب الذى لا يستطيع، وليس له انقطاع، فقال تعالى مهددا لهؤلاء  
 الكفار الذين يعاندون فلا يسمعون ولا يبصرون عاطفا على " و يوم  
 نحشرهم " الأولى : ( و يوم نحشرهم ' ) أى واستقصروا مدة لبثهم فى  
 الدنيا يوم الحشر لما يستقبلهم من الأهوال والزلازل الطوال، فكأنه  
 قيل : إلى أى غاية ؟ قليل : ( كان ) أى كأنهم ( لم يلبثوا ) فى ١٠  
 دنياهم ، و<sup>١</sup> الجملة [ فى - ٢ ] . موضع الحال من ضمير " نحشرهم " البارز  
 أى مشبهين بمن لم يلبثوا ( الساعة ) أى حقيرة ( من النهار )  
 وقوله : ( يتعارفون بينهم <sup>٣</sup> ) حال ثانية <sup>٢</sup> ، أى لم يقدم تلك الساعة  
 أكثر من أن عرف فيها بعضهم بعضا ليزدادوا بذلك حسرة فى ذلك  
 اليوم بعدم القدرة على التناصر والتعاون و التظافر كما كانوا يفعلون ١٥  
 فى الدنيا .

ولما كانت حالهم هذه هى الحسارة التى ليس معها تجارة ، فكان  
 السامع متوقعا للخبر عنها ، قال متعجبا<sup>٤</sup> منهم موضع : ما أخسرهم :

(١) وفى مصاحفنا : يحشرهم (٢) فى ظ : او (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : نهار .  
 (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لم تقدم (٧) فى ظ : معجبا .

( قد خسر ) أي حقا ( الذين كذبوا ) أظهر<sup>٢</sup> موضع الإضرار  
تعميما و تعليقاً للحكم بالوصف [ مستهينين - ٢ ] ( بلقاء الله ) أي  
الملك الأعلى بما أخذوا من الدنيا من الخسيس الفاني وتركوا بما كشف  
لهم عنه البعث من النعيم الشريف الباقي ؛ ولما كان الذي وقع منه  
تكذيب مرة في الدهر قد يفيق بعد ذلك فيهدى ، قال عاطفا على الصلة :  
( وما كانوا ) أي جلبة وطبع<sup>٣</sup> ( مهتدين ) مشيرا إلى تسفيهم فيما  
يدعون البصر فيه من أمر المتجر و المعرفة بأنواع الهداية .

ولما كان إخبار الصادق بهلاك الأعداء مقرا للعين ، وكانت مشاهدة  
هلاكهم أقر لها . عطف على قوله ” قد خسر ” : ( واما نرينك ) أي  
١٠ إرادة عظيمة قبل وفاتك ( بعض الذي نعدم ) أي في الدنيا بما لنا  
من العظمة فهو أقر لعينك ( او توفينك ) قبل ذلك ( فإلينا مرجعهم )  
قربك فيما هنالك ما هو أقر لعينك و أسر لقلبك ، فالآية من الاحتباك :  
ذكر أولا الإراءة دليلا على حذفها ثانيا ، و الوفاة ثانيا دليلا على حذفها  
أولاً ؛ و ” ثم ” - في قوله : ( ثم الله ) أي المحيط بكل شيء ( شهيد )  
١٥ أي بالغ الشهادة ( على ما يفعلون ) في الدارين - يمكن أن يكون  
على بابها ، فتكون مشيرة إلى التراخي بين ابتداء رجوعهم بالموت و آخره  
بالقيامة ، وليس المراد بقوله ” شهيد ” ظاهره<sup>٤</sup> ، بل العذاب الناشئ  
عن الشهادة في الآخرة إلى أن الله يعاقبهم بعد مرجعهم ، فيربك ما بعدهم  
لأنه عالم بما يفعلون .

(١) في ظ: خسروا (٢) في ظ: أكثر (٣) زيد من ظ (٤) في ظ: في (٥) في  
ظ: ظاهرة .



ولما كان فى هذه الآيه التهديد بالعذاب إما فى الدنيا أو فى الآخرة  
غير معين له صلى الله عليه وسلم واحدة منهما، أتبعها بما هو صالح للأمرين  
بالنسبة إلى كل رسول إشارة إلى أن أحوال الأمم على غير نظام فلذلك  
لم يحزم بتعيين واحدة من الدارين للجزاء، وجعل الأمر منوطاً بالقسط،  
ففى أى دار كان أحكم جعله فيها، فقال تعالى [دالاً على أنه نشر ذكره  
الإسلام وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر من  
عهد آدم عليه السلام إلى آخر الدهر على وجه لم يحصل له اندراس  
فى دهر من الدهور، فمن تركه استحق العذاب سواء كان ممن بين عيسى  
ومحمد عليهما السلام أم لا، فلا تغتر بما يقال من غير هذا - ' ]:

(ولكل أمة) أى من الأمم التى خلت قبلك (رسول ج) بدعوم ١٠  
إلى الله؛ ثم سبب عن إتيان رسولهم بيان القضاء فيهم فقال: (فاذا جاء)  
[أى - ' ] إليهم (رسولهم) فى الدنيا بالبينات والهدى؛ وفى الآخرة  
فى الموقف بالإخبار بما صنعوا به فى الدنيا من تكذيب أو تصديق  
(قضى بينهم) [أى فى جميع الأمور بما أفاده نزع الخافض على أسهل  
وجه من غير شك بما أفاده البناء للفعول؛ ولما كان السياق بالترهيب ١٥  
أجدر، قال - ' ]: (بالقسط) أى أظهر<sup>٢</sup> ما كان [خفياً - ' ]  
من استحقاقهم فى القضاء بالعدل [والقسمة المنصفة بينهم كلهم بالسوية،  
فأعطى كل أحد منهم مقدار ما يخصه - ' ] من تعجيل العذاب وتأخير  
كما فعل معك؛ ولما كان ذلك لا يستلزم الدوام، قال: (وهم لا يظلمون) (

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ: فظاهر.

أى لا يتجدد لهم 'ظلم منه' سبحانه ولا من غيره .

ولما تقدم في هذه الآيات تهديدهم بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة،  
حكى سبحانه جوابهم عن ذلك عطفًا على قوله "و يقولون لو لا انزل  
عليه آية من ربه" فقال: ﴿و يقولون﴾ أى هؤلاء المشركون مجددون لهذا  
٥ القول مستمرين على ذلك استهزاء: ﴿متى هذا الوعد﴾ أى بالعذاب في  
الدنيا أو في الآخرة، وألهبوا وهيجوا بقولهم: ﴿ان كنتم﴾ أى أنت  
ومن قال بقولك ﴿صدقين ه﴾ والقول كلام<sup>٢</sup> مضمن في ذكره بالحكاية  
وقد يكون كلام لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر / مضمن بالحكاية، فلا يكون  
/ ٥٨٧ قولاً [لأنه إنما يكون قولاً - ٢] من أجل تضمن ذكره بالحكاية -

١٠ قاله الرماني، والتضمن جعل الشيء في؛ وعاء؛ والوعد: خبر بما يعطى  
من الخير، والوعيد: خبر بما يعطى من الشر، وقد يراد الإجمال كما هنا  
فيطلق الوعد على المعينين: وعد المحسن بأثواب والمسيء بالعقاب؛  
والصدق<sup>٥</sup>: الخبر<sup>٦</sup> عن الشيء<sup>٦</sup> على ما هو به؛ والكذب: الخبر عنه على  
خلاف ما هو به .

١٥ ولما تضمن قولهم هذا استعجاله صلى الله عليه وسلم بما يتوعدهم  
به، أمره بأن يتبرأ من القدرة على شيء لم يقدره الله عليه بقوله:  
﴿قل﴾ أى لقومك المستهزئين ﴿لأ املك لنفسي﴾ فضلاً عن غيري؛  
ولما كان السياق للنعمة، قدم الضرر منها على أن نعمه<sup>٧</sup> أكثر من نقمه؛

(١-١) في ظ: منه ظلم (٢) في ظ: الكلام (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .  
(٥) في ظ: الصداق (٦-٦) في ظ: بالشيء (٧) في ظ: نقمه .

وأنهم فى نعمه ، عليهم ان يقيدوها بالشكر خوفا من زوالها فضلا عن أن يتمنوه فقال: ﴿ ضرا ولا تقعا ﴾ .

ولما كان من المشاهد أن كل حيوان يتصرف فى نفسه وغيره ببعض ذلك قال: ﴿ الا ما شاء الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة أن أملكه من ذلك ، فكأنه قيل : فمالك لا تدعوه بأن يشاء ذلك و<sup>١</sup> يقدرك ه عليه ؟ فقيل : ﴿ لكل امة اجل ﴾ فكأنه قيل : و<sup>٢</sup> ما ذا يكون فيه ؟ فقيل : ﴿ اذا جاء اجلهم ﴾ هلكوا ؛ ولما<sup>٣</sup> كان قطع رجائهم من الفسحة فى الاجل من أشد عذابهم ، قدم قوله : ﴿ فلا يستأخرون ﴾ أى عنه ﴿ ساعة ﴾ ثم عطف على الجملة الشرطية بكالمها ﴿ ولا يستقدمون ه ﴾ فلا تستعجلوه ؛ فان الوفاء بالوعد لا بد منه ، والسين فيها بمعنى الوجدان ، ١٠ أى لا يوجد لهم المعنى الذى صيغ [ منه - ° ] الفعل مثل : استشكل الشيء واستثقله ، [ ويجوز كون المعنى : لا يوجدون التأخر ولا التقدم وإن اجتهدوا فى الطلب ، فيكون فى السين معنى الطلب - ° ] ؛ والمملك قوة يتمكن بها من تصريف الشيء أتم تصريف ، والنفع : إيجاب اللذة بفعلها والتسبب المؤدى إليها ؛ والضرر : إيجاب الألم بفعله أو التسبب إليه : ١٥ والاجل : الوقت المضروب لوقوع أمر .

ولما كان جل<sup>٤</sup> قصدهم بذلك الاستهزاء ، وكان وقوعه أمرا ممكنا ، وكان من شأن العاقل أن يبعد عن كل خطر ممكن ، أمره

(١) فى ظ : او (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لو (٤) من ظ ، وفى الأصل : فلا يستعجلوا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : جعل .

صلى الله عليه وسلم بجواب آخر حذف منه واو العطف لئلا يظن أنه لا يكفى في كونه جواباً إلا بضمه إلى ما عطف عليه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن استقبلاً وعيدنا بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة ، وهو لا يكون إلا بعد الأخذ في الدنيا إعلالاً بأن الذى يطلبونه ضرر لهم محض لا نفع فيه ٥ بوجه ، فهو مما لا يتوجه إليه قصد عاقل ﴿ اريدتم ﴾ وهى من رؤية القلب لأنها دخلت على الجملة من الاستفهام ﴿ ان اتاكم عذابه ﴾ في الدنيا .

ولما كان أخذ الليل أنكى وأسرع ، قدمه فقال: ﴿ ياتا ﴾ [ أى - ٢ ] في الليل بغتة وأنتم تأتمون كما يفعل العدو ؛ ولما كانت الظفر ليلاً ١٠ لا يستلزم الظفر نهارة مجاهرة قال: ﴿ او نهارة ﴾ أى مكاشفة وأنتم مستيقظون ، أستمرون على عنادكم فلا تؤمنوا ؟ فكأنهم قالوا : لا ، فليعجل به ليرى ، فقبل : إنكم لا تدرون ما تطلبون ! إنه لا طاقة لمخلوق بنوع منه ، ولا يجترئ على مثل هذا الكلام إلا مجرم ﴿ ما ذا ﴾ أى ما الذى ؟ ويجوز أن يكون هذا جواب الشرط ﴿ يستعجل ﴾ أى يطلب العجلة ﴿ منه ﴾ ١٥ أى من عذابه ، وعذابه كله مكروه لا يحتمل شيء منه ﴿ المجرمون \* ﴾ إذ سنة الله قد استمرت بأن المكذب لا يثبت إلا عند مخالبه ، وأما إذا برك بكله وأناخ بثقله ، فانه يؤمن حيث لا ينفعه الإيمان ” ولن تجد لسنة الله تحويلاً “ وهذا معنى التراخي في قوله : ﴿ اثم اذا ما وقع ﴾ (١) من ظ ، وفي الأصل : ينفع (٢) في ظ : رواية (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : ينقله .

أى عذابه و اتقى كل ما يضاذه (انتم به) وذلك أنه كانت عاداتهم  
 كمن قبلهم الاستعجال بالعذاب عند التوعد به، وكانت سنة الله قد جرت  
 بأن المكذبين إذا أتاهم العذاب يتراخى إيمانهم بعد بحجى مقدماته و قبل  
 اجثائهم بعتائم صدماته لشدة معاندتهم<sup>١</sup> فيه و توطنهم عليه كما وقع  
 للأولين / من الأمم بغيا و عتوا كقوم صالح لما تغيرت وجوههم بألوان ٥ / ٥٨٨  
 مختلفة فى اليوم الأول ثم الثانى ثم الثالث و أيقنوا بالهلكة و ودع بعضهم  
 بعضا و لم يؤمنوا، و جرت بأنهم إذا ذاقوا مس العذاب و أخذتهم  
 فواجته الصعاب شغلتهم دواهيهِ عن العناد<sup>٢</sup> و اضطرتهم أهواله إلى  
 سهل الانقياد، فكان فى غاية الحسن وضع تقريرهم على الاستعجال  
 عقب الوعيد، ثم وضع التراخى عن الإيمان بالعناد بعد الإشراف على ١٠  
 الهلاك و معاينة التلف، فكان كأنه قيل: أخبرونى على تقدير أن يأتىكم  
 عذابه الذى لا عذاب أعظم منه - كما دل على ذلك إضافته إليه - فبيتكم  
 أو كاشفكم، ما ذا تفعلون؟ ألا تؤمنون؟ فقالوا: لا، فليعجل به ليرى،  
 فناسب لما كان استعجالهم بعد هذا الإنذار تسفيهُهم على ذلك فقل  
 ”ما ذا“ أى أى نوع منه يطلب عجلته ”المجرمون“، ولا نوع منه إلا وهو ١٥  
 فوق الطاقة<sup>٣</sup> و وراء الوسع، إن هذا لمنكر من الآراء، أفبعد تراخى  
 إيمانكم<sup>٤</sup> عن مخايل صدمته و مشاهدة مبادئ عظمتة و شدته أوجدتم الإيمان  
 به عند وقوعه؟ يقال لكم حين اضطرتكم فواجهته إلى الإيمان<sup>٥</sup> و حملتكم  
 (١) فى الأصل: معاندهم، و فى ظ: عنادهم (٢) موضعه بياض فى ظ (٣) فى  
 ظ: الطاعة (٤) فى ظ: إيمانه (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ .

قوارعه على صيرة<sup>١</sup> الإذعان : ﴿ آَلْتَن ﴾ تؤمنون به - أى بسية - بعد  
 أن أزال بطشنا قواكم و حل عزائم<sup>٢</sup> هممكم وأوهاكم<sup>٣</sup> ﴿ و قد كنتم ﴾  
 أى كونا كأنكم مجبولون عليه ﴿ به تستعجلون ٥ ﴾ أى تطلبون تعجيله  
 طلبا عظيما حتى كأنكم لا تطلبون عجلة<sup>٤</sup> شيء غيره تكذبا وعزما على  
 ٥ الثبات على العناد، لو وقع فلم يقبل<sup>٥</sup> إيمانكم هذا منكم ولا كف عذابنا عنكم،  
 بل صيركم كأمس الدابر .

ولما كان ما ذكر هو العذاب الديوى، أتبعه ما بعده إعلاما بأنه  
 لا يقتصر عليه في جزائهم فقال : ﴿ ثم قبل ﴾ أى من أى قاتل كان  
 استهانة ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى و بعد أزمكم في الدنيا والبرزخ<sup>٦</sup> بالعذاب  
 ١٠ و هزكم بشديد<sup>٧</sup> العقاب قيل لكم يوم الدين بظلمكم<sup>٨</sup> بالآيات و بما أمرتم  
 به فيها بوضعكم كلاً من ذلك في غير موضعه : ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾  
 فالإتيان بـ " ثم " إشارة إلى تراخي ذلك عن الإهلاك في الدنيا بالمكث  
 في البرزخ أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين ﴿ هل تجزون ﴾  
 بناء للمفعول لأن الخيف مطلق الجزاء ، ولما كان الاستفهام الإنكارى  
 ١٥ بمعنى النفي ، وكان المعنى : بشيء ، استثنى منه فقال : ﴿ إلا بما كنتم ﴾ أى  
 بجلاتكم ﴿ تكسبون ٥ ﴾ أى في الدنيا من العزم على الاستمرار على الكفر  
 (١) بمعنى منتهى الأمر وعاقبته ، وفى ظ : ضهورة (٢) فى ظ : عزائمكم .  
 (٣) فى ظ : أوهاكم (٤) من ظ ، وفى الأصل : عجلته (٥) فى ظ : فلم يقبل .  
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : التراخي (٧) من ظ ، وفى الأصل : شديد (٨) فى  
 ظ : اظلمكم .

ولو طال المدى لا تفككون عنه بشئ من الأشياء وإن عظم ، فكان  
جزاءكم الخلود فى العذاب طبق النمل بالنمل ؛ و العذاب : الألم المستمر ،  
و أصله الاستمرار ، ومنه المذبذبة لاستمرارها فى الخلق ؛ واليات : إتيان  
الشئ ليلا ؛ و الذوق : طلب الطعم بالقم فى ابتداء الأخذ .

ولما انقضى ما اشتملت عليه الآية من التهديد وصادع الوعيد ، ه  
أخبر تعالى أنهم صاروا إلى ما هو جدير بسمع ذلك من النزول عن ذلك  
العناد إلى مبادئ الانقياد بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَكَ ﴾ عطفنا على  
قوله ” ويقولون متى هذا الوعد “ أى و يطلبون منك الإنباء وهو الإخبار  
العظيم عن حقيقة هذا الوعيد الجسيم ، و يمكن أن يكون ذلك منهم على  
طريق الاستهزاء كالأول ، فيكون التعجيب و التوبيخ فيه بعد ما مضى من ١٠  
الأدلة أشد ﴿ احق هو ﴾ أى أثابت هذا الذى تتوعدنا به أم هو كالسحر  
لا حقيقة له كما تقدم أنهم قالوه ﴿ قل ﴾ أى فى جوابهم ﴿ اى و ربى ﴾  
أى المحسن إلى المدبر لى و المصدق لجميع ما آتى به ؛ ولما كانوا منكرين ،  
أكد قوله : ﴿ انه لحق ط ﴾ أى كائن ثابت لا بد من نزوله بكم .

ولما كان الشئ قد يكون حقا ، و يكون الإنسان قادرا على دفعه ١٥  
فلا يهوله ، قال نبيا لذلك : ﴿ و ما اتم ﴾ أى لمن توعدكم ﴿ بمعجزين ع ﴾  
فيما يراد بكم .

ولما أخبرهم بحقيقته ، أخبرهم بما يكون [منهم - ١] من الظلم أيضا عند  
معايته بالساح/بذل جميع ما فى الأرض حيث لا ينفع البذل بعد ترك المأمور به

(١) من ظ ، وفى الأصل : الدين - كذا (٢) فى ظ : الالم (٣) زيد بعده فى ظ :  
اى (٤) فى ظ : طريقة (٥) من ظ ، وفى الأصل : يتوعدنا (٦) زيد من ظ .

وهو من أيسر الأشياء وأحسنها فقال: ﴿ولو أن لكل نفس ظلت﴾  
 أى عند المعاينة ﴿ما فى الارض﴾ أى كلها من خزائنها ونفائسها  
 ﴿لاقتدت به<sup>١</sup>﴾ أى جعلت فدية لها من العذاب لكنه ليس لهم ذلك ،  
 ولو كان ما قبل منهم ، فاذا وقع ما يوعدون استسلموا ﴿واسروا الندامة﴾  
 ٥ أى اشتد ندمهم ولم يقدرُوا على الكلام ﴿لما راوا العذاب ج﴾ لأنهم  
 بهتوا لعظم ما دهمهم فكان فعلهم فعل المسر ، لأنهم لم يطيقوا بكاء  
 ولا شكاية ولا شيئاً مما يفعله الجازع ؛ والاستنباء : طلب النبأ كما أن  
 الاستفهام طلب الفهم ؛ والنبا : خبر عن يقين فى أمر كبير ؛ والحق :  
 عقد على المعنى على ما هو به تدعو الحكمة إليه ، وكل ما نبى على هذا  
 ١٠ العقد فهو حق لأجله ، والحق فى الدين ما شهد به الدليل على الثقة  
 فيما طريقه العلم ، والقوة فيما طريقه غالب الأمر ، وذلك فيما يحتمل  
 أمرين أحدهما أشبه بالأصل الذى جاء به النص ؛ والافتداء : إيقاع الشيء  
 بدل غيره لرفع المكروه ، فداء فدية وأفداء<sup>٢</sup> وافتداه افتداه وفاداه  
 مفاداة وفذاه<sup>٣</sup> تفدية وتفادى منه تفادياً ؛ والإسرار : إخفاء الشيء فى  
 ١٥ النفس ؛ والندامة : الحسرة على ما كان يتعنى أنه لم يكن أوقعها<sup>٤</sup> ، وهى  
 حال معقولة يتأسف صاحبها على ما وقع منها ويود أنه لم يكن أوقعها .

ولما اشتملت الآيات الماضيات على تحتم إنجاز الوعد والعدل فى الحكم ،  
 وختمت بقوله : ﴿وقضى﴾ أى وأوقع القضاء على أيسر وجه وأسهل ؛

(١) من ظ ، وفى الأصل : انضد - كذا (٢) فى الأصل و ظ : فداء .

(٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) فى ظ : تفادا (٥) سقط من ظ .



نظم الدرر ( الجزء الحادى عشر ) ج - ٩

ولما استغرق القضاء جميع وقائعهم ، دل عليه بنزع الجار فقال : ( بينهم )  
أى الظالمين و المظلومين و الظالمين ' و الأظلمين ( بالقسط ) أى العدل ؛  
ولما كان وقوع ذلك لا يبنى وقوع ' الظلم فى وقت آخر قال : ( وهم )  
أى و الحال أنهم ( لا يظلمون ) أى لا يقع فيهم ظلم من أحد أصلا  
كائنا من كان فى وقت ما .

ولما كان السبب الحامل للملوك الدنيا على الكذب و الجور و الظلم  
العجز أو طلب التزيد فى الملك ، أشار إلى تنزهه عن ذلك بقوله مؤكدا  
سوقا لهم مساق المنكر لأن فعلهم فى عبادة الأصنام فعل من ينكر  
مضمون الكلام : ( الآ ان لله ) أى الملك الأعظم وحده ( ما فى السموات )  
بدأ بها لعلوها معنى و<sup>٢</sup> حسا و عظمتها ؛ ولما كان المقام للغنى عن الظلم ، ١٠  
لم يحوج الحال إلى تأكيد باعادة التافى فقال : ( و الارض ) أى من  
جوهر و عرض صامت و ناطق ، فلا شىء خارج عن ملك يحوجه إلى  
ظلم أو إخلاف وعد لحيازته ، و الحاصل أنه لا يظلم إلا ناقص الملك  
و أما من له الملك كله فهو الحكم العدل ، لأن جميع الاشياء بالنسبة إليه  
على حد سواء ، و لا يخلف الوعد إلا ناقص القدرة و أما من له كل شىء . ٥

ولا يخرج عن قبضته شىء فهو المحق فى الوعد العدل فى الحكم ، و فى  
الآية زيادة تحسير و تنديم للنفس الظالمة حيث أخبرت بأن ما تود أن  
تفتدى<sup>٣</sup> به ليس لها منه شىء و لا تقدر<sup>٤</sup> على التوصل إليه ، ولو قدرت ما قبل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
يفتدى (٤) من ظ ، وفى الأصل : لا يقدر .

منها ، وإما هو لمن رضى منها بالقليل منه فضلا منه عليها على ما أمر به على لسان رسله ، وعلى هذا فيجوز أن يكون التقدير : لو أن لها ذلك لاقدت به ، لكنه ليس لها بل لله ؛ فلما ثبت بذلك حكمه بالعدل و تنزهه<sup>١</sup> عن إخلاف الوعد ، صرح بمضمون ذلك بقوله مؤكداً لإنكارهم :

٥ ﴿الآن وعد الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿حق﴾ لأنه تام القدرة والغنى ، فلا حامل [ له - ٢ ] على الإخلاف ﴿ولكن أكثرهم﴾ أى الذين تدعوهم و<sup>٣</sup> هم يدعون دقة<sup>٤</sup> الأفهام وسعة العقول ﴿لا يعلمون﴾ أى لا علم لهم فهم لا يتدبرون ما نصبنا من الأدلة فلا يتقادون لما أمرنا به من الشريعة ، فهم باقون على الجهل معدودون مع <sup>٥</sup> "بهاثم" و "الا" مركبة<sup>٦</sup> من همزة الاستفهام و "لا" وكانت تقريراً و تذكيراً فصارت تنبيهاً ، وكسرت "إن" بعدها لأنها استثنائية ينفى بها على معنى يتبدأ به ولذا يقع بعدها الأمر والدعاء بخلاف "لو" و "إلا" الاستقبال فلم يحز بعدها إلا كسر "إن" / و "أما" قد تكون<sup>٧</sup> بمعنى "حقاً" فى قولهم : أما إنه منطلق ، وهى للحال فجاز فى "إن" بعدها الوجهان - ذكره الرماني ؛ والسموات طبقات

١٥ مرفوعة أولها سقف مزين بالكواكب ، وهى من سما بمعنى علا .

وما تقرر أنه لا شيء خارج عن ملكه ، وأنه تام القدرة لأنه لا منجى من عذابه ، شامل العلم لقضائه بالعدل ، صادق الوعد لأنه

(١) من ظ ، وفى الأصل : تنزه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الذى (٤) من ظ ، وفى الأصل : أو (٥) من ظ ، وفى الأصل : رقة (٦) من ظ ، وفى الأصل : مركلة - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : يكون .

/ ٥٩٠

لا حامل<sup>١</sup> له على غيره ، وثبت تفردہ بأنه يحى ويميت ؛ ثبت أنه قادر على  
الإعادة كما قدر على الابتداء ، ثبت أنه لا يكون الرد إلا إليه فبه على  
ذلك بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يحى ﴾ أى كما أنتم به مقرون  
﴿ ويميت ﴾ كما أنتم له مشاهدون ﴿ وإليه ﴾ أى لا إلى غيره  
﴿ ترجعون ﴾ لأنه وعد بذلك فى قوله ” إليه مرجعكم جميعا وعد الله  
حقا “ وفى قوله ” فإلينا مرجعهم “ وفى قوله ” إى [ و - ٤ ] ربى  
أنه لحق “ وغير ذلك ولا مانع له<sup>٢</sup> منه ؛ والحياة معنى بوجوب<sup>٣</sup> صحة  
العلم والقدرة و [ يضاد - ٧ ] الموت ، وهو يحل سائر أجزاء الحيوان  
فيكون بجميعه حيا واحدا ، والحي هو الذى يصح أن يكون قادرا ،  
و القادر هو الذى يصح أن يذم ويحمد بما فعل ، والموت معنى يضاد ١٠  
الحياة على البنية الحيوانية ، وليس كذلك الجمادية .

ولما ثبت أن ذلك كله حق مبين للسحر الذى مبناه على التخيل ،  
أقبل على الذين تقدم الإخبار عنهم فى أول السورة فى قوله : أكان  
للناس عجا أنهم قالوا إنه سحر ، فقال : ﴿ بآياتها الناس ﴾ أى الذين قالوا :  
إن وعدنا والإخبار به سحر ؛ ولما كان بين<sup>٤</sup> الأرواح والابدان حب ١٥  
غريزى بالتعلق ، والتذ الروح لذلك بمشتهيات هذه الحياة الدنيا بما انطبع  
فيه بمظاهر الحس فلم يأت نور العقل حتى تعود<sup>٥</sup> النقائص بقوة التعلق

(١) فى ظ : عامل (٢) سورة ١٠ آية ٤ (٣) سورة ١٠ آية ٤٦ (٤) من ظ  
والقرآن الكريم سورة ١٠ آية ٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل :  
توجب (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين  
الرقين فى ظ .

فحدث له أخلاق ذميمة هي أمراض روحانية ، فأرسل ربه الذى أوجده  
ودبره وأحسن إليه طيبيا حاذقا هو الرسول صلى الله عليه وسلم لعلاج  
هذه الأمراض . و أنزل كتابه العزيز لوصف الأدوية ، فكان أحكم  
الطب منع المريض عن أسباب المرض ، قال تعالى : ﴿ قد جاءكم موعظة ﴾  
٥ أى زاجر عظيم عن التخلي عن كل ما يشغل القلب عن الله من المحظورات  
وغيرها من كل ما لا ينبغي . وذلك هو الشريعة .

ولما كان تناول انؤذى شديد الخطر ، وهو لذيق إلى النفس لما  
بينهما من ملازمة النقص ، وكان الانكفاف<sup>١</sup> عنه أشق شئ عليها ، رغبها  
في القبول بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم المدير لمصالحكم بهذا  
١٠ القرآن ؛ ولما كان أليق ما يعمل بعد الحمية تعاطى الدواء المزيل للآخلاق  
الفاسدة من الباطن ، قال : ﴿ وشفاء ﴾ أى عظيم [ جدا - <sup>٢</sup> ]  
﴿ لما فى الصدور<sup>٣</sup> ﴾ من أدواء الجهل ، وذلك الشفاء يحصل بتطهير  
الباطن بعد التخلي عن الأخلاق الذميمة بالتخلي بالصفات الحميدة لبصير  
الباطن سالما عن العقائد الفاسدة و الأخلاق الناقصة كما سلم البدن من  
١٥ الأفعال الدنية ، وهذا هو الطريق<sup>٤</sup> .

ولما كانت الروح إذا انصقلت مرآتها فصارت قابلة لتجلي الأنوار عليها  
[ بفيض - <sup>٢</sup> ] البروق الإلهية و التفحات القدسية و المواهب الملكوتية لأنها  
دائمة اللعان كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى عن محمد بن مسلمة  
رضى الله عنه : إن لربكم أيام دهركم تفحات ، ألا فترضوا لها - الحديث .

(١) فى ظ : الانكشاف (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الطريقة .

و ليس المانع من نزولها فى كل<sup>١</sup> قلب إلا عدم القابلية من بعضها لتراكم  
الظلمات فيها من صداء المخالفة و رين الإعراض و الغفلة ، فيكون بذلك  
كالمرايا الصديئة لا تقبل انطباع الصور بها ، قال تعالى : ﴿ و هدى ﴾  
إلى الحق لأنه نور عظيم يقود صاحبه - و لا بد - إلى الطريق الأقوم ،  
و هذا للصديقين و هو الحقيقة .

و لما كان هذا النور إذا زاد عظمة و انتشر إشراقه يفيض - بعد  
الوصول إلى هذه الدرجات الروحانية و المعارج الربانية - على أرواح  
الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام العالم فينير كل قابل  
له مقبل عليه ، قال تعالى : ﴿ و رحمة ﴾ أى إكرام عظيم بالإمامية بالغ  
فى الكمال و الإشراق إلى حد لا مزيد عليه ، و هذا للأئمة عليهم السلام ؛

و لما كان لا يتنفع بأنوارهم<sup>٢</sup> إلا من توجه إليهم ، ثم إن الارتفاع بهم  
/ يتفاوت بتفاوت درجات التوجه إليهم و الإقبال عليهم ، قال : ﴿ للمؤمنين \* ﴾  
الذين اتبعوه و هم راسخون فى التوجه إلى المرشدين و الاستسلام [ لهم - ٢ ]  
فكان ذلك سبباً لنجاتهم - أشار إلى هذا الإمام و قال : فهذه درجات

عقلية<sup>٣</sup> و مراتب برهانية مدلول عليها بهذه الكلمات الأربع القرآنية على  
وجه لا يمكن تأخير شئ منها عن موضعه و لا تقديمه ، و هذا بخلاف  
ما نسبوه إليه [ صلى الله عليه و سلم - ٢ ] من السحر فانه داه كله و ضلال يحجر  
إلى الشقاء . و الموعظة : إبانة تدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة و الرهبة ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : من انوارهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى  
الأصل : عقيلة .

نظم الدرر (سورة يونس ١٠: ٥٨ و ٥٩) ج - ٩

و الوعظ ما دعا إلى الخشوع و النسك و صرف عن الفسوق و الإنثم ،  
و الشفاء : إزالة الداء ، و داء الجهل أضر من داء البدن و علاجه أعر  
و أطبؤه أقل ، و الشفاء منه أجل ؛ و الصدر : موضع القلب ، و هو أجل  
موضع في الحى لشرف القلب ؛ و الهدى : يان عن ' معنى يؤدى إلى  
٥ الحق ، و هو دلالة تؤدى إلى المعرفة ؛ و الرحمة : نعمة على المحتاج .

و لما ثبت ذلك ، حثهم عليه لبعده عن السحر بثباته و عدم القدرة  
على زلزاله فضلا عن إزالته و بأنه شفاء و موعظة و هدى و رحمة فهو  
جامع لمراتب القرب الإلهى كلها ، و زهدهم فيما هم عليه مقبلون من  
الحطام للمشاركة للسحر في سرعة التحول و التبديل بالفساد و الاضمحلال  
١٠ فهو [ أهل - ٢ ] للزهد فيه و الإعراض عنه فقال تعالى : ﴿ قل بفضل الله ﴾  
الآية ، و حسن كل الحسن تعقيب ذلك لقوله " هو يحيى ويميت " .  
لما ذكر من سرعة الرحيل عنه ، و لأن القرآن يحى لميت الجهل ، من  
أقبل عليه أفاده العلم و الحكمة ، فكان للقلب كالحياة للجسد ، و من  
أعرض عنه صار في ضلال و خبط فوصل إلى الهلاك الدائم ، فكان  
١٥ إعراضه عنه يميت له ، و جعل أبوحيان متعلق الباء في " بفضل " محذوفا  
تقديره : " قل " ليفرحوا " بفضل الله " أى الملك الأعلى ﴿ و برحمته ﴾  
ثم عطف ٢ قصر الفرح ٢ على ذلك ﴿ فبذلك ﴾ أى الأمر العظيم جدا  
وحده إن فرحوا ، يوما ما بشئ ﴿ فليفرحوا ١ ﴾ ففهما جملتان و قال : إن  
ذلك أظهر ، و فائدة الثانية قصر الفرح على ذلك دون ما يسرون به من الحطام

(١) في ظ : على (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في  
ظ : فرح .

فان السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسدية<sup>١</sup> . ثم صرح  
بسبب الفرح فقال : ( هو ) أى المحدث عنه من الفضل والرحمة  
( خير مما يجمعون \* ) أى من حطام الدنيا وإن كان أشرف ما فيها  
من المتاع دائبين<sup>٢</sup> فيه على تعاقب الاوقات ، والعاقل يختار لعبه الأفضل ؛  
والفضل : الزيادة فى النعمة ؛ والفرح : لذة فى القلب بنيل المشتهى . ٥  
ولما وصف القرآن العظيم بالشفاء وماعه المقتضى لاستقامة  
المنهج وسداد الشرائع ووضوح المذاهب ، وأشار إلى أن العاقل ينبغي  
له أن يخصه بالفرح لبقاء آثاره وما يدعو إليه وزهده<sup>٣</sup> فيما يجمعون  
لفنائه ولأنه يدعو إلى رذائل الاخلاق فيحط<sup>٤</sup> من أوج المعالي ، أشار  
إلى أنهم كما<sup>٥</sup> خطبوا فى الفرح فخصوه<sup>٦</sup> بما يفتى معرضين عما يبق فكذا<sup>٧</sup> ١٠  
خطبوا فى طريق الجمع فوعدها على أنفسهم بأن حرموا بعض ما أحله ،  
فنعوا أنفسهم ما هم به فرحون دون أمر من الله تعالى فنقصوا بذلك حظهم  
فى الدنيا بهذا المنع وفى الآخرة بكذبهم على ربهم فى تحريمه حيث  
جعلوه شرعا مرضيا وهو فى غاية الفساد والبعد عن الصواب والقصور  
عن مراقى السداد فقال تعالى : ( قل ) أى لهؤلاء الذين<sup>٨</sup> يستهزئون ١٥  
بك استهزاء قاضيا عليهم بأنهم لا عقول لهم مستهزئا بهم وموبخا لهم  
توبيخا هو فى أحكم مواضعه ، وساقه على طريق السؤال بحيث أنهم

---

(١) راجع البحر المحيط ١٧١/٥ (٢) فى ظ : داين (٣) فى ظ : زهد (٤) فى ظ :  
فيحيط (٥) فى ظ : لما (٦) من ظ ، وفى الأصل : محضوا - كذا (٧) من ظ ،  
وفى الأصل : فلذلك (٨) سقط من ظ .

لا يقدرّون على الجواب أصلا بغير الإقرار<sup>١</sup> بالاقتراء فقال: (أردنتم)

أى أخبرونى، وعبر عن الخلق بالإتزال تنبيها على أنه شىء لا يمكن

ادعائه لأصنامهم لنزول أسبابه من موضع لا تعلق لهم به بوجه فقال:

(ما أنزل الله) أى الذى له صفات / الكمال اتى منها الغنى المطلق

/ ٥٩٢

٥ (لكم) أى خاصا بكم (من رزق) أى أى رزق كان (فجعلتم منه)

أى ذلك الرزق الذى خصكم<sup>٢</sup> به (أحراما و حلالا<sup>٣</sup>) على النحو الذى

تقدم فى الانعام وغيرها قصته و يان فساد على أنه جلى الفساد ظاهر

العوج؛ ثم ابتداء أمرا آخر تأكيدا للانكار عليهم فقال: (قل)

أى من أذن لكم فى ذلك؟ (آله) أى الملك الأعلى (اذن لكم)

١٠ فوضحوا المستند به (ام) لم يأذن لكم فيه مع نسبتم إياه إليه لأنكم

فصلتموه إلى حرام و حلال و لا محل و محرم إلا الله، فأنتم (على الله)

أى المحيط بكل شىء عظمة و علما (تفترون<sup>٤</sup>) مع نسبتم الاقتراء

إلى فى هذا القرآن الذى أعجز الأفكار و الشرع الذى بهر العقول

و ادعائكم أنكم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أطهرهم ذبولا منه،

١٥ و تقديم الجار للإشارة إلى زيادة التشنيع عليهم من حيث أنهم أشد

الناس تبرؤا من الكذب و قد خصوا الله - على تقدير التسليم لهم - بأن

تعمدوا الكذب عليه .

ولما كان قد مضى من أدلة المعاد ما صيره كالشمس، و كان اقتراءهم

قد ثبت بعدم قدرتهم على مستند<sup>٥</sup> بأذن الله لهم فى ذلك، قال مشيرا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: خصصتم (٣-٢) فى ظ: حلالا و حراما (٤) فى ظ: =



إلى أن القيامة بما هو معلوم لا يسوغ إنكاره: ﴿وما ظن الذين يفترون﴾  
 أى يتعمدون<sup>١</sup> ﴿على الله﴾ أى الملك الأعظم<sup>٢</sup> ﴿الكذب﴾ أى أنه  
 نازل بهم ﴿يوم القيمة<sup>٣</sup>﴾ أى هب أنكم لم تستحيوا منه ولم تخافوا  
 عواقبه فى الدنيا فأتظنون أنه يكون ذلك اليوم؟ أتظنون أنه لا يحاسبكم  
 فيكون حيثنذ قد فعل ما لا يفعله رب مع مربوبه .

و لما كان تعالى يعاملهم بالحلم وهم يتمادون فى هذا العقوق، قال:  
 ﴿ان الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿لذو فضل﴾ أى عظيم  
 ﴿على الناس﴾ أى بنعم منها إزال الكتب مفصلا فيها ما يرضاه وما يسخطه  
 وإرسال الرسل عليهم<sup>٤</sup> السلام ليأنها بما يحتمله<sup>٥</sup> عقول الخلق منها،  
 ومنها طول إهمالهم على سوء أعمالهم فكان شكره واجبا عليهم ١٠  
 ﴿ولكن أكثرهم﴾ أى الناس لاضطراب ضمائرهم ﴿لا يشكرون﴾  
 أى لا يتجدد منهم شكر فهم لا يتبعون رسله ولا كتبه، فهم يخطون خط  
 عشواء فيفعلون ما بغضبه سبحانه؛ والتحريم: عقد معنى النهى عن الفعل؛  
 والتحليل: حل معنى النهى بالإذن؛ والشكر: حق يجب بالنعمة من الاعتراف  
 بها والقيام فيما تدعو إليه على قدرها؛ واقتراء الكذب: تزويره و تنميقه ١٥  
 فهو أفحش من مطلق الكذب .

و لما وصف القرآن بما وصفه به من الشفاء وما معه بعد إقامة الدليل

= من (هـ) فى ظ: مستنده .

(١-١) فأخر ما بين الرقين فى الأصل عن « نازل بهم » و الترتيب من ظ .  
 (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: عليه (٤) فى ظ: تحتمله (هـ) فى ظ: وصف .

على إعجازه ، وأشار إلى أن ما تدينوا به في غاية الخطب وأنه مع  
كونه كذبا يقدر كل واحد على تغييره بأحسن منه لكونه غير مبنى  
على الحكمة ، وختم ذلك بتهديدهم على اقراء الكذب في شرع ما  
لم يأذن به مع ادعائهم أن القرآن مفترى و هم عاجزون عن معارضته ،  
و بأنهم لم يشكروه على نعمه التي أجلها تخصيصهم بهذا الذكر الحكيم  
و الشرع القويم ، و كان قد أكثر في ذلك كله من الأمر له صلى الله  
عليه وسلم بمحاجتهم<sup>١</sup> ” قل لا املك لنفسي “ ، ” قل اريدتم ان اتحكم  
عذابه “ ، ” قل اى وربى انه لحق “ ، ” قل بفضل الله “ - الآية ، ” قل  
اريدتم ما انزل الله لكم “ ، ” قل آله اذن لكم “ ، قال تعالى ناظرا إلى  
١٠ قوله ” وما كان هذا القرآن ان يفترى “ الآية ، تسليته له صلى الله

عليه وسلم وتقوية لهمة وزيادة في تهديدهم عظما على ما تقديره : قد  
أنزلت إليهم<sup>٢</sup> على لسانك ما هو شرف<sup>٣</sup> لهم ونعمة عليهم وهو في غاية  
البعيد عن مطلق الكذب فان كل شيء منه في أحكم مواضعه وأحسنها  
لا ينطرق إليه الباطل بوجه وهم يقابلون نعمته بالكفر : ﴿ وما تكون ﴾  
١٥ [ أنت - ١ ] ﴿ فى شان ﴾ أى أى شأن كان ﴿ وما تتلوا منه ﴾ أى  
من القرآن المحدث عنه في جميع هذه السورة ، الذى تقدم أنهم كذبوا  
به من غير شبهة لهم ﴿ من قرآن ﴾ أى قليل أو كثير ﴿ ولا تعملون ﴾  
أى كلكم طائعكم وعاصيكم ، وأغرق في النفي فقال : ﴿ من عمل ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : محاجتهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٣) فى  
ظ : اشرف (٤) زيد من ظ .

صغير أو كبير ﴿ الا كنا ﴾ [أى - ١] بما لنا من العظمة ﴿ عليكم شهودا ﴾  
 أى<sup>٢</sup> عاملين بأحاطة علمنا ووكالة جنودنا عمل الشاهد ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾  
 الآية إيدانا بأنك بعينى فى جميع هذه المراجعات وغيرها من شؤونك  
 و أنا العالم<sup>٣</sup> بتدبيرك و القادر على نصرتك<sup>٤</sup> ، و هى كلها من كتابى الذى  
 تتضاءل القوى دونه و تقف الأفكار عن مجاراته لأنه حكيم لكونه من ٥  
 عندى لجل عن مطلق المعارضة لفظا أو معنى فضلا عن التغيير فضلا عن  
 الإتيان<sup>٥</sup> بما هو مثله فكيف بما هو أحسن منه ، لاستقامة أمره و تناسب  
 أحكامه كونها شفاء و هدى [ و رحمة - ١ ] ، و ما كان كذلك فهو من  
 عندى قطعا و باذنى جزما لأنى<sup>٦</sup> عالم بالإفاضة فيه و الانقصال عنه و جميع  
 الأمور الواقعة منك و منهم و من غيرهم .

١٠

و لما كان ربما ظن ظان من إفهام ” كنا ” و ” شهودا ” للجنود  
 أنه سبحانه محتاج إليهم ، نفى ذلك بقوله : ﴿ وما ﴾ أى و الحال أنه  
 ما ﴿ يعزب ﴾ أى يغيب [ و يخفى - ١ ] ﴿ عن ربك ﴾ [أى - ١]  
 المربى لكل مخلوق بعام أفضاله و لك بخاص نعمه و أشرف نواله ،  
 و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من مثقال ذرة ﴾ أى وزن نملة صغيرة جدا ١٥  
 و موضع وزنها و زمانه ؛ و لما كان ” فى ” بموزن<sup>٧</sup> أهل الأرض كان  
 تقديمها أولى فقال : ﴿ فى الأرض ﴾ و لما لم يدع السياق إلى الجمع - كما  
 سيأتى فى سبأ<sup>٨</sup> - قال اكتفاء بالمفرد الدال على الجنس : ﴿ و لا فى السماء ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : عليكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ  
 لخذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : عالم (٤) فى ظ : نصرك (٥) فى ظ : الآيات  
 - كذا (٦) فى ظ : لأنه (٧) فى ظ : تسرون (٨) راجع آية ٣ .

أى ما علا عن الأرض كائنا ما كان .

ولما كان ربما أدى الجود بعض الأغنياء إلى أن يحمل المثقال على حقيقته ويجهل أن المراد به المبالغة ، قال عاطفا على الجملة من أولها وهو على الابتداء سواء رفعا الرايين على قراءة حمزة و يعقوب أو نصبناهما عند الباين : ﴿ و لا اصغر من ذلك ﴾ أى من مثقال الذرة ﴿ و لا اكبر ﴾ ولما أتى بهذا الابتداء الشامل الحاصر ، أخبر عنه بقوله : ﴿ الا ﴾ أى لا شئ من ذلك إلا موجود<sup>٢</sup> ﴿ فى كتب ﴾ أى جامع ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى نفسه مظهر لكل ما فيه ، [ وسأتى فى سبأ ما يتم به هذا المكان -<sup>٣</sup> ] ، وفى ذلك تهديد لهم و تثبيت له صلى الله عليه وسلم ، ولاح ١٠ بهذا أن ما بعد "الا" حال من الفاعل ، أى ما يفعل شيئا إلا و أنت باعينا ثبت أن القرآن بعله ، فلو افتراه أحد عليه لأمكن منه ؛ والإفاضة : الدخول فى العمل ؛ على جهة الانصباب إليه وهو الانبساط فى العمل ؛ أخذنا من فيض الإناء إذا انصب ما فيه من جوانبه ، وأفضتم<sup>٤</sup> : تفرقتم كتفرق الماء الذى يتصبب من الإناء ؛ والعزوب : ١٥ ذهاب المعنى عن العلم ، وضده الحضور ؛ والذر : صغار النمل وهو خفيف الوزن جدا ،<sup>٥</sup> ومثقاله : وزنه<sup>٦</sup> .

ولما تقدم أنه سبحانه شامل العلم ، و علم - من وضع الأحوال

(١) فى ظ : الحاضر (٢) فى ظ : موجودا (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقين فى الأصل ، ولم يكن التكرار فى ظ لحذفناه (٥) فى ظ : افرضتم . (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .

مالا تسع ومن لا تسع مجرد أسماهم الأرض في كتاب مبين أى  
 مهما كشف منه وجد من غير خفاء ولا احتياج إلى تفتيش - أنه كامل  
 القدرة بعد أن تقدم أنهم فريقان : صادق فى أمره ، ومفترى عليه ،  
 وأنه متفضل على الناس بعدم المعاجلة والتأخير إلى القيامة ، وخوف  
 المفترى عواقب أمره عاجلا وآجلا ، ورجى المطيع ، كان موضع أن ه  
 يقال : ليت شعرى ما ذا يكون تفصيل حال الفريقين فى الدارين على الجزم ؟  
 فأجيب بأن الأولياء فائزون والأعداء هالكون ليشر كل مطيع عن  
 ساعد<sup>٢</sup> جده ويذل غاية جهده فى لحاق المخلصين وتحمى جانب المفترين  
 بقوله تعالى مؤكدا لا اعتقادهم أنهم يهلكون حزب الله وإنكاره غاية  
 الإنكار أن يفوتهم : ﴿الآن أولياء الله﴾ أى الذين يتولون بالطاعة ١٠  
 من لا شئ أعز منه ولا أعظم [ ويتولاهم - ٢ ] ﴿لا خوف﴾ أى  
 ثابت عال ﴿عليهم﴾ أى من شئ . يستقبلهم ﴿ولا هم﴾ أى بضائرهم  
 ﴿يخزون﴾ أى يتجدد لهم حزن على فائت لأن قلوبهم معلقة بالله  
 سبحانه فلا يؤثر فيهم ؛ لذلك خوف ولا حزن أثرا يقطع قلوبهم كما  
 يعرض لغيرهم ، وفسرهم بقوله : ﴿الذين آمنوا﴾ أى أوجدوا هذا الوصف ١٥  
 المصحح للأعمال وبه كمال القوة العلمية ﴿وكانوا﴾ أى كونا صار لهم جلة  
 وخلقاً ﴿يتقون﴾ أى يوجدون / التقوى ، وهى كمال القوة العلمية  
 فى الإيمان والأعمال ويجددونها<sup>٣</sup> فانه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق

٩٩٤ /

(١) فى ظ : مفترى (٢) فى ظ : ساق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
 لهم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : العلمية (٧) من ظ ، وفى الأصل : يجددونه .

قدره ، و انتهى الجواب بقوله ” ان الذين يفترون على الله الكذب “ -  
 الآية . وهذا الذى فسر الله به الاولياء لامزيد على حسنه ، و عن على  
 رضى الله عنه ، هم قوم صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من العبر ،  
 خصص البطون من الخوى ، و قيل : الولي من لا يرائي و لا ينافق ، و ما أقل  
 صديق من كان هذا خلقه ، و صح عن الإمامين : أبى حنيفة و الشافعى ،  
 كما نقل ذلك عنهما الشيخ محي الدين النوى فى مقدمة شرح المذهب  
 و التبيان أن كلامهما قال : إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي .  
 و هذا فى العالم العامل بعله ، كما بينته عند قوله فى سورة الزمر ” قل هل  
 يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون “ .

١٠ و لما تقي عنهم الخوف و الحزن ، زادم قبال [ ميئنا لتوليه لهم  
 بعد أن شرح توليهم له - ٤ ] : ( لهم ) أى خاصة ( البشرى ) أى  
 الكاملة ( فى الحياة الدنيا ) أى بأن دينهم يظهر<sup>١</sup> و حالهم يشهر<sup>٢</sup>  
 و عدوهم يخذل و عمله<sup>٣</sup> لا يقبل [ و بالروية الصالحة - ٤ ] ( و فى الآخرة<sup>٥</sup> )  
 بأنهم هم السعداء ، أعداؤهم الأشقياء و تلقاهم الملائكة ” هذا يومكم الذى  
 كنتم توعدون “ . و لما كان الغالب على أحوال أهل الله فى الدنيا الضيق  
 و لا سيما فى أول الإسلام ، كان السامع لذلك بمعرض أبى يقول :  
 باليت شعرى هل يتم هذا السرور ! فقيل : نعم ، و أكد بنى الجنس  
 لأن الجبارة ينكرون ذلك [ لهم - ٤ ] لما يرون من أن عزهم من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى علمه (٣) آية ٩ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ :  
 باق (٦) فى ظ : يظهر (٧) فى ظ : يشهر (٨) فى ظ : علمه (٩) فى ظ : عن .

وراء ذل ليس فيه سوء<sup>١</sup> ما لباطل المتكبرين من السورة والإرجاف والصولة:  
 ﴿ لا تبديل ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ لكلمت الله<sup>٢</sup> ﴾ أى الملك الأعلى  
 الذى له الإحاطة بكل شىء علما وقدرة؛ وقوله - : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر  
 العالى الرتبة ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الفوز العظيم<sup>٣</sup> ﴾ - فى موضع البيان  
 والكشف لمضمون هذه البشرى؛ والخوف : انزعاج القلب بما يتوقع هـ  
 من المكروه . ونظيره الجزع والفزع ، ونقيضه الأمن ؛ والحزن :  
 انزعاجه وغلظ همه بما وقع من المكروه ، من الحزن للأرض الغليظة ،  
 ونقيضه السرور ، وهما يتعاقبان على حال الحى الذى ذكر للحبوب ؛ والبشرى :  
 الخبر الأول بما يظهر سروره فى بشرة الوجه .

ولما تقدمت البشرى بنفى الخوف والحزن معا<sup>٤</sup> عن الأولياء ، علم أن ١٠  
 المعنى : هذه البشرى للأولياء وأنت رأسهم فلا تخف ، فعطف عليه  
 قوله : ﴿ ولا يحزنك قولهم<sup>٥</sup> ﴾ [ أى -<sup>٦</sup> ] فى نحو قولهم : إنهم يغلبون<sup>٧</sup> .  
 وفى تكذيبك والاستهزاء بك وتهديدك ، فإن ذلك قول يراد به  
 تبديل كلمات الله الغنى القدير . وهيهات ذلك من الضعيف الفقير فكيف  
 بالعلی الكبير ! وإلى هذا يرشد التعليل لهذا<sup>٨</sup> النهى بقوله : ﴿ ان العزة ﴾ ١٥  
 أى العلبة والقهر وتام العظمة ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى حال كونها  
 ﴿ جميعا<sup>٩</sup> ﴾ أى فيبذلهم ويعز دينه ، والمراد بذلك التسلية عن قولهم  
 الذى يؤذونه به .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : معنا (٣) فى ظ : هذا (٤) زيد من ظ (هـ) فى  
 ظ : يغلبون (٦) فى ظ : بهذا .

ولما بدئت الآية بقولهم ، ختمها بالسمع له و العلم به وقصرهما  
 عليه لأن صفات كل موصوف متلاشية بالنسبة إلى صفاته فقال : ( هو )  
 أى وحده ( السميع ) أى البليغ السمع لأقوالهم ( العليم ) أى  
 المحيط العلم بضرارهم وجميع أحوالهم فهو البالغ القدرة على كل شئ .  
 فيجازيهم بما تقتضيه ، وهو تحليل لتفرد<sup>١</sup> بالعزة لأنه تفرد بهذين الوصفين  
 فانتفيا عن غيره ، ومن انتفيا عنه كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون<sup>٢</sup>  
 له عزة ! والعزة : قدرة على كل جبار بما لا يرام ولا يضام ، والمعنى  
 أنه يعزك على من نابراك ، والنهى فى " ولا يحزنك " فى اللفظ للقول  
 وفى المعنى للسبب المؤدى إلى التأذى بالقول ، وكسرت ' إن ' هنا  
 ١٠ للاستئناف بالتذكير<sup>٣</sup> بما ينبنى الحزن ، لا لأنها بعد القول لأنها ليست  
 حكاية عنهم ، وقرئ بفتحها على معنى ' لأن ' .

ولما ختمت بعموم سمعه و علمه بعد قصر العزة عليه ، كان كأنه  
 قيل : إن العزة لا تتم إلا بالقدرة فأنبت اختصاصه بالملك الذى لا / يكون  
 إلا بها ، فقال مؤكدا لما يستلزمه إشراكهم من الإنكار لمضمون هذا  
 ١٥ الكلام : ( الآ ان الله ) أى الذى له الإحاطة الكاملة ؛ ولما كان  
 بعض الناس قد أشركوا ببعض النجوم ، جمع فقال معبرا بأداة العقلاء  
 تصريحاً بما أفهمه التعبير سابقاً بأداة غيرهم : ( من فى السموات ) أى  
 كلها ، وابتدأ بها لأن ملكها يدل على ملك الأرض بطريق الأولى ،  
 ثم صرح بها فى قوله ' مؤكدا لما تقدم ' : ( ومن فى الأرض ) أى كلهم

/ ٥٩٥

(١) فى ظ : لتفرد (٢) فى ظ : تكون (٣) من ظ ، وفى الأصل : التذكر .  
 (٤-٤) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن " كلهم عبيده " والترتيب من ظ .



عبيده 'ملوكهم و من دونهم' ، نافذ فيهم تصريفه ، منقادون لما يريده ، و هو أيضا تعليل ثان لقوله " ولا يحزنك قولهم " أو للتفرد بالعزة ، و عبر بـ " من " التى للعقلاء و المراد كل ما فى الكون لأن السياق لنفى العزة عن غيره<sup>٢</sup> ، و العقلاء بها أجدر ، فنفيها عنهم نفي عن غيرهم بطريق الأولى ، ثم غلبوا لشرفهم على غيرهم<sup>٣</sup> ، ولذا تطلق 'ما' التى هى لغيرهم ه فى سياق هو بها أحق ثم يراد بها العموم تغليبا للأكثر الذى لا يعقل على الأقل ؛ ثم نفي أن يكون له فى ذلك شريك بقوله عاطفا على ما تقديره : فما له شريك عما ادعاه المشركون منها أو من إحداهما : ( و ما يتبع ) أى بغاية الجهد ( الذين يدعون ) أى على سبيل العبادة ( من دون الله ) أى الذى له العظمة كلها ( شركاء<sup>٤</sup> ) على الحقيقة ؛ ويجوز أن تكون ١٠ 'ما' موصولة تحقيرا للشركاء بالتعبير بأداة ما لا يعقل و معطوفة على 'من' ( ان ) أى ما ( يتبعون ) فى ذلك الذى هو أصل أصول الدين يجب فيه القطع و هو دعاءهم له شركاء ( الا الظن ) أى المخطئ على أنه لو كان صوابا كانوا مخطئين فيه حيث قنعوا فى الأصل بالظن ، ثم نبه على الخطأ بقوله : ( و ان ) أى و ما ( هم الا يحرصونه ) أى يحزرون ١٥ ذلك و يقولون ما لا حقيقة له أصلا ؛ و الاتباع : طلب اللحاق بالاول على تصرف الحال ، فهؤلاء اتبعوا الداعى إلى عبادة الوثن و تصرفوا معه

(١-١) تقدم ما بين الرقيين فى الأصل على « و من فى الارض » و الترتيب من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفي (٣) فى ظ : غيرهم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (ه) فى ظ : احدهما .

فما دعا إليه ، [ و - ' ] ظنهم في عبادتها إنما هو بشيعة<sup>١</sup> ضعيفة كقصد  
 زيادة التعظيم لله و تعظيم تقليد الأسلاف<sup>٢</sup>. ويجوز أن يكون "شركاء"  
 مفعولا تنازعه "يتبع" و "يدعون"؛ ثم أثبت سبحانه اختصاصه بشيء  
 جامع للعلم و القدرة تأكيداً لاختصاصه بالعزة و تفرد به بالوحدانية ، و أن  
 من أشرك به خالص لا علم له بوجه لكثرة الدلائل على وحدانيته و وضوحها  
 ه فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى جعل ﴾ أى بسبب دوران الأفلاك  
 الذى أنقذه ﴿ كم ﴾ أى نعمة منه ﴿ الليل ﴾ أى مظلماً ﴿ لتسكنوا فيه ﴾  
 راحة لكم و دلالة على قدرته سبحانه على الإيجاد و الإعدام و أنسا  
 للبحين لربهم ﴿ و النهار ﴾ ز أعار السبب وصف المسبب فقال :  
 ١٠ ﴿ مبصراً ﴾ أى لتنتشروا فيه ، حذف وصف الليل و ذكرت علته عكس  
 ما فعل بالنهار ليدل ما ثبت على ما ؛ حذف ، فالآية من الاحتباك .

و لما كانت هذه الآيات من الظهور بحيث لا يحتاج إلى أكثر من  
 سماعها ، قال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ لايت لقوم ﴾ أى  
 لهم قوة المحاولة على ما يريدونه ﴿ يسمعون ه ﴾ أى لهم سمع صحيح .  
 ١٥ و فى ذلك أدلة و اضحات \* على أنه مختص بالعزة فلا شريك له . لأن  
 الشريك لا بد و أن يقاسم شريكه شيئاً من الأفعال أو الأحوال أو الملك ،  
 و أما عند انتفاء جميع ذلك فانتفاء الشركة أوضح من أن يحتاج فيه إلى  
 دليل ، و يجوز أن يكون المعنى : لآيات لقوم يصرون إيصار اعتبار

(١) زيدت الواو من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تشبيه (٣) فى ظ :  
 الالتلاف (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : واضحة .

و يسمعون سماع تأمل وادكار ، ولكنه حذف 'يصرون' لدلالة  
 "مبصرا" عليه ، ويزيد ذلك [وضوحاً و - ١] حنا كون السياق لنفى  
 الشركاء ، فهو إشارة إلى أنها<sup>٢</sup> لا تسمع ولا تبصر أصلاً فكيف بالاعتبار  
 و الافتكار ؟ فالذين عبدوهم أكمل حالاً منهم .

و لما لم يكن شبهة على ادعاء الولد لله سبحانه ولا لهم اطلاع عليه .  
 بوجه ، ساق قوله :- ﴿ قالوا اتخذ ﴾ أى تكلف الأخذ بالتسبب على  
 ما / نعهد ﴿ لله ﴾ أى المسمى بهذا الاسم الذى يقتضى تسميته<sup>٣</sup> به أن  
 يكون له الكمال كله ، فلا يكون محتاجاً إلى شيء بوجه ﴿ ولدا ﴾ مساق  
 البيان لقوله " ان يتبعون الا الظن " وهذا صالح لأن يكون تعجيباً بمن  
 ادعى فى الملائكة أو عزيز<sup>٤</sup> أو المسيح وغيرهم .

١٠

و لما عجب منهم فى ذلك لمنافاته بما يدل عليه من النقص لما ثبت  
 لله تعالى من الكمال كما مر ، نزه نفسه الشريفة عنه فقال : ﴿ سبحانه<sup>٥</sup> ﴾  
 أى تنزه عن كل شائبة نقص التنزه كله ؛ ثم علل تنزهه عنه<sup>٦</sup> و بينه بقوله :  
 ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الغنى<sup>٧</sup> ﴾ أى عن الولد وغيره لأنه فرد منزّه عن  
 الأبعاد و الأجزاء و المجانسة ؛ ثم بين غناه بقوله : ﴿ له ما فى السموات ﴾ ١٥  
 و لما كان سياق الاستدلال يقتضى التأكيد ، أعاد ' ما ' فقال :  
 ﴿ وما فى الارض<sup>٨</sup> ﴾ من صامت و ناطق ، فهو غنى بملك ذلك عن أن  
 يكون شيء منه ولداً له لأن الولد لا يملك ، و عدم ملكه نقص مناف للغنى ،  
 (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انه (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : تسميه .  
 (٥) من ظ ، و فى الأصل : عزيزاً (٦) سقط من ظ .

ولعله عبر بـ "ما" لأن الغنى يحط نظره الصامت مع شمولها للناطق .  
ولما بين بالبرهان القاطع والدليل الباهر الساطع امتناع أن يكون  
له ولد ، بكتهم بنى أن يكون لهم بذلك نوع حجة فقال : ( ان ) أى  
ما ( عندكم ) وأغرق فى النقي فقال : ( من سلطان ) أى حجة ( بهذا )  
هـ اى الاتخاذ ، وسميت الحجة سلطانا لاعتلاء يد المتمسك بها ؛ ثم زادهم  
بها<sup>٢</sup> تبكيها بالإنكار عليهم<sup>٣</sup> بقوله : ( اتقولون ) أى على سبيل التكرير  
( على الله ) أى الملك الأعظم [ على سبيل الاستعلاء -<sup>٤</sup> ] ( ما لا تعلمونه )  
لأن<sup>٥</sup> ما لا برهان عليه [ فى الأصول -<sup>٦</sup> ] فهو جهل ، فكيف بما قام الدليل  
على خلافه ، والسلطان : البرهان القاهر لأنه يتسلط به على صحة الأمر  
١٠ و يقهر به الخصم ، وأصله القاهر للرعية بعقد الولاية ،

ولما قدم أن قولهم كذب ، وبكتهم عليه مواجهة ، اتبعه بما يشير  
إلى أنهم أهل للاعراض فى سياق مهدد على الكذب ، فقال معرضا عن  
خطابهم مؤكدا لأن اجترأهم على ذلك دال على التكذيب بالمؤاخذه  
عليه : ( قل ) أى للذين<sup>٦</sup> ادعوا الولد لله وخرموا ما رزقهم من السائبة  
هـ ونحوها<sup>٧</sup> ( ان الذين يفترون ) أى يتعمدون ( على الله ) أى<sup>٨</sup> الملك  
الأعلى ( الكذب لا يفلحون ط ) ثم بين عدم الفلاح بقوله : ( متاع )  
( ١ ) من ظ ، وفى الأصل : الایجاد ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ ) زيد بعده فى الأصل :  
فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها ( ٤ ) زيد من ظ ( ٥ ) فى ظ : اى ( ٦ ) فى  
ظ : لذى ( ٧ ) زيد بعده فى الأصل : قل ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .  
( ٨ ) فى ظ : على .

[ أى لهم -<sup>١</sup> ]، ونكره إشارة إلى قلته كما قال فى الآية الأخرى "متاع قليل"<sup>٢</sup>، وأكد ذلك بقوله : ﴿ فى الدنيا ﴾ لأنها دار ارتحال ، وما كان إلى زوال و تلاش و اضمحلال كان قليلا و إن تباعد مدّه و تطاولت مُدّدته و جل مدّده ، و زاد على الحصر عدده ؛ و بين حالهم بعد النقلة بقوله<sup>٣</sup> : ﴿ ثم ﴾ أى بعد ذلك الإملاء لهم و إن طال ﴿ الينا ﴾ أى على ما لنا ه من العظمة لا إلى غيرنا ﴿ مرجعهم ﴾ بالموت فنذيقهم عذابا شديدا لكنه دون عذاب الآخرة ﴿ ثم نذيقهم ﴾ يوم القيامة ﴿ العذاب الشديد بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ أى كونا هو جيلة لهم ﴿ يكفرون ﴾ و وجب كسر ' ان ' بعد القول لأنه حكاية عما يستأنف الإخبار به كما فعل فى لام الابتداء لذلك .

١٠.

و لما تقدم سؤالهم الإتيان بما يقترحون من الآيات ، و مضت الإشارة إلى أن تسييرهم<sup>٤</sup> فى القللك من أعظم الآيات و إن كانوا<sup>٥</sup> لإلفهم [ له قد -<sup>٦</sup> ] نسوا ذلك ، و تابعت الآى<sup>٧</sup> كما سلف إلى<sup>٨</sup> أن بين<sup>٩</sup> " هذا أن متاع المقتيرين " الكذب قليل تخويفا من شديد السطوة و عظيم الآخذ ، عقب ذلك بقصة قوم نوح لأنهم كانوا أطول الأمم<sup>١٠</sup> الظالمه مدة و أكثرهم عدة ، ثم أخذوا أشد أخذ فزالت آثارهم و انطمست أعلامهم<sup>١١</sup> و منارهم<sup>١٢</sup> فصاروا كأنهم لم يكونوا أصلا و لا أظهروا قولا

- (١) زيد من ظ (٢) سورة ٣ آية ١٩١ و سورة ١٦ آية ١١٧ (٣) فى ظ : فقال .  
 (٤) فى ظ : لأن (٥) فى ظ : تسييرهم (٦) فى ظ : كان (٧) زيد من ظ .  
 (٨) من ظ ، و فى الأصل : الآية (٩) فى ظ : الا (١٠) فى ظ : بين (١١) فى ظ :  
 الغتيرين (١٢-١٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ولا فعلا ، فقال تعالى عاطفا على قوله " قل ان الذين " مسليا لنيته  
صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لأن المصيبة إذا عمت خفت ،  
وتخويفا للكفار ليرجعوا أو يخفوا من أذاهم : ﴿ وائل ﴾ أى ' اقرأ قراءة  
متتابعة مستعجلة ﴾ عليهم بنا نوح<sup>١</sup> أى خبره العظيم مذكرا<sup>٢</sup> بأول كون  
الفلك وأنه كان إذ ذاك آية غريبة خارقة للعادة عجيبة ، وأن قوم نوح

لم ينفعهم ذلك ولا أغنى عنهم اقتراءهم وعنادهم / مع تطاول الامد وتباعد  
المدد ، بل صار أمرهم إلى زوال ، وأخذ عنيّف ونكال . كان لم يلبثوا  
الاساعة من النهار يتعارفون بينهم<sup>٣</sup> ، مع نجاة رسولهم وخيبة مأمولهم ،  
قد لبث فيهم ما لم يلبثه نبي في قومه ولا رسول في أمته ألف سنة  
١٠ إلا خمسين عاما ، وما آمن معه إلا قليل<sup>٤</sup> : ﴿ اذ قال لقومه ﴾ أى بعد  
أن دعاهم إلى الله فأطال دعاهم ومتعوا في الدنيا كثيرا وأمل<sup>٥</sup> لهم طويلا  
فأزادهم ذلك إلا تقورا ﴿ يقوم ﴾ أى يامن يعز على خلافهم ويشق  
على ما يسوءهم لتهاونهم بحق ربهم مع قوتهم على الطاعة ﴿ ان كان كبر ﴾  
أى شق وعظم مشقة صارت جلبة<sup>٦</sup> ﴿ عليكم ﴾ ولما كانت عادة الوعاظ  
١٥ والخطباء أن يكونوا حال الخطبة واقفين ، قال : ﴿ مقامي ﴾ أى قيامي ،  
ولعله خص هذا المصدر لصلاحته لموضع القيام<sup>٧</sup> وزمانه<sup>٨</sup> فيكون

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : مذكر (٣) راجع سورة ١٠ آية ٤ (٤) زيد  
بعده في الأصل : وقوله ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها (٥) في ظ : املوا .  
(٦) في ظ : لجلبة (٧-٧) تأخر ما بين الرقيين في الأصل عن " من القيام "  
والترتيب من ظ .

الإخبار بكراهته لاجل ما وقع فيه من القيام أدل على كراهة القيام  
 ﴿وتذكيرى﴾ أى بكم ﴿بابت الله﴾ أى الذى له الجلال والإكرام،  
 فان ذلك لا يصدنى عن مجاهدتى بما يكبر عليكم من ذلك خوفاً منكم لأن  
 الله أمرنى به وأنا أخاف عذابه إن تركت، ولا أبالى بكراهيتكم لذلك  
 خوف عاقبة قصدكم لى بالأذى ﴿فعلى﴾ أى فانى على ﴿الله﴾ أى الذى ه  
 له العزة كلها وحده ﴿توكلت﴾ فاقامة ذلك مقام الجزاء من إطلاق  
 السبب - الذى هو التوكل - على المسبب - الذى هو انتفاء الخوف - مجازاً  
 مرسلًا، إعلاما لهم بعظمة الله وحقارتهم بسبب أنهم أعرضوا عن  
 الآيات وهم يعرفونها، بما دل عليه التعبير بالتذكير، فدل ذلك على عنادهم  
 بالباطل، والمبطل لا يخشى أمره<sup>١</sup> لأن الباطل لا ثبات له، ودل على ذلك ١٠  
 بقوله: ﴿فاجمعوا أمركم﴾ أى فى أذى بالإهلاك وغيره، اعزموا عليه  
 وانووه واجزموا به، والواو بمعنى 'مع' فى قوله: ﴿وشركاؤكم﴾  
 ليدل على أنه لا يخافهم وإن كانوا شركاءهم أحياء كائين من كانوا و كانت  
 كلمتهم واحدة لا فرقة فيها بوجه .

ولما كان الذى يستتر بالأمور<sup>٢</sup> بما يفوته بعض المقاصد لاشتراط ١٥  
 التستر، أخبرهم أنه لا يمانعهم سواء أبدوا أو أخفوا فقال: ﴿ثم لا يكن﴾  
 أى بعد التأتى وطول زمان المجاوزة فى المشاورة ﴿أمركم﴾ أى الذى  
 تقصدونه بى ﴿عليكم غمة﴾ أى خفيا يستتر عليكم شيء منه بسبب ستر  
 ذلك عنى<sup>٣</sup> لئلا أسعى فى معارضتكم، فلا تفعلوا ذلك بل جاهرولى به  
 (١) من ظ، وفى الأصل: أجره (٢) فى ظ: بالاثم (٣) من ظ، وفى الأصل: منى .

[ مجاهرة - ١ ] فانه لا معارضة لى بغير الله الذى يستوى عنده السر والعلانية<sup>٢</sup> ؛ والتعبير بـ "ثم" إشارة إلى التانى وإتقان الأمر للأمان من معارضته بشيء من حول منه أو قوة ﴿ ثم اقضوا ﴾ [ ما تريدون<sup>٣</sup> ، أى بتوه بته المقضى إليه واصلا - ١ ] ﴿ الى ﴾ .

٥ ولما كان ذلك ظاهرا فى الإنجاز وليس صريحا ، [ صرح - ١ ] به فى قوله : ﴿ ولا تنظرون<sup>٤</sup> ﴾ أى ساعة ما . وكل ذلك لإظهار قلة المبالاة بهم للاعتماد على الله لأنه لا يعجزه شيء ومعبوداتهم لا تغنى شيئا ؛ ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فان توليتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم الإعراض عن الحق بعد معجزكم عن إهلاكى ولم ينفعكم عليكم بأن الذى منعى - وأنا ١٠ وحدى - منكم وأنتم ملء الأرض له العزة جميعا وأن<sup>٥</sup> من أوليائه الذين تقدم وعده الصادق بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ فا ﴾ أى فلم يكن توليكم عن تفريط منى لآنى سقت الأمر على ما يجب ، ما ﴿ سالتكم ﴾ أى ساعة من الدهر ، وأغرق فى النقي فقال : ﴿ من اجر ﴾ أى على دعائى لكم يفوتنى بتوليكم ولا تهمنى<sup>٦</sup> به فى دعائكم<sup>٧</sup> .

١٥ ولما كان من المحال أن يفعل عاقل شيئا لا لغرض ، بين غرضه بقوله مستأنفا : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ؛ ثم عطف عليه غرضا آخر وهو اتباع الأمر خوفا من حصول (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : العن (٣) فى ظ : يريدون (٤) فى ظ : لاعتماد . (٥) فى ظ : انى (٦) فى الأصل : لا يتهمنى ، وفى ظ : لا تهمنى (٧-٧) فى ظ : بدعائكم .



الضر فقال : ﴿ وامرت ﴾ أى من الملك الأعلى الذى لا أمر لغيره ،  
 وبناء للفعول للعلم بأنه هو الأمر [ وليزيد فى الترغيب فى المأمور به  
 وتغطية بعمله عمدة الكلام باقائه مقام الفاعل فقال - ' ] : ﴿ ان اكون ﴾  
 أى كونا أتخلق به فلا أنفك عنه ؛ [ ولما كان فى مقام الاعتذار عن مفاجأته  
 لهم بالإنذار ، عبر بالإسلام الذى هو الأفعال الظاهرة فقال - ' ] : هـ  
 ﴿ من المسلمين هـ ﴾ أى الراغبين فى صفة الانقياد بغاية الإخلاص ، لى  
 ما لهم وعلى ما عليهم ، أنا وهم فى الإسلام سواء ، لا مزية لى فيه أتهم  
 بها ، وأن أستسلم لكل ما يصينى فى الله ، لا يردنى ذلك عن إنفاذ<sup>٢</sup> أمره ،  
 والحاصل أنه لم يكن بدعائه إياهم فى موضع تهمة ، لا سألهم غرضا دنيويا  
 يزيده إن أقبلوا ولا ينقصه / إن أدبروا ، ولا أتى بشئ من عند نفسه ١٠ / ٥٩٨  
 ليظن أنه أخطأ فيه ولا سلك به مسلكا يظن به استعباده إياهم فى اتباعه ،  
 بل أعلمهم بأنه أول مؤتمر بما أمرهم به مستسلم لما دعاهم<sup>٣</sup> إليه ولكل  
 ما يصيبه فى الله ، ولما لم يردم كلامه هذا عن غيهم<sup>٤</sup> ، سبب عنه قوله  
 مخبرا بتماديهم : ﴿ فكذبوه ﴾ أى ولم يزدم شئ من هذه البراهين الساطعة  
 والدلائل القاطعة إلا إدارا ، وكانوا فى آخر المدة على مثل ما كانوا ١٥  
 عليه من التكذيب ﴿ فنجينه ﴾ أى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة  
 الباهرة بسبب امتثاله لأوامرنا وصدق اعتماده علينا ﴿ ومن معه ﴾  
 أى من العقلاء وغيرهم<sup>٥</sup> ﴿ فى الفلك ﴾ كما وعدنا أوليائنا ، وجعلنا

---

(١) زيد ما بين الحازنين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : انقياد (٣) فى ظ :  
 ادعاهم (٤) فى ظ : غيرهم (٥) فى ظ : غيره .

ذلك آية للعالمين ﴿ وجعلنهم ﴾ أى على ضعفهم بما لنا من العظمة  
 ﴿ خلّف ﴾ أى فى الأرض بعد من أغرقنا ، فن فعل فى الطاعة فعلهم  
 كان جديرا بأن يجازيه بما جازيناهم ﴿ واغرقنا ﴾ أى بما لنا من كمال  
 العزة ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى مستخفين مستهينين ﴿ بايتناج ﴾ كما توعدا  
 ٥ الذين يفترون على الله الكذب .

ولما كان هذا أمرا باهرا يتعظ به من له بصيرة ، سبب عنه أمر  
 أعلى الخلق فهما بنظره إشارة إلى أنه لا يعتبر به حق الاعتبار غيره .  
 فقال : ﴿ فانظر ﴾ وأشار إلى أنه أهل لأن يبحث عن شأنه بأداة  
 الاستفهام ، وزاد الأمر عظمة بذكر الكون فقال : ﴿ كيف كان ﴾  
 ١٠ [ أى كونا كان كأنه جيلة - ٢ ] ﴿ عاقبة ﴾ [ أى آخر أمر - ٢ ]  
 ﴿ المنذرين ٥ ﴾ [ أى الغريقين فى هذا الوصف وهم الذين أنذرتهم  
 الرسل ، فلم يكونوا أهلا للبشارة لأنهم لم يؤمنوا - ٢ ] لنعلم أن من  
 نذرتهم كذا ، لا ينفع من أردنا شقاوته منهم إزال آية ولا إيضاح  
 حجة ؛ والتوكل : تعمد جعل الأمر إلى من يدبره ؛ للتقدير فى تدبيره ؛  
 ١٥ والعمه : ضيق الأمر الذى يوجب الحزن ؛ والتولى : الذهاب عن الشيء ؛  
 والأجر : النفع المستحق بالعمل ؛ والإسلام : الاستسلام لأمر الله بطاعته  
 بأنها خير ما يكتسبه العباد .

ولما لم يكن فى قصص من بينه وبين موسى عليهم السلام مما يناسب

(١) فى ظ : وعدنا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣-٢) فى ظ : لنعلم الى من  
 تنذرهم - كذا : (٤) فى ظ : يدبر .

مقصود هذه "سورة" إلا ما شاركوا فيه قوم نوح من أنهم لم تنفع الآيات من أريدت<sup>١</sup> شقارته منهم ، ذكره سبحانه طاولا لما عداه فقال تعالى : ﴿ ثم ﴾ أى بعد مدة طويلة ﴿ بعثنا ﴾ أى على عظمتنا ؛ ولما كان البعث لم<sup>٢</sup> يستغرق زمان البعد ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعده ﴾ أى [ قوم - ٢ ] نوح ﴿ رسلا ﴾ كهود و صالح وإبراهيم ولوط و شعيب ه عليهم الصلاة و السلام ' .

ولما كان ربما ظن أن قوم الإنسان لا يكذبونه . وإن كذبوه لم يتمادوا على التكذيب لاسيما إن أتاهم بما يقترحونه من الخوارق قال : ﴿ الى قومهم ﴾ أى ففاجأهم قومهم بالتكذيب ﴿ فجاءوهم ﴾ أى قسب عن استنادهم إلى عظمتنا أن جاؤهم ﴿ بالبينت ﴾ ليزول تكذيبهم ١٠ فيؤمنوا ﴿ فا ﴾ أى قسب عن ذلك ضد ما أمروا به وقامت دلائله وهو أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ أى بوجه من وجوه الكون ﴿ ليؤمنوا ﴾ أى مفرين ﴿ بما كذبوا ﴾ أى مستهينين ﴿ به ﴾ أول ما جاؤهم . ولما كان تكذيبهم فى بعض الزمن الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل مجيء البينات لأننا طبعنا على قلوبهم ؛ قال أبو حيان : وجاء النبي مصحوبا ١٥ بلام الجحود ليدل على أن إيمانهم فى حين الاستحالة والامتناع - انتهى .

و يجوز أن يكون التقدير : من قبل مجيء الرسل إليهم ، ويكون التكذيب أسند إليهم لأن أباهم كذبوا لما بدلوا ما كان عندهم من الدين الصحيح

(١) من ظ ، وفى الأصل : ابدت (٢) فى ظ : لا (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) فى ظ : ففاجأوهم (٦) راجع البحر المحيط ١٨٠/٥ .

الذى أتتهم به الرسل ورضوا<sup>١</sup> هم بما أحدث آباؤهم استحساناً<sup>٢</sup> له ، أو لانه  
كان بين أظهرهم بقايا على بقايا مما شرعته الرسل فكانوا يعظونهم فيما  
يبتدعون فلا يعون ولا يسمعون كما كان قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن  
نضيل وورقة [ بن نوفل - ٢ ] وغيرهم قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ،  
هـ لكن المعنى الاول أولى - 'و الله أعلم' .

ولما قرر عدم انتفاعهم بالآيات ، بنى ما يليه على سؤال من لعله  
يقول : هل استمر هذا الخلق فيمن بعدهم ؟ فكانه قيل : نعم ! ( كذلك )  
أى مثل ما طبعنا على قلوبهم هذا الطبع / العظيم ( نطبع ) أى نوجد  
الطبع ونجده متى شئنا بما لنا من العظمة ( على قلوب المعتدين هـ )  
١٠ فى كل زمن لكل من تعمد العدو فيما لا يحل له ، وهذا كما أتى موسى

عليه السلام إلى فرعون فدعاه إلى الله فكذبه فأخبره أن معه آية تصدق  
فقال له : إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فلما  
أتاه بها استمر على تكذيبه وكان كلما رأى آية ازداد تكديها ، وكان  
فرعون قد قوى ملكه وعظم سلطانه وعلا في كبريائه وطال تجبره  
١٥ على الضعفاء ، فطمست أمواله وآثاره ، وبقيت أحاديثه وأخباره ، ولهذا

أفصح سبحانه بقصته فقال [ د الا على الطبع - ٢ ] : ( ثم بعثنا ) أى  
وبعد زمن طويل من إهلاكنا إياهم بعثنا ، ولعدم استغراق زمن  
البعد أدخل الجار فقال : ( من بعدهم ) أى من<sup>٢</sup> بعد أولئك الرسل

( ١ ) من ظ ، وفى الأصل : رضا ( ٢ ) سقط من ظ ( ٣ ) زيد من ظ ( ٤ - ٥ ) سقط  
ما بين الرقين من ظ ( ٥ ) فى ظ : رآه .

(موسى و) كذا بعثا (هرون) تأييدا له لان اتفاق اثنين أقوى  
 لما يقرراه وأؤكد لما يذكرانه؛ ولما استقر في الأذهان بما مضى  
 ان ديدن الأمم تكذيب من هو منهم حسدا له ونفاة عليه . كان  
 ربما ظن أن الرسول لو آتى غير قومه كان الأمر على غير ذلك . فبين  
 أن الحال واحد في القريب والغريب ، فقال مقدما لقوله : ه  
 (الى فرعون وملائه) أى الأشراف من قومه ، فان الأطراف  
 تبع لهم (بأيتنا) [أى -] اتى لا تكته عظمتها ، لنسبتها إلينا . فطبعنا  
 على قلوبهم (فاستكبروا) أى طلبوا الكبر على قبول الآيات ووجدوا  
 ما يدل عليه من الرد بسبب انبعاثه إليهم عقب ذلك (وكانوا) أى  
 جبلة وطبعا (قوما مجرمين) أى طبعهم قطع ما ينبغى وصله ووصل ١٠  
 ما ينبغى قطعه ، فلذلك اجتروا على الاستكبار مع ما فيها أيضا من  
 شديد المناسبة لما تقدم من قول الكافرين ” هذا سحر مبين “ فى نسبة  
 موسى عليه السلام إليه و بيان حقيقة السحر فى زواله وخيته متعاطية  
 لإفساده إلى غير ذلك من الأسرار التى تدق عن الأفكار ، هذا إلى  
 ما ينظم إليه من مناسبة ما بين إهلاك القبط وقوم نوح بآية الفرق ، ١٥  
 وأنه لم ينفع أحدا من الفريقين معاينة الآيات ومشاهدة الدلالات  
 البينات ، بل ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه بعد تلك المعجزات الباهرة  
 والبراهين الظاهرة ، ثم اتبعهم فرعون بعد أن كانت انحلت عن حبسهم  
 عراه ، وتلاشت من تجره قواه ، وشاهد من ضربات ما يهد الجبال .  
 (١) فى ظ : الرسول (٢) فى ظ : البعيد (٣) زيد من ظ : (٤) فى ظ : عظمتنا .

ظم الدرر ( سورة يونس ١٠: ٧٦ و ٧٧ ) ج - ٩

و دخل في طلبهم البحر بحزات<sup>١</sup> لا يقرب<sup>٢</sup> ساحتها الأبطال ، لما قدره عليه ذو الجلال ، ولم يؤمن حتى أتاه البأس حيث يفوت الإيمان بالغيب الذي هو شرط<sup>٣</sup> الإيمان . فلم ينفعه إيمانه مع اجتهاده فيه و تكريره لقوات شرطه إجابة لدعوة موسى عليه السلام .<sup>٤</sup> ثم إن بني إسرائيل كانوا قبل مجيء موسى عليه السلام على منهاج واحد . فما اختلفوا إلا بعد مجيء العلم إليهم و بيان الطريق واضحة لديهم ، ولهذا المراد ذكر هنا هارون عليه السلام ؛ لأن من أعظم مقاصد سورة المنع من طلب الآيات لمن بعد الإيمان عند لإتيان بها ، إشارة إلى أن القول من الاثنين أوكد . و مع ذلك فلم يصدق من حكم التقدير بشقاوته<sup>٥</sup> ، كل ذلك حثا على الرضا و التسليم ، و وكل الأمر إلى الرب الحكيم ، فهما أمر به قبل ، و ما أعرض عنه ترك السؤال فيه رجاء تديره بأحسن التدبير و تقديره أنطف المقادير ؛ و لما أخبر سبحانه باستكبارهم ، بين<sup>٦</sup> أنه تسبب عنه طعنهم في معجزاته من غير تأمل ، بل<sup>٧</sup> بغاية المبادرة و الإسراع بما أشعرت<sup>٨</sup> به تقاء و اسياق ، فقال تعالى : ﴿ فلما جاءهم ﴾ أي فرعون و ملائه ﴿ الحق ﴾ أي البالغ في الحقيقة . ثم زاد في عظمته بقوله : ﴿ من عندنا ﴾ أي على ما لنا من العظمة التي عرفوا بها أنه منا ، لا<sup>٩</sup> من الرسولين ﴿ قالوا ﴾ أي غير متأملين له و لا ناظرين في أمره بل

(١) من ظ ، و في الأصل : بحراء - كذا (٢) في ظ : لا تقرب (٣) من ظ . و في الأصل : شرف (٤-٥) - قط ما بين الرقيين من ظ (ه) في ظ : بشقاوة . (٦) من ظ ، و في الأصل : منه - كذا (٧) - قط من ظ (٨) في ظ : اشعرت .

عنادا ودلالة على استكبارهم مؤكدين لما علموا من تصديق الناس به  
 ﴿ ان هذا لسحرمبين ﴾ كما قال الناس الذين أخبر عنهم سبحانه في  
 أول السورة في هذا القرآن وما إبانته من البعث . فلما قالوا ذلك كان  
 كأنه قيل : فاذأ أجابهم ؟ فأخبر أنه أنكر عليهم ، بقوله : ﴿ قال موسى ﴾  
 ولما كان تكريرهم لذلك القول أجدر بالإنكار ، عبر بالمضارع ه  
 الدال على أنهم كرروه لينسخوا ما ثبت في قلوب الناس من عظمتهم  
 ﴿ اتقولون للحق ﴾ ونبه على أنهم بادروا إلى التشكيب من غير نظر  
 ولا توقف بقوله : ﴿ لما جاءكم ﴾ أى هذا القول الذى قلموه وهو  
 أنه سحر . فان القول يطلق على المسكروه ، تقول : فلان قال فى فلان ،  
 أى ذمه . و فلان يخاف المقالة ، و بين الناس تقاويل ؛ ثم كرر الإنكار ١٠  
 بقوله : ﴿ اسحر هذا ﴾ أى الذى هو فى غاية الثبات والمخالفة للسحر فى  
 جميع الصفات حتى تقولون فيه ذلك ، فالآية من الاحتباك : ذكر القول  
 فى الأول دال على حذف مثله فى الثانى ، وذكر السحر فى الثانى دال  
 على حذف مثله فى الأول .

ولما كان التقدير : أتقولون هذا والحال أنكم قد رأيتم فلاحه ، د  
 نبى عليه قوله : ﴿ ولا يفلح ﴾ أى يظفر بما يريد فى وقت من الاوقات  
 ﴿ السحرون ﴾ [ أى العريقون فيه - ٥ ] لأن حاصل أمرهم تخيل وتمويه  
 فى الأباطيل ، فالظفر بعيد عنهم ، ويجوز أن تجعل هذه الجملة معطوفة  
 (١) زيد بعده فى ظ : اولاً حذف (٢) فى ظ : يقول (٣) فى ظ : ذمه (٤) فى  
 ظ : المقالة (٥) زيد من ظ .

على قوله "اسحر هذا" لأنه إنكارى بمعنى النفي، فلما أنكر عليهم عليه السلام ما ظهر به الفرق الجلى بين ما أتى به في كونه أثبت الأشياء وبين السحر، لأنه لا ثبات له أصلاً، عدلوا عن جوابه إلى الإخبار بما يتضمن أنهم لا يقرون بحقيقته<sup>١</sup> لأنه يلزم على ذلك ترك ما هم عليه من العلو وهم لا يتركونه، وأوهموا الضمفاء أن مراده عليه السلام الاستكبار معلنين لاستكبارهم عن اتباعه بما دل على أنهم لا مانع أنهم منه إلا الكبر، فقال تعالى حكاية عنهم: ﴿ قالوا ﴾ أى منكبين عليه معلنين بأمرين: التقليد، والحرص على الرئاسة.

ولما كان هو الأصل في الرسالة<sup>٢</sup>. وكان أخوه [له - ٢] تبعاً. ١٠ وحدوا الضمير فقالوا: ﴿ اجئنا ﴾ أى أنت يا موسى ﴿ لتلفتنا ﴾ أى لتفتلنا وتصرفنا ﴿ عما وجدنا عليه ﴾ وقالوا مستندين إلى التقليد غير مستحيين من ترك الدليل ﴿ ابآءنا ﴾ من عبادة الأصنام والقول بالطبيعة لنقر<sup>٣</sup> نحن بذلك ﴿ ويكون<sup>٤</sup> لكما ﴾ أى لك أنت ولأخيك [دوننا - ٢] ﴿ الكبرياء ﴾ أى بالملك ﴿ فى الارض<sup>٥</sup> ﴾ أى أرض مصر التى هى - ١٥ لما فيها من المنافع - كأنها الأرض كلها ﴿ وما ﴾ أى وقالوا أيضاً: ما ﴿ نحن لكما ﴾ وبالغوا في النفي وغلب عليهم الدهش فعبروا بما دل على أنهم غلبهم الأمر فعرّفوا أنه صدق ولم يذعنوا فقالوا: ﴿ بمؤمنين \* ﴾

(١) من ظ. وفى الأصل: بحقيقة (م) ق ظ: الرياسة (م) زيد من ظ (٤) من ظ. وفى الأصل: لينحرق (ه) هى قراءة حماد بن يحيى عن أبي بكر ونوفل عن يعقوب، وفى ظ: تكون، وهى قراءة الجمهور.



أى عريقين فى الإيمان ، فهو عطف على " اجتنا " أى قالوا ذاك وقالوا  
 هذا ، أو ' يكون عطفا على نحو :<sup>٢</sup> فأنحن بموصلك إلى هذا الغرض ،  
<sup>٣</sup> أفردوه أولا<sup>٤</sup> بالإنكار عليه فى الحجى ليضعف ويكف<sup>٥</sup> أخوه عن  
 مساعدته ، وأشركوه معه ثانيا تأكيداً لذلك الغرض وقطعا لطمعه ؛  
 والبعث<sup>٦</sup> : الإطلاق فى أمر يضى فيه ، وهو خلاف الإطلاق من عقال ؛ ه  
 والملا<sup>٧</sup> : الجماعة الذين هم وجوه القبيلة ، لأن هيتهم تملأ الصدور عند  
 منظرهم ؛ والاستكبار : طلب الكبر من غير استحقاق ؛ والمجرم من  
 اكتسب<sup>٨</sup> سيئة كبيرة ، من جرم التمر - إذا قطعه ، فالجرم يوجب قطع  
 الخير عن صاحبه ؛ والسر : إيهام المعجزة على طريق الحيلة ، ويشبه  
 به البيان فى خفاء السبب ؛ والحق : ما يجب الحمد عليه ويشد دعاء الحكمة<sup>٩</sup>  
 إليه ويعظم النفع به والضرر بتركه ؛ والكبرياء : استحقاق صفة الكبر  
 فى أعلى المراتب ، وهى صفة مدح لله وذم للعباد لأنها منافية لصفة  
 العبودية .

ولما لبسوا بوصفه بما هم به متصفون ، أرادوا الزيادة فى التليس  
 بما يوم أن ما أتى به سحر تمكن معارضة إيقافا<sup>١٠</sup> للناس عن اتباعه ، فقال<sup>١١</sup>  
 تعالى حكاية عطفا على قوله " قالوا اجتنا " : ( وقال فرعون ) إرادة  
 المناظرة لما أتى به موسى عليه السلام ( اتنوى بكل سحر عليم )  
 (١) فظ " و " (٢) سقط من (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل : اقراوه ولا -  
 كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٥) فى ظ : البحث (٦) فى ظ :  
 ارتكب (٧) فى ظ : إيقافه .

أى بالغ فى علم السحر ثلاثا يفوت شىء/ من السحر بتأخر البعض.  
[ وقراءة حمزة و الكسائى بصيغة فعال دالة على زيادة لزمه أقل من سياق الشعراء كما مضى فى الأعراف - ١ ] .

ولما كان التقدير : فامثلوا أمره و جمعوهم ، دل على قرب اجتماعهم  
بالفاء فى قوله : ﴿ فلما جاء السحرة ﴾ أى كل<sup>٢</sup> من فى أرض مصر  
منهم ﴿ قال لهم موسى ﴾ من يلا هذا الإيهام ﴿ القوا ﴾ جميع  
﴿ مآ آتم ملقون ه ﴾ أى راسخون فى صنعة إلقاءه ، إشارة إلى أن  
ما جاؤا به ليس أهلا لأن يلقى إليه بال ﴿ فلبآ القوا ﴾ أى وقع<sup>٣</sup>  
منهم الإلقاء بحبالهم و عصيهم [ على إثر مقالاته - ١ ] و خيلوا بسحرم  
١٠ لعيون الناس ما زلزل عقولهم ﴿ قال موسى ﴾ منكرا عليهم ﴿ ما جئتم به لا ﴾

ثم بين<sup>٢</sup> أنه ما<sup>٥</sup> استفهم عنه جهلا بل احتقارا و إنكارا ، و زاد فى بيان  
كل من الأمرين بقوله : ﴿ السحر ط ﴾ لأنه استفهام أيضا سواء قطعت  
الهمزة و مدت كما فى قراءة أبى عمرو و أبى جعفر أو جعلت همزة وصل  
كما فى قراءة الباقيين ، فان همزة الاستفهام مقدرة ، و التعريف إما للهد  
١٥ و إما للحقيقة و هو أقرب ، و يجوز فى قراءة الجماعة أن يكون خبرا<sup>٢</sup> لما  
يقصد به الحصر ، أى هو السحر لا ما نسبتموه إلى ؛ ثم استأنف بيان  
ما حقره به فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له<sup>٨</sup> إحاطة العلم و القدرة<sup>٨</sup>  
﴿ سيطله<sup>٨</sup> ﴾ أى عن قريب بوعد لا خلف فيه ؛ ثم علل ذلك بما بين<sup>٨</sup>

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : اوقع (٤) فى  
ظ : منكر (٥) فى ظ : لا (٦) فى ظ « و » (٧) فى ظ : خبر (٨ - ٨) سقط ما بين  
الرقين من ظ .

'أنه فساد فقال': ﴿ان الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿لا يصلح﴾ أى فى وقت من الاوقات ﴿عمل المفسدين﴾ أى العريقين فى الفساد بأن لا ينفع بعملهم ولا يديمه؛ ثم عطف عليه بيان إصلاحه عمل المصلحين فقال: ﴿ويحق﴾ أى يثبت إثباتا عظيما ﴿الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿الحق﴾ أى الشئ الذى له الثبات صفة لازمة؛ ولما كان فى مقام تحقيرهم، دل على ذلك بتكرير الاسم الجامع الأعظم، وإشار إلى ما له من الصفات العلى بقوله: ﴿بكلمته﴾ أى الأزلية التى لها الثبات الأعظم، وزاد فى العظمة بقوله: ﴿ولو كره المجرمون﴾ أى العريقون فى قطع ما أمر الله به أن يوصل، فكان كما قال عليه السلام: بطل سحرهم، واضمحل مكرهم، وحق الحق - كما بين فى سورة الأعراف . ١٠

ولما حكى سبحانه أن موسى عليه السلام أبان ما أبان من بطلان السحر وكونه إفسادا، ثبت ما أتى به لمخالفته له، أخبر تعالى - تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم وفضلاً عن طلب الإجابة للفتوحات - أنه ما تسبب عن ذلك فى أول الامر عقب إبطال سحرهم من غير مهلة إلا إيمان ناس ضعفاء غير كثير، فقال تعالى: ﴿فأمن﴾ أى متبعاً ﴿لموسى﴾ أى بسبب ١٥ ما فعل، ليعلم أن الآيات ليست سبباً للهداية إلا لمن أردنا ذلك منه؛ وبين أن الصغار أسرع إلى القبول بقوله: ﴿الاذرية﴾ أى شبانهم ﴿هم - °﴾ أهل لأن تذر فيهم البركة ﴿من قومه﴾ أى قوم موسى الذين لهم قدرة

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ: مصداق (٣) فى ظ: امدنا (٤) من ظ، وفى الأصل: لقبوله (ه) زيد من ظ .

على القيام في المحاولة لما يريدونه، والظاهر أنهم كانوا أيتاما وأكثرهم -  
 كما قاله مجاهد ﴿ على خوف <sup>١</sup> ﴾ أي عظيم ﴿ من فرعون و ملائمتهم <sup>٢</sup> ﴾  
 أي أشراف قوم الذرية ؛ ولما كان إنكار الملا إنما هو بسبب فرعون أن  
 يسلبهم رئاستهم، انحصر الخوف فيه فأشار إلى ذلك بوحدة الضمير فقال :  
 ٥ ﴿ ان يفتنهم <sup>٣</sup> ﴾ و أتبعه ما يوضح عذرهم بقوله مؤكدا تنزيلا لقريش  
 منزلة من يكذب بعلو فرعون لتكذيبهم لأن ينصر عليهم الضعفاء من  
 أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم لعلهم : ﴿ وان فرعون لعال ﴾ أي غالب  
 قاهر متمكن بما فتناه به <sup>٤</sup> من طاعة الناس له ﴿ في الارض <sup>٥</sup> ﴾ أي أرض  
 مصر التي هي بكثرة ما فيها من المرافق كأنها جميع الأرض  
 ١٠ ﴿ وانه لمن المسرفين <sup>٦</sup> ﴾ أي العريقين في مجاوزة الحدود بظاهره و باطنه ،  
 وإذا ضمنت هذه الآية إلى قوله تعالى ” وان المسرفين هم اصحاب النار “  
 كان قياسا <sup>٧</sup> بديها متجا إنتاجا صريحا قطعيا <sup>٨</sup> أن فرعون <sup>٩</sup> من أصحاب النار ،  
 تكذيبا لأهل الوحدة في قولهم : إنه آمن . ليهونوا المعاصي عند الناس  
 فيحلوا بذلك عقائد أهل الدين .

١٥ ولما ذكر خوفهم و عذرهم ، أتبعه ما يوجب طمأنينتهم ، وهو التوكل

على الله الذي من راقبه تلاشى عنده كل عظيم ، فقال : ﴿ وقال موسى ﴾  
 أي <sup>١٠</sup> لمن آمن به موطناً لهم على أن الجنة لا تنال إلا بمشقة عظيمة ديتلى

/ ٦٠٢

(١) في ظ : قوم - كذا (٢) من ظ و القرآن الكريم ؛ وفي الأصل : ملايه -

كذا (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بكثرت (٥) سورة . ٤ آية ٣ (٦) من ظ

وفي الأصل : قياسيا (٧-٧) في ظ : انه .

الناس على قدر إيمانهم ﴿ بنقوم ﴾ فاستعطفهم بالذكر بالقرب وهزمهم إلى  
 المعالى بما فيهم من القوة ثم هيجهم وألهبهم<sup>١</sup> على الثبات بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾  
 أى كونا هو فى ثباته كالحلق الذى لا يزول ﴿ امنتم بالله ﴾ وثبتهم  
 بذكر الاسم الأعظم وما دل عليه من الصفات ، وأجاب الشرط  
 بقوله: ﴿ فعليه ﴾ أى وحده لما علمتم من عظمتها التى لا يدانيها شيء ٥  
 سواء ﴿ توكلوا ﴾ و يظهر عليكم أثر التوكل من الطمأنينة و الثبات  
 و السكينة ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا ثانيا ﴿ مسلمين ٥ ﴾ جامعين إلى تصديق  
 القلب إذعان الجوارح ؛ و جواب هذا الشرط ما دل عليه الماضى من  
 قوله ” فعليه توكلوا “ : ﴿ فقالوا ﴾ أى على الفور كما يقتضيه الفاء  
 ﴿ على الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها وحده ﴿ توكلنا ٥ ﴾ أى فوضنا أمورنا ١٠  
 كلها إليه ﴿ ربنا ﴾ أى أيها الموجد لنا المحسن إلينا ﴿ لا تجعلنا فتنه ﴾  
 أى موضع مخالطة بما يميل و يحيل ﴿ للقوم الظالمين ٥ ﴾ أى لاتصبا  
 أنت بما يظنون به ” نهاونك بنا فيزدادوا نفرة عن دينك لظنهم ” أنا على  
 الباطل و لا تسلطهم علينا بما يفتننا عن ديننا فيظنوا أنهم على الحق ﴿ ونجنا  
 برحمتك ﴾ أى إكرامك لنا ﴿ من القوم ﴾ أى الاقوياء ﴿ الكافرين ٥ ﴾ ١٥  
 أى العريقين فى تغطية الأدلة . و فى دعائهم هذا إشارة [ إلى أن - ٧ ] أمر الدين  
 أهم من أمر النفس .

(١) من ظ . وفى الأصل: الهمهم (٢) فى ظ: بقولهم (٣) فى ظ: احاط (٤) سقط  
 من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ: لا يستطلمهم (٧) زيد  
 من ظ .

ولما أجابوه إلى إظهار الاعتماد عليه سبحانه وفوضوا الأمور إليه، أتبعه ما يزيدهم طمأنينة من التوطن في أرض العدو إشارة إلى عدم المبالاة<sup>١</sup> به، لأنه روى أنه كانت<sup>٢</sup> لهم متعبدات يجتمعون فيها، فلما بعث موسى عليه السلام أخربها فرعون، فأمر الله تعالى أن تجعل في بيوتهم<sup>٣</sup> لئلا يطلع عليهم الكفرة فقال تعالى عاطفا على قوله "وقال موسى:" ﴿واوحينا﴾ أى بما لنا من العظمة البالغة ﴿إلى موسى و أخيه﴾ أى الذى طلب مؤازرته و معارضته ﴿ان تبوا﴾ أى اتخذنا ﴿اقومكما بمصر﴾ وهى ما بين البحر إلى أقصى أسوان و الإسكندرية منها ﴿يوتا﴾ تكون لهم مرجعا يرجعون إليه و يأوون إليه ﴿واجعلوا﴾ [أى - ٢] ١٠. أتبا و من معكما من قومكما ﴿بيوتكم قلة﴾ أى مصلى لتعبدوا فيها مستترين عن الأعداء تخفيفا من أسباب الخلاف ﴿واقموا الصلوة<sup>٤</sup>﴾ أى بجميع حدودها و أركانها مستخفين من يؤذيكم جمعا بين آتى النصر: الصبر و الصلاة، و تمرنا على الدين و تثبيتا له فى القلب.

ولما كان الاجتماع فيما تقدم أضخم و أعز و أعظم، و كان ١٥ واجبا على الأمة كوجوبه<sup>٥</sup> على الإمام جمع فيه، و كان إسناده البشارة عن الملك إلى صاحب الشريعة أثبت لامره<sup>٦</sup> و أظهر لعظمته و أثبت فى قلوب أصحابه و أقر لأعينهم، أفرد فى قوله: ﴿و بشر المؤمنين<sup>٧</sup>﴾

(١) من ظ، و فى الأصل: المعلاة (٢) فى ظ: كان (٣) زيد من ظ (٤) فى الأصل: ليتعبدوا، و فى ظ: لتعبدوا (٥) من ظ، و فى الأصل: تحقيقا (٦) فى ظ: لوجوبه (٧) فى ظ: لامر.

أى الراسخين فى الإيمان من أخيك<sup>١</sup> وغيره .

و لما ختم ببشارة من دل على إيمانهم إسلامهم بفعل ما يدل على هوان أمر العدو، و كان هلاك المشائى من أعظم البشائر، و كان ضلال فرعون و قومه بالزينة و المال إضلالا لغيرهم<sup>٢</sup>، سأل موسى عليه السلام إزالة ذلك كله للراحة من شره، فقال تعالى حاكيا عنه : هـ

﴿ وقال موسى ﴾ أى بعد طول دعائه لفرعون و إظهار المعجزات لديه و طول تكبره على أمر الله و تجبره على المستضعفين من عباده . و لما كان من أعظم أهل الاصطفاء، أسقط الأداة تسنا بهم . و أشار بصفة<sup>٣</sup> الإحسان إلى أن هلاك أعدائهم أعظم إحسان إليهم فقال : ﴿ ربنا ﴾

[ أى - ١٠ ] أيها المحسن إلينا ﴿ انك ﴾ أكد<sup>٤</sup> لما للجهاى من إنكار أن يكون عطاء الملك الأعظم سببا للاهانة ﴿ اتيت فرعون و ملاه ﴾ أى أشراف قومه على ما هم فيه من الكفر و الكبر ﴿ زينة ﴾ أى عظيمة يتزينون بها من الحلية و اللباس و غيرها ﴿ و أموالا ﴾ أى كثيرة من الذهب و الفضة و غيرها ﴿ فى الحياة الدنيا لا ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال ١٥

فيها معادن من ذهب و فضة و زبرجد و ياقوت ؛ ثم بين غايتها لهم فقال / مفتتحا بالدعاء باسم الرب ليعيده و أتباعه من مثل حالهم : ﴿ ربنا ﴾ أى [ أيها - ١١ ] الموجد لنا المحسن إلينا و المدير لأمورنا ﴿ ليضلوا ﴾ فى

(١) فى ظ : لآخيه (٢) من ظ ، وفى الأصل : لغيره (٣) فى ظ : بصيغة (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : لكم .

أنفهم وضلوا غيرهم ﴿عن سبيلك ج﴾ أى الطريق الواسعة التى نهجتها  
للوصول إلى رحمتك .

ولما بين أن مآلهم الضلال ، دعا عليهم فقال مفتحا أيضا بالنداء  
باسم الرب قائلا لأن ذلك من أمارات الإجابة كما أشير إليه فى آخر  
آل عمران وإشارة إلى أنهم<sup>٥</sup> لاصلاح لهم بدون هلاكهم و هلاكها:  
﴿ربنا اطمس﴾ أى أوقع الطمس وهو القوية بين المطموس وبين  
غيره بما ليس له قوته ﴿على أموالهم﴾ .

ولما كان قد رأى منهم من التكبر على الله و التكذيب لآياته  
و التعذيب لأوليائه ما لا يشق غيظه منه إلا إدانة<sup>٦</sup> شقايتهم دنيا وأخرى،  
١٠ وكان عالما بأن قدرة الله<sup>٧</sup> على إيقادهم<sup>٨</sup> على الكفر [مع - ] تحميم  
بالبال كقدرته على ذلك باستدراجهم إليه بالمال ، قال: ﴿واشدد﴾  
أى شدا ظاهرا لكل أحد - بما أشار إليه الفك مستليا ﴿على قلوبهم﴾  
قال ابن عباس: اطبع عليها و امنعها من الإيمان ، و أجاب الدعاء بقوله:  
﴿فلا يؤمنوا﴾ أى ليتسبب عن ذلك الشد عدم إيمانهم إذا رأوا مبادئ  
١٥ العذاب بالطمس ﴿حتى يروا﴾ أى بأعينهم ﴿العذاب الليم﴾ حيث  
لا يتفهم الإيمان فيكونوا جامعين ذل النفوس المطلوب منهم اليوم  
ليقدم العز الدائم إلى شدة الغضب بوضع الشيء فى غير موضعه المتج<sup>٩</sup>  
لدوام ذلهم بالعقاب ؛ وهذه الآية منبهة على أن الرضى بكفر خاص

(١) فى ظ : انه (٧) فى ظ : امامة (٢) سقط من ظ (٤) فى ظ : بقائهم (٥) زيد  
من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بسبب (٧) من ظ ، وفى الأصل : للبيح .  
لا يستلزم (٤٥) ١٨٠



لا يستلزم استحسان الكفر من حيث هو كفر؛ قال الإمام الحليمي<sup>١</sup>  
 فى كتاب شعب الإيمان المسمى بالمتهاج: وإذا تمنى مسلم كفر مسلم  
 فهذا على وجهين: أحدهما أن يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشيء  
 يستحسنه فيجب أن يكون له فيه نصيب، فهذا كفر لأن استحسان  
 الكفر كفر، والآخر أن يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشيء يستغظه<sup>٢</sup> - ٥  
 فيجب أن يقع فيه، فهذا ليس بكفر، تمنى<sup>٣</sup> موسى صلوات الله عليه  
 وسلامه بعد أن أجهده فرعون ألا يؤمن فرعون وملاه ليحق عليهم  
 العذاب، وزاد على ذلك أن دعا الله تبارك وتعالى فلم ينكر تعالى ذلك  
 عليه لعله أن شدته على فرعون وغلظته عليه لما رآه من عتوه وتجره هي  
 التي حملته على ذلك، فمن كان في معناه فله حكمه؛ وقد نقل ذلك عنه ١٠  
 الزركشي<sup>٤</sup> فى حرف التاء من قواعده مرتضيا له، ونقل عنه أيضا أنه  
 قال: ولو كان فى قلب مسلم على كافر فأسلم فخرن المسلم لذلك وتمنى  
 لو عاد إلى الكفر لا يكفر، لأن استقباحه الكفر هو الذى حمله على  
 تمنيه واستحسانه الإسلام هو الحامل له على كراهته؛ ونقل عن  
 الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه لو قتل عدو للإنسان ظلما ففرح ١٥  
 هل يأنم! إن فرح بكونه عصى الله فيه فتعم، وإن فرح بكونه خالص  
 (١) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن الشافعي (٢) من ظ، وفى الأصل:  
 يستغظه (٣) فى ظ: تمنى (٤) هو بدر الدين محمد بن عبد الله (٥) فى ظ: التاء.  
 (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: الاستسلام (٨) فى ظ: يكون.

من شره فلا بأس باختلاف سبب الفرح - انتهى . و يؤيده ما روى  
اليهقي في دلائل النبوة بسنده عن مقسم مرسلا أن النبي صلى الله عليه  
وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودمى  
وجهه فقال: اللهم لاتحل عليه الحول حتى يموت كافرا! فما حال عليه  
الحول حتى مات كافرا إلى النار، و مسألة أن الرضى بالكفر كفر نقلها  
الشيخان عن المتولى وسكتا عليها، و لكن قال الشيخ محي الدين في  
شرح المذهب: إن ذلك إفراط، فاقدم من تفصيل عن الحلبي  
وابن عبد السلام هو المعتمد، و المسألة في أصل الروضة، فانه قال:  
لو قال لمسلم: سلبه الله الإيمان، أو لكافر: رزقه الله الإيمان، فليس  
١٠ بكفر لأنه ليس رضى بالكفر [ لكنه - ٢ ] دعاء عليه بتشديد الأمر  
و العقوبة؛ قلت: ذكر القاضي حسين في الفتاوى وجها ضعيفا أنه لو قال  
لمسلم: سلبه الله الإيمان، كفر - والله أعلم، و حكى الوجهين عن القاضي  
في الأذكار و قال: إن الدعاء بذلك معصية .

/٦٠٤

ولما أخبر<sup>٢</sup> سبحانه عن دعائه عليه السلام أخبر / باجابته بقوله  
١٥ مستانفا: ( قال ) و لما كان [ الموضع - ٢ ] محل التوقع للإجابة، افتتحه  
بحرفه فقال: ( قد اجيب دعوتكما ) و البناء للمفعول أدل على القدرة  
و أوقع في النفس من جهة الدلالة على الفاعل بالاستدلال، و ثنى للإعلام  
بأن هارون عليه السلام مع موسى عليه السلام في هذا الدعاء، لأنه  
معه كالشيء الواحد لا خلاف منه له أصلا و إن كان غائبا، و ذلك

(١) - سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فوظ : أخبرا .

كما بايع النبي صلى الله عليه وسلم عن عثمان رضى الله عنه في عمرة الحديبية فضرب باحدى يديه على الأخرى وهو غائب في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا ضرب له في غزوة بدر بسهمه وأجره وكان غائبا .

- ولما كانت الطاعة و انتظار الفرج وإن طال زمنه أعظم أسباب ه الإجابة . سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاستقيما ﴾ أى فاثبتا على 'التعبد والتذلل' والخضوع لربكما كما أن نوحا عليه السلام ثبت على ذلك و طال زمنه جدا واشتد أذاه<sup>٢</sup> ولم يضجر ؛ ولما كان الصبر شديدا ، أكد قوله : ﴿ ولا تتبعن ﴾ بالاستعجال أو الفترة عن الشكر ﴿ سبيل الذين لا يعلمون ه ﴾ ولما أمر بالتأني الذى هو نتيجة العلم ، عطف على ذلك الإخبار بالاستجابة ١٠ قوله : ﴿ وجوزنا ﴾ أى فعلنا بعظمتنا فى إجازتهم فعل المناظر للآخر المبارى له ، ودل بالاصاق الباء بهم على مصاحبته سبحانه لهم دلالة على رضاه بفعلهم فقال : ﴿ يبنى إسرائيل ﴾ أى عبدنا المخلص لنا ﴿ البحر ﴾ إعلاما بأنه أمرهم بالخروج من مصر وأنجز لهم ما وعد فأهلك فرعون وملاه باتباعهم سبيل من لا يعلم بطيشهم وعدم صبرهم ، ونجى بنى إسرائيل ١٥ بصبرهم وخضوعهم ؛ والالتفات من الغيبة إلى التكلم لما فى هذه المجاوزة ومقدماتها ولواحقها من مظاهر العظمة ونفوذ الأوامر ومضاء الأحكام ؛ وبين سبحانه كيفية إظهار استجابة الدعوة بقوله مسييا عن المجاوزة :
- (١- ١) فى ظ : التذلل والتعبد (٢) من ظ ، وفى الأصل : داوه - كذا (٣) فى ظ : امر .

﴿ فاتبعهم ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿ فرعون و جنوده ﴾ أى أوقعوا تبعهم  
أى حملوا نفوسهم على تبعهم، وهو السير فى أثرهم، و اتبعه - إذا سبقه  
فلحقه . و يقال : تبعه فى الخير و اتبعه فى الشر . و لما أفهم ذلك ، صرح به  
فقال : ﴿ بغيا ﴾ أى تعديا للحق و استهانة بهم ﴿ و عدوا ﴾ أى ظلما  
و تجاوزا للحد .

و لما كان فاعل ذلك جديرا بأن يرجع عما سلكه من الوعورة ، عجب  
منه فى تماديه فقال - عاطفا على ما تقديره : [ و استمر - ١ ] يتماذى فى  
ذلك - : ﴿ حتى ﴾ و لما كانت رؤية انفراج البحر عن مواضع سيرهم  
مظنة تحقق رجوع الماء إلى مواضعه فيغرق ، عبر بأداة التحقق فقال :  
١٠ ﴿ إذا أدركه ﴾ أى قهره و أحاط به ﴿ الغرق ﴾ أى الموت بالماء كما  
سأل موسى [ فى - ١ ] أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم ﴿ قال امنت ﴾  
أى أوقعت إيمان الداعى<sup>٢</sup> لى من التكذيب ؛ ثم علل إيمانه بقوله مبدلا  
من " امنت " فى قراءة حمزة و الكسائى بالكسر مؤكدا من شدة  
الجزع : ﴿ انه ﴾ [ و - ١ ] على تقدير الباء تعليلا فى قراءة الجماعة أى<sup>٣</sup>  
١٥ معترفا بأنه ﴿ لا اله الا الذى ﴾ و يجوز أن يكون أوقع " امنت "  
على " انه " و ما بعدها - أى " امنت " - نفي الإلهية عن كل شئ غير من  
استثنيت من أن أعبره أو أرجع عنه .

و لما كان قد تحقق الهلاك و علم أنه لا نجاة إلا بالصدق ، أراد الإعلام

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الدعا (٣) فى ظ : انه .

بقاية صدقه فقال: ﴿ امنت ﴾ أى أوقعت التصديق معترفة ﴿ به بنو اسراءيل ﴾  
 فعينه تعيينا أزال الاحتمال؛ ثم قال: ﴿ وانا من المسلمين ٥ ﴾ 'فكر  
 قبول' ما كان دعى إليه فأباه استكبارا، وعبر بما دل على ادعاء الرسوخ  
 فيه يانا لأنه ذل ذلا لم يبق معه شيء من ذلك الكبر<sup>٦</sup> ولم ينفعه ذلك  
 لفترات شرطه، فانصل ذلك بذل الخزي في البرزخ وما بعده، وقد ٥  
 كانت المرة الواحدة كافية له عند وجود الشرط، وزاده تعالى ذلا  
 بالإيثاس من الفلاح بقوله على لسان الحال أو جبريل عليه السلام<sup>٢</sup>: أى ملك  
 الموت أو غيره من الجنود عليهم السلام<sup>٣</sup>: ﴿ آآلثن ﴾ أى أنجب إلى  
 ما دعت إليه فى هذا الحين الذى لا ينفع<sup>٤</sup> فيه الإجابة لقوات الإيمان  
 بالغيب الذى لا يصح أن يقع اسم الإيمان إلا عليه / ﴿ وقد ﴾ أى والحال ١٠ / ٦٠٥  
 أنك قد ﴿ عصيت ﴾ أى بالكفر ﴿ قبل ﴾ أى فى<sup>٥</sup> جميع زمان الدعوة  
 الذى قبل هذا الوقت، ومعصية<sup>٦</sup> الملك توجب الأخذ والغضب كيف  
 كانت، فكيف وهى بالكفر! ﴿ وكنت ﴾ أى كونا جبليا ﴿ من المفسدين ٥ ﴾  
 أى العريقين فى الفساد والإفساد؛ ثم أكد - بدل شتمة الأعداء [به-<sup>٧</sup>  
 الذين كانوا عنده أقل شيء وأحقره - بقوله مسيا عما تضمنه ذلك الإنكار ١٥  
 من الإذلال بالإهلاك إشارة إلى أن الماء أحاط به وصار يرتفع قليلا  
 [قليلا -<sup>٧</sup>] حتى امتد زمان الترويح: ﴿ فاليوم تنجيك ﴾ أى تنجية عظيمة.

(١ - ١) فى الأصل: فكره قبول، وفى ظ: كرر قول (٢) فى ظ: الامر.

(٣ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) فى ظ: لا تنفع (٥) فى ظ: قبل.

(٦) من ظ. وفى الأصل: مودية (٧) زيد من ظ.

ولما كان ذلك سارا و كانت المساءة بما يفهم السرور إنكاه ، قال دالا  
 على أن ذلك يعد زرع روحه : ﴿ يبدئك ﴾ أى من غير روح و هو كامل  
 لم ينقص منه شيء حتى لا يدخل فى معرفتك لبس ﴿ لتكون ﴾ أى كونا  
 هو فى غاية الثبات ﴿ لمن خلفك ﴾ أى يتأخر عنك فى الحياة من بنى  
 ٥ إسرائيل وغيرهم ﴿ آية ﴾ فى ٢ أنك [عبد - ٣] ضعيف حقير ، لست برب  
 فضلا عن أن تكون أعلى و يعرفوا أن من عصى الملك أخذ وإن  
 كان أقوى الناس و أكثرهم جنودا ، وقد ادعى بعض الملحدين إيمانه  
 بهذه الآية إرادة لما يعبد الله منه من حل ٢ العقد الواجب من أن فرعون  
 من أكفر الكفرة باجماع أهل الملل ليهون للناس الاجترار على المعاصي ،  
 ١٠ و ادعى أنه لانص فى القرآن على أنه من أهل النار و ضل عن الصرائح  
 التى فى القرآن فى ذلك فى غير موضع و عن أن قوله تعالى ” و ان  
 فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين “ مع قوله تعالى  
 ” و ان المسرفين هم اصحاب النار “ قياس قطعى الدلالة يدهى النص على  
 أنه من أهل النار ، و الآية - كما ترى - دليل على قوله ” قل اراءيتم “  
 ١٥ ان انكم عذابه بيانا او نهارا “ - الآية . لو كان فرعون مثل قريش ، فكيف  
 و لا نسبة لهم منه فى شدة الاستكبار التابعة لكثرة الجموع و نفوذ

(١) فى ظ : او (٢) فى ظ : اى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : تعرفوا  
 على (٥) فى ظ : اخذ (٦) من ظ ، وفى الأصل : اقرب (٧) فى ظ : جعل .  
 (٨) سورة ١٠ آية ٨٦ (٩) - سورة ٤٠ آية ٤ (١٠) من ظ و القرآن الكريم  
 آية ٥٥ . وفى الأصل : اراءيتكم (١١) من ظ ، وفى الأصل : الكثرة .

الكلمة بضخامة الملك و عز السلطان و القوة بالأموال و الإعوان، و قد روى أن جبريل عليه السلام كان أتاه<sup>١</sup> بفتيا في عبد نشأ في نعمة<sup>٢</sup> سيده فكفر نعمته و جحد حقه و ادعى السيادة دونه . فكتب فرعون جزاء العبد الخارج عن<sup>٣</sup> [طاعة - <sup>٤</sup>] سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر، فلما أُلجِه الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه ففرغه .

و لما لم يعمل فرعون و آله بمقتضى ما رأوا من الآيات، كان حكمهم حكم الغافلين عنها، فكان التقدير: [و - <sup>٥</sup>] لقد غفلوا عما جاءهم من الآيات ﴿و ان كثيرا﴾ أكده لأن مثله ينبغي - لبعده عن الصواب - أن لا يصدق أن أحدا يقع فيه ﴿من الناس﴾ أى وهم من لم يصل إلى حده أول أسنان أهل الإيمان لما عندهم من النور - وهو الاضطراب - ١٠ و الانس بأنفسهم ﴿عن ايتنا﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿لغفلون﴾ و الإصلاح: تقويم العمل على ما ينفع بدلا عما يضر؛ و إحقاق الحق: إظهاره و تمكينه بالدلائل الواضحة حتى يرجع الطاعن عنه حسيرا و المناصب له مفلولا<sup>٦</sup>؛ و الإسراف: <sup>٧</sup> الإبعاد في مجاوزة الحق؛ و الفتنة: البلية، و هى معاملة تظهر الأمور الباطنة؛ و النجاة: الخلاص ١٥ بما فيه المخافة، و نظيرها<sup>٨</sup> السلامة، و علقوا النجاة بالرحمة لأنها إنعام على المحتاج بما تطلع إليه نفوس العباد. فهو على أوكد ما يكون

---

(١) فى ظ: انا (٢) فى ظ: عبادة (٣) من ظ، وفى الأصل: على (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: احد (٦) فى ظ: مغلولا (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: تطهيرها .

من الدعاء إلى الصلاح ؛ و الوحي : إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء ،  
و الإيحاء و الإيماء و الإشارة نظائر ، ولا يجوز أن تطلق الصفة بالوحي  
إلا لشيء ؛ و تبوأ<sup>١</sup> : اتخذ ، و أصله الرجوع ، فالتبوأ : المنزل . لأنه يرجع  
إليه للمقام فيه ؛ و الطمس : محو الأثر فهو تغير إلى الدثور و الدروس ؛  
و الإجابة : موافقة الدعوة . فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة ؛ و الدعوة :  
طلب الفعل بصيغة الأمر . و قد تكون بالماضي ؛ و المجاوزة : الخروج  
عن الحد من إحدى<sup>٢</sup> الجهات ؛ و البحر : مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك  
طرفه من كان في وسطه . و هو مأخوذ من الاتساع ؛ و الاتباع :  
اللاحق بالآول ؛ و البغى : طلب الاستعلاء بغير حق ؛ و الآن : فصل<sup>٣</sup> الزمانين  
الماضي و المستقبل . مع أنه إشارة إلى الحاضر . و لهذا بنى كائني<sup>٤</sup> ' ذا ' ؛  
/ و البدن : مسكن روح الحيوان على صورته .

/ ٦٠٦

و لما ذكر تعالى عاقبة أمر فرعون و قومه و أنهم لم<sup>٥</sup> ينتفعوا بما  
جاءهم من البينات<sup>٦</sup> مع ما كان فيها من جلي البيان و في بعضها من الشدائد  
و الامتحان حتى كان آخرها أنه لما رأى مبدأ الهلاك من انفراق البحر  
١٥ لم يزعه عن لجأه غفلة منه عن عاقبته . و ختمها بالإخبار بكثرة  
الغفلة إشارة إلى أن هذا الخلق في غير القبط أيضا ، أتبع ذلك ذكر  
خاتمة أمر بني إسرائيل فيما<sup>٧</sup> خولهم فيه بعد الإجماع من النعم المقتضى  
للعلم القطعي بأنه لا إله غيره ، و أن من خالفه كان على خطر الهلاك ،

(١) من ظ ، و في الأصل : تبوأوا (٢) في الأصل و ظ : احد (٣) في ظ :  
فضل (٤) من ظ ، و في الأصل : لا (٥) في ظ : الآيات (٦) في ظ : فلما .



وأنهم - مع مشاهدتهم الآيات الآتية بسيهم إلى فرعون - آتاهم من الآيات الخاصة بهم المنجزة لصدق وعده سبحانه لأبائهم ما فيه غاية الإحسان إليهم و الإكرام لهم، وأنهم كانوا تحت يد فرعون على طريق واحد، ليس بينهم خلاف، وما اختلفوا فصاروا فرقا<sup>١</sup> فى الاعتقادات وأحزابا فى الديانات حتى جاءهم العلم الموضح<sup>٢</sup> من الله، فكان المقتضى<sup>٥</sup> لاجتماعهم على الله مفرقا لهم على سبيل الشيطان لحث سرائرهم وسوء ضمائرهم وقوفا مع الشاهد الزائل وجودا مع المحسوس الفانى ونسيانا للغائب الثابت والمعلوم المتيقن، كل ذلك لأننا قضينا به فالامر تابع لما نريد، لا لما يأمر<sup>٣</sup> به وينهى<sup>٤</sup> عنه. فكان أعظم زاجر<sup>٦</sup> عن طلب الآيات وظن أنها توجب [ له -<sup>١</sup> ] الرد عن<sup>٧</sup> الغوايات، فقال ١٠ تعالى: ﴿ ولقد بؤنا ﴾ أى أسكنا بما لنا من العظمة التى تنقطع الاعتناق دون غليانها وتضائل ثواقب الأفكار عن إحصائها ﴿ بنى إسرائيل ﴾ مسكنا هو أهل لأن يرجع إليه من خرج عنه، وهو المراد بقوله: ﴿ مبوا صدق ﴾ أى فى الأرض المقدسة لأن<sup>٨</sup> وعدنا كان قد تقدم لهم بها وعادة العرب أنها إذا مدحت الشيء أضافته إلى الصدق لأنه ١٥ مع ثباته حبيب إلى كل نفس ويصدق ما يظن به من الخير .

ولما كان المنزل لا يطيب إلا بالرزق، وكان التعبير عنه بالمبوا دالا على الرزق بدلالة الالتزام<sup>٩</sup>، صرح به فقال: ﴿ ورزقهم ﴾ أى

(١) من ظ، وفى الأصل: قدوا - كذا (٢) فى ظ: الواضح (٣) فى ظ: ناسر .  
(٤) فى ظ: نهي (٥) فى ظ: زاجرا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: على (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: الاكرام .

بما لنا من العظمة ﴿من الطينتين﴾ أى الحسية حلاء واشتهاء من الفواكه  
والحبوب والالبان والأعسال وغيرها ، والمعنوية من الشريعة  
والكتاب والمعارف كما تقدم وعدنا لأبائهم بذلك . ولما كانوا كغيرهم  
إذا كانوا على أمور يتواضعون عليها تقاربوا فيها وتوافقوا ، وإذا  
كانوا على حدود حدها لهم المحسن إليهم وحده لم يلبثوا أن يحتافوا ،  
عابهم الله بذلك فقال : ﴿فأى قسب عن صدقنا لهم فى الوعد  
أنهم ما﴾ (اختلفوا) أى أوقعوا الخلف المفضى إلى جعل كل منهم  
صاحبه خلفه و دراه ظهروه ، واستهان به ﴿حتى جاءهم العلم﴾  
الموجب لاجتماعهم على كلمة واحدة لما له من الضبط حتى يكرن  
١٠ أتباعه على قلب واحد ، فكأنه قيل : فماذا يفعل بهم ؟ لا هم يعقلون  
ينتفعون ولا بما جاءهم من الحق يرجعون ؟ فقيل مؤكدا لإنكار العرب  
البعث : ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بإيصال الأنبياء بك و وصفك  
فى كتبهم وجعلك صاحب لواء الحمد فى القيامة ﴿يقضى بينهم﴾ .

ولما كان هذا تهديدا عظيما ، زاده هولاً وعظمة بقوله :  
١٥ ﴿يوم القيمة﴾ أى الذى هو أعظم الأيام ﴿فما كانوا﴾ أى بأفعالهم  
الجبليية <sup>٦</sup> ﴿فيه يختلفون﴾ فيميز الحق من الباطل ، والصدق من  
الزنديق ، ويسكن كلا داره .

ذكر بعض ما فى التوراة من المن عليهم بالأرض المقدسة :

(١) فى ظ : المعونة (٢) فى ظ : انهم (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ ، وفى الأصل :  
خلفة (٥) من ظ ، وفى الأصل : للاجتماع (٦) فى ظ : الجلية .

قال فى أثناء السفر الخامس: قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التى عمل ، فاحفظوا جميع الوصايا التى أمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التى تجوزون إليها لثروها وتطول أعماركم فى الأرض التى أقسم الله لأبائكم أن يعطيهم<sup>١</sup> : يرثها نسلهم الأرض التى تغل السمن و العسل .

لأن الأرض التى تدخلونها لثروها ليست مثل أرض مصر التى خرجتم د / ٦٠٧ / منها التى كنتم تحتاجون فيها أن تستقوا<sup>٢</sup> بأرجلكم و تسقوها مثل بساتين السقى ، و لكن الأرض التى تجوزون<sup>٣</sup> إليها لثروها هى أرض الجبال و الصحارى ، و إنما تشرب من مطر السماء . يتعاهدها الله ربكم فى كل حين ، و عينا الله ربنا فيها منذ أول السنة إلى آخر السنة . فان أنتم سمعتم الأحكام التى أمركم بها اليوم و تتقون الله ربكم و تعبدونه من كل قلوبكم ١٠ و أنفسكم يديم نظره إليكم . و يمطر لكم فى<sup>٤</sup> الخريف و الربيع جميعا ، و تستغلون طعاما و شرابا و زيتا ، و يثبت<sup>٥</sup> فى حرثكم عشباً لمواشيكم ، و تأكلون و تشبعون ، احفظوا أن لا تخدع<sup>٦</sup> قلوبكم و تروغوا إلى الآلهة الأخرى و تسجدوا لها و تعبدوها فيشتد غضب الرب عليكم ، و يمنع السماء من المطر و الأرض من غلاتها ، و تهلكوا<sup>٧</sup> سريعا من الأرض التى ١٥ يعطيكم الله ربكم ، بل اجعلوا هذه الآيات فى قلوبكم ، و صيروها ميسما بين أعينكم ، و علوها بينكم أن يتكلموا بها فى حضوركم و فى سفركم ، وإذا

(١) راجع الأصحاح الحادى عشر (٢) فى ظ : تعطيهم (٣) فى ظ : تسقوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : يجوزون (٥) فى ظ : من (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : اثنا و ثنيت - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يخدع (٨) فى ظ : يهلكون .

ورقدتم وإذا قمتم، و اكتبوها على معاقم بيوتكم وأبوابكم لتطول أعماركم  
 و أعمار أولادكم في الأرض التي أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم. وإن أنتم  
 حفظتم هذه الوصايا كلها وعلمتم بها وأحببتم الله ربكم وسرتم في طريقه  
 ولحقتم بعبادته يهلك الرب الملوك كلها من بين أيديكم وترثون شعوبا  
 ٥ أعظم وأعز منكم، و كل بلاد تطأها أقدامكم تكون لكم بين البرية ولبنان  
 ومن النهر إلى الفرات: النهر الأكبر، و تكون نخومكم عند البحر الآخر،  
 ولا يقدر أحد أن يقاومكم، و يلقى الله ربكم خوفكم وفزعكم على كل  
 الأرض التي تطأونها كما قال لكم الرب: انظروا! إني أنزلو عليكم دعاء  
 ولعنا، أما الدعاء فتصيرون إليه إن أنتم حفظتم وصايا الله ربكم، وأما  
 ١٠ اللعن فيدرككم إن [ أنتم - ١ ] لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزعتم عن الطريق  
 الذي أمركم به اليوم و تبعتم آلهة أخرى لم تعرفوها، وإذا أدخلكم الله  
 ربكم إلى الأرض التي تدخلونها لثروها أنزلو الدعاء على [ جبل - ٢ ]  
 حوريب واللعن على جبل من حياها في مجاز الأردن خلف الطريق عند  
 مغارب الشمس في أرض الكنعانيين الذين يسكنون المغرب بازاء الجبال  
 ١٥ و جبال بلوط - وفي نسخة: مرج<sup>٢</sup> عمري، لأنكم تجوزون الأردن لدخلوا  
 و ترثوا الأرض [ التي - ٢ ] يعطيكم الله ربكم و تسكنونها وتحفظون  
 و تعملون بجميع الوصايا التي أمركم بها اليوم - انتهى .  
 وفي سفر يوشع<sup>٣</sup> بن نون<sup>٤</sup> عليه السلام: ولما كان بعد موسى

(١) من ظ، وفي الأصل: يرثون (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل:  
 مره (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) راجع الأصحاح الأول.

عبد الله قال الله ليوشع بن نون خادم موسى عليها السلام: موسى عبدى مات، و الآن قم فاعبر هذا الأردن أنت، و كل هذا 'الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لبنى إسرائيل، كل موضع تطأه أرجلكم لكم أعطيته، كما قلت لموسى عبدى: من البر و هذه اللبان و إلى النهر الكبير نهر الفرات كل أرض الذاعرين، لا يقف أحد قدامك طول أيام حياتك، كما كنت ه مع موسى أكون معك، لا أدعك ولا أتركك، اشد و تأيد، فانك أنت تنحل هذا الشعب الأرض التى قسمت لآبائهم لإعطاء ذلك لهم، لا يزول درس كتاب هذه الشريعة من فيك، و تلهج به نهارا و ليلا لى تحفظ للعمل بجميع المكتوب، فحينئذ تنجح طرقك. و حينئذ ترشد، أليس قد أوصيتك؟ اشد و تأيد. ولا ترهب ولا تندعر، لأن معك الله ١٠ ربك فى جميع ما تسير فيه، و وصى يوشع عرفاء القوم قائلا: جوزوا فى وسط العسكر و ووصوا القوم قائلين لهم: أعدوا لكم زادا فانكم بعد ثلاثة أيام عابرون هذا الأردن للدخول لإرث<sup>٢</sup> الأرض التى الله ربكم معطيها لكم، اذكروا ذكر القول الذى أمركم به موسى عبد الله قائلا: الله ربكم مريحكم بما أعطاكم هذه الأرض، نساءكم و أطفالكم / و مواشيكم تجلسون ١٥ / ٦٠٨ في مدنكم التى أعطاكم موسى عبد الله فى مجاز الأردن [و أنتم تجوزون محزومي الخواطر إلى أن يريح الله إخوتكم كما أراحكم فترثوا أيضا الأرض التى ربكم معطيكم، حينئذ ترجعون إلى أرض خوزكم التى أعطاكم موسى عبد الله فى مجاز الأردن -<sup>٣</sup>] مشرق الشمس، فأجابوا يوشع قائلين: جميع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: تشير - كذا (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: دخول الارث (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ.

ما أوصيتنا به نعمل، وكل موضع أرسلنا نمضي، كجميع ما قبلنا من موسى كذاك نقبل منك. إذا كان الله معك كما كان مع موسى، كل إنسان بخلاف أمرك ولا يقبل كلامك كجميع ما تأمره به يقتل، فاشد وتأيد. فبعث يوشع بن نون من الكافرين<sup>١</sup> رجلين جاسوسين في خفية ٥ قائلا: امضيا! انظرا الأرض كلها مع أريحا، فمضيا ودخلا إلى بيت امرأة سواقة اسمها راحاب واضطجعا<sup>٢</sup> ثم، فقبل لملك أريحا: هو ذا أناس من بني إسرائيل قد جاؤا إلى هنا الليلة لجلس<sup>٣</sup> البلد، فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلا: أخرجي القوم الجائين إليك الذين دخلوا دارك، فانهم جلس جميع البلد جاؤا. فأخذت المرأة الرجلين فأخفت<sup>٤</sup> ١٠ أمرهما وقالت: كذاك كان القوم جاؤا إلي ولم أعلم من أين هم؟ وكان عند إغلاق الباب في الظلام. ثم خرج القوم ولم أعلم أين مضوا؟ اطلبوهم بسرعة فانكم تلحقونهم؛ ثم أصدوتهما إلى السطح وظهرتهما في فشر<sup>٥</sup> الكتان. والقوم طلبوهما في طريق الأردن إلى المعابر<sup>٦</sup> - وفي نسخة: إلى المخاضات - والباب أغلقوا بعد ما خرج الطالبون خلفهما. ١٥ وهما قبل أن يناما صعدت<sup>٧</sup> إليهما راحاب إلى السطح فقالت لهما: قد علمت أن الله سلم إليكم البلد، وأنه قد وقعت هيبكم علينا. وقد ماج جميع سكان البلد من قبلكم. وانا [قد - <sup>٨</sup>] سمعنا أن الله أيبس لكم

(١) في سفر يوشع: شطيم (٢) من ظ. وفي الأصل: بالجلس (٣) في ظ: اخفت (٤) في ظ: قس (٥) من ظ، وفي الأصل: المقابر (٦) من ظ. وفي الأصل: صعد (٧) زيد من ظ.

بحر القلزم عقب خروجكم من مصر و ما عملتم<sup>١</sup> بملكى الامور انين الذين  
 فى مجاز الاردن : سيجون و عوج اللذين اصطلمتموهما ، فعند ما سمعنا  
 ذابت قلوبنا و لم يثبت أيضا روح فى واحد منا من جهتمكم ، فان الله  
 ربكم هو إله من فى السماوات من فوق و من على الأرض من تحت ،  
 و الآن فاحلفوا باسم الله إذ قد عملت معكم فضلا ، فعملنا أيضا<sup>٢</sup> أتما مع<sup>٥</sup>  
 أهل أبى فضلا ، و تعطيان علامة هى حق ، اتستبقوا أبى و أمى و إخوتى  
 و جميع من اتصل بهم ، و تخلصوا أنفسنا من القتل . فقالا لها : نبذل  
 أنفسنا دونكم للوت إن لم تجربوا بجنونا هذا ، فيكون عند تسليم الله  
 لنا البلد نعمل معك فضلا و أمانة ، فأحدرتهما بالجل<sup>٣</sup> من داخل الطاقة  
 إذ منزلها فى حائط السور ، و فى السور هى ساكنة . و قالت لهما : سيرا<sup>١٠</sup>  
 إلى الجبل كيلا يلقاكما الطالبون ، و بعد ذلك سيرا : لطريقكما<sup>٤</sup> ،  
 فقالا لها : أرباه نحن من قسمك هذا الذى استقسمتنا<sup>٦</sup> إن لم تفعل  
 ما نقول لك ، هو ذا نحن داخلون إلى البلد فاعقدى خصلة خيط من  
 القرمز فى الطاقة التى أحدرتنا منها ، و أبوك و أمك و إخوتك  
 و كل بيت أهلك تضمين إليك إلى المنزل ، فيكون كل من يخرج من<sup>١٥</sup>  
 أبواب منزلك إلى خارج دمه فى عنقه و نحن أرباه ، و كل من يكون  
 معك فى المنزل دمه<sup>٧</sup> فى أعناقنا إن بطشت به يد . و إن أخبرت بجنونا

---

(١) فى ظ : علمتم (٢-٣) فى ظ : فعملنا (٤) فى ظ : بالجل (٥) من ظ ، و فى  
 الأصل : سيرا (٥) فى ظ : لطريقكما - كذا (٦) فى الأصل : استقسمتينا ، و فى  
 ظ : قسمتنا (٧) فى ظ : دمه .

هذا فحن أبرياء من قسمك الذى استقسمتا<sup>١</sup>، فقالت: كما قلتما،  
 فأطلقتها ومضيا، وعقدت خصلة القرمز فى الطاقة، فضيا إلى الجبل  
 وجلسا ثم ثلاثة أيام إلى أن رجع الطالبون ولم يجدوهما. ورجع  
 الرسولان وانهدرا من الجبل وجازا الأردن وجاءا إلى يوشع بن نون  
 ه وقصاله كل ما وافاهما وقالا<sup>٢</sup> ليوشع: إن الله دفع بأيدينا كل الأرض،  
 وقد ماج جميع سكانها منا؛ وأدج يوشع بالغداة ورحلوا<sup>٣</sup> من الكافرين،  
 وجاؤا إلى الأردن هو وجميع بنى إسرائيل وباتوا ثم قبل أن يجوزوا.  
 فلما كان بعد ثلاثة أيام جاز النقباء فى وسط العسكر وأمروا القوم قائلين  
 لهم: عند نظركم صندوق عهد الله ربكم والأئمة اللاويين<sup>٤</sup> حاملين له أنتم  
 ١٠ ترحلون من موضعكم وتمشون خلفه، لكن<sup>٥</sup> بينكم وبينه بُعد مقدار ألفى  
 فراع بالمساحة، لا تقربوا منه لأجل أن تعرفوا الطريق التى تمشون فيها  
 ٦ إذ لم تمشوا فيها<sup>٦</sup> أمس وأول أمس. وقال يوشع للقوم: استعدوا فإن  
 غدا يعمل الله فى وسطكم/عجائب، وقال يوشع للأئمة: احملوا صندوق العهد  
 ٦٠٩ وجوزوا قدام القوم. فحملوا صندوق العهد وساروا قدام القوم، قال الله  
 ١٥ ليوشع: هذا اليوم أبتدى بتعظيم اسمك بحضرة جميع<sup>٧</sup> إسرائيل لكي يعلموا  
 أنى كما كنت مع موسى أكون معك؛ وقال يوشع لبنى إسرائيل: تقدموا

(١) فى الأصل: استقسمتينا، و فى ظ: استقسمتا (٢) فى ظ: قال (٣) فى ظ: ادبلجوا (٤) زيد فى ظ: من (٥) من سفر يوشع - الأصحاح الثالث، و فى الأصل: الأولين، و فى ظ: الأوابين (٦) فى ظ: ليكن (٧-٧) - قط ما بين الرقنين من ظ. (٨) زيد فى ظ: بنى.



ههنا و اسمعوا الله ربكم ؛ قال يوشع : بهذه الخلة تعرفون<sup>١</sup> أن قادرا حيا لذاته فى وسطكم ، و أن قارضا يقرض من قدامكم قبائر<sup>٢</sup> الأمم : الكنعانيين و الذاعرين - و فى نسخة : الحائنين المنسوبين إلى حاث جدم - و الحويين<sup>٣</sup> أى الفصحاء البلغاء - و فى نسخة : المجتمعين إلى الحى -<sup>٤</sup> و الربصيين و الفلاحين<sup>٥</sup> و الامورانيين - أى الرؤساء - و اليوسيين - أى الجبارين ه القاهرين ، هاهو ذا صندوق العهد ، سيد كل الارض جائز<sup>٦</sup> قدامكم فى الاردن [ و الآن -<sup>٧</sup> ] خذوا لكم اثني عشر رجلا من أسباط إسرائيل : رجلا واحدا من كل سبط ، و يسكون عند قرار أقدام أرجل الأئمة حاملي صندوق العهد سيد كل الارض فى مياه الاردن من الامر العظيم أنه تنقطع<sup>٨</sup> مياه الاردن المنحدرة من فوق و تقف<sup>٩</sup> طودا واحدا كأنها فى زق محصورة . ١٠ . و لما ارتحل الشعب و قطعوا خيمهم ليجوزوا الاردن سار الكهنة الذين حملوا التابوت أمام الشعب ، فلما انتهوا إلى الاردن [ و كان ممتلئا بفيض كل أيام الحصاد انشق الاردن -<sup>١٠</sup> ] و قام الماء الذى كان ينحدر من فوق كأنه فى زق ناحيته<sup>١١</sup> ، و تباعد عن قرية إدام<sup>١٢</sup> التى عند صريم<sup>١٣</sup>

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يعرفون (٢) من ظ ، و فى الأصل : قيل بل - كذا . (٣) من - سفر يوشع ، و فى الأصل : الحريين ، و فى ظ : الحبريين - كذا (٤-٥) فى سفر يوشع : الفرزيين و الجرجشيين (٥) فى الأصل : حايزا ، و فى ظ : جايزا . (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اثنا (٨) من ظ ، و فى الأصل : ينقطع (٩) فى ظ : تقطف (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ناحية (١١) من سفر يوشع ، و فى الأصل و ظ : ارام (١٢) من ظ ، و فى الأصل : صريم .

جدا ، و الذى كان يجرى إلى البحر العربى الذى يدعى بحر الملح انشق  
و حار و انقطع ، و جاز الشعب حبال أريحا ، و قام الكهنة الذين حملوا  
تابوت العهد فى الأردن يابسا حتى عبر جميع الشعب بحر الأردن ؛ فلما  
جاز الشعب جميعا قال الرب ليشوع<sup>٢</sup> : اعمد إلى اثني عشر رجلا من الشعب :  
٥ من كل سبط رجل واحد ، و قل<sup>٣</sup> لهم : خذوا من ههنا من جوف  
الأردن من تحت أقدام الكهنة اثني عشر حجرا و عبروها معكم و انصبوها  
فى موضع المبيت الذى تبيتون فيه الليلة ، فأمرهم يشوع<sup>٤</sup> [ بذلك -<sup>٥</sup> ]  
و أن يحمل كل رجل حجره على عاتقه ، فأخذوها<sup>٦</sup> إلى موضع مبيتهم  
و نصبوها هناك ، فحكشت الحجارة - التى أخذوها<sup>٧</sup> من الأردن من

١٠ تحت أقدام الكهنة الذين<sup>٨</sup> حملوا التابوت - موضوعة هناك إلى اليوم ؛  
و الكهنة الذين حملوا التابوت كانوا قياما حتى تمت جميع الأقوال التى  
أمر الرب يشوع<sup>٩</sup> أن يقص على الشعب كما أوصى موسى يشوع<sup>١٠</sup> ، و عمل  
الشعب على<sup>١١</sup> المجاز و جازوا<sup>١٢</sup> ، فلما جاز جميع الشعب و جاز الكهنة  
الذين كانوا حاملين التابوت أمام الشعب و جاز بنو روبال و بنو جاد  
١٥ و نصف سبط منسا ، و هم متسلخون أمام إخوتهم - كما أمر موسى -  
أربعون ألفا ذوو قوة ، جازوا أمام الرب إلى قاع أريحا للحجارة . فى ذلك

- (١) فى ظ : قال (٢) من ظ ، و فى الأصل : ليشوع (٣) من ظ ، و فى الأصل :  
قال (٤) من ظ ، و فى الأصل : ليشوع (٥) زيد من ظ (٦) فى الأصل : فأخذوا ،  
و فى ظ : أخذوها - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : أخذوا (٨) فى ظ : التى .  
(٩) فى ظ : يوشع ، و يوشع و يشوع كلاهما يجوز (١٠) سقط من ظ .  
(١١) من ظ ، و فى الأصل : جاوزوا ،

اليوم عظم يشوع<sup>١</sup> عند جميع بنى إسرائيل و فرقة كفرهم من موسى طول أيام حياته ، وقال الرب ليشوع<sup>٢</sup> : مر الكهنة الذين حملوا تابوت الشهادة يصعدوا من الأردن . فأمرهم ، فلما صعدوا رجع ماء الأردن إلى مواضعه أول ما استقرت أقدام الكهنة في الشط و جرى في سواحل الأردن كما كان أولا ، فصعدوا من الأردن في عشر خلت من الشهر الأول - قلت : و هو نيسان على ما قال بعض فضلاء اليهود - و نزلوا الجليل أقصى مشارق أريحا ، فأما الاثنا عشر حجرا<sup>٣</sup> التي أخذوها من الأردن فصبها يشوع<sup>٤</sup> في الجليل ، و قال يشوع<sup>٥</sup> ابنى إسرائيل : إذا سألكم بنوكم غدا و قالوا لكم : ما هذه الحجارة ؟ قولوا لهم : إن بنى إسرائيل فلق لهم هذا الأردن فجازوه يابسا ، لأن الله ربكم يبس ماء الأردن أمامهم حتى جازوه ١٠ كما فعل الله ربكم يبحر سوف الذى يبسه<sup>٦</sup> أمامنا حتى<sup>٧</sup> جزناه ليعلم جميع شعوب الأرض أن يد الرب قوية ، و تتقوا الله ربكم كل الأيام .

٦١٠ / فلما سمع جميع ملوك الأموريين [ الذين في جانب الأردن الغربى و جميع ملوك الكنعانيين الذين - <sup>٨</sup> ] على شاطئ البحر أن الرب يبس ماء الأردن أمام بنى إسرائيل حتى جازوا ، فزعت قلوبهم و لم يبق فيهم رمق ١٥ فزعا من بنى إسرائيل : في ذلك الزمان قال الرب ليشوع<sup>٩</sup> : اتخذ سيفا من طوران و اختن بنى إسرائيل ثانية ، فختن بنى إسرائيل ثانية في أكمة

(١) في ظ : يوشع (٢) في ظ : يوشع (٣) في الأصل و ظ : الاثنى (٤) من ظ ، و في الأصل : حجر (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : يبس (٧) في ظ : حين . (٨) زيد من ظ .

الغلف<sup>١</sup>، و الذي ختن يشوع<sup>٢</sup> جميع الذكورة [الذين - ٣] كانوا ولدوا  
 في البرية حين خرجوا من أرض مصر، لأن جميع الرجال الأبطال  
 المقاتلة هلكوا في البرية [لأنهم - ٣] لم يطيعوا الله ربهم و كانوا كلهم  
 محتنين<sup>٤</sup>، فأقسم الرب عليهم أن لا يريهم الأرض التي وعد آباءهم أن  
 يعطيهموها الأرض التي تغل السمن و العسل، فبنوهم الذين كانوا من<sup>٥</sup>  
 بعدهم [هم - ٣] الذين ختن يشوع<sup>٢</sup> لأنهم كانوا غلفا. فلما ختن جميع  
 الشعب مكثوا مواضعهم في المعسكر حتى برثوا، و قال الرب ليشوع<sup>٢</sup>:  
 اليوم صرفت عنكم عار أهل مصر، و دعا اسم ذلك الموضع جلعالا،  
 و نزل بنو إسرائيل الجلعال و عملوا فصحا في أربعة عشر يوما من  
 الشهر الأول عند المساء في قاع أريحا و أكلوا من بر الأرض بعد الفصح  
 و أكلوا في ذلك اليوم فظيرا و سنبلا مقلوا، و ارتفع المن عن بني  
 إسرائيل منذ ذلك اليوم حيث أكلوا من بر الأرض<sup>٦</sup> و لم ينزل المن لبني  
 إسرائيل بعد ذلك اليوم و أكلوا من بر الأرض<sup>٧</sup> و غلات أرض كنعان  
 في تلك السنة، و بينا [كان - ٨] يشوع في قاع أريحا قائما إذ نظر  
 ١٥ رجلا قائما إزاءه مخترطا سيفه ممسكه بيده، فأقبل يشوع<sup>٢</sup> إليه و قال له:  
 أنت منا أم من أعدائنا؟ قال: أنا سيد أجناد الرب، الآن أتيتك،  
 نخر يشوع<sup>٢</sup> ساجدا على وجهه<sup>٩</sup> على الأرض و قال: ما الذي يقول السيد  
 (١) من ظ: وفي الأصل: الغليف، وفي سفر يوشع - الأصحاح الخامس: القلف.  
 (٢) في ظ: يوشع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل: محتنين (٥) سقط  
 من ظ (٦) في ظ: ليوشع (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) زيد لاستقامة  
 العبارة (٩) في ظ: وجه.

- لعبه؟ قال: اخلع خفيك عن قدميك، فان الموضع الذى أنت قائم فيه طاهر، ففعل يشوع<sup>٢</sup> ذلك؛ وكان بنو إسرائيل قد حاصروا أريحا، ولم يكن يقدر أحد من أهلها يدخل ولا يخرج، قال الرب ليوشع: انظر! إني قد دفعت في يدك أريحا وملكها وكل أجنادها، فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة، وديرُوا حول المدينة مرة في اليوم، وافعلوا ذلك ستة أيام، ويحمل سبعة من الكهنة سبعة أبواق ويهتفون أمام التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات ويهتف<sup>٣</sup> الكهنة بالقرن، فاذا هتفت الأبواق وسمعت أصواتها يهتف جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه، و يصعد<sup>٤</sup> الشعب كل إنسان حياله، فدعا يشوع<sup>٥</sup> الكهنة وقال ١٠ لهم: احملوا تابوت عهد الرب ويحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون و ينفخون فيها أمام تابوت الرب، ثم قال للشعب: دوروا حول المدينة، والمتسلخون يحوزون أمام تابوت الرب، فحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون و هتفوا أمام تابوت الرب فلم يزالوا ينفخون في القرون، والذين كانوا يحملون التابوت يتبعون أصحاب الأبواق والمتسلخون يسيرون أمام الكهنة ١٥ الذين يهتفون بالقرن و يسيرون [أمام -<sup>٦</sup>] التابوت. وقال يشوع<sup>٧</sup> للشعب: لا تهتفوا، ولا تسمعوا أصواتكم، ولا تخرج كلمة من أفواهكم إلى [اليوم -<sup>٨</sup>] الذى آمركم أن تهتفوا، فدارت الجماعة بالتابوت كل يوم مرة
- 
- (١) سقط من ظ (٢) في ظ: يوشع (٣) من ظ، وفي الأصل: تهتب - كذا.  
(٤) في ظ: سمعت (٥) من سفر يوشع - الأصحاح السادس، وفي الأصل وظ:  
يعصد (٦) زيد لاستقامة العبارة (٧) زيد من ظ.

كما أمرهم يشوع<sup>١</sup>، فلما كان اليوم السابع أدلجوا سحرا وأحاطوا بالمدينة كسفتهم  
ولكن في ذلك اليوم السابع داروا حولها سبع مرات، وفي المرة  
السابعة هتف الكهنة بالقرون وقال يشوع<sup>٢</sup> للشعب: اهتفوا لأن<sup>٣</sup> الرب  
قد دفع المدينة في أيديكم، ولكن صيروا هذه المدينة وكل ما فيها حريمة  
لرب، لا يمسه إنسان منكم، وأبقوا على راحاب الزانية - يعنى القندقانية<sup>٤</sup>  
كما أخبرني بعض فضلائهم، وبؤيده التعبير عنها فيما مضى بالسواقة والله  
أعلم - وعلى كل<sup>٥</sup> من معها في بيتها لأنها غيت الديسين الذين أرسلنا،  
فأما أنتم<sup>٦</sup> فاحفظوا من الحرام، ولا تنجسوا أنفسكم بأكل<sup>٧</sup> الحرام،  
فصيروا عسكر بنى إسرائيل / حراما، فنفخوا في القرون فلما سمع الشعب

/ ٦١١

١٠ صوت الأبواق ضجوا كلهم ضجة واحدة<sup>٨</sup> شديدة<sup>٩</sup> جدا، فوقع سور المدينة  
فصعد الشعب إلى المدينة كل إنسان حياله، فافتحوها وقتلوا كل<sup>١٠</sup> من  
فيها رجالها ونساءها والمشيخة والصبيان والثيران والحمر والغنم، قتلوها  
بالسيف، وأما الرجلان اللذان اجتسا الأرض فقال لهما يشوع<sup>١١</sup>: ادخلا إلى  
بيت المرأة الزانية - يعنى القندقانية<sup>١٢</sup> كما مضى - فأخرجها وأخرجها كل من  
معه في البيت كما حلفتما لها، ففعلوا وأنزلوهم خارج عسكر بنى إسرائيل  
وأحرقوا المدينة وكل من فيها بالنار، وأحيى يشوع الزانية والديها<sup>١٣</sup>  
وكل من معها<sup>١٤</sup>، وأقسم يشوع<sup>١٥</sup> في ذلك الزمان ولعن وقال: ملعونا يكون

(١) في ظ: يوشع (٢) من ظ، وفي الأصل: الآن (٣) في ظ: القيدانية .  
(٤) زيد بعده في ظ: حال (٥) من ظ، وفي الأصل: انتما (٦) في ظ: بأخذ.  
(٧) سقط من ظ (٨) في ظ: عظيمة (٩) في ظ: والدها (١٠) من ظ،  
وفي الأصل: لها .

أمام الرب [الرجل الذى يقوم ببنى مدينة أريحا هذه، و كان الرب-<sup>١</sup>] بعونه مع يشوع<sup>٢</sup> و نصره، و شاع خبره فى الأرض كلها، و أثم بنو إسرائيل و تناولوا من الحرام،<sup>٣</sup> و ذلك لأن عاجار<sup>٤</sup> بن كرمى بن زبدى بن زرح من قبيلة يهودا نحر و أخذ من الحرام و غيب فى خيمته، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل، ثم أرسل يشوع<sup>٥</sup> رجالا إلى عاى التى عند بيت آون من ه مشارق بيت إل ليجتسوها، فقالوا له: إنه يحزنى فى أخذها<sup>٦</sup> ألفان أو ثلاثة لأن أهلها قليل، فصعدوا فخاربوهم عند باب المدينة فانهزم بنو إسرائيل و جرح منهم جرحى كثير - فذكر القصة فى سجد يشوع<sup>٧</sup> و انزعاجه و إخبار الله تعالى إياه<sup>٨</sup> أن قومه غلّوا، ثم أمره بالقرعة حتى خرج الذى عنده الغلول وهو عاجار، و كان غلوله طنفسة بابلية و مائى مئقال فضة و سيكة<sup>٩</sup> من ذهب فيها خمسون مئقالا، فأخرجه يشوع<sup>١٠</sup> مع كل شىء هو له، و قد مضى ذلك فى البقرة عند "اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة"<sup>١١</sup> و تقدم فى المائدة فتح بعض بلاد [بيت -<sup>١</sup>] المقدس بأعجوبة أخرى و استمروا هكذا يفتحونها بلدا بعد بلد، و يقتلون من جابرتها عددا بعد عدد، و يرون فى ذلك من عجائب الأمور و بدائع المقدور ما يبق<sup>١٥</sup> على<sup>١٦</sup> كر الآباد و مر الدهور، و هم فى أثناء ذلك كل قليل يكفرون

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يوشع (٣) العبارة من هنا إلى «من الحرام» ساقطة من ظ (٤) فى سفر يوشع - الأصحاح السابع: عخان (ه) من ظ، و فى الأصل: اخذه (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) آية ٦٨ - (٨) فى ظ: فى .

و ينقضون العهد ولا يشكرون كما هو مبين في سفر يوشع بن نون،  
وقد مضى شيء منه في المائدة عند قوله تعالى ” فعموا و صموا “ -  
الآية، كل ذلك بعد أن جاءهم من العلم ما لا تدخله مربة ولا يخالطه شك  
ولا بدنو منه لبس، فبارك من له الأمر كله، لا مضل لمن هدى ولا هادي  
لن يضل .

ولما كان ما مضى - من آيات هذه السورة المينة أن من أريدت شقاوته  
لا ينفعه<sup>١</sup> مشاهدة الآيات - سيما<sup>٢</sup> لنفي الشك عنها وإثبات اليقين بمضامينها  
بما سلف من الأدلة على تلك المضامين إلى أن ختم ذلك بدم  
من عمل عمل الشاك بعد أن جاء ما يوجب اليقين من العلم، وكان صلى الله  
عليه وسلم كما مضى في آخر التي قبلها أشفق الخلق لاسيما على العرب<sup>٣</sup>  
لا سيما على قومه منهم، وكانت الوصية قد برزت من الجذاب الإلهي  
له بما يوافق طبعه من بذل الجهد في ملاطفتهم. كان ذلك جدرا بأن  
يحرك طبع البشر لتعني الإجابة لما<sup>٤</sup> يقترحون، وكان طلب ذلك بعد  
القطام عنه من أفعال الشك في الجملة فأريد صرف النفس عنه<sup>٥</sup>  
بالكلية ولو بالخطور في البال فليل مسيما عما قبله : ﴿ فان كنت ﴾ أى  
يا أرحم الخلق ﴿ في شك ﴾ ولم يرد بهذا الكلام حقيقته - والله أعلم -  
بل تقوية اليقين وتأكيده ورسوخه وتأيينه بأن هذا أمر قد عزم  
عليه وفرغ منه فلا يحتمل مراجعة، وذلك لأن المعنى أن ثباتهم على  
(١) آية ٧١ (٢) في ظ : لا تنفعه (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : الرب (٥) في  
ظ : بما .



الشقاوة أمر لا يعلم إلا من قلنا. وذلك بأحد أمرين : أما بواسطة الامين  
جبرئيل بما يأتي به [ من - ' ] الوحي عنا غضا طريا محفوظا من الغير  
فلا تحريف فيه<sup>٢</sup> ولا تبديل ، وأما بواسطة أهل الكتاب عن أنبيائهم<sup>٣</sup>  
- وفى ذلك نزول درجتين مع تحوير التخويف والتبديل ، وهذا ما لا

/ يرضاه ذوهمة عليه و نفس آية - فالمعنى : أنا قد أخبرتك بأن الآيات ٥ / ٦١٢

لا تزيد المقضى بشقائه إلا ضللا وأنا خير بذلك " ولا يثبتك مثل  
خير " فلا تطلب إجابتي إياهم إلى ما يقترحون عليك<sup>٤</sup> رجاء إيمانهم  
فانهم لا يؤمنون بذلك " فإن كنت " أى فى " وقت<sup>٥</sup> من الاوقات  
" فى شك " أى ولو قل ( مما أنزلنا ) أى بعظمتنا واصلا على لسان  
الواسطة ( اليك ) فى ذلك ( فستل ) أى بسبب ذلك الشك ١٠  
( الذين يقرمون ) أى متابعين<sup>٦</sup> لذلك ( الكتب ) أى السماوى من  
اليهود والنصارى ، فانهم من الإحاطة بصحة ما أنزلنا<sup>٧</sup> إليك على حد عظيم .  
ومن آمن منهم أو كان منصفاً جدير<sup>٨</sup> بأن يزداد من فاضله فى ذلك  
إيمانا ؛ ولما كانوا بعض من أوتى الكتاب فى الزمن السالف ، أثبت  
الجار فقال : ( من قبلك ج ) وهم عن " ذلك الخبر بمراحل ، فلا تنجح " ١٥  
إلى سؤال غيرى ، وهذا مضمون قوله تعالى مؤكدا آتيا بحرف التوقع

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : نحو توجيه - كذا (٣) من ظ ،  
وفى الأصل : انبايهم (٤) فى ظ : اليك (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : وقتا .  
(٧) فى ظ : موالين (٨) فى ظ : انزل (٩) من ظ ، وفى الأصل : جديرا (١٠) فى  
ظ : على (١١) من ظ ، وفى الأصل : فلا ينجح .

لأن كلا من الأمرين في أحق مواضعه: ﴿لقد جاءك الحق﴾ أى الثابت الكامل ثباته [وهو إمضاء العدل فيهم - ١]؛ وزاده تشريفاً وترغيباً فيه بقوله: ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك باصطفائك لذلك، فلذا سبق مساقى أليان له من غير واو، فاذا ثبت أنه الحق أى الثابت أعلى الثبات سبب عنه البعد من تزلزل من جأفه، فناسب اتباعه بقوله: ﴿فلا تكونن﴾ أكدته لأنه حقيق بأن لا يثنى عنه أحد بوجه من الوجوه ﴿من الممترين﴾ [أى - ١] الغافلين عن آيات الله [فطلب الفضل لأهل العدل - ١]؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا والله! ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم.

١٠ ولما نهى عن ذلك لم يبق مما اقتضته القسمة العقلية إلا العناد عن يمكن منه كما فعل بنو إسرائيل بعد مجيء العلم فأتبعه النهى عن مثل حالهم بقوله: ﴿ولا تكونن﴾ أى بوجه من الوجوه، والمراد بهذا أتباعه ﴿من الذين كذبوا﴾ أى فعلوا فعل المكذب مستهينين ﴿بأيست الله﴾ أى التى لا أعظم منها باضافتها إلى من لا أعظم منه ﴿فتكونن﴾ أى ١٥ كونا راسخا ﴿من الخسرين﴾ بل اثبت على ما أنت عليه من اليقين والطمانينة والثقة بالله والسكينة، وهذا ونحوه مما غلظت فيه العبارة دلالة على مزيد قرب المخاطب [وإن كان المراد غيره - ١] وعظيم منزلته ولطيف خصوصيته كما مضى بيانه عن الإمام أبى الحسن الخراساني رحمه الله في سورة براءة عند قوله تعالى "عفا الله عنك" - الآية، وتغليظ

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٤٣.

العبارة فيه تأديب عظيم لتابعيه<sup>١</sup> والشك: الوقوف بين النقيضين، وهو من شك العود فيما ينفذ فيه، لأنه يقف بذلك الشك بين جهتيه<sup>٢</sup> والإنزال: نقل الشيء من علو إلى سفلى<sup>٣</sup>؛ والامتراء؛ طلب التشكك مع ظهور الدليل، من مرى الضرع وهو مسحه ليدر.

ولما كان ما مضى من هذه الآيات وما كان من طرازها قاضيا ه بأنه لا تغنى<sup>٤</sup> الآيات عنهم. صرح به قوله تعالى: ﴿ان الذين حقت﴾ أى وجبت وثبتت ﴿عليهم﴾<sup>٥</sup> أى بأنهم أشقياء<sup>٦</sup>، وعبر بالاسم المفهم للإحسان إعلاما بأنه ما أوجب عليهم العذاب إلا إحسانا إليه بما يقاسى من معالجتهم<sup>٧</sup> وغير ذلك من الحكمة فقال: ﴿كلت ربك﴾ أى المحسن إليك فى جميع أمرك ﴿لا يؤمنون<sup>٨</sup> لا﴾ أى لا قبول لهم لتجدد الإيمان ١٠ ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ ونسبتها إلى قوله "لقد جاءك الحق" نسبة "لقد جاءك الحق" إلى "فان كنت فى شك" الآية فى البيان المستفاد من حذف العاطف، وإذا كان الكلام فى معنى واحد كان بمنزلة الكلمة الواحدة فسمى بها<sup>٩</sup> ﴿حتى يروا العذاب الاليم<sup>١٠</sup>﴾ أى حين لا ينفعهم الإيمان لفوات شرطه كما لم ينفع فرعون لذلك "سنة الله فى الذين خلوا ١٥ من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلا<sup>١١</sup>".

(١) فى ظ: اسفل (٢) من ظ، وفى الأصل: لا يغنى (٣-٣) تأخر ما بين الرقین فى الأصل عن "جميع أمرك" والترتيب من ظ (٤) فى ظ: معاجتهم (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: لا يؤمنوا (٧) زيد بعده فى الأصل: وقوله، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذلتها (٨) سورة ٣٣ آية ٦٢.

ولما كان هذا موضع أن يقال : إنما تطلب الآيات لما يرجي من  
تسبب الإيمان عنها ، تسبب عنه أن يحجب بقوله تعالى : ﴿ فلولا ﴾  
أى فهلا ﴿ كانت قرية ﴾ أى واحدة من قرى الأمم الماضية التى أهلكتناها  
﴿ امنتم ﴾ أى آمن قومها عند إتيان الآيات أو عند رؤية أسباب  
العذاب ﴿ فنفعها ﴾ [ أى فتسبب عن إيمانها ذلك أنه نفعها - ١ ]

/ ٦١٣

١٠ / ﴿ ايمانها ﴾ ولما كان معنى 'لولا' النفي ، كان التقدير : لكن  
لم تؤمن قرية منهم إلا عند صدم العذاب كما فعل فرعون ، لو آمن عند  
رؤية البحر على حال الفلق أو عند توسطه وقبل انسياقه عليه قبل ،  
ولكنه ما آمن إلا بعد انهياره ' ومسه . وذلك حين لا ينفع لقوات  
شرطه من الإيمان بالغيب ﴿ الا قوم يونس ﴾ فانهم آمنوا عند المخايل

وقت بقاء التكليف فنفعهم ذلك فانهم ﴿ لما آمنوا ﴾ ودل على أنه  
قد كان<sup>٥</sup> أظلمهم بقوله : ﴿ كشفنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ عنهم ﴾ أى حين  
إيمانهم ، روى أنه لم يبق بينهم وبين العذاب إلا قدر ميل ﴿ عذاب الخزي ﴾  
أى الذى كان يوجب لهم لو برك عليهم هوان الدارين ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾  
١٥ أى فلم يأخذهم وقت رؤيتهم له ﴿ ومتغنهم ﴾ [ أى - ١ ] تمتيعا عظيما  
﴿ الى حين ه ﴾ و<sup>٢</sup> هو انقضاء آجالهم مفرقة كل واحد منهم فى وقته  
المضروب له ، وما ذكرته فى معنى الآية نقله القاضى أبو محمد إسحاق بن  
إبراهيم البستى فى تفسيره<sup>٦</sup> المسند عن ابن<sup>٢</sup> أبى عمر قال : قال<sup>٢</sup> سفيان الثورى :

(١) زيد من ظ (٢) - سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم يؤمن (٤) من  
ظ ، وفى الأصل : انهيار (هـ-هـ) فى ظ : كان قد (٦) فى ظ : تفسير .

”فلولا كانت قرية أمّنت“ قال : فلم تكن قرية أمّنت ، وهذا تفسير معنى الكلام ، وأما ’لولا‘ فهو بمعنى هلا ، وهى على وجوه تخصيص وتأنيث ، أى توبيخ ، وهى [ هنا - ' ] للتوبيخ ، ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى ’لم لا‘ ، ويلزم كلا من المعنيين التنى ؛ والنفع : إيجاب اللذة بفعلها أو ما يودى إليها كالدرء الكربة المؤدى إلى اللذة ، والخزى<sup>٥</sup> هو أن يفضح صاحبه ، وهو وضع من القدر للغم<sup>٦</sup> الذى يلحق به ، وأصله التعب .

ولما كان ماضى ربما أوجب اعتقاد أن إيمان مثل أولئك محال جاءت هذه الآية فى مقام الاحتراس منه مع البيان لأن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إيمانهم لا ينفع ومبالغته فى إزالة الشبهات ١٠ و تقرير الدلائل لا تفيد<sup>٧</sup> إلا بمشيئة الله تعالى لتوفيقهم و هدايتهم ، ولو كان ذلك وحده كافيا لآمنوا بهذه السورة فانها أزال الشبهات و بينت ضلالاتهم و حققت بقصتى نوح و موسى عليهما السلام ضعفهم و وهن مدافعاتهم فقال تعالى : ﴿ ولو شاء ﴾ أى إيمان الناس ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك باقبال من أقبل لعلمه<sup>٨</sup> الخير فيه و إدبار من أدبر لعدم قابليته ١٥ للخير ﴿ لأمن من فى الارض ﴾ من الكفار .

ولما كان هذا ظاهرا فى الكل ، صرح به مؤكداً لأن المقام يقتضيه فقال :

- (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الجزى (٣) فى ظ : للفهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : اردت (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يفيد (٦) من ظ ، وفى الأصل : خشية . (٧) فى ظ : بعلمه .

(كلهم جميعاً) أى مجتمعين فى آن واحد لا يختلفون فى شيء منه، ولكن لم يشأ ذلك وأنت لحرصك على امثال أوامرى<sup>١</sup> وصيتى لك بالالطف خلقى الموافق لما جبلتك عليه من الخير تريد ذلك (أفانت تكره الناس) أى الذين لم يرد الله إيمانهم [مع ما طبعهم عليه من الاضطراب - ٢] ٥ (حتى يَكُونُوا) أى كونا جبلياً (مؤمنين ٥) أى راسخين فى الإيمان، وإيلاء الاستفهام الاسم مقدماً على الفعل للاعلام بأن الفعل - وهو هنا الإكراه - ممكن من غير ذلك الاسم وهو هنا الله وحده [القادر على تحويل الطباع - ٢] فان قدرته قاهرة لكل شيء ومشيئته نافذة فى كل شيء مع الدلالة على أن وقوع خلاف المشيئة مستحيل لا يمكن لغيره تعالى باكرهه ولا غيره، والمشيئة معنى يكون به الفعل<sup>٢</sup> مراداً أخذت من الشيء، والمزاد بالآية تخفيف ما يلحق النبي صلى الله عليه وسلم من التحسر للحرص على إيمانهم (وما كان) أى [و - ٢] ما ينبغي ولا يتأتى (لنفس) أى واحدة فما فوقها (ان تؤمن) أى يقع منها إيمان فى وقت ما (الاباذن الله) أى بإرادة الملك الأعلى الذى له الخلق ١٥ والأمر وتمكينه، فيجعل الثبات والطمأنينة - اللازمين للإيمان الذى هو أبعد شيء عن السحر - على الذين ينتفعون بعقولهم فيلزمون معالى الأخلاق التى هى ثمرات للإيمان (ويجعل الرجس) أى الاضطراب والتزلزل الذى يلزمه التكذيب الذى هو أشبه شيء بالسحر لأنه تخيل [ما - ٢]

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العقل (٤) زيد بعده فى الأصل : اذا، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٥) فى ظ : الإيمان .

لا حقيقة له و القدر و القباحة و الغضب و العقاب الناشء عنه .

و لما كان ما فى هذه السورة من الدلائل قد وصل فى البيان إلى حد

لا يحتاج فيه إلى غير مجرد العقل قال : ﴿ على الذين لا يعقلون ه ﴾ / أى ٦١٤ /  
لا يوجد لهم عقل ، فهم لذلك لا يتفهمون بالآيات و هم يدعون أنهم  
أعقل الناس فيتساقطون فى مساوئ<sup>٢</sup> الأخلاق و هم يدعون أنهم أبعد الناس ه  
عنها ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ و النفس : خاصة الشيء التى  
لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ، و نفسه و ذاته واحد .

و لما تقرر ما مضى من النهى عن الإصغاء إليهم فى طلب الآيات ،

و ختم بتعليق الأمر بمجرد المشيئة ، كان كأنه قيل : فاذا يقال لهم إذا

طلبوا ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى يا أشرف الخلق لهم غير مهم بأمرهم و منها ١٠  
لهم<sup>١</sup> على إبطال مذهب الجبر المتعلق أصحابه بنحو هذه الآية ، لأن المشيئة  
مغنية و العبد مأمور ببذل الجهد فى الطاعة بما له من القدرة و الاختيار .  
و لما أمر بهذا الفكر فكان ؛ ربما ظن لاجله أن للانسان قدرة

مستقلة ، نبه على مذهب أهل السنة القائل بالكسب الذى هو - كما قال

الإمام على رضى الله عنه - أمر بين أمرين لا جبر و لا تفويض ، فقال ١٥

معلمنا أن من حكم بشقائه<sup>٥</sup> لا ينفعه شيء : ﴿ انظروا ﴾ [ أى - ٦ ] بأبصاركم

و بصائرکم لتخرجوا<sup>٦</sup> بالاتفاق بالعقل عن عداد البهائم ؛ قال الإمام : و لو

أن الإنسان تفكر فى كيفية حكمة الله تعالى فى خلق جناح بعوضة لا تقطع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تساوى (٣) فى ظ : الذى (٤) فى

ظ : و كان (٥) فى ظ : بشقاوته (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل :

ليخرجوا .

فكره قبل أن يصل إلى أول مرتبة من مراتب تلك الحكم و الفوائد ،  
 فلذلك أهتم في قوله : ﴿ ما ذا ﴾ أى الذى ﴿ فى السموات و الارض ﴾  
 أى من الآيات و واضح الدلالات التى أخرجتموها - بالفكر لها - عن  
 عداد الآيات ، وهى عند التأمل من أعظم خوارق العادات ، و قال  
 الإمام : فكأنه سبحانه به على القاعدة الكلية حتى ينتبه لأقسامها ، و قال  
 أبو حيان : أخذنا من الإمام : السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر فى  
 مصنوعاته ، فى العالم العلوى فى حركات الأفلاك و مقاديرها و أوضاعها  
 و الكواكب و ما يختص بذلك من المنافع و الفوائد ، و فى العالم السفلى  
 فى أحوال العناصر و المعادن و النبات و الحيوان و خصوصا حال  
 ١٠ الإنسان - انتهى .

[ ولما كان ما فيها من الآيات فى غاية الدلالة ، به سبحانه على  
 أن التوقف عن الإيمان بعد التنبيه على كيفية الاستدلال معاندة  
 فقال - ٥ : ] ﴿ وما ﴾ وهى نافية أو استفهامية ﴿ تغنى الآية ﴾ أى  
 وإن كانت فى غاية الوضوح ﴿ و النذر ﴾ أى و الإنذارات أو الرسل  
 ١٥ المنذرون ٩ ﴿ عن قوم ﴾ أى و إن كانت فيهم قوة ﴿ لا يؤمنون ٥ ﴾  
 أى للحكم بشقائهم ٩ ، فكان ذلك سببا لتهديهم بقوله : ﴿ فهل ينتظرون ﴾  
 أى بجميع قواهم فى تكذيبهم للرسول و تخلفهم عن الإيمان ﴿ الا ﴾

(١) فظ : اوضح (٢) فظ : بالفكر (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط  
 ١٩٤/٥ (٥) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : « و » .  
 (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ لحذفها (٨) فى ظ : المنذرين .  
 (٩) فى ظ : بشقائهم .



أى أياما أى وقائع ﴿ مثل أيام ﴾ أى وقائع ﴿ الذين خلوا ﴾ ، ولما كان أهل الأيام الهائلة بعض من كانت قبل ، أتى بالجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى من مكذبى الأمم وهم القبط وقوم نوح ومن طوى بينهما من الأمم ، [ أى - ١ ] من حقوق الكلمة عليهم فنحل بهم بأسنا ثم تنجيكم لإيمانكم كما كنا نحل بأولئك إذا كذبوا رسلنا ، ثم تنجى ٥ الرسل ومن آمن بهم حقا علينا ذلك للعدل بين العباد .

ولما تقدمت الإشارة إلى أن الكلمة حققت على الكافرين بعدم الإيمان والرجس الذى هو العقاب ، زاد فى تهديدهم بالاعتراض بما سببه عن فعلهم فعل من ينتظر العذاب بقوله : ﴿ قل فانتظروا ﴾ أى بجميع جهركم ما ترونه واقعا بكم بسبب ما تقر عندكم بما كان يقع بالماضين ١٠ فى أيام الله ، وزاد التحذير استثناءه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ انى ﴾ وأعلمهم بالنصفة بقوله : ﴿ معكم من المنتظرين ﴾ .

ولما كان التقدير : فانا كنا فى أيام الذين خلوا نوقع الرجس بالمكذبين ، عطف عليه بيانا لما كان يفعل بالرسل وأتباعهم إذا أهلك الظالمين قوله : ﴿ ثم تنجى ﴾ أى تنجية عظيمة [ و تنجيهم إنجاء عظيما - ١ ] ١٥ وجاء به مضارعا حكاية للأحوال الماضية وتصويرا لها تحذيرا لهم من مثلها وإعلاما بأنه كذلك يفعل بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه رضى الله عنهم ، وأشار بأداة التراخي إلى طول زمان الابتلاء وعظيم رتبة التنجية ، وحذف مقابل / الإنجاء لأن المقام بعد آية

٢١٥/

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فيحل (٣) من ظ ، وفى الأصل : ينجيكم (٤) فى ظ : باستثناءه (٥) زيدت الوار بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ لحذفها (٦) فى ظ : عن (٧) فى ظ : هذا .

”الا ان اولياء الله“ ناظر إلى البشارة أكثر من النظر إلى النذارة  
 ﴿رسلنا﴾ [أى - ١] الذين عظمتهم من عظمتنا ﴿والذين آمنوا﴾  
 أى بالرسول<sup>١</sup> وهم معهم فى زمانهم ولو كانوا فى أدنى درجات الإيمان  
 تشريفا للرسول فانهم بصدد الرسوخ بملازمتهم؛ ثم وصل بذلك تشريفا  
 ٥ للراشخين<sup>٢</sup> وترغيبا فى مثل حالهم قوله: ﴿كذلك﴾ [أى كما حق علينا  
 إهلاك الكافرين هذا لإهلاك العظيم ﴿حقا علينا﴾ أى بما أوجبناه  
 على جنابنا، الأعظم ﴿تج المؤمنين﴾ [أى العريقين فى الإيمان] ولو  
 كانوا - ١ [بعد موت الرسول] نتيجة عظيمة و نجيهم إنجاء عظيما،  
 فالآية من الاحتباك لما أشارت إليه القراءتان بالتخفيف و الشقيل - ١،  
 ١٠ أو يكون ذلك بنى على سؤال من لعله يقول: هل حقوق النجاة مختص  
 بالرسول و من معهم؟ ف قيل: لا، بل ”كذلك“ [أى - ١] الحقوق ”حقا  
 علينا“ [على ما لنا من العظمة - ١] ”تج المؤمنين“ فى كل زمن وإن  
 لم يكن بين ظهرانيهم رسول، لأن العلة الاتصاف بالإيمان الثابت، فيكون  
 الكاف مبتدأ و ’تج‘ خبره؛ والنظر: طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر  
 ١٥ كما يطلب إدراك المحسوس بالعين؛ والغنى: حصول ما ينافى الضرر<sup>٣</sup>  
 و صفة النقص، و نقيضه الحاجة؛ والنذر: جمع نذير، من النذارة وهى  
 الإعلام بموضع المخافة ليقع<sup>٤</sup> به السلامة؛ و الانتظار: الثبات لتوقع<sup>٥</sup>  
 ما يكون من الحال؛ والمثل إن كان من الجنس فهو ما سد مسد غيره  
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الرسل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ:  
 جانبنا (٥) فى ظ: الضرر (٦) فى ظ: جميع (٧) فى ظ: يتمتع.

فى الحس ، وإن كان من غيره فالمراد ما كان فيه معنى يقرب به من غيره كقربه من جنسه كتشبيه أعمال الكافر بالسراب ؛ والنجاة من النجوة وهى الارتفاع من الهلاك .

ولما تقدم الفظام عن الميل لمن يطلب الآيات ، وكان طلبهم لها إنما هو على وجه الشك ، وإن لم يكن على ذلك الوجه فانه فعل الشاك ه غالباً و تقدمت أجوبة لهم . وختم ذلك بتهديدهم وبشارة المؤمنين الموجبة لثباتهم ، ناسبه كل المناسبة أن اتبعته بالامر بجواب آخر دال على ثباته صلى الله عليه وسلم وأنه يظهر دينه رضى من رضى و سخط من سخط ، لأن البيان قد وصل إلى غايته في قوله تعالى : ﴿ قل يأيها الناس ﴾ أى الذين هم فى حيز الاضطراب ، لم ترقهم همهم إلى رتبة الثبات ١٠ ﴿ إن كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبله منغمسين ﴿ فى شك ﴾ كأن ﴿ من ﴾ جهة ﴿ دبنى ﴾ تطلبون لنزوله - بعد تكفل العقل بالدلالة عليه - إنزال الآيات ، فأنا لست على شك من صحة دينى وبطلان دينكم فاعرضوه على عقولكم وانظروا ما فيه من الحكم مستحضرين ما لدينكم من الوهى الذى تقدم بيانه فى قوله تعالى " قل ارءيتم ما انزل الله لكم من رزق " ١٥ ونحوه ﴿ فلا اعبد ﴾ أى الآن ولا فى مستقبل الزمان ﴿ الذين تعبدون ﴾ أى الآن أو بعد الآن ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم لعدم قدرتهم على شئ من ضرى ، فلا تطمعوا فى أنه يحصل لى شك بسبب حصول الشك

(١) من ظ ، وفى الأصل : ناسب (٢) من ظ ، وفى الأصل : تبعث (٣) فى ظ :

غاية (٤) فى ظ : لنزواله (٥) فى ظ : لديكم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ١٠ آية ٥٩ .

لكم. فإذا<sup>١</sup> لا أعبد غير الله أصلاً .

ولما كان سلب عبادته عن غيره ليس صريحاً في إثباتها له قال :

﴿ولكن اعبد الله﴾ أى الجامع لأوصاف الكمال عبادة مستمرة؛ ثم وصفه

بما يوجب الحذر [منه -<sup>٢</sup>] ويدل على كمال قدرته ﴿الذى يتوفكم﴾

٥ بانتزاع أرواحكم اتى لاشئ عندكم يعدلها . فلا تطمعون - عند إرادته

لنزعها - في المحالة لتوجيه دفاع عن ذلك . وفي هذا الوصف - مع ما فيه

من الترهيب - إشارة إلى الدلالة على الإبداء<sup>٣</sup> والإعادة ، فكأنه قيل :

الذى أوجدكم من عدم كما أنتم به مقرون بعدمكم بعد هذا الإيجاد

و أنتم صاغرون ، ثبت قطعاً أنه قادر على إعادتكم بعد هذا الإعدام

١٠ بضيق الأولى فاحذروه لتعبدوه كما أعبدته فانه قد أمرنى بذلك و أنتم

تعرفون غائلة الملك إذا خولف ، وقال " ان كنتم فى شك " مع أنهم

يصرحون<sup>٤</sup> بيطلان دينه ، لأنهم فى حكم الشاك<sup>٥</sup> لاضطرابهم عند ورود

الآيات ، أولان فيهم الشاك فغلب لأنه أقرب إلى الخير ؛ والشك :

وقوف بين المعنى و نقيضه ، / و ضده الاعتقاد فانه قطع بصحة المعنى

/ ٦١٦

١٥ دون نقيضه ، و عبر بـ " من " إشارة إلى أن<sup>٦</sup> فعلهم ذلك ابتداء من

الدين ، ولو عبر بـ " نى " لأفهم<sup>٧</sup> أنهم دخلوا فيه لأنهم فى الشك و الشك

فى الدين ، و الظرف لظرف الشئ ظرف لذلك الشئ ، و ترك العطف

إشارة إلى أن كل جواب منها كاف على حiale .

(١) فى ظ : فانا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الابد (٤) فى ظ :

مصرحون (٥) فى ظ : السك - كذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا انهم .

ولما قرر ما هو الحقيق بطريق العقل ، اتبعه بما ورد من النقل  
بتأييده وإيجابه بقوله : ﴿ وامرت ﴾ أى بأمر جازم ماضى عن لا أمر  
لأحد معه ، [ وعظم المأمور به يجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل  
فقال - ' ] : ﴿ ان اكون ﴾ أى دائماً كونا جليلاً . [ ولما كان السياق  
لما يحتمل الشك من الأمر الباطن . عبر بالإيمان الذى هو للقلب ه  
فقال - ' ] : ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراضين فى هذا الوصف ﴿ وان اقم ﴾  
[ أى - ' ] أيها الرسول ﴿ وجهك ﴾ أى كليتك على سبيل الإخلاص  
الذى لا شوب فيه ﴿ للدين ﴾ فوصل أولاً كلمة ' أن ' بمعنى الأمر [ أى  
' أن اكون ، دون ' أكن ' - ' ] وثانياً بلفظه [ وهو " اقم " - ' ]  
جمعاً بين الأسلوبين ، وكلاهما بمعنى المصدر ، وخص الثانى بذلك ١٠  
لطوله لأنه ٢ كالتفصيل للأول فالخطاب فيه أكد وألذ ، وقوله : ﴿ حنيفاً ﴾  
حال من فاعل ' اقم ' ومعناه : مسلماً ميالاً مع الدليل - كما أوضحته فى  
البقرة . أى اجمع بين الإيمان بالقلب والإسلام بالجوارح ﴿ ولا تكون ﴾  
أى فى وقت من الأوقات ﴿ من المشركين ه ﴾ الذين هم على ضد صفة  
الإسلام من الجفاء والغلظة والجود والقسوة . ١٥

ولما نهاه عن ' شرك ' [ أكده - ' ] بما هو كالتعليل له بما يلزمه  
من العبث بالخضوع لما لا ٤ ضرفه ولا تقع بقوله تعالى : ﴿ ولا تدع ﴾  
[ أى - ' ] فى رتبة من الرتب ٦ الكائنة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى  
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : جميعاً (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
كانه (٤) فى ظ : الاستسلام (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : الرتبة .

يده كل شيء ﴿ما لا ينفعك﴾ أى إن فعلت شيئا من ذلك فأتاك  
 بأسنا ﴿ولا يضرك﴾ أى إن أقمت على طاعتنا مع نصرنا ﴿فان فعلت﴾  
 أى شيئا مما نهيناك عنه ﴿فانك اذا﴾ إذا دعوت ذلك الغير [بسبب  
 ذلك - ١] ﴿من الظالمين﴾ أى العريقين فى وضع الدعوة فى غير  
 محلها لأن ما هو كذلك فى غاية البعد عن منصب الإلهية؛ [ثم - ٢]

قال تعالى عاطفا على قوله "فان فعلت": ﴿وان يمسك الله﴾ أى  
 الذى لا راد لأمره ﴿بضر﴾ أى أى ضر كان على أى وجه كان وإن  
 كان ظاهرا جدا بما أنبأ عنه الإظهار ﴿فلا كاشف له﴾ أى أصلا بوجه  
 من الوجوه ﴿الاهوج﴾ لأنه أراد ما لا يكون غيره فلا ترج  
 ١٠. سوه فى أن يبدله بخير، وعبر بالمس لأنه أخوف ﴿وان يردك﴾

[أى مطلق إرادة - ٣] ﴿بخير فلا﴾ أى أصاك لا محالة فانه لا ﴿رآد﴾  
 ونه على أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بأن وضع مكان الضمير قوله:  
 ﴿لفضله﴾ [أى - ٤] عن يريده به كما يفعل بعض العاتين من أتباع ملوك  
 الدنيا فى رد بعض ما يريدون، بل هو بحيث لا ينطق أحد إلا بأذنه  
 ١٥. فلا تخش<sup>ه</sup> غيره. فالآية من الاحتباك: ذكر المس أولا دليلا على  
 إرادته ثانيا، والإرادة ثانيا دليلا على حذفها أولا. ولم يستثن فى الإرادة  
 كما استثنى فى الكشف لأن دفع المراد محال، وعبر بالإرادة فى الخير

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: فاتاه (٣) فى ظ: انى (٤) زيد من ظ (ه) فى  
 ظ: وصف (٦) من ظ، وفى الأصل: ليس (٧) زيد لاستقامة العبارة.  
 (٨) من ظ، وفى الأصل: فلا يخش.

و بالمس فى الضير تنيها على أنه صلى الله عليه وسلم مراد بالخير بالذات  
و بالضر بالعرض تطيبا لقلبه لما تكرر فى هذه السورة من الإخبار  
باحقاق العذاب على الفاسقين و الإيثار من الظالمين ، فلما تقرر ذلك حسن  
موقع قوله مبينا ' لحال ذلك ' الفضل : ( يَصِيبُ بِهِ ) أى بذلك تفضل  
أو بالذى ' تقدم من الخير و الضير ( من يشاء ) أى كائنا من كان ه  
من أدنى و أعلى ، و بين 'علة' فى كونهم مقهورين بقوله : ( من عباده )  
و هذا كله إشارة إلى أن ما أوجب الإعراض عن معبوداتهم بانسلاخه عنها  
أوجب 'الإقبال' عليه بثبوته له ، و اختصاصه به ، و ختم الآية بقوله :  
( و هو الغفور ) أى البليغ الستر الذنوب ( الرحيم ) أى البالغ  
فى الإكرام إشارة إلى [ أن - ٢ ] إصابته بالخير لا يمكن أن يكون إلا فضلا ١٠  
منه بعد الستر للذنوب و الرحمة للضعف . فهو الحقيق بأن يعبد ؛ و المس :  
اجتماع التباين من غير نقص ، و نظيره المطابقة ، و المجامعة نقيضها المباينة ؛  
و الكشف / : رفع الساتر . جعل الضر كأنه مانع من إدراك الإنسان  
و ساتر له .

٦١٧/

و لما كثرت فى هذه السورة الأوامر و النواهي و الأجوبة بسبب ١٥  
ما يقترحونه على وجه التعنت ، و ختم بأن من دعا غيره كان راسخا فى  
الظلم لا مجير له منه ، ختم ذلك بحجوب معلم بأن فائدة الطاعة ليست  
راجعة إلا إليهم ، و ضرر النفور ليس عائدا إلا عليهم فقال تعالى :  
( قل يَأَيُّهَا النَّاسُ ) أى غاية كل من له قابلية التحرك و الاضطراب  
( ١ ) من ظ ، و فى الأصل : مسيا ( ٢ - ٢ ) فى ظ : أى ما ( ٣ ) زيد من ظ .  
( ٤ ) فى ظ : نقصان ( ٥ ) فى ظ : عامة .

(قد جاءكم الحق) أى "الكامل بهذا" الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب، وذلكم خير عظيم أصابكم الله به، وزاد الرغبة فيه بقوله: (من ربكم) أى المحسن إليكم (فمن) أى قسبب عن ذلك أنه من (اهتدى) أى آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعمل بما فى الكتاب (فانما يهتدى لنفسه) [أى - ٢] لأنه تبع الحق الثابت وترك الباطل الزائل فأتقذ نفسه من النار وأرجب لها الجنة (ومن ضل) أى كفر بها أو شىء منها (فانما يضل عليها) لأنه ترك الباقى وتمسك بما ليس فى يده منه شىء لأنه فان فقد غر نفسه (وما أنا) ولما كان السياق لنفى تصرفه<sup>٢</sup> فيهم وأن ذلك إنما هو إلى الله تعالى، كان تقديم ضميرهم أهم فقال: (عليكم بوكيل<sup>٣</sup>) فطلب منى حفظكم بما<sup>٤</sup> يؤدى إلى الهلاك ومنعه عنكم كما يطلب من الوكيل.

ولما كان أكثر ذلك روعظا لهم وتذكيرا، ختمه بامرهم صلى الله عليه وسلم بما يفعله فى خاصة نفسه أجابوا أو لم يجيبوا، فقال عطفًا على قوله "قل يا أيها الناس": (واتبع) أى بجميع جهدك (ما يوحى إليك) وبنه للفعول لأن ذلك كان بعد أن تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم وعلم أن كل ما يأتى من عند الله، فكان ذلك أمكن فى أمره باتباع كل ما يأتى منه سبحانه وفى الإيذان بأنه لا ينطق عن الهوى (واصبر) فى تبليغ الرسالة على ما أصابك<sup>٦</sup> فى ذلك<sup>٦</sup> من عظيم الضرر وبلغ الخطر

(١) من ظ، وفى الأصل: فهذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: تصرفهم (٤) فى ظ: فبطل (٥) فى ظ: بما (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ.



من ضلال من لم يهتد و إعراضه و جفوته و أذاه ( حتى يحكم الله )  
 أى الملك الأعظم بين من ضل من أمتك و من اهتدى ( و هو )  
 أى وحده ( خير الحكمين ٤ ) لأنه يوقع الحكم فى أولى مواقعه و أحققها  
 و أحسنها و أعد لها ، و هو المطلع على السرائر فاعمل أنت بما تؤمر به  
 و بشر و أئذر و أخبر و ادع إلى الله بجميع ما أمرك به و اترك المدعويين ٥  
 حتى يأمرك فيهم بأمره ؛ قال الزمخشري : و روى أنها لما نزلت هذه  
 الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : إنكم ستجدون  
 بعدى إثره فاصبروا حتى تلقوني - و تبعه على ذلك أبو حيان و غيره ،  
 فان صح فالسرفيه - والله أعلم - أنه لما أعلمت هذه الآية أن من اتبع  
 الوحي ابتلى بما ينبغى الصبر عليه و أفهمت أن من كان له أشد اتباعا ١٠  
 كان أشد بلاء ، و كان الأنصار رضى الله عنهم أجمعين أحق بهذا  
 الوصف من غيرهم من حيث [ أنهم - ١ ] كانوا أول قبيلة جمعها الإيمان  
 و من حيث كانوا له أسهل قيادا و ألين عريكة مع كونهم لم يتقدم  
 لهم عشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم و لا خبرة بأحواله توجب لهم من  
 اتباعه ما يوجب لمن كان من بنى عمه قريش يخالطه و يأنس به و يرى ١٥  
 منه معالى الأخلاق و كريم الشئائل ما يوفر داعيته على اتباعه ، فلما  
 كان ذلك كذلك ، خص النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار رضى الله  
 عنهم لهذا الأمر ، فتفضيلهم فى ذلك من الجهتين المذكورتين فلا يتوهم

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : أحبها (٢) من ظ ، و فى الأصل : ما (٣) سقطت  
 الواو من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تتوهم .

تفضيلهم على المهاجرين . بل المهاجرون أفضل لأنهم جمعوا إلى النصرة<sup>١</sup>  
 الهجرة مع أن أكثرهم له من قرب النسب من رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم والسبق في الإسلام حظ وافر . هذا ما ظهر لى من<sup>٢</sup>  
 مناسبه على تقدير الصحة . و الذى فى الصحيح<sup>٣</sup> عن أنس رضى الله عنه  
 ٥ أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقطع للأَنْصار من البحرين  
 فقالت الأنصار : حتى تقطع<sup>٤</sup> لإخواننا من المهاجرين مثل الذى تقطع<sup>٥</sup>  
 لنا . وقال : سترون بعدى إثرة فاصبروا حتى تلقوني . فهذا فيه أن  
 السبب حرصهم / على الإنصاف وهو يدل على أن المنصف يقل إنصاف  
 الناس له وهو أمر<sup>٦</sup> مستقرى : والوحى : إلقاء المعنى إلى النفس فى

/٦١٨

١٠ خفاء . وهو هنا ما يحجى به الملك إلى النبي عليهما السلام عن الله تعالى  
 فينقيه إليه على اختصاصه به من غير أن يرى ذلك سواء من الناس ؛  
 وأنصر : تجرع مرارة الامتناع من المشتهى إلى الوقت الذى ينبغي فيه  
 تعاطيه ويعين عليه العلم بعاقبته وكثرة الفكر فى الخير الذى ينال به .  
 واعتياد النصر فى خصلة يسهل تصبر فى [ خصلة<sup>٧</sup> ] أخرى لأن  
 ١٥ الخير يدعو إلى الخير فتمكن<sup>٨</sup> الإنسان فى خصلة يصير له ملكة تدعو  
 إلى ما شاكلها ، وقد ختم سبحانه السورة بما ابتدأها به من أمر الكتاب  
 والإشارة إلى الإرشاد لما<sup>٩</sup> ينفع من ثمرة إنزاله<sup>١٠</sup> وهو العمل بما دل

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : فى (٣) فى ظ : الصحيحين (٤) من ظ  
 وصحيح البخارى - كتاب المساقاة ، وفى الأصل : يقطع (٥) فى ظ : هذا (٦) سقط  
 من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : فيمكن (٩) فى ظ : كما (١٠) فى  
 ظ : إنزاله .

عليه أو أشار إليه إلى أن يتجلى الحكيم الذى أنزله ' للحكم فى الدنيا  
أو فى الآخرة بما لا مرد له مما برزت به مواعيده 'صادقة' فى كلماته  
التامة . وهذا بعينه هو أول التى بعدها ، فكان ختم هذه السورة وسطا بين  
أولها وأول التى تليها ، فقيه رد المقطع على المطلع ' وتبع لما استتبع -  
والله الموفق .

\* \* \* \* \*

(١) من ظ . وفى الأس : أنزله (٢) فى ظ : الصادق (٣) فى ظ : المطلق .

## سورة هود عليه السلام

مقصودها وصف<sup>٢</sup> الكتاب بالإحكام و التفصيل في حالتى البشارة  
و النذارة المقتضى ذلك لمنزله سبحانه وضع كل شيء في أتم محاله وإنفاذه مهما  
أريد الموجب للقدرة على كل شيء ، و أنسب ما فيها لهذا المقصد ما ذكر في  
٥ سياق قصة هود عليه السلام من أحكام البشارة و النذارة بالعاجل و الآجل  
و التصريح بالجزم بالمعالجة<sup>٢</sup> بالمبادرة<sup>٢</sup> الناظر إلى أعظم مدارات السورة  
” فلعلك تترك بعض ما يوحى إليك “ و العناية بكل دابة و القدرة على  
كل شيء من البعث و غيره المقتضى للعلم بكل معلوم اللازم منه التفرد  
بالملك . [ و سيأتى في الاحقاف وجه اختصاص كل منهما باسمهما - \* ]  
١٠ ﴿ بسم الله ﴾ أى<sup>٦</sup> الذى له تمام العلم و كمال الحكمة و جميع القدرة  
﴿ الرحمن ﴾ لجميع خلقه بعموم البشارة و النذارة ﴿ الرحيم ﴾ لأهل  
ولايته بالحفظ في سلوك سبيله ﴿ الرّءوف ﴾ .

لما ختمت السورة التى قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب  
و لزومه و الصبر على ما يتعقب ذلك من مرار الضير المؤدية إلى مفاوز الخير  
١٥ اعتمادا على المتصف بالجلال و الكبرياء و الكمال . ابتدئت هذه بوصفه  
بما يرغب فيه ، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدى على ما سلف

(١) مكية وعدد آياتها مائة وإحدى وعشرون في المبنى الأخير و اثنتان في المبنى  
الأول و ثلاث في الكوفى كما قال الدانى - راجع روح المعانى ٣ / ٥٠٤ (٢) في  
ظ : وصفه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالمعالجة (٤) فى ظ : بالنابذة (٥) زيد  
من ظ (٦) سقط من ظ .

في البقرة: ﴿ كُتِبَ ﴾ أى عظيم جامع لكل خير ، ثم وصفه بقوله :  
 ﴿ احْكُمْتَ ﴾ بناء للمعمول بيانا لأن إحكامه أمر قد فرغ منه [ على أيسر  
 وجه عنه سبحانه - ٢ ] ٢ "وأنتن إيتقانا لا مزيد عليه ٢" ﴿ إيتته ﴾ أى  
 أنتنت إيتقانا لا نقص ٢ معه فلا ينقصها الذى أنزلها بنسخها كلها بكتاب  
 آخر ولا غيره . ولا يستطيع غيره نقص شيء منها ولا الطعن في شيء . ه  
 من بلاغتها أو فصاحتها بشيء يقبل . والمراد بـ "محكمّت" في "ال عمران"  
 عدم التشابه .

ولما كان للتفصيل رتبة هي ١ في غاية العظمة ، ٦ أتى بأداة ٦ التراخي  
 فقال: ﴿ ثم ﴾ أى وبعد هذه الرتبة العالية التى لم يشاركه في مجموعها  
 كتاب جعلت له رتبة أعلى منها جدا بحيث لم يشاركه في شيء منها ١٠  
 كتاب وذلك أنه ﴿ فصلت ﴾ أى جعلت لها - مع كونها مفصلة ٢ إلى  
 حلال و حرام وقصص وأمثال - فواصل ونهايات تكون بها مفارقة  
 لما بعدها [ ما - ٢ ] قبلها ، يفهم ٣ منها علوم جمّة ومعارف مهمة وإشارات  
 إلى أحوال عالية ، وموارد عذبة صافية ، ومقامات من كل علة شافية ،  
 كما تفصل القلائد بالفرائد ، وهذا التفصيل لم يشاركه في شيء منه شيء ١٥  
 من الكتب السالفة ، بل هي مدجّة إدماجا لا فواصل لها كما يعرف ذلك  
 من طالها ، ويكنى في معرفة ذلك ما سقته منها في تضعيف / هذا الكتاب ،

٦١٩ /

(١) -قط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) -قط ما بين الرقنين من ظ (٤) في  
 ظ : لا قبيض (٥) راجع آية ٦ (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل : التى بإرادة (٧) في  
 ظ : متفصلة (٨) في ظ : تفهم .

وما أنسب ختام هذه الآية للاحكام و التفصيل بقوله : ﴿ من لدن ﴾  
 أى نزلت آياته محكمة مفصلة حال كونها مبتدئة من حضرة هى أغرب  
 الحضرات الكاتنة من إله ﴿ حكيم خير ﴾ متنتية إليك و أنت أعلى  
 الناس فى كل وصف فلذلك لا يلحق إحكامها ولا تفصيلها ، أرسلناك  
 ه به قائلا : ﴿ الا تعبدوا ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ الا الله ﴾ أى  
 الإله الأعظم ٢ . . .

ولما كان هذا معظم ما أرسل به صلى الله عليه وسلم ومداره ،  
 استأنف الإخبار بأنه أرسله سبحانه مؤكدا له [ لأجل إنكارهم - ٢ ] فقال :  
 ﴿ اتقى ﴾ ولما كان إرساله صلى الله عليه وسلم لأجل رحمة العالمين ، قدم  
 ١٠ ضميرهم ٢ فقال : ﴿ لكم منه ﴾ أى خاصة ، ثم أجمل القرآن كله فى وصفه  
 صلى الله عليه وسلم بقوله [ مقدا ما هو أنسب لختام التى قبلها بالصبر - ٢ ] :  
 ﴿ نذير وبشير ﴾ [ كامل فى كل من الوصفين غاية الكمال - ٢ ] ،  
 وهذا التقدير يرشد إليه قوله تعالى أول : التى قبلها ” اكان للناس عجا  
 ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس “ - الآية مع إيضاحه لما  
 ه عطف عليه قوله تعالى ” ونقد ارسلنا نوحا الى قومه ان “ عطفناه عليه ،  
 و إظهاره لفائدة عطفه كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، ويرجح أن ’ لا ‘  
 ناهية جازمة لـ ” تعبدوا “ عطف ” ان استغفروا “ عليه ، فقد ظهر من

(١) زيد بعده فى الأصل « ولما كان إرساله صلى الله عليه وسلم لأجل رحمة العالمين  
 قدم ضميرهم فقال » ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفها (٢) زيد من ظ (م) فى ظ :  
 ضميره (٤) فى ظ : او .

تلوِّح هذا و تصرِّحه و تصرِّح ما [ فى - ' ] بقية السورة أن مقصودها وصف الكتاب بالإحكام و التفصيل بما يعجز الخلق لأنه من عند من هو شامل العلم كامل القدرة فهو بالغ الحكمة يعيد الخلق للجزاء كما بدأهم للعمل فوجب إفراده بالعبادة و أن يمثل جميع أمره ، و لا يترك شئ منه رجاء إقبال أحد و لا خوف إداره ، و لا يخشى غيره . و لا يركن ه إلى سواه ، على ذلك مضى جميع النبيين و درج سائر المرسلين صلى الله عليهم و سلم أجمعين .

و لما تقدم أنه نذير و بشير . اتبع ذلك بما يشمل الأمرين بقوله عطفًا على ” الا تعبدوا “ مشيرًا إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره : ﴿ وان استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا مع الإخلاص فى العبادة أن يغفر لكم المحسن إليكم ما فرطتم فيه ؛ و أشار بأداة التراخي إلى علو رتبة التوبة و أن لا سبيل إلى طلب الغفران إلا بها فقال : ﴿ ثم توبوا إليه ﴾ أى ارجعوا بالظاهر و الباطن رجوعًا لا رجعة فيه [ و إن كان المراد بها الدوام فليل رتبته غير خفى - ' ] ﴿ ثم يمتعكم ﴾ [ أى يمد فى تلذذكم بالعيش مدا ، من متع النهار : ارتفع ، و اضحى : بلغ غايته ، و أمتعته الله بكذا : ١٥ أبقاه و أنشأه إلى أن يبلغ شبابه - ' ] ؛ و [ لما - ' ] ، كان التمتع - وهو المتاع البالغ فيه حتى لا يكون فيه كدر - لا يكون إلا فى الجنة فذلك جعل المصبر ﴿ متاعا ﴾ ؛ و إنه وضع موضع ’ متمعا ‘ هذا المصدر

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : للخبز (٣-٢) فى ظ : حذف المصدر و وضع مكانه اسم المصدر (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ .

و وصفه بقوله : ﴿ حسنًا ﴾ ليدل على أنه أنهى ما يليق بهذه الدار ،  
 ولقد كان ما أوتيهِ الصحابة رضي الله عنهم في زمن عمر رضي الله عنه من  
 الظفر بالإهداء وسعة الدنيا و رغد العيش كذلك <sup>١</sup> ﴿ إلى ﴾ أي امتدًا  
 إلى ﴿ أجل مسمى ﴾ أي في عليه <sup>٢</sup> إما بالموت لكل واحد أو بانقضاء  
 ما ضربه من الأجل للنعمة التي أشار إليها ﴿ ويؤت كل ذي فضل ﴾  
 أي عمل فاضل ﴿ فضله ﴾ أي جزاء ما قصد بعمله على وجه التفضيل  
 منه سبحانه فانه لا يجب لأحد عليه شيء ، وهو مع ذلك على حسب  
 التفضيل : الحسنة بعشرة أمثالها ؛ قال ابن مسعود : وهلك من غلبت  
 آحاده عشراته .

١٠ ولما انقضى التبشير مجزوما به ، أتبعه التحذير مخوفا منه لطفًا بالعباد  
 واستعطافًا لهم فقال : ﴿ وان تولوا ﴾ أي تكلفوا أنفُسكم ضد ما طبعها الله  
 عليه من سلامة الفطرة و سهولة الانقياد من <sup>٦</sup> الإعراض ولو أدنى  
 درجاته بما <sup>٧</sup> أشار إليه حذف التاء ﴿ فاني أخاف عليكم ﴾ أي و العاقل  
 من أبعد عن المخاوف ﴿ عذاب يوم كبير ﴾ أي لكبر ما فيه من  
 ١٥ العذاب بمن <sup>٨</sup> قدر على إثابتكم ، وخص اسم الرب تذكيرًا بماله من  
 النعم في الإيجاد والإنشاء <sup>٩</sup> و الترية ؛ <sup>١٠</sup> ولما كان الاستغفار - وهو طلب  
 الغفران - مطلوبًا في نفسه لكنه لا يعتبر إلا إذا قرن بالتوبة ، عطف عليه

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : ليكون ابلغ (٢) في ظ : يمتد (٣) من ظ ، وفي  
 الأصل : علم (٤) في ظ : بعشر (٥) من ظ ، وفي الأصل : في (٦) من ظ ، وفي  
 الأصل : الي (٧) من ظ ، وفي الأصل : كما (٨) في ظ : من (٩) في ظ : الانجاء .  
 (١٠) العبارة من هنا إلى « غير خفي » سقطت من ظ .



بـ "ثم" إشارة إلى عظيم رتبها وعلى منزلتها وإن كان المراد بها  
لدوام عليها بقليل رتبته غير خفى، وفى التعبير عن العمل بالفضل إشارة  
إلى أنه لم يقع التكليف إلا بما فى الوسع مع أنه من معالى الأخلاق،  
لأن الفضل فى الأصل / ما<sup>١</sup> فضل عن الإنسان و تعانیه من كريم  
الشئائل، وما كان كذلك فهو فى<sup>٢</sup> الذروة من الإحكام، لأنه منع الفعل ه  
من الفساد؛ والحكيم من الحكمة وهى العلم بما يجمع عليه مما يمنع  
الفعل من الفساد والنقض. وبها يميز الحسن من القبيح والفاقد من  
الصحيح، وقد أشارت الآية إلى أن الاستغفار والتوبة سبب السعة  
". لو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا  
من فوقهم ومن تحت ارجلهم"، وأن الإعراض سبب الضيق، كما قال ١٠  
صلى الله عليه وسلم: إن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه."و<sup>٣</sup> يؤت كل  
ذى فضل فضله" إشارة إلى ثواب الآخرة، فالتوبة سبب طيب العيش  
فى الدنيا والآخرة.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير<sup>٤</sup> فى كتابه فى مناسبة هذه السورة للتى  
قبلها<sup>٥</sup>: ولما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت - من آى ١٥  
التنبيه والتحريك للفطر<sup>٦</sup> ومن العظائم والتخويف والتهديد والترهيب  
(١) من ظ، وفى الأصل: لا (٢) من ظ، وفى الأصل: من (٣) فى ظ:  
العمل (٤) سورة ه آية ٦٦ (ه-ه) فى ظ: فى ذكر الفضل (٦-٦) سقط ما بين  
الرقين من ظ (٧) فى ظ: للنظم.

والتغيب و تقرير المشركين و الجاحدين و "قطع بهم و الإعلام بالجربان  
على حكم السوابق و وجوب التفويض و التسليم - ما لم يشتمل<sup>١</sup> على مثله  
سورة لتكرر هذه الأغراض فيها ، و سبب تكرار ذلك فيها - والله أعلم -  
أنها أعقبت بها "سبع أضواء" . و قد مر القيد على أن سورة الأنعام  
بها يقع استيفاء بيان حال المتكبرين عن<sup>٢</sup> الصراط المستقيم على اختلاف  
أحوالهم . ثم استوفت سورة الأنعام ما وقعت الإحالة عليه من أحوال  
الأمم السابقة كما تقدم و بسطت ما أجمل من أمرهم ، ثم اتبع ذلك  
بخطاب المستجيبين لرسول الله صلى الله عليه و سلم و حذروا و أنذروا ،  
و كشف عن حال من تلبس بهم من عدوهم من المنافقين ، و تم المقصود

١٠ من هذا في "سورتى الانفال<sup>٢</sup> و براءة ، ثم عاد الخطاب إلى طريقة الدعاء  
إلى الله و التحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم ، فكان مظنة تأكيد التخويف  
و ترهيب لإتيان ذلك بعد بسط حال و إيضاح أدلة ، فلهذا كانت  
سورة يونس مضمنة من هذا ما لم يضمن غيرها ، ألا ترى افتتاحها بقوله  
" إن ربكم الله " الآيات . و مناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق إلى الله  
١٥ في سورة البقرة بقوله تعالى " يا أيها الناس اعبدوا ربكم " ثم قد نهوا هنا  
كما نهوا هناك فقال تعالى " أم يقولون افترناه قل فاتوا بسورة مثله "  
ثم تأكدت المواعظ و الزواجر و الإشارات إلى أحوال المكذبين و المعاندين ،

(١) في ظ : لم تشتمل (٢) في ظ : على (٣-٢) في ظ : سورة الاعراف .

(٤) في ظ : لتأكيد .

فمن التنبيه "ان ربكم الله"، "هو الذى جعل الشمس"، "ان فى اختلاف الليل والنهار"، "قل هل من شركائكم من [يبدؤا الخلق ثم يعيده"، "قل هل من شركائكم من -] يهدى الى الحق"، "قل انظروا ماذا فى السموات والارض" - الى غير هذا، وعلى هذا السنن تكررت "عظات و الاغراض المشار إليها فى هذه السورة إلى قوله ٥ "ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" فحصل من سورة الاعراف والانفال وبراءة<sup>٢</sup> ويونس<sup>٣</sup> تفصيل ما كان أجمل فيما تقدمها كما حصل مما تقدم تفصيل أحوال السالكين و المتكبين، فلما تقرر هذا كله اتبع المجموع بقوله "كتب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" وتأمل مناسبة الإتيان بهذين الاسمين الكريمين وهما "الحكيم الخبير" ١٠ ثم تأمل تلاؤم صدر السورة بقوله "ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" وقد كان تقدم قوله تعالى "قد جاءكم موعظة من ربكم" فاتبع قوله "قد جاءكم الحق من ربكم" بقوله فى صدر سورة هود "كتب احكمت اياته ثم فصلت" فكأنه فى معرض بيان الحق والموعظة، وإذا كانت محكمة مفصلة فحق لها أن تكون شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة ١٥ للمؤمنين، وحق توبيخهم فى قوله تعالى "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه" والعجب فى عمومهم<sup>٢</sup> مع / إحكامه و تفصيله ولكن "الذين حققت عليهم

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٣٤ و ٣٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: عموم.

كلمت ربك لا يؤمنون“ و تأمل قوله سبحانه آخر هذه السورة ”وكلا  
 نقص عليك من انبؤى الرسل ما ثبت به فؤادك“ ، و ”جاءك فى  
 هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين“ فكل الكتاب حق وموعظة  
 وذكرى ، وإنما الإشارة - والله أعلم - بما أراد إلى ما تقرر الإيمان  
 ٥ إليه من كمال بيان الصراط المستقيم وملزمات متبعية أخذاً وتركاً، وذكر  
 أحوال المتكبين على شتى طرقهم ، واختلاف أهوائهم وغاياتهم وشرهم  
 إبليس فانه متبعهم والقائل لجميعهم فى إخبار الله تعالى ” ان الله وعدهم  
 وعداً الحق ووعدتكم فاخلفتكم“ وقد بسط<sup>٢</sup> من أمره وقصته فى البقرة  
 والاعراف ما يسر على المؤمنين الحذر منه<sup>٣</sup> وعرفهم به وذكر اليهود  
 ١٠ والنصارى والمشركون<sup>٤</sup> والصابئون والمنافقون وغيرهم . وفصل مرتكب  
 كل فريق منهم كما استوعب ذكر أهل الصراط المستقيم من النبيين  
 والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وفصل أحوالهم ابتداءً وانتهاءً ، والتزاماً  
 وتركاً ما أوضح طريقهم ، وعين حزبهم وفريقهم ”اولئك الذين هدى  
 الله“ وذكر أحوال الأمم مع أنبيائهم وأخذ كل من الأمم بذنبه  
 ١٥ مفصلاً ، وذكر ابتداء الخلق فى قصة آدم عليه السلام وحال الملائكة  
 فى التسليم والإذعان وذكر فريق الجن من مؤمن وكافر وأمر الآخرة  
 وانتهاء حال الخلائق واستقرارهم الآخروى وتكرير<sup>٥</sup> دعاء الخلق  
 إلى الله تعالى طمعاً فيه<sup>٦</sup> ورحمة وإعلام الخلق بما هو عليه سبحانه وما يجب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يسطت (٣) فى ظ : منهم (٤) فى ظ : المشركين .  
 (٥) فى ظ : فريقاً (٦) فى ظ : تكرر (٧) من ظ ، وفى الأصل : منه .

له من الصفات العلى والأسماء الحسنى، ونبه العباد على الاعتبار وعلّموا طرق الاستدلال ورغبوا ورهبوا وبشروا وأنذروا وأعلّموا باقتدار المخلوقات بمحملتها إليه سبحانه كما هو المتفرد بخلقهم إلى ما تخلل ذلك مما يعجز الخلاق عن<sup>٢</sup> حصره والإحاطة به ” والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل “ فلما تقدم هذا كله فى السبع الطوال وما تلاها. أعقب هـ ذلك بقوله ” كتب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير “ ثم اتبع هذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة عليها مدار آى الكتب، وهى فصل الإلهية، وفصل الرسالة، وفصل التكليف. أما الاول فأشار إليه قوله ” لا تعبدوا الا الله “ وأما فصل الرسالة فأشار إليه قوله سبحانه ” انى لكم منه نذير وبشير “ ز أما فصل التكليف فأشار إليه قوله سبحانه ١٠ ” وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه “، وهذه الفصول الثلاثة هى التى تدور عليها آى القرآن وعليها مدار السورة الكريمة، فلما حصل استيفاء ذلك كله فيما تقدم ولم يبق وجه شبهة للعائد ولا تعلق للجاحد واتضح الحق وبان قال سبحانه وتعالى ” وجاءك فى هذه الحق “ إشارة إلى كمال المقصود وبيان المطلوب واستيفاء التعريف بوضوح الطريق وقد ١٥ وضع من هذا تلاء هذه السورة الكريمة لما تقدمها، وما يشهد لهذا - والله أعلم - قوله تعالى [ ” افن كان على بينة من ربه ويتلوه شهد منه “ و قوله تعالى - ١ ] ” فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا “

---

(١) من ظ، وفى الأصل: يحال (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: ثلاث (٤-٤) فى ظ: التى هى يدور (٥) فى ظ: شبه (٦) زيد من ظ، وراجع أيضا آية ١٧ من هذه السورة.

فقد وضع طريقك وفاز بالفلاح حزبك وفريقك "ولا تركنوا الى الذين ظلموا" فقد عرفتم سبيلهم ومصيرهم فقد بان طريق الحق، وكيف ينكب من جزم<sup>١</sup> سلوكه من الخلق! ونظيره<sup>٢</sup> قوله سبحانه "وجاءك في هذه الحق" عقب ما ذكر سبحانه "لمن الملك اليوم" وقوله "يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله"، فتأمل [ذلك - ٢] والله المستعان - انتهى .

ولما خوف المنذرون<sup>٣</sup> باليوم الكبير<sup>٤</sup> كانوا كأنهم قالوا: ما هذا اليوم؟ فكان الجواب: يوم يرجعون إليه، ولما كانوا ربما حملوا الرجوع على مجرد الموت والصيرورة ترابا، نبههم على أنه بغير المعنى الذى يتوهمونه ١٠ بل بمعنى<sup>٥</sup> إعادتهم كما كانوا فقال: ﴿الى الله﴾ أى الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وحده ﴿مرجعكم﴾ أى [رجوعكم ووقته ومكانه لأجل الحساب - ٢] لا إلى التراب ولا غيره، [وهو بكل شيء عليم، ومنه بدءكم لإخذ الزاد للعاد - ٢]، وجعل فاصلة الآية / حكما على المراد فقال: ﴿وهو﴾ أى وحده ﴿على كل شيء﴾ أى يمكن ﴿قديره﴾ ١٥ أى بالقدرة لأنهم يقرون بقدرته على أشياء هى أعظم من الإعادة، [فهو قادر على الإعادة كما قدر على البداءة، فالآية من الاحتباك: ذكر المرجع أولا دليلا على المبدأ ثانيا، وتام القدرة ثانيا دليلا على تمام العلم أولا لأنها متلازمان - ٢] .

ولما تقدم من التخويف والإطماع ما هو مظنة لإقبالهم ورهبهم

(١-١) فى ظ: قد تنكب من حرم (٢) من ظ، وفى الأصل: نظير (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ: اليوم (٥) من ظ، وفى الأصل: معنى .

على التولى بخصوصه ، فكان موضع أن يقال : هل أقبلوا ؟ ف قيل : لا  
 [ قال - ٢ ] مينا أن التولى باطنا كالتولى ظاهرا لأن الباطن هو العمدة ،  
 مؤكدا لأنه أمر لا يكاد أن يصدق ، والتأكيد أقعد في تبكيتهم :  
 ﴿ إلا أنهم ﴾ أى الكفار المعاندين ﴿ يثنون صدورهم ﴾ أى يطوونها  
 و ينحرفون عن الحق على غل من غير إقبال لأن من أقبل على الشيء ه  
 أقبل عليه بصدوره ﴿ ليستخفوا منه ﴾ أى يريدون أن يوجدوا إخفاء  
 سرهم على غاية ما يكون من أمره ، فان كان مرادهم بالثى الاستتار  
 من الله تعالى فالأمر في عود الضمير إليه سبحانه واضح ، وإن كان من  
 النبي صلى الله عليه وسلم فالاستخفاء منه استخفاء عن أرسله ، ثم أعلم  
 أن ذلك غير مغن عنهم لأنه يعلم سرهم و علمهم في أخفى أحوالهم ١٠  
 عندهم ، و هو حين استغشائهم ثيابهم ، فيغطون الوجوه التى تستقر عن  
 بعض ما فى القلوب للتوسمين فقال : ﴿ الا حين يستغشون ثيابهم ﴾ أى  
 يوجدون غشائها أى تغطيتها لرؤسهم ، لاستخفاء كراهية السماع  
 كلام الله و أخبار رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ يعلم ما يسرون ﴾ أى  
 يوقعون إسراره فى أى وقت كان و من أى نوع كان من غير بطلان تدبر ١٥  
 أو تأمل ، [ ولما لم يكن بين علم السر و العلن ملازمة لاختصاص العلن  
 بما يكون لغية أو اختلاط بأصوات و لفظ أو اختلاف لغة و نحو ذلك  
 قال تصريحاً - ٣ ] : ﴿ و ما يعلنون ج ﴾ أى يوقعون إعلانه لا تفاوت فى  
 (١) من ظ ، وفى الأصل : كان (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ،  
 وفى الأصل : المعاندين (٥) فى ظ : ان يريدوا (٦) فى ظ : كراهة (٧) من ظ ،  
 وفى الأصل : رسول الله (٨) من ظ ، وفى الأصل : لا تفاوت .

عليه بين إسرار و إعلان . فلا وجه لاستخفاتهم نقاقا ، فإن سوق قفائهم  
 غير نافق عنده<sup>٢</sup> سبحانه . ثم علله بما هو أدق من ذلك كله مع شموله  
 للنوعين فقال : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم جدا ﴿ بذات الصدور ﴾  
 أى بضائر قلوبهم التى فى دواخل<sup>٣</sup> صدورهم التى يتنونها من قبل أن  
 يقع لهم إضمارها ، بل من قبل أن يخلقهم ؛ وأصل الثنى العطف . ومنه  
 الاثنان - لعطف أحدهما على الآخر ، و الثناء - لعطف المناقب فى المدح .  
 ولهذا لما قال " عبد فى التامحة " الرحمن الرحيم " بعد الحمد قال الله تعالى :  
 أنى على عبدى - كما فى حديث " قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ،  
 والاستثناء - لعطف الثانى على الأول بالاستخراج منه ؛ والاستخفاء : طلب  
 ١٠ خفاء الشئ : ثم اتبع ذلك بما يدل على شمول العلم و القدرة معا فقال :

(١) زيد فظ : من (٢) فظ : عندهم (٣) فظ : داخل (٤) فظ : من (هـ) من  
 ظ . وفى لأصل : العطف .



﴿ وما ﴾ وأغرق في العموم بقوله : ﴿ من دابة ﴾ و' دل على أن  
 الإبتفاع بالأموال مخصوص بأهل العالم السفلى بقوله : ﴿ في الارض ﴾  
 أي صغرت أو كبرت ﴿ الا على الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة  
 وحده لا على غيره ﴿ رزقها ﴾ أي قوتها وما تنفع وتعيش به بمقتضى  
 ما أوجبه على نفسه ، [ تحقيقاً لوصوله وحملها على التوكل فيه - ٢ ] ، ه  
 لأن الإفضال على كل نفس بما لا تعيش إلا به ولا يلائمها إلا هو مدة  
 حياتها أدق مما مضى في العلم مع تضمنه لتمام القدرة ، والآية مع ذلك  
 ناظرة إلى ترغيب آية " وان استغفروا ربكم " فالمراد : أخلصوا العبادة له  
 ولا تفترؤا<sup>٢</sup> عن عبادته للاشتغال بالرزق فانه ضمنه لكم وهو عالم بكل نفس  
 فلا تخشوا من أنه ينسى أحداً ، وقال : " في الارض " ليعلم ما يمشى على وجهها ١٠  
 وما في أطباقها من الديدان ونحوها مما لا يعلمه إلا هو ، لقد شاهدت داخل  
 حصاة من شاطئ بحر قبرس<sup>٣</sup> شديدة الصلابة كأنها العقيق الأبيض  
 دودة عندها ما تأكل ، وأخبرني الفاضل عز الدين محمد بن أحمد التكروري  
 المكتبي أنه شاهد غير مرة في دواخل<sup>٤</sup> حجارة<sup>٥</sup> تقطع من جبل مصر  
 الدود عنده ما يأكل من الحشيش الأخضر وما يشرب من الماء ؛ ونبه ١٥  
 بقوله : ﴿ ويعلم مستقرها ﴾ أي مكانها الذي تستقر فيه ﴿ ومستودعها<sup>٦</sup> ﴾  
 أي موضعها الذي تودع فيه قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة  
 أو بعده / من قبر أو فلاة أو غير ذلك على ما يحيط به عليه من تفاصيل

٦٢٣ /

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل : لا يفترؤا .  
 (٤) من ظ، وفي الأصل : فيرس (ه) في ظ : داخل (٦) من ظ، وفي الأصل : الحجارة .

السكنات و الحركات ما كان منها و ما يكون من كل ذلك بما يحير الفكر  
و يدعش الالباب ، ثم جعل فاعلة الآية ما هو في غاية العظمة عند  
الحق<sup>١</sup> و هو ( كل ) أى من ذلك ( في كتب مبين<sup>٢</sup> ) فانه ليس كل  
ما يعلمه العبد يقدر<sup>٣</sup> على كتابته و لا كل ما يكتبه<sup>٤</sup> يكون مينا بحيث أنه  
كلما أراد الكشف منه وجد ما يريده ، و إذا وجده كان مفهوما له ؛  
و الدابة : الحى الذى من شأنه الديب ؛ و المستقر : الموضع الذى يقر  
فيه الشيء ، و هو قراره و مكانه الذى يأوى إليه ؛ و المستودع : المعنى  
المجمول فى قرار كالولد الذى يكون فى البطن و النطفة التى فى الظهر ،  
و قد جعل سبحانه فى كتابه ما ذكر حكما منها ما لللائكة فيه من العبرة  
١٠ عند المقابلة بما يكون من الامور المكتوبة قبل وجودها .

و لما كان خلق ما منه الرزق أعظم من خلق الرزق و توزيعه<sup>٥</sup> فى  
شمول العلم و القدرة معا ، تلاه بقوله : ( و هو ) أى وحده ( الذى خلق )  
أى أوجد و قدر ( السموات و الارض ) وحده<sup>٦</sup> لم يشركه فى ذلك  
أحد كما أنتم معترفون ( فى ستة أيام ) و لما كان خلق العرش أعظم  
١٥ من ذلك كله فان جميع السموات و الارض بالنسبة إليه كخلاقة ملقاة فى  
فلاة ، و أعظم من ذلك أن يكون محولا على الماء الذى لا يمكن حمله  
فى المادة إلا فى بقاء ضابط محكم . تلاه بقوله ( و كان ) [ أى - ٦ ]  
قبل خلقه لذلك ( عرشه ) مستعليا<sup>٧</sup> ( على الماء ) و لا يلزم من ذلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٢) فى ظ : قدر (٣) فى ظ : تكتبه (٤) فى ظ :  
توديعه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : مستعليا .

الملاصقة كما أن السماء على الأرض من غير ملاصقة . وقد علم من هذا السياق أنه<sup>١</sup> كان قبل الأرض [خلق -<sup>٢</sup>] فثبت أنه وما تحته محمولان بمحض القدرة من غير سبب آخر قريب أو بعيد ، فثبت بذلك أن قدرته في درجات من العظمة لا تنهاى ، وهذا زيادة تفصيل لما ذكر في سورة يونس عليه السلام من أمر العرش لأن هذه سورة التفصيل . ٥

ونبه بقوله تعالى معلقا بـ "خلق" : ﴿ ليلوكم ﴾ أى [أنه خلق ذلك كله لكم سكنا كاملا بمجده وسقفه من أكله وشره وكل ما تحتاجونه فيه وما يصلحكم وما يفسدكم وممكنكم من جميع ذلك و -<sup>٣</sup>] الحكمة في خلق ذلك أنه يعاملكم معاملة المختبر ، ودل على شدة الاهتمام بذلك بسوقه مساق الاستفهام<sup>٤</sup> في قوله : ﴿ ايكم ﴾ أى أيها العباد ﴿ احسن عملا ﴾ على ١٠

أنه فعل هذه الأفعال الهائلة لأجل هذه الأمور التي هم لها مستهزون وبها مستهزون<sup>٥</sup> ، وعلق فعل البلوى عن جملة الاستفهام لما فيه من معنى العلم لأنه طريق إليه ، روى البخارى في التفسير عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : أنفق أنفق عليك ، وقال : يد الله ملى لا يغيضها<sup>٦</sup> نفقة ، سبحانه الليل والنهار ، ١٥

وقال : أرايت ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فانه لم يفيض<sup>٧</sup> ما في

---

(٢) زيد بعده في ظ : لو (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : ام (٤) سقط من ظ . (٥) من ظ ، وفي الأصل : كما (٦) في ظ : الاهتمام (٧) من ظ ، وفي الأصل : يستهزون (٨) من ظ والصحيح ، وفي الأصل : يدى (٩) من الصحيح ، وفي الأصل : لا يغيظهما ، وفي ظ : لا يغيضها (١٠) من الصحيح ، وفي الأصل : ولم يفيض .

يده، وكان عرشه على الماء، ويديه الميزان<sup>١</sup> يخفض ويرفع. وفي الآية حث على محاسن الأعمال والترقي دائماً في مراتب السكّال من العلم الذي هو عمل القلب [و العمل -<sup>٢</sup>] الظاهر الذي هو وظيفة الأركان.

٥. ولما ثبت - يده الخلق الذي هم [به -<sup>٢</sup>] معترفون - القدرة على إعادته، وثبت بالابتلاء أنه لا تتم الحكمة في خلق المكلفين إلا باعادتهم ليجازى كلا من المحسن والمسيء بفعاله<sup>٢</sup> [و أنهم ما خلقوا إلا لذلك -<sup>٢</sup>]. عجب من إنكارهم له وأكده؛ لذلك فقال: ﴿واتن قلت﴾ أي لهؤلاء الذين ما خلقت هذا الخلق العظيم إلا لابتلائهم ﴿انكم مبعوثون﴾ أي موجودون<sup>٣</sup>، [بعثكم -<sup>٢</sup>] ثابت قطعاً لا بد منه.

ولما كان زمن البعث بعض الزمن قال<sup>٤</sup>: ﴿من بعد الموت﴾ الذي هو غاية الابتداء ﴿ليقولن﴾ أكده دلالة على العلم بالعواقب علماً من أعلام النبوة ﴿الذين كفروا﴾ أي ما ﴿هذا﴾ أي القول بالبعث ﴿الاسحر مبين﴾ أي شيء مثل السحر تخيل باطل ١٥ لا حقيقة له أو خداع يصرف الناس عن الانهباك في اللذات للدخول في طاعة الأمر.

ولما كان ما تقدم عنهم من الأفعال ومضى من الأقوال مظنة لمعاجلتهم<sup>٥</sup>

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: بما فعل (٤) من ظ، وفي الأصل: تاكده (٥ - ٥) في ظ: هولاء الذي (٦) من ظ، وفي الأصل: موجود (٧) في ظ: فقال (٨) في ظ: لمعاجلتهم.

٦٢٤ /

بالأخذ . / وكان الواقع أنه تعالى يعاملهم<sup>١</sup> بالإمهال فضلا منه وكرما، حكى  
مقاتلهم في مقابلة رحمته لهم فقال: ﴿واثن اخرنا﴾ أى<sup>٢</sup> بما لنا من العظمة  
التي لا يفوتها شيء ﴿عنهم﴾ أى الكفار ﴿العذاب﴾ أى المتوعد به  
﴿إلى آمة﴾ أى مدة من الزمان ليس فيها كدر ﴿معدودة﴾ أى محصورة  
الأيام أى قصيرة معلومة عندنا حتى تعد<sup>٣</sup> الأنفاس ﴿ليقولن﴾ على هـ  
سبيل التكرار ﴿ما يحبسهُ﴾ أى العذاب عن الوقوع استعجالا له تكذيبا  
واستهزاء، وهو تهديد لهم بأنه آتيهم عن قريب فليعتدوا لذلك .

ولما كان العاقل لا ينبغي أن يسأل عن مثل ذلك إلا بعد قدرته  
على الدفع، أعرض عن جوابهم وذكر لهم أنهم عاجزون عن دفاعه عند  
إيقاعه إعلاما بأنهم عكسوا في السؤال، وتحقيقا لأن ما استهزؤا به لاحق ١٠  
بهم لا محالة، فقال مؤكدا لشديد إنكارهم: ﴿الا يوم﴾ وهو منصوب  
بـخبر 'ليس' الدال على جواز تقدم الخبر ﴿ياتيهم﴾ ليس أى العذاب  
﴿مصرفا عنهم﴾ أى بوجه من الوجوه؛ [وقدم الماضى موضع المستقبل  
تحقيقا ومبالغة فى التهديد فقال - °]: ﴿وحاق بهم﴾ أى أدركهم إذ ذاك  
على سبيل الإحاطة ﴿ما كانوا﴾ أى بجبلاتهم وسيق طائعتهم، وقدم ١٥  
الظرف إشارة إلى شدة إقبالهم على الهزم به حتى كأنهم لا يهزؤون بغيره فقال:  
﴿به﴾ ولما كان استعجالهم استهزاء، وضع موضع 'يستعجلون' قوله:

(١) زيد بعده فى ظ : معاملة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بعد (٤) زيد بعده  
فى الأصل : أى العذاب ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (هـ) زيد من ظ .  
(٦) فى ظ : يستهزؤون .

(يستهزءون) أى يوجدون الهزء به إيجادا عظيما حتى كأنهم يطلبون ذلك .  
ولما كان قولهم ذلك ناشئا عن طبع الإنسان على الوقوف مع  
الحالة الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما يزيلها فى العاقبة ،  
بين ذلك [ ليعلم أن طبعه مناف لما تضمنه مقصود السورة من الإحكام  
الذى هو ثمرة العلم . و يعلم ذلك يعلم مقدار نعمته على من حفظه على  
ما فطره عليه من أحسن تقويم - ١ ] بقوله مؤكدا لأن كل أحد يتكر أن  
يكون طبعه كذلك : ( ولئن اذقنا ) أى بما لنا من العظمة ( الإنسان )  
أى هذا النوع المستأنس بنفسه ؛ ولما كان من أقبح الحلال استملاك  
المستعار . وكانت النعم عوارى من الله يمنحها من شاء من عباده . قدم  
صلة دليلا على العارية فقال : ( من رحمته ) أى نعمة عظيمة فضلا منا  
عليه لا بحوله ولا بقوته [ من جهة لا يرجوها بما دلت عليه أداة الشك - ١ ]  
ومكناؤه من التلذذ بها تمكين<sup>٢</sup> الذائق من المذوق ( ثم نزعناها ) أى بما لنا  
من العظمة وإن كره ذلك ( منه ج ) أخذنا لحقنا ( والله ليؤس ) أى  
شديد اليأس من أن يعود له مثلها ( كفوره ) أى عظيم السر لما  
سلفه له من الإكرام لأن شأنه ذلك و خلقه إلا من رحم ربك  
( ولئن اذقنه نعماء ) من فضلنا .

ولما كان استملاك<sup>٣</sup> العارية ضعا له ، لا يتفك عنه إلا بمعونة شديدة  
من الله . دل عليه بما أفهم أنه لو كان طول عمره فى الضر ثم نال حالة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يكن (٣) فى ظ : استملاك .  
(٤) سقط من ظ .

يرضاها عقب زمن الضر سواء . بادر إلى اعتقاد أنها هي الحالة الأصلية له وأنها لا تفارقه أصلا ولا يشوبها نوع ضرر ولا يحاط صفوها شيء من كدر . فقال دالا على اتصال زمن الضر بالقول بنزع الخافض من الطرف : ﴿ بعد ضراء ﴾ أى فقر شديد مضر يبدنه ، ولم يسند المس إليه سبحانه كما فعل فى التعماء 'تعليما للأدب' فقال : ﴿ مسته ﴾ أى بما ه كسبت يداه ﴿ ليقولن ﴾ مع قرب عهده بالضراء خفة وطيشا<sup>٢</sup> ﴿ ذهب السيئات ﴾ أى كل ما يسوءنى ﴿ عني<sup>٣</sup> ﴾ وقوله ﴿ انه ﴾ الضمير فيه للإنسان ، فالمعنى أن الإنسان . فهى كلية مشهورة<sup>٤</sup> بمستغرق ، أى أن كل إنسان ﴿ لفرح ثغور<sup>٥</sup> ﴾ أى خارج عن الحد فى فرحه شديد الإفراط فى ثغره على غيره بكل نعمة تفضل الله عليه بها . [ لا يملك ضر نفسه ١٠ ومنعها من ذلك - ° ] فلذا اتصل [ بها - ° ] قوله مستندنا من الإنسان المراد به اسم الجنس : ﴿ الا الذين صبروا ﴾ فى وقت الشدائد وزوال<sup>٦</sup> النعم رجاء لمولاهم وحسن ظن به بسبب إيمانهم الموجب لتقيدهم<sup>٧</sup> بالشرع ﴿ وعملوا الصالحات<sup>٨</sup> ﴾ [ أى - ° ] من أقوال<sup>٩</sup> الشكر وأفعاله عند حلول النعم ، فهم دائما مشغولون بمولاهم شكرا وصبرا ، [ وهم الذين أتم عليهم سبحانه ١٥ نعمة ، خلقهم فى أحسن تقويم . وهم أقل من انقليل لعظيم جهادهم لنفوسهم

---

(١-١) من ظ . وفى الأصل : تعليا فى الادب (٢) من ظ ، وفى الأصل : طبه - كذا (٣) تقدم فى الأصل على 'ذهب السيئات' ، والترتيب من ظ (٤) فى ظ : مشورة (٥) زيد من ظ (٦-٦) تكرر ما بين الرقيين فى ظ (٧) فى ظ : لتعديهم (٨) فى ظ : أقواله .

فيما جبلت عليه من الحظوظ و الشهوات و غيرها و شياطينهم - ١ ] .  
 و لما كان كأنه قيل : ٢ فما لهم لم يكونوا ٣ كذلك أنتج السياق مدحهم  
 فقال : ( أو تترك ) أى العالو المراتب ( لهم مغفرة ) إذا وقعت منهم  
 هفوة ( و اجر كبير ) على صبرهم و شكرهم ؛ و الذوق : تناول الشيء .  
 ٥ بالفم لإدراك الطعم كما أن الشم ملاسة الشيء الأنف لإدراك الرائحة ؛  
 و النزع : رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكاً له كالقلع ٢ / و القشط ؛  
 و اليأس : القطع بأن الشيء لا يكون ، و هو ضد الرجاء ، و يؤوس :  
 كثير اليأس ، و هو ذم لأنه للجهل بسعة الرحمة الموجبة لقوة الأمل فى كل  
 ما يجوز فى الحكمة فعله : و النماء : إنبات يظهر أثره على صاحبه ، كما أن  
 ١٠ الضراء مضرة تظهر الحال بها . لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة  
 من حمراء و عوراء مع ما فى مفهومها \* من المبالغة ؛ و السيئة : ما يسوء  
 من جهة نفور طبع أو عقل ، و هى هنا المرض و الفقر و نحوه ؛ و الفرح :  
 افتتاح القلب بما يلتذ به ؛ و عبارة البغوى : هو لذة فى القلب بنيل المشتهى  
 و هو أعظم من ملاذ الحواس ؛ و الفخر : التطاول بتعديد المناقب ؛ و الصبر :  
 ١٥ حبس [ النفس - ٧ ] عن المشتهى من ٤ المحارم و نحوها ، و الصبر على  
 مر الحق يؤدى إلى الفوز فى الآخرة مع ما فيه من الجمال فى الدنيا ؛ و الكبير  
 واحد يقصر مقدار غيره عنه ؛ و الكثير : جمع يزيد على عدد غيره .

(١) زيد من ظ ( ٢ - ٢ ) فى ظ : فانهم لما يكونوا ( ٣ ) فى ظ : كالقطع .  
 ( ٤ ) فى ظ : بل ( ٥ ) من ظ ، و فى الأصل : مفهوم ( ٦ ) فى ظ : نور ( ٧ ) زيد  
 من ظ ( ٨ ) فى ظ : عن .



- ولما استثنى سبحانه من الجارين مع الطبع الطائشين 'في الهوى'  
 مَنْ تحلى برزاة<sup>٢</sup> الصبر الناشئ عن وقار العلم المثمر لصالح العمل ، وكان  
 صلى الله عليه وسلم رأس الصابرين ، وكان ما مضى من أقوالهم وأفعالهم مثل  
 قولهم "ما يحبس" و تثنيهم صدورهم أسبابا لضيق صدره صلى الله عليه وسلم ،  
 فربما كانت مظنة لرجائهم تركه صلى الله عليه وسلم بعض ما يوحى إليه ٥  
 من عيب آلهتهم و تضليل آبائهم و تسفيه أحلامهم ، وغير ذلك مما يشق  
 عليهم طمعا في إقبالهم أو خوفا من إدبارهم فانهم كانوا يقولون : ما نراه  
 يذكر من خالف دينه من اليهود و النصارى بمثل الذى يذكرنا به من  
 الشر ، قال تعالى مسيا عن ذلك ناهيا في<sup>٣</sup> صيغة الخبر : ﴿ فلعلك تارك ﴾  
 أى إشفافا أو طمعا ﴿ بعض ما ﴾ و لما كان الموحى قد صار معلوما لهم ١٠  
 وإن نازعوا فيه . بنى للفعل قوله : ﴿ يوحى إليك ﴾ كالإنذار و تسفيه  
 أحلام آبائهم ﴿ وضائق به ﴾ أى بذلك البعض ﴿ صدرك ﴾ مخافة ردهم له<sup>٤</sup>  
 إذا بلغه لهم : ثم علل ذلك بقوله : ﴿ إن ﴾ أى مخافة أو لأجل أن  
 ﴿ يقولوا ﴾ تعتا ومغالبة إذ لو كانوا مسترشدين لكفتهم آية واحدة ﴿ لو لا ﴾  
 أى هلا ولم لا ﴿ انزل عليه كنز ﴾ يستغنى به ويتفرغ لما يريد ، [و بنوه للفعل ١٥  
 لأن المقصود مطلق حصوله - ٧] ، وكانوا يتهاونون بالقرآن لعلمهم أنه الآية  
 العظمى فكانوا لا يعدونه آية عنادا منهم ومكابرة ﴿ أو جاء معه ملك ﴾  
 أى ليؤيد كلامه وليشهد له ، فكان النى صلى الله عليه وسلم يضيق  
 صدره بمثل أقوالهم هذه ويثقل عليه أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
- 
- (١ - ١) في ظ : بالهوى (٢) من ظ ، وفي الأصل : برزاته (٣) في ظ : عن -  
 (٤) في ظ : باخ (٥) في ظ : به (٦ - ٧) في ظ : علوا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ،  
 وفي الأصل : ليؤثر (٩) في ظ : يشهد .

منه، فحركة الله بهذا لإداء الرسالة كائنا فيها ما كان، فكان المعنى: فإذا  
تقرر أن الإنسان مطبوع على نحو هذا من 'التقلبات'، فلا تكن موضع  
رجائهم في أن تكون<sup>٢</sup> تاركا ما يغيظهم بما تأمر<sup>٣</sup> به، [بل كن -<sup>٤</sup>] من  
الصابرين؛ قال أهل السير: فلما بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه  
بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد [منه -<sup>٥</sup>] قومه ولم يردوا عليه  
حتى ذكر آهتهم وعبائهم، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا  
خلافه إلا من عصمه<sup>٦</sup> الله؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين  
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اتتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا.

ولما أفهم هذا السياق الإنكار لما يفتر عن الإنذار، كان كأنه  
١٠ قيل [له -<sup>٧</sup>]: هذا الرجاء المرجو منك<sup>٨</sup>، والمقصود الأعظم من  
الرسالة النذرة لأنها هي الشاقة على النفوس، وأما البشارة<sup>٩</sup> فكل من  
قام يقدر على إبلاغها فلذا قال: ﴿إنما أنت نذير<sup>١٠</sup>﴾ فبلغهم ما أرسلت  
به فيقولون لك ما يقدره الله لهم فلا يهمنك [فليس عليك إلا البلاغ -<sup>١١</sup>]  
وما أنت عليهم بوكيل تتوصل<sup>١٢</sup> إلى ردهم إلى الطاعة بالقهر<sup>١٣</sup> والغلبة  
١٥ بل الوكيل الله الفاعل لما يشاء<sup>١٤</sup> ﴿و الله﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة.

ولما كان / السياق لإحاطته سبحانه، قدم قوله: ﴿على كل شيء﴾  
منهم: من غيرهم ومن قبولهم وردهم ومن حفظك منهم ومن غيره  
﴿وكيل<sup>١٥</sup>﴾ [فهو يدبر الأمور على ما يعلبه من الحكم، فإن شاء جاء

(١ - ١) في ظ: التقلبات فلا يكن (٢) من ظ، وفي الأصل: يكون (٣) من  
ظ، وفي الأصل: يأمر<sup>٤</sup> زيد من ظ (٥) في ظ: عصم (٦) سقط من ظ.  
(٧) في ظ: منكم (٨) من ظ، وفي الأصل: النذرة (٩) من ظ، وفي الأصل:  
يتوصل (١٠) في ظ: واقهر (١١) من ظ و القرآن الكريم، وليس في الأصل.

بما سألوا وإن لم يشأ لم يأت به ولا اعتراض عليه - [ فتوكل عليه في كل أمر وإن صعب ، ولعله اقتصر على النذارة لأن المقام يقتضيها من أجل أنهم أهل لها وأنها هي التي يطمعون في تركها باطماعهم في المؤالفة بالإعراض عما يوجب المخالفة ؛ والصدر : مسكن القلب ، يشبه به رئيس القوم والعالي المجلس لشرف منزلته على غيره من الناس ؛ هـ  
والكنز : المدفون ، وقد صار في الدين صفة ذم لكل مال لم يخرج منه الواجب من الزكاة وإن لم يكن مدفونا ، [ والآية من الاحتباك : نفي أولا قدرته صلى الله عليه وسلم على الإتيان بما سألوا دليلا على قدرة مرسله على ذلك وغيره ثانيا . وأثبت الوكالة ثانيا دليلا على نفيها أولا - ] .

١٠

ولما كان ذروا الهمم العوال ، لا يصبون إلى الكنوز والأموال ، وكان الملك إنما يراد لتطيب النفس بثبوت الأمر . وكان فيما يشهد به إعجاز القرآن يديع نظمه و باهر حكمه و حكمه [ و - ] زاجر غرائبه و وافر عليه ما<sup>٥</sup> يغنى عن ذلك ، و كان في كل آية منه ما يبين للفهم سفساف قدحهم في الرسالة ، كان موضع الإنكار له ، فكان كأنه قيل : ١٥  
أ<sup>٥</sup> يقولون ذلك تعتنا<sup>٦</sup> منهم و اقترحا وإعراضا عن معجز القرآن فأعرض عنه فانه لا يضر<sup>٧</sup> في وجه الدليل (أم يقولون) [ أى مكررين - ]  
( اقتره<sup>٨</sup> ) فكان ذلك موضع أن يقال : نعم ، إنهم ليقولون ذلك فيقدحون في الدليل فاذا يقال لهم ؟ فقيل : ( قل ) أى لهم على سبيل التزل ( فاتوا ) يا معاشر العرب فانكم مثلى في العرية واللسان ٢٠

(١) زبد من ظ (٢) في ظ : إنما (٣) من ظ ، وفي الأصل : صنعة (٤) في ظ : ما .  
(٥) سقط من ظ (٦) في ظ : تقننا (٧) في ظ : لا يغير .

و المولد و الزمن<sup>١</sup> و فيكم من يزيد<sup>٢</sup> علي<sup>٣</sup> بالكتابة و القراءة و مخالطة العلماء و التعلم من الحكماء و نظم الشعر و اصطناع الخطب [و -<sup>٤</sup>] النثر و تكلف الأمثال و كل ما يكسب الشرف و الفخر<sup>٥</sup> ﴿بشر سور﴾ أى قطع، كل قطعة منها تحيط بمعنى تام يستدل فيها عليه ﴿مثله﴾ أى تكون<sup>٦</sup> العشر مثل جميع القرآن فى طوله و فى مثل احتوائه على أساليب البلاغة و أفانين العذوبة و المتانة و الفحولة و الرشاقة حال كونها ﴿مفتريت﴾ أى أنكم قد عجزتم عن الإتيان بسورة أى قطعة واحدة آية أو آيات من مثله فيما هو عليه من البلاغة و الإخبار بالمغيبات و الحكم و الأحكام و الوعد و الوعيد و الأمثال و ادعيتكم مكابرة أنه مفترى فارغ عن الحكم ١٠ فأتوا بعشر مثله فى مجرد البلاغة غير ملزمين بحقائق المعانى و صحة المبانى -

ذكره البغوى<sup>٧</sup> عن المبرد، و قد مضى فى البقرة عند "فأتوا بسورة من مثله"<sup>٨</sup> عن الجاحظ و غيره ما يؤيده؛ قال أبو حيان<sup>٩</sup> : و شأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولاً بأن يفعل أمثالا مما يفعل هو، ثم إذا تبين عجزه قال : افعل مثلاً واحداً - انتهى . فكأنهم تحدوا ١٥ أولاً بجميع القرآن فى مثل قوله "فليأتوا بحديث [مثله]"<sup>١٠</sup> أى فى التحتم و التطبيق على الوقائع و ما يحدث -<sup>١١</sup> و يتجدد شيئا فى إثر شيء، ثم قطع بعد عجزهم بدوام عجزهم فى قوله تعالى "قل لو اجتمعت الانس و الجن" - الآية "تبكيتهن و إخزاء و بعثا على ذلك و إغراء، ثم تحدوا

(١) فى ظ : الرمى (٢) من ظ ، وفى الأصل : تزيد (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٦) راجع هامش لباب التأويل ٣/ ١٨١ . (٧) آية ٢٣ (٨) راجع البحر المحيط ٥/ ٢٠٨ (٩) من البحر، وفى الأصل وظ : مثالا (١٠) سورة ٥٢ آية ٣٤ (١١) سورة ١٧ آية ٨٨ .

في سورة يونس عليه السلام بسورة واحدة مثل جميع القرآن غير معتين<sup>١</sup> فيها بالتفصيل إلى السور تخفيفا عليهم و استهانة بأمرهم ، فلما عجزوا [تحدوا بعشر مفتراة ، ولما خفف عنهم فيها التقيد بصدق المعنى وحقيقة المبانى ، ألزمهم بما خففه عنهم في يونس من التفصيل ولم يخلهم من التخفيف إشارة إلى هوان أمرهم واحتقار شأنهم بأن جعلها إلى عشر فقط ، فلما عجزوا -<sup>٢</sup>] أعيد ه في المدينة الشريفة لأجل أهل الكتاب تحديهم بسورة ، أى قطعة واحدة مقرونا ذلك بالإخبار بدوام عجزهم عن ذلك في قوله تعالى في البقرة "فإن لم تفعلوا ولن' تفعلوا" - الآية ، فالمتحدى به في كل سورة غير المتحدى به في الأخرى ، وقد مضى في يونس و البقرة و يأتى في سبحان و الطور إن شاء الله تعالى ما يتم به فهم هذا المقام ، و البلاغة ثلاث طبقات ١٠ فأعلاها معجز ، و أوسطها و أدناها ممكن ، و التحدى وقع بالعليا ، و ليس هذا أمرا بالافتراء لأنه تحدّ فهو للتعجيز و قوله : ﴿ و ادعوا من استطعتم ﴾ أى طلبتم أن يطيعكم ففعل . ولما كانت الرتب كلها تحت رتبته تعالى و العرب مقرة بذلك ، / قال : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى . ٦٢٧ / و أشار إلى عجزهم بقوله : ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ [ و فى ذلك -<sup>٣</sup> ] زيادة ١٥ بيان و تثبيت للدليل ، فان كل<sup>٤</sup> ظهير من سواهم دونهم في البلاغة ، فعجزهم عجز لغيرهم بطريق الأولى .

و لما كان أدنى درجات الافتراء إتيان الإنسان بكلام غيره من<sup>٥</sup>

(١) من ظ ، و فى الأصل : معنيين (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : قولهم (٤) فى ظ : لم - راجع آية ٢٤ (٥) فى ظ : كان (٦) من ظ ، و فى الأصل : منا .

غير علمه ، و كان عجزهم عن المعارضة دليلا قاطعا<sup>١</sup> على أنهم لم يصلوا إلى شيء من كلامه تعالى بغير علمه<sup>٢</sup> و لا وجدوا مكافئا له يأتيهم بمثله ، ثبت قطعا أن هذا القرآن غير مفترى ، فقال<sup>٣</sup> تعالى مخاطبا للجميع [ بخلاف ما في القصص - ٤ ] إشارة إلى وضوح الأمر [ لا سببا في ٥ ] الافتراء عند كل أحد - ٤ ] و أن المشركين قد وصلوا من ذل التكبيت بالتحدى مرة بعد مرة و زورهم لأنفسهم في ذلك المضمار كرة في أثر كرة إلى حد من العجز لا يقدرُونَ معه على النطق في ذلك بينت شفة : ﴿ فإلم يستجيبوا لكم<sup>٥</sup> ﴾ أى يطلبوا إجابتكم و يوجدوها ﴿ فاعلموا ﴾ أيها الناس كافة ﴿ إنما أنزل ﴾ أى [ ما - ٦ ] وقع إنزال هذا القرآن ١٠ خاصة [ إلا ملتبسا - ٦ ] ﴿ يعلم الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما بمقتضى أن محمدا واحد منهم تمنع العادة أن يعثر<sup>٧</sup> دون جميع أهل الأرض على ما لم يأذن فيه ربه من كلامه فضلا عن أن يكون<sup>٨</sup> مخفرا له ، و يجوز أن يكون ضمير ” يستجيبوا “ لـ ” من “ فى ” من استطعم “ و ” لكم “ للمشركين ، و كذا فى قوله<sup>٩</sup> ” فاعلموا “ و ” أنتم “ ﴿ وان ﴾ أى و اعلموا ١٥ أن ﴿ لا إله الا هو ﴾ فانه لو كان معه إله آخر<sup>١٠</sup> لكافاه فى الإتيان بمثل كلامه و فيه تهديد و إقناط من أن يجبرهم من بأس الله آلهتهم .

و لما كان هذا دليلا قطعيا على ثبوت القرآن ، سب عنه قوله

- (١) من ظ ، وفى الأصل : قطعا (٢) من ظ ، وفى الأصل : علم (٣) فى ظ : قال .  
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : لك (٦) من ظ ، وفى الأصل : بغير (٧) فى ظ :  
تكون (٨) من ظ ، وفى الأصل : ان (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : غيره .

مرغبا مرهبا: ﴿ فهل انتم مسلمونه ﴾ أى متقادون آثم انقياد .  
 و لما كان فى هذا من الحث على الثبات على الإسلام و الدخول  
 فيه و الوعيد على التقاعس عنه ما من حق السامع أن يبادر إليه ، و كان  
 من حق المسلم الإعراض عن الدنيا لسوء عاقبتها ، و كان أعظم الموانع  
 للشركين من التصديق استيلاء أحوال الدنيا عليهم ، و لذلك تعنتوا ه  
 بالكنز ، أشار إلى عواقب ذلك بقوله : ﴿ من كان يريد ﴾ أى بقصده  
 و أعماله من الإحسان إلى الناس و غيره ﴿ الحياة الدنيا ﴾ أى و رضى  
 بها مع دناءتها من الآخرة على علوها و شرفها ﴿ و زينتها ﴾ فأخلده  
 إليها لحضورها و نسي ما يوجب الإعراض عنها من فائها [ و كدرها - ٢ ]  
 ﴿ نوف ﴾ موصلين ﴿ اليهم أعمالهم ﴾ أى جزاءها ﴿ فيها ﴾ أى الدنيا ١٠  
 بالجاء و المال و نحو ذلك ﴿ و هم فيها ﴾ أى ٢ فى الأعمال أو الدنيا  
 ﴿ لا يبخسون ﴾ أى لا ينقص شيء من جزائهم فيها ، و أما أبدانهم  
 و أرواحهم و أديانهم فكلها بخس فى الدارين معا ، و فى الجملتين بيان  
 سبب حبس العذاب عنهم فى مدة إهمالهم مع سوء أعمالهم .

و لما بين حالهم فى الدنيا ، بين حالهم فى الآخرة مشيرا بأداة ١٥  
 البعد إلى أنهم أهل البعد و اللعنة و الطرد فى قوله نتيجة لما قبله :  
 ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين ليس لهم ﴾ أى شيء من  
 الأشياء ﴿ فى الآخرة الا النار ﴾ أى لسوء أعمالهم و استيفائهم جزاءها  
 فى الدنيا ﴿ و حبس ﴾ [ أى بطل و فسد - ٢ ] ﴿ ما صنعوا فيها ﴾

(١) فى ظ : اليه (ج) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ازواجهم .  
 (٤) زيد فى ظ : فى .

أى مصنوعهم أو صنعهم أى لبنائه على<sup>٢</sup> غير أساس ؛ ولما كان تقييد الحبوط بالآخرة ربما أوهم أنه شىء فى نفسه قال : ﴿ و بطل ﴾ أى ثابت البطلان فى كل من الدارين ﴿ ما كانوا يعملون ٥ ﴾ أى معمولهم أو عملهم وإن دأبوا فيه ذأب من هو مطبوع عليه لأنه صورة لا معنى ٥ لها لبنائه على غير أساس ؛ والزينة : تحسين الشىء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة ؛ والتوفية : تأدية الحق على تمام ؛ و حبوط العمل : بطلانه ، من قولهم : حبط بطنه - إذا فسد بالمأكل الردى .

ولما اتضحت الحجج و انتهضت الدلائل فأغرقتهم عوالى اللجج ، كان ذلك موضع الإنكار على من يسوى بين المهتدى والمعتدى ، فكيف ١٠ بمن يفضل إما باعتبار النظر إلى الرئاسة الدنيوية غفلة من حقائق الامور أو عنادا كن<sup>٣</sup> قال من اليهود / للشركين : أنتم أهدى منهم ، فقال : ﴿ افمن كان على بينة ﴾ أى برهان و حجة ﴿ من ربه ﴾ بما آتاه من نور البصيرة و صفاء العقل فهو يريد الآخرة و يبنى أفعاله على أساس ثابت ﴿ و يتلوه ﴾ أى و يتبع هذه البينة ﴿ شاهد ﴾ هو القرآن ﴿ منه ﴾ ١٥ أى من ربه ، أو تأيد<sup>٤</sup> ذلك البرهان برسالة رسول عربى بكلام معجز و كان ﴿ من قبله ﴾ أى هذا الشاهد مؤيدا له ﴿ كتب موسى ﴾ أى شاهد [أيضا -<sup>٥</sup>] وهو التوراة حال كونه ﴿ اماما ﴾ يحق الاقتداء به ﴿ و رحمة ﴾ أى لكل من اتبعه .

(١) - قط من ظ (٢) فى ظ : فى (٣) فى ظ : لمن (٤) فى ظ : بنى (٥-٥) فى ظ : تأيد (٦) زيد بعده فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) زيد من ظ .



ولما كان الجواب ظاهراً حذفه<sup>١</sup>، و تقديره - والله أعلم : كن  
هو على الضلالة<sup>٢</sup> فهو<sup>٣</sup> يريد الدنيا فهو يفعل من المكارم ما ليس مبنيًا  
على أساس صحيح، فيكون في دار البقاء والسعادة هباءً منثوراً؛ ولما  
كان هذا الذي على البيئة عظيمًا، ولم يكن يراد به واحداً بعينه، استأنف  
البيان لعلو مقامه بأداة<sup>٤</sup>؛ الجمع بشارة لهذا النبي الكريم بكثرة أمته فقال : هـ  
( أولئك ) أى العالو الرتبة بكونهم على هدى من ربهم و تأيد هدايم  
بشاهد من قبله و شاهد من بعده مصدق له ( يؤمنون به<sup>٥</sup> ) أى بهذا القرآن  
الذى هو الشاهد و لا ينسبون<sup>٦</sup> الآتى به إلى أنه افتراه ( و من يكفر به )  
أى بهذا الشاهد ( من الأحزاب ) من جميع الفرق و أهل الملل  
سواء ، سوى بين الفريقين جهلاً أو عناداً ( فالنار موعده<sup>٧</sup> ) أى وعيده ١٠  
و موضع وعيده يصلى سعيها و يقاسى زمهريرها .

ولما عم بوعيد النار، اشتد تشوف النفس لما سبب عنه فقرب  
إزالة ما حملت من ذلك بالإيجاز، فاقتضى الأمر حذف نون 'تكن'  
ف قيل : ( فلاتك ) أى أيها المخاطب الأعظم ( فى مرية ) أى شك  
عظيم [ و وهم -<sup>٨</sup> ] ( منهق ) أى من القرآن و لا يضيق صدرك عن ١٥  
إبلاغه ، أو من الموعد<sup>٩</sup> الذى هو النار و الحية و إن أنعمنا على المتوعد  
بذلك و نعمناه<sup>١٠</sup> فى الدنيا ؛ ثم علل النهى بقوله<sup>١١</sup> : ( انه ) القرآن

(١) من ظ ، و فى الأصل : صدته (٢) فى ظ : الصلاة (٣) زيد بعده فى الأصل :  
كن ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : بارادة (هـ) من  
ظ ، و فى الأصل : لا ينسبوا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الوعيد (٨) فى ظ : نعماء .  
(٩) سقط من ظ .

١ 'أو الموعد' (الحق) أى الكامل، وزاد فى التريغيب فيه بقوله:  
(من ربك) أى المحسن إليك بانزاله عليك .

و لما كان كونه حقا سيبا يعلق<sup>٢</sup> الأمل بايمان كل من سمعه، قال:  
(ولكن أكثر الناس) أى الذين هم<sup>٣</sup> فى حيز الاضطراب (لا يؤمنون\*)  
ه بأنه حق لا لكون الرب يتطرق إليه بل لما على قلوبهم من الرين  
و يؤولون إليه من العذاب المعد لهم من لا يبدل القول لديه ولا ينسب  
الظلم إليه، والقصد بهذا الاستفهام الحث على ماحث عليه الاستفهام  
فى قوله "فهل أنتم مسلمون" من الإقبال على الدين الحق على وجه  
مبين لسخافة عقول الممترين وركاكة آرائهم .

١٠ و لما كان الكافرون قد كذبوا على الله بما أحدثوه من الدين من  
غير دليل و<sup>٤</sup> ما نسبوا إليه<sup>٥</sup> النبى صلى الله عليه وسلم من الافتراء، أتبع  
ذلك سبحانه قوله: (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) أى  
تعمد أن اختلق<sup>٦</sup> متكبرا (على الله) أى الملك الأعظم (كذبا) الآية،  
وهو موضع ضمير لو أتى به لقليل: لا يؤمنون ظلما منهم، ومن أظلم منهم  
١٥ أى هم أظلم الظالمين. فأتى بهذا الظاهر بيانا لما كفروا به لأنه إذا علق  
الحكم بالوصف دل على أنه علته .

و لما بين أنهم أظلم. أتبعه جزاءهم بقوله استثناء: (أو آلئك)  
المستحقو البعد؛ و لما كان نفس العرض مخوفا. بنى للجهول قوله:

(١ - ١) فى ظ: و الوعيد (٢) من ظ، وفى الأصل: تعلق (٣) سقط من ظ.  
(٤) فى ظ: ليخافه (٥) فى ظ: الى (٦) فى ظ: اختلف .

( يعرضون ) [أى - ١] لذلك وللدلالة على أنهم على صفة الهوان ومستسلمون لكل عارض، فعرضهم في غاية السهولة (على ربهم) أى الذى أحسن إليهم فلم يشكروه، العالم بالحفايا فيفتضحون بين يديه بما قابلوا به إحسانه من اللوم (و يقول) [على سبيل التكرار - ١] (الاشهاد) وهم الذين آمنوا بالكتب الشاهد بعضها لبعض المشار إليه بقوله "و يتلوه شاهد منه" ٥

٦٢٩ /

و الملائكة الذين / شهدوا أعمالهم و من<sup>٢</sup> أعضاءهم حين يحتم على أفواههم (آهولاء) إشارة بأداة القرب<sup>٢</sup> إلى تحقيرهم (الذين كذبوا) متكبرين (على ربهم ج) فى ادعاء الشريك و الولد و التحليل و التحريم و غير ذلك [بما عراهم من إحسانه و طول حمله - ١] ، و فى الإتيان بصفة الربوية غاية التشنيع عليهم، ف تكررت بهذا القول فضيحتهم عند جنسهم و بعدهم ١٠  
عن كل من سمع هذا الكلام لأنه لا أبعد<sup>٥</sup> عن القلوب من الكاذب فكيف بالمجتري بالكذب على الرؤساء فكيف بملك الملوك الذى رباهم و كل من أهل الموقف مرتقب برة خائف من انتقامه،<sup>٦</sup> و كأنه قيل:  
فما لهم بعد هذا العذاب العظيم بهذه الفضيحة؟ فقيل: (الا لعنة الله)  
و هى طرد الملك الأعظم و إبعاده، و انظر<sup>٧</sup> إلى تهويل الأمر باسم الذات ١٥  
ما أشده (على الظلمين لا) فكيف بأظلم الظالمين، ثم فصل ظلهم بقوله:  
(الذين يصدون) أى يعرضون فى أنفسهم و يمنعون غيرهم (عن سبيل)  
(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل: الفرد (٤) زيدت  
الواو بعده فى ظ (٥ - ٥) فى ظ : لا بعد (٦ - ٦) فى ظ : فكانه (٧) من ظ ،  
وفى الأصل: النظر .

أى دين ( الله ) أى [ الملك - ' ] الذى له السكال كله مع أنه الولى  
الحميد ( ويغونها ) أى يريدون بطريق<sup>٢</sup> الدين<sup>٣</sup> الواسعة السهلة<sup>٤</sup> ( عوجاً )  
بالبقاء الشبهات والطنن فى الدلائل مع كونها فى غاية الاستقامة .

ولما كان النظر شديداً إلى بيان كذبهم وتكذيبهم ، بولغ فى تأكيد  
٥ قوله : ( وهم ) أى بضائرهم وظواهرهم ؛ ولما كان تكذيبهم بالآخرة  
شديداً ، قدم قوله : ( بالآخرة ) وأعاد الضمير تأكيداً لتعيينهم  
وإثبات غاية الفساد لبواطنهم واختصاصهم بمزيد الكفر [ فقال - ' ] :  
( هم كفرون ) أى عريقون فى هذا الوصف ؛ والعرض : إظهار الشيء  
بحيث يرى للتوقيف على حالة<sup>٥</sup> ؛ والصد : المنع بالإغراء الصارف عن  
١٠ الأمر ؛ والبغية : طلب أمر من الأمور ، وهى إرادة وجدان المعنى بما يطمع  
فيه ؛ والعوج : العدول عن طريق الصواب ، وهى فى المعنى كالدين بالكسر ،  
وفى غيره كالعود بالفتح فرقاً بين ما يرى وما لا يرى ، جعلوا السهل  
للسهل والصعب للصعب ؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عمر رضى الله  
عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى النجوى : يدنى المؤمن من ربه  
١٥ حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول : أعرف  
رب أعرف - مرتين ، ويقول : سترتها عليك فى الدنيا وأغفرها لك اليوم .  
ثم يطوى صحيفة حسناته ، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤس  
الأشهاد " هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين " .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الطريق (٣ - ٢) فى ظ : السهلة الواسعة .  
(٤) فى ظ : حاله .

ولما هدمهم بأمور الآخرة، أشار إلى بيان قدرته 'على ذلك' في الدارين بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أي البعداء 'عن حضرة' الرحمة ﴿ لم يكونوا ﴾ أي بوجه من الوجوه ﴿ معجزين ﴾ وأشار إلى عجزهم بأنهم لا يقدرُونَ على بلوغ العالم العلوى بقوله : ﴿ في الأرض ﴾ أي ما كان الإعجاز - وهو الامتناع من مراد الله - لهم ولا هو في قدرتهم ، لأن قدرته على جميع هـ الممكنات على حد سواء .

ولما نفى التعذر بأنفسهم ، نفاه من جهة غيرهم فقال : ﴿ وما كان لهم ﴾ ولما كانت الرتب التي [ هي - ٢ ] دون عظمته سبحانه 'متكاثرة' جدا ، بين أنهم معزولون عن كل منها بآثبات الجار فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أي الملك الأعظم ، وأغرق في النفي بقوله : ﴿ من أولياءه ﴾ أي يفعلون ١٠ معهم ما يفعل القريب من تولى المصالح والحماية من المصائب ، ومن لم يقدر على الامتناع وهو 'حى لم يمتنع بعد موته فكأنه قيل : ما ذا يفعل بهم ؟ فقيل : ﴿ يضعف ﴾ أي يفعل فيه فعل من يناظر ١٢ آخر في الزيادة ، وبناه للفعول لأن المرجع وجود المضاعفة مطلقا ١٣ ﴿ لهم العذاب ﴾ [ أي - ٣ ] بما كانوا يضاعفون المعاصي ؛ ثم علل سبب المضاعفة بأنه خلق لهم سمعا ١٥ وبصرا فضيعوهما بتصاتهم عن الحق وتعاميه عنهما ، فكأن لا فرق بينهم وبين فاقدهما فقال : ﴿ ما كانوا ﴾ أي بما لهم من فساد الجبال

- (١-١) في ظ : عليهم (٢-٢) في ظ : من حضرات (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : توالى (٦) في ظ : هي (٧) من ظ ، وفي الأصل : ناظر . (٨) في ظ : مطلقه (٩) من ظ والقرآن الكريم ، وفي الأصل : بما .

﴿ يستطيعون السمع ﴾ أى يقدرّون لما غلب على فطرهم الأولى السليمة  
 بانقيادهم للهوى من التخلق / بنقائص الشهوات على أن توجد طاعته لهم  
 فما كانوا يسمعون ﴿ وما كانوا ﴾ يستطيعون، الإبصار فما كانوا  
 ﴿ يصرون ٥ ﴾ حتى يعرضوا عن الشهوات فتوجد استطاعتهم للسمع  
 ٥ [ والإبصار - ٢ ]، وهو كناية عن عدم قبولهم للحق وأن شدة إعراضهم  
 عنه وصلت إلى حد صارت فيه توصف بعدم الاستطاعة كما يقول الإنسان  
 لما تشد كراهته له: هذا بما لا أستطيع أن أسمع، وتكون المضاعفة  
 بالكفر والصد، ونفى الاستطاعة أعرق<sup>٢</sup> في العيب وأدل على النقص  
 'وأنكأ من نفي السمع لأنهم قد يحملونه على الإجابة، وأما نفي البصر  
 ١٠ فغير منفك عن النقص' سواء كان للعين أو للقلب، هذا إن لم تخرج  
 الآية على الاحتباك، وإن خرجت عليه استوى الأمران، و صار نفي  
 الاستطاعة أولا دالا على نفيها ثانيا، ونفى الإبصار ثانيا يدل على نفي  
 السمع أولا .

ولما ثبت أنهم لا يسمع ولا يصر، ثبت أنهم لا شيء فقال:  
 ١٥ ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء بغضاء ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ أى بتضييع  
 الفطرة الأولى التي [ هى - ٢ ] سهولة الانقياد للخير وصعوبة الانقياد  
 للشر؛ ولما كان العاجز ربما نفعه من كان يخدمه فيكسبه قوة بعد الضعف  
 ونشاطا بعد العجز، نفي ذلك بقوله عائدا إلى نفي النفع من عذرهم أولا،  
 (١) من ظ وفي الأصل: لما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط  
 ما بين الرقين من ظ (٥) في ظ: لم يخرج (٦) في ظ: قبل .

على أحسن وجه : ﴿ و ضل عنهم ما كانوا ﴾ أى كونا جلوا عليه  
فصاروا لا ينفكون عنه ﴿ يفترون ٥ ﴾ أى يتعمدون كذبه بما ادعوا كونهم  
آلهة ، ولا شك أن من خسر نفسه ومن خسرها من أجله بادعاء أنه  
شريك لحالقه ونحو ذلك كان أخسر الناس ، فلذلك قال : ﴿ لا جرم ﴾  
أى لا شك ﴿ انهم ﴾ أى هؤلاء الذين بالغوا فى إنكار الآخرة ﴿ فى الآخرة ٥ ﴾  
ولما كان المقام جديرا بالمبالغة فى وصفهم بالخسارة ، أعاد الضمير فقال :  
﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الا خسرون ٥ ﴾ أى الأكثرون خسرانا من كل  
من يمكن وصفه بالخسران ؛ والإعجاز : الامتناع من المراد بما لا يمكن  
معه إيقاعه ؛ والمضاعفة : الزيادة على المقدار بمثله أو أكثر ؛ والاستطاعة :  
قوة ينطاع بها الجوارح للفعل ؛ وأما ' لا جرم ' فقد اضطرب علماء ١٠  
العربية فى تفسيرها ، قال الرضى فى شرح الحاشية والبرهان السفاقي  
فى إعرابه ما حاصله : والغالب بعد ' لا جرم ' الفتح ، أى فى ' أن ' ، فـ ' لا ' ،  
إما رد الكلام السابق - على ما هو مذهب الخليل - أو زائدة كما فى  
" لا اقسام " لأن فى جرم معنى القسم ، وهى فعل ماض عند سيوبه  
والخليل مركبة مع ' لا ' ، وجعلها سيوبه فعلا بمعنى حق ، فـ ' أن ' ، فاعله ، ١٥  
وقيل : ' جرم ' بمعنى حق ، وهو اسم لا و ' انهم ' خبره ؛ وقال الكسائى  
معناها : لا صد ولا منع ؛ وعن الزجاج أنها غير مركبة ، ولا نقى لما قيل  
من أن لهم أصناما تنفعهم ، وجرم - فعل ماض بمعنى كسب و فاعله  
(١) فى ظه : جدير (٢) من ظ ، وفى الأصل : الاعظم (٣) من ظ ، وفى الأصل :  
بما سن - كذا (٤) فى ظه : تناطح ،

مضمّر معرّبه عن فعلهم ، و 'أنهم' مفعوله ؛ و قال الفراهي : كلمة كانت في الأصل بمعنى لا بد ولا محالة ، لأنه يروى عن العرب 'لا جرم' - يعني بضم ثم سكّون ، و الفعل - يعني هكذا ، و الفعل - يعني محرّكا ، يشتركان في المصادر كالرشد و الرعد و البخل ؛ و الجرم : القطع ، أى لا قطع من هذا كما أنه لا بد بمعنى لا قطع ، فكثرت و جرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم ، فلذلك يحجب بما يحجب به القسم ، فيقال : لا جرم لآتيك ، و لا جرم أنك قائم ، فن فتح فلننظر إلى أصل 'لا جرم' كما نقول : لا بد أن تفعل كذا و أنك تفعل ، أى من أن و من أنك تفعل ، و من كسر فلبعض القسم العارض في 'لا جرم' - انتهى . تفسيره لها بالقطع ١٠ . نظر منه إلى أن مادة 'جرم' بخصوصها دائرة على القطع ، و الأصنع تفسيرها بالظن نظرا إلى ما تدور عليه المادة من حيث هي - بأى ترتيب كان - من جرم [و جر - °] و رجم و ريج و مجر و مرج ، و إنما جعلتها كذلك لأنهم قالوا : جرم النخل : خرصها ، و أجرم النخل أيضا : خرصها ، و رجم - إذا ظن ، و المجر : العقل ، و يلزم الظن اتقاد الذهن و منه جرمة النار ، و الجرم - للأرض / الشديدة الجر ، و يلزم الظن أيضا اجتماع الفكر ، و منه الجرمة للقبيلة و كل ما شاكلها في الجمع ، و منه الجرم بالكسر و هو الجسد فانه بالنظر إلى جميعه ، و الصوت أو جهارته فانه يجمع فيه الحلق لقطعه ، و يلزم الاجتماع أيضا العظمة ، و منه أجرم - إذا عظم ،

(١) في ظ : الرشيد (٢) في ظ : قادم (٣) في ظ : تقول (٤) في ظ : كل .  
(٥) زيد من ظ (٦) في ظ : لتلبية (٧) في ظ : الحلق .



والجبر ' كأمير : مجتمع القوم ، و من الجمع الرياء والعقل ، فينشأ منه الصفاء ، و منه " مارج من نار " أى لا دخان فيه ، و منه أجرم لونه : صفا ، و من الاجتماع المجر - بالتحريك ، و هو أن يملأ بطنه من الماء ولم يرو ، و الكسب ، جرم لأهله - إذا كسب ، و منه الذنب فانه كسب خاص ، و يمكن أن يكون من القطع لأنه يقطع صاحبه عن الخير ، ٥ و يلزم الاجتماع أيضا [ الاستتار - ٢ ] و منه أجمرت الليلة - استتر فيها الهلال ، و المجر لما في بطون الحوامل من الإبل والغنم ، أو يجعل هذا عما يلزم نفس الظن من الخفاء ، و من الاجتماع الضمور ، أجمر الخيل : أضمرها ، و شاة بجمرة : مهزولة ، و يلزم الاجتماع الصلابة و التهام ، و منه حول مجرم كمعظم : تام ، فينشأ الافتراق ، و منه تجرم ٣ الليل : ذهب ، و ابنا ١٠ جبر كأمير : الليل والنهار ، أو يكون ذلك من لوازم القطع كما يأتي ؛ و من الاجتماع الرجم ٤ الذى هو الخليل ١ و النديم ، و يلزم الظن الفصل بين الأشياء ، و منه جرام النخل لصرامها ؛ و الجمرة : الحصاة ٥ ، فيلزم مطلق الرمي فينشأ الرمي بالجمار ، و هى الحجارة فينشأ القتل للرجوم ، و هو يرجع أيضا إلى نفس القطع ، فانه قطع النفس عما كانت عليه ، ١٥ و يلزم الفصل القذف والعيب ؛ و الرماح كسحاب : كعوب الرمح لانفصال بعضها عن بعض ، و الرمح بالفتح و هو إلقاء الطير ذرقه ، و يلزم الظن [ المبالغة فى النظر فتأتى المبالغة فى الكلام والعزيمة ، و منه المرجام للماد

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجمر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الضمار .  
(٤) فى ظ : بجمر (٥) من ظ ، و فى الأصل : الرجم (٦) فى ظ : الخيل (٧) فى ظ : للحصاة .

عنه في السير من الإبل ، وأجر: أسرع في السير ، وقد يلزم الظن - <sup>١</sup> ]  
 الحيرة ، ومنه <sup>٢</sup> حديث مرجم كعظم: لا يوقف على حقيقته ، فيلزم  
 حيثئذ الذنب و الفساد والقلق والاضطراب ، ومنه أمرج العهد: لم يف  
 به ، أى جعله مارجا مزلزلا ، وعلى الاضطراب تدور مادة 'مرج'  
 ٥ بخصوص هذا الترتيب ، <sup>٣</sup> أو الترميج: إفساد سطور بعد كتبها ، ويلزم  
 الظن الاختلاط ، ومنه الجرم للون لأنه لا يخلو عن شوب ، وأجرم الدم  
 به: لصق ، والإجرام: متاع الراعى ، أو هى من الكسب ، والجرام  
 كزمان: السمك ؛ والمرج: موضع الرعى ، وقد علم من هذا أن جميع  
 تصاريف المادة تدور على الاضطراب <sup>٤</sup> وهو بين في غير العقل ، وأما فيه  
 ١٠ فإنه يقدر العقل بكون اضطراب الرأى لأن العاقل كلما أنعم النظر  
 انفتح له ما كان مغلقا فيعدل إليه ، فإذا ظهر هذا ظهر أن معنى "لا جرم"  
 أنهم لا ظن ولا اضطراب في أنهم ، ويكون نفي الظن في مثل هذا  
 السياق نفيا لجميع ما يقابله إلا العلم الذى هو بمعنى القطع كما إذا قيل:  
 لا شك في كذا ولا ريب ، فاتضح أن تفسيرهم لها بـ 'حقا' <sup>٥</sup> تفسير معنى  
 ١٥ لمجموع <sup>٦</sup> الكلمتين لأنه إذا نفى في مثل هذا السياق الظن ثبت اليقين والقطع ،  
 وإليه يرجع تفسير سيبويه بلا حق لأنه يريد - والله أعلم - أن لا صلة ،  
 وموضوعها في الأصل النفي <sup>٧</sup> ، فهى نافية <sup>٨</sup> لصد ما دخلت عليه ، فكأنه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: فيه (٣-٣) تأخر ما بين الرقيين في  
 ظ عن «مارجا مزلزلا» (٤) فى ظ: امعن (٥) فى ظ: النفي (٦) من ظ ، وفى  
 الأصل: بحق (٧) من ظ ، وفى الأصل: مجموع (٨) فى ظ: النفي (٩) من ظ ،  
 وفى الأصل: باقية .

قيل: حق و ثبت أنهم كذا و اتنى كل ما يضاذه، فهذا وجه كونها صلة مؤكدة، و قريب من ذلك ما قيل في 'إنما' نحو 'إنما زيد قائم'، أى أن زيدا قائم، ما هو إلا كذلك، فقد بان أن 'أن' النافية مثل ذلك مؤكد - والله<sup>٢</sup> الموفق .

ولما توعد الكافرين و أخبر عن مآلهم بسية، كان موضع أن ه يسأل عن حال المؤمنين فقال: ﴿ان الذين آمنوا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿و عملوا الصالحات﴾ و لما كان حاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الأعمال السيئة الإعراض عن ربهم و النفرة عن<sup>٣</sup> المحسن إليهم جلالة و غلظة، وصف المؤمنين بالإقبال / عليه و الطمأنينة إليه فقال: ﴿واختبأ﴾ أى خشعوا متوجهين منقطعين ﴿الى ربهم﴾<sup>٤</sup> ١٠ أى المحسن إليهم فشكروه فوقهم لاستطاعة السمع و الإبصار .

و لما ذكر وصفهم ذكر جزاءهم [عليه -<sup>٥</sup>] بقوله: ﴿اولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿اصحب الجنة﴾ و لما كانوا محتصين بها أو بالخلود من أول الأمر، أعاد الضمير فقال: ﴿هم فيها﴾ أى خاصة لا فى غيرها ﴿خلدون﴾ .

١٥

ولما استوفى أوصاف الحزين و جزاءهم، ضرب لكل مثلاً بقوله: ﴿مثل الفريقين﴾ أى الكافرين و المؤمنين، و هو من باب [اللف -<sup>٦</sup>]

(١-١) فى ظ: النافى فى (٢) زيد بعده فى الأصل: اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٣) من ظ، و فى الأصل: من (٤) زيد من ظ (٥) زيد فى الأصل: ثم، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .

والنشر المرتب، فان الكافر ذكر فيما قبل أولا ﴿ كالاعمى ﴾ أى العام العمى فى بصره و بصيرته ﴿ والاصم ﴾ فى سمعه كذلك، فهذا للكافرين ﴿ والبصير ﴾ بعينه و قلبه ﴿ والسميع ﴾ على آتم أحوالها، وهذا للمؤمنين، وفى أفراد المثل طباق أيضا ﴿ هل يستويين ﴾ أى الفريقان<sup>٢</sup> ﴿ مثلا ﴾ أى من جهة المثل . ولما كان الجواب قطعاً لمن له أدنى تأمل: لا يستويان مثلاً فلا يستويان بمثلاً، حسن تسبب الإنكار عنه فى قوله: ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى يحصل لكم<sup>٣</sup> أدنى تذكر بما أشار إليه الإدغام فتعلموا صدق ما وصفوا به بما ترونه من أحوالهم، وذلك ما قدم فى حق الكفار من قوله ” ما كانوا يستطيعون السمع “-

١٠ الآية؛ والإخبارات: الخشوع المستمر على استواء فيه . وأصله الاستواء من الخبت، وهو الأرض المستوية الواسعة، ولعله وصله بالى فى موضع اللام؛ إشارة إلى الإخلاص أى إخبارات ينتهى إلى ربهم من غير أن يحجب عنه؛ والمثل: قول سائر يشبه فيه حال الثانى بحال الأول، والأمثال لا تغير<sup>٤</sup> عن صورتها .

١٥ ولما تم ذلك على أوضح المسالك، وختم بالحث على<sup>٥</sup> التذكر، وكان تقديم<sup>٦</sup> ذكر كتاب موسى محرراً لتوقع ذكر نبأه و نبأ غيره من الرسل، عطف - مقروناً بحرف التوقع على العامل الذى قدرته فى قوله ” الا تعبدوا

(١) من ظ، وفى الأصل: لف و نشر مرتب (٢) فى ظ: الفريقين .  
(٣) من ظ، وفى الأصل: منكم (٤) فى ظ: اللازم (٥) من ظ، وفى الأصل: لا يغير (٦) من ظ، وفى الأصل: عين (٧) فى ظ: تقدير (٨) فى ظ: لا .

الا الله“ أو على قوله ”انما انت نذير“ وهو أحسن وأقرب - قوله :  
 ﴿ولقد ارسلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿نوحا الى قومه﴾ أى الذين هم  
 على لسانه ؛ وما بعد ذلك من القصص تقريراً لمضمون هذا المثل وتثبيتاً  
 وتسلياً وتأيداً وتعزية لهذا النبي الكريم لئلا يضيق صدره بشيء مما  
 أمر ببلاغه حرصاً على إيمان أحد وإن كان أقرب الخلائق إليه وأعزم هـ  
 عليه كما تقدمت الإشارة إليه فى قوله تعالى ” فلا يكن فى صدرك  
 حرج منه“ وقوله ” وضائق به صدرك“ ويأتى فى قوله ” وكلا  
 قصص عليك من انبؤى الرسل ما ثبت به فؤادك“ فوضح أن هذه  
 القصص لهذا المعنى سيقّت ، وأن سياقها فى الاعراف وغيرها كان  
 لغبر ذلك كما تقدم وأن تضمن هذا الغرض بيان إهلاك من كانوا ١٠  
 أشد من العرب قوة وأكثر جمعا وأمكن أمرا وأقوى عنادا وأعظم  
 فسادا وأحد شوكة وما اتفق فى ديارهم من الطامات والأهوال المفضعات  
 تحذيرا من مثل حالهم بارتكاب أفعالهم ، ففرق بين ما يساق للشئ وما يلزم  
 منه الشئ ، ولهذا الغرض المقصود هنا طولت قصة نوح فى هذه السورة  
 ما لم يطوله<sup>٢</sup> فى غيرها ، وضدت بقوله : ﴿انى﴾ أى قائلا على قراءة ١٥  
 الجمهور بالكسر ، والتقدير عند ابن كثير وأبى عمرو والكسائى : ملتبسا  
 بآنى ﴿لكم﴾ أى خاصة ﴿نذير مبين﴾ أى مخوف ببلغ التحذير ،  
 أين ما أرسلت به غاية البيان ، وذكر فيها أنه طالت مجادته لهم وأنه  
 لما وضع له أمر الله تعوذ من السؤال فيه وفى كل ما يشبهه ، وخللت

(١) فى ظ : مادتهم (٢) فى ظ : تطوله (٣) سقط من ظ .

قصته بقوله " ام يقولون افتره " خطابا لهذا النبي الكريم وختمت بقوله " فاصبر ان العاقبة للتقين " و ذكرت قصة إبراهيم عليه السلام لما ضمته<sup>٢</sup> من أنه بشر<sup>٣</sup> الولد بما لم يجر بمثله<sup>٤</sup> عادة فلم يتردد فيه ، وأنه جادل<sup>٥</sup> / الرسل في قوم<sup>٦</sup> ابن أخيه لوط ، وأنه لما تحقق حتم الامر وبت الحكم سلم لربه مع كونه حليما أو اها<sup>٧</sup> منيا إلى غير ذلك مما يؤمى إليه<sup>٨</sup> في سياق القصص ، فكأنه قيل : إنما أنت نذير أرسلناك لتبلغ ما أرسلت به من الإنذار وإن شق عليهم وعزتنا<sup>٩</sup> لقد أرسلنا من قبلك رسلا منذرين فدعوا إلى ما أمرت<sup>١٠</sup> بالدعوة إليه وأنذروهم ما يشق عليهم من بأسنا امتثالا لأمرنا وما تركوا شيئا منه خوفا من إعراض ولا رجاء في إقبال على أن أهمهم قالوا لهم ما قالت لك أمتك كما<sup>١١</sup> بشير إليه قوله تعالى عن نوح " ولا أقول لكم عندى خزائن الله - الآية ، وقد كان في المخالفين من أهمهم القريب منهم نسبه والعزيز عليهم أمره من ابن وصاحبة وغيرهما ، هذا مع أن قصصهم دليل على قوله تعالى " الا يوم يأتهم ليس مصروفا عنهم " وزجر لهم عن مثل قولهم<sup>١٢</sup> " ما يحبس " وتأيد لقوله " ومن قبله كتب موسى اماما ورحمة " - وغير ذلك مما تقدم ، فقد علم من هذا الوجه في تكرير هذه القصص ، وأنه في كل سورة لمقصد يخالف المقصد في غيرها وإن كان يستفاد من

(١) في ظ : القرآن (٢) في ظ : تضمنته (٣) من ظ ، وفي الأصل : سر (٤) من ظ ، وفي الأصل : به مثله (٥) في ظ : حاول (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : أو ابا (٨) من ظ ، وفي الأصل : وعدتنا (٩) من ظ ، وفي الأصل : ابرت . (١٠) من ظ ، وفي الأصل : لما .

ذلك فوائد أخر: منها إظهار القدرة في بيان الإعجاز بتصريف المعنى في الوجوه المختلفة لما في ذلك من علو الطبقة في البلاغة لأنه ربما قال متعنت عند التحدى: قد استوفى اللفظ البليغ على الأسلوب الأكمل البديع في<sup>١</sup> هذه القصص فلم تبق لنا ألفاظ نعبر بها عن هذه<sup>٢</sup> المعاني حتى تأتي بمثل هذه القصة؛ فأتى بها ثانياً إظهاراً<sup>٣</sup> لعجزه وقطعا لحجته، هـ وربما كررت ثالثا ورابعا تأكيدا لذلك وتمكينا للاعتبار بضروب البيان وتصيرا للنبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه حالا فخالا، فان قيل: فما بالها تأتي تارة في غاية البسط وتارة في غاية الإعجاز وتارة على الوسط؟ قيل: هذا من أعلى درجات البلاغة وأجل مراتب الفصاحة والبراعة، فان قيل: فانا نرى القصة تبسط في بعض السور ١٠ غاية البسط ثم توجز في غيرها غاية الإعجاز ويؤتى فيها بما لم يؤت في المبسوطة كما في العنكبوت فانه<sup>٤</sup> عين فيها مقدار لبثه وأنه كان ألف سنة إلا خمسين عاما، فلم لا استوعبت جميع المعاني في الموضع المبسوط كما هو الأليق بمقام البسط لاسيما لمن لا يخفى عليه شيء ولا ينسى، وإذا وقع حذف<sup>٥</sup> كان في الموجزة، قيل: قال شيخنا حافظ العصر أبو الفضل ١٥ ابن حجر: إن الإمام أبا حاتم ابن حبان البستي ذكر في كتابه التقاسيم والأنواع: إنما<sup>٦</sup> لم يرتبه ليحفظ إذ لورثته ترتيبا سهلا لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يتحفظه، وإذا وع<sup>٧</sup> طريق الكشف

(١) في ظ «و» (٢) في ظ: هذا (٣) من ظ، وفي الأصل: اظهار (٤) في ظ: يوت (٥) في ظ: فان (٦) في ظ: حدث (٧) في ظ: انه لا (٨) في ظ: اوعر.

كان أدعى إلى حفظه ليكون على ذكر من جميعه، وذكر<sup>١</sup> أنه فعل ذلك اقتداء بالكتاب العزيز فانه ربما أتى بالقصص غير مرتبة، قال شيخنا: ومن هنا يظهر أن من أسرار تخصيص بعض الموجزات بما ليس في المبسوط الحث على حفظ الجميع - انتهى . وهذه فوائد<sup>٢</sup> ينبغي إهمالها بل تستعمل حيث أمكن، والعمدة في المناسبة الوجه الأول وهو<sup>٣</sup> أنها في كل سورة لمناسبة تخص تلك السورة، ثم يراعى في البسط وغيره المعاني المناسبة للقصد الذي سبقت له القصة - والله الموفق . واللام في 'لقد' للقسم: قال الإمام أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى: لأنها تدخل على الفعل والحرف<sup>٤</sup> الذي يختص بالفعل<sup>٥</sup> بما يصح معناه ١٠. ولام الابتداء للاسم خاصة، ومعنى 'قد' توقع الخبر للتقريب

/ ٦٣٤

من الحال، يقال: قد ركب الأمير - لقوم يتوقعون ركوبه / فعلى هذا القول جرى "و لقد ارسلنا" والإبانة: إظهار المعنى للنفس بما يمكن إدراكه، وأصله القطع، فالإبانة قطع المعنى من غيره يظهر في نفسه - انتهى . والمقصود من الرسالة قوله سبحانه: ﴿ان﴾ أى نذير<sup>٦</sup> لأجل ١٥ أن ﴿لا تعبدوا﴾ أى شيئاً أصلاً ﴿الا الله﴾ أى الملك الأعظم - و [معنى النذارة -<sup>٧</sup>] قوله: ﴿انى اخاف عليكم﴾ وعظم العذاب المحذر<sup>٨</sup> منه بقوله: ﴿عذاب يوم اليم﴾ وإذا كان اليوم مؤلماً فما الظن بما فيه من العذاب! فهو إسناد<sup>٩</sup> مجازى مثل نهاره صائم، ولم يذكر بشارة

(١) في ظ: ذلك (٢) في ظ: همى (٣) سقط من ظ (٤) زيد في ظ: لم (٥) من ظ، وفي الأصل: يريد (٦) زيد من ظ (٧) في ظ: المحذور (٨) من ظ، وفي الأصل: استناد .



كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " اننى لكم [ منه - ١ ] نذير  
و بشير " إرشادا إلى ما سبقت له القصة من تقرير معنى " انما انت  
نذير " ولذلك صرح بالآلم بخلاف الاعراف ، و كذا ما أمر به النبي  
صلى الله عليه وسلم أول هذه من عذاب يوم كبير . وهما متقاربان ؛ ثم  
ساق سبحانه جواب قومه على وجه هو في غاية التسلية و المناسبة للسياق ه  
بقوله : ﴿ فقال ﴾ أى فتسبب عن هذا النصيح العظيم أن قال ؛ ٢ و لما  
كان هذا بعد أن تبعه بعضهم قال : ﴿ الملا ﴾ و بين أن الجدل مع الضلال  
بعد أن بين ؛ أنهم هم الاشراف زيادة في التسلية بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾  
و بين أنهم أقارب أعزة بقوله : ﴿ من قومه ﴾ أى الذين هم في غاية القوة  
لما يريدون محاولة القيام به ﴿ ما نراك ﴾ أى شيئا من الأشياء ﴿ الا بشرا ﴾ ١٠  
أى آدميا ﴿ مثلنا ﴾ أى في مطلق البشرية ، لست بملك تصلح \* لما لا تصلح  
له من الرسالة . و هذا قول البراهمة ، و هو منع نبوة البشر على الإطلاق ،  
و هو قول من يحسد على فضل الله و يعنى عن جلي حكمته فيمنع أن  
يكون النبي بشرا و يجعل الإله حجرا .

و لما كانت العظمة عندهم منحصرة ٦ في عظمة الاتباع قالوا : ١٥  
﴿ و ما نراك ﴾ و لما نفوا الرؤية عنه فتشوف السامع إلى ما يقع عليه  
من المعاني ؛ يتوأن أن مرادهم رؤية من اتبعه فقالوا : ﴿ اتبعك ﴾ أى  
(١) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١١ آية ٢ (٢) سقط من ظ (٣-٢) من ظ ،  
و فى الأصل : مهلا - كذا (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : بقواه يعنى .  
(٥-٥) فى الأصل : لا تصلح ، و فى ظ : يصلح - كذا (٦) من ظ ه و فى  
الأصل : منحصرة ١

تكلف اتباعك ﴿الا الذين هم﴾ أى خاصة ﴿اراذلنا﴾ أى كالحائك ونحوه، وليس منارذل<sup>١</sup> غيرهم، وهو جمع أرذل<sup>٢</sup> كأكلب جمع رذل<sup>٣</sup> ككلب، والرذل: الخسيس الدنى، وهذا ينتج أنه لم يتبعك أحده قدر؛ قالوا: و'اتبعك' عامل فى قوله: ﴿بأدى الراى﴾ وهو ظرف أى اتبعوك بديهية من غير تأمل، فاتباعهم لا يدل على سداد لما اتبعوه من وجهين: ٥ رذالهم فى أنفسهم، وأنهم لم يفكروا<sup>٤</sup> فيه، لكن يضعفه إيراد الاتباع بصيغة الافعال التى تدل على علاج ومجاذبة، فالأحسن إسناده - كما قالوه<sup>٥</sup> أيضا - إلى أراذل. أى أنهم بحيث لا يتوقف ناظرهم عند أول وقوع بصره عليهم أنهم سفلة أسقاط، ويجوز أن يكون المراد 'بأدى' ١٠ رأيك<sup>٦</sup> أى أنك تظن أنهم اتبعوك. ولم يتبعوك.

ولما كانوا لا يعظمون إلا بالتوسع فى الدنيا، قالوا: ﴿وما نرى لكم﴾ أى لك ولمن تبعك ﴿علينا﴾ وأعرفوا فى النقي بقولهم<sup>٧</sup>: ﴿من فضل﴾ أى فى شرف ولا مال، وهذا - مع ما مضى من قولهم - قول من يعرف الحق بالرجال ولا يعرف الرجال بالحق، وذلك أنه يستدل على كون الشيء ١٥ حقا بعظمة متبعه فى الدنيا، وعلى كونه باطلا بحقارته فيها. و مجموع قولهم يدل على أنهم يريدون: لو صح كون النبوة فى البشر لكانت<sup>٨</sup> فى واحد ممن أقروا له بالعلو فى الأرض، وعمل "اتبعك" فى "بأدى"<sup>٩</sup> بمنعه تسمى

(١) من ظ، وفى الأصل: رمل - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ. (٣) فى ظ: لم يكفروا (٤) فى ظ: قالوا (٥) من ظ، وفى الأصل: ان (٦) فى ظ: بقوله (٧) من ظ، وفى الأصل: لكان (٨) من ظ، وفى الأصل: دل.

الاتباع على الإيمان، فاتفق الطعن بعدم التأمل ﴿ بل نظنكم كذابين ﴾ .  
 أى لكم هذا الوصف لازماً دائماً لأنكم لم تتصفوا بما جعلناه مظنة  
 الاتباع مما يوجب العظمة في القلوب و الانقياد للنفوس بالتقدم في الدنيا  
 بالمال والجاه؛ فكان 'داهم بطر' الحق و غمط' الناس، و هو احتقارهم،

٦٣٥ /

٢ وهذا قد سرى إلى أكثر أهل الإسلام، فصاروا لا يعظمون  
 إلا بذلك، و هو أجهل الجهل لأن الرسل أتت للترهيد في الدنيا و انظر  
 إلى رضاهم لأنفسهم بالعدول عن البيئة إلى اتباع الظن ما أرواه! وهذا  
 أفضح مما حكى هنا من قول قريش " لو لا انزل عليه كنز او جاء معه  
 ملك " و أبشع؛ و البشر: الإنسان لظهور بشرته أى ظاهر جلده لأن  
 الغالب على غيره من الحيوان سترها بالصوف أو الشعر أو الوبر أو الريش؛ ١٠  
 و المثل: الساد مسد غيره في الحس بمعنى أنه لو ظهر للشاهدة لسد مسده؛  
 ٨ و الرذل: الحقير بما عليه من صفات النقص و جمعه؛ و الفضل: الزيادة  
 من الخير، و الإفضال: مضاعفة الخير التي توجب الشكر .

ولما كان ختام جوابهم أشده، بدأ في جوابه برده مبينا لضلالتهم  
 مغضيا عن شناعاتهم شفقة عليهم و محبة لنجاتهم، فقال تعالى ١٥

(١-١) من ظ، و في الأصل: دلم ينظر (٢) من ظ، و في الأصل: غيظ .  
 (٣-٣) تأخر في الأصل عن « بذلك و هو » و الترتيب من ظ (٤) من ظ، و في  
 الأصل: اكبر (٥) في ظ: اتوا (٦) آية ١٢ (٧) من ظ، و في الأصل: بشرها .  
 (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) زيد بعده في ظ: الافضال (١٠) في ظ:  
 اضلالتهم .

حكاية عنه : ﴿ قال يقوم ﴾ وشرع يكرر هذه اللفظة كل قليل تذكيرا لهم  
أنه منهم لتعطفهم الأرحام وتردحم القربات عن حسده أو اتهامه إلى قبول  
ما يلقي إليهم من الكلام ، وأشار بأداة البعد - مع قربهم - إلى مبادعتهم  
فيما يقتضى غاية القرب ﴿ اريدتم ﴾ أى أخبروني ﴿ ان كنت ﴾ على  
سبيل الفرض منكم والتقدير ﴿ على بينة ﴾ أى برهان ساطع ، وزاد  
ترغيبا فيه بقوله : ﴿ من ربى ﴾ أى الذى أوجدنى و أحسن إلى بالرسالة  
و غيرها يشهد بصحة دعواى [ شهادة - ٢ ] لا يتطرق إليها عند المنصف  
شبهة فكيف بالظن ! ﴿ و اتنى ﴾ فضلا منه على لا لمعنى فى أزيد عليكم به .  
بل ﴿ رحمة ﴾ أى إكراما بالرسالة بعد النبوة ، و عظمها بقوله : ﴿ من عنده ﴾  
١٠ فيها فضل عظيم النور واضح الظهور .

و لما كانت البينة من الرحمة . وحد الضمير فقال : ﴿ فعميت ﴾ أى  
قتسب عن تخصيصى بها أن أضلت و وقع ظلامها ﴿ عليكم ﴾ أى فعميت  
أتم عنها لضعف عقولكم و لم يقع عليكم شيء من نورها . و ذلك أن الدليل  
إذا كان أعشى عاد ضرره على التابع بالحيرة والضلال ، و هو معنى قراءة  
١٥ حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم بالبناء للفعول مشددة ﴿ انلزمكوها ﴾  
وقوله - : ﴿ و اتم لها كرهون ﴾ مع تسميته لها بينة - إشارة إلى أنها  
لم تعم و لا خفيت عليهم لقوة نورها و شدة ظهورها ، وإنما هم معاندون  
فى تفهيم لفضله و فضل من تبعه ، و التعبير عن ذلك بالجملة الاسمية

(١) من ظ ، و فى الأصل : دعوى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : الرحمة .

(٤) سقط من ظ .

واسم الفاعل إشارة إلى أن أفعالهم أفعال من كراهته لها ثابته مستحكمة ،  
وكأنه لم يكن مأمورا بالقتال كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في أول  
الأمر، والآية ناظرة إلى قوله تعالى " أفانت تكره الناس حتى يكونوا  
مؤمنين "١" ويحوز أن يكون ذلك كناية عن أنهم معاندون مع قطع  
النظر عن الجهاد ، غيره فان الأنبياء عليهم السلام مأمورون بالمجادلة ه  
للمعاندين إلى أن يلزمهم الحجة ، وهي لا تفيد إلا الإلزام في الظاهر مع  
الإنكار والكراهة في الباطن ، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة للكاملين ،  
و بالموعظة و الخطابة للناقضين الذين لا يعاندون و يحسنون الظن في الداعي ،  
فيكون المعنى أن البينة لم تنفعكم لشكاسة و اعوجاج في طباعكم ،  
فلم يبق إلا الموعظة وهي لا تفيد [ إلا - ٢ ] مع حسن الظن ، وأما مع ١٠  
الكراهة فلا ينفعكم النصح ، فلا فائدة في المجادلة إلا الإلزام ، وهو مع  
الكراهة غير نافع لكم .

ولما كان نفي ذلك عاما للفضل الديني ، وكان الاتصاف بقلة  
ما في اليد إنما يكون ضارا إذا كان صاحبه يسأل غيره ، نفي عنه هذا  
اللازم العائب فقال مجيبا عن نفيهم الفضل عنه وعن اتباعه بأنه قد يريد منهم ١٥  
على ذلك ثوابا دنيويا : ﴿ وَيَقُوم ﴾ استعطافا لهم ﴿ لَا اسْتَلْكُم ﴾  
أى في وقت / من \* الأوقات ﴿ عليه ﴾ أى الإنذار كما يأخذ منكم من  
ينذرکم أمر من يريد منكم من ينذرکم أمر من يريد بكم بعض ما تكرهون  
(١) سورة ١٠ آية ٩٩ (٢) في ظ : فتكون (٣) من ظ ، وفي الأصل : لم ينفعكم .  
(٤) زيد من ظ (٥) في ظ : في .

في أمور دنياكم حتى تكون عاقبة ذلك أن تهمنى ﴿مالا<sup>١</sup> ان﴾ أى  
 ما ﴿اجرى الا على الله﴾ أى الذى له الجلال والإكرام فيده الخزان  
 كلها، ونبه بهذا على أنه لا غرض له من عرض دنيوى ينفر<sup>٢</sup> المدعو  
 عنه فوجب تصديقه، وفيه تلقين للجواب عن قول قريش: لو لا ألقى  
 ٥ إليه<sup>٣</sup> كنز- كما سيأتى بأبين من ذلك عقب قصة يوسف عليه السلام  
 فى قوله "وما تسألهم<sup>٤</sup> عليه من اجر" لأن هذه القصص كالشئ الواحد  
 متتابعة فى بيان حقيقة هذا القرآن والتأسية فى الاقتداء بالرسول فى الصبر  
 على أداء جميع الرسالة مع ما يلزم ذلك من جليل العبر وبديع الحكم.  
 فلما اتحد الغرض منها مع تواليها اتحدت متفرقاتها.

١٠ ولما كان التعبير برذالة المتبع مما ينفر أهل الدنيا عن ذلك التابع،  
 بين لهم أن شأنه غير شأنهم وأنه رفيق على من آمن به رفيق به رحيم  
 له وإن كان متأخرا فى الدنيا محروما منها خوفا من الله الذى اتبعوه  
 فيه فقال: ﴿وما أنا﴾ وأغرق فى النفي بقوله: ﴿بطارد الذين امنوا<sup>٥</sup>﴾  
 أى أقروا بالسنتهم بالإيمان؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم  
 ١٥ ﴿انهم ملقوا بهم﴾ أى المحسن إليهم بعد إيجادهم وتريتهم لهديتهم<sup>٦</sup>،  
 فلو طردتهم لشكونى إليه فلا أرى لكم وجها فى الإشارة إلى طردهم ولا فى  
 شئ مما أحبتمنى<sup>٧</sup> به ﴿ولكنى ارسكم﴾ أى أعلمكم علما هو كالرؤية  
 ﴿قوما تجهلون<sup>٨</sup>﴾ [أى - ٧] تفعلون أفعال أهل الجهل فتكذبون

(١) من ظ ، و موضعه بياض فى الأصل (٢) فى ظ : عليه (٣) سقط من ظ .

(٤) فى ظ : الذين (٥) فى ظ : بهديتهم (٦) فى ظ : احبتمنى (٧) زيد من ظ .

الصادق و تعيرون المؤمنين بما لا يعينهم<sup>١</sup> و تنسون لقاء الله و توقعون  
 الأشياء في غير مواقعها، و في تعبيره بـ "تجهلون" دون "جاهلين" إشارة  
 إلى<sup>٢</sup> أن الجهل متجدد لهم و هو غير عادتهم استعطافا لهم إلى الحلم،  
 ثم عطف إلى صريح الاستعطاف في سياق محذر من سطوات الله فقال:  
 ﴿وَيَقُومُ﴾ أي الذين هم أعز الناس على ﴿من ينصرتني من الله﴾ أي هـ  
 الذي له جميع العظمة ﴿ان طردتهم﴾ و لو لم يشكوني إليه لاطلاعه على  
 مآدق و جل؛ و لما تم الجواب عن ازدرائهم، سبب عنه الإنكار لعدم  
 تذكرهم ما قاله لهم بما يجدونه في أنفسهم فقال: ﴿افلا تذكرون﴾ أي  
 و لو أدنى تذكر - بما يشير إليه الإدغام - فتعلموا أن من طرد صديقا لكم  
 عاديتهم و قسدموه بالآذى فترجعوا عما طرأ لكم من جهل إلى عادتكم ١٠  
 من الحلم الباعث على التأمل الموقف على الحق؛ و الطرد: إبعاد الشيء  
 على جهة الهوان؛ و القوم: الجماعة الذين يقومون<sup>٣</sup> بالأمر، اسم جمع  
 لا واحد له من لفظه؛ و التذكير: طلب معنى قد كان حاضرا للنفس،  
 و التفكير طلبه و إن لم يكن حاضرا.

و لما كان نقيهم للفضل شاملا للأموال<sup>٤</sup> و علم الغيب، أقرهم على ١٥  
 ذلك منبها على خطائهم فيه بأنه لم يقل بينهم قط ما يكون سيالا، فقال  
 عاطفا على قوله "لا استلکم علیہ اجرا": ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ أي في وقت  
 من الأوقات ﴿عندي خزائن الله﴾ أي الملك الأعظم فأنفضل عليكم بها؛

(١) في ظ: لا يعينهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم.

(٤) في ظ: يقيمون (هـ) من ظ، و في الأصل: بالاموال.

ولما كان من الجائز أن يمكن الله من يشاء من خزائن الأرزاق ونحوها  
 فيسوغ له أن يطلق ملك ذلك مجازا ، ولا يجوز أن يمكنه من علم  
 الغيب ، وهو ما غاب عن الخلق كلهم ، لأنه خاصته سبحانه ، قال عاطفا  
 على "اقول" لا على المقول : ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ لا حقيقة ولا مجازا  
 ٥ فاعلم<sup>١</sup> وقت ما توعدون به أو ما<sup>٢</sup> في قلوب المؤمنين بما<sup>٣</sup> قد يتوهم<sup>٤</sup> به من  
 السوء ، وأعلمهم أنه لا مانع من إرسال البشر بقوله : ﴿وَلَا أَقُولُ أَنِي مُلْكُ﴾  
 فتكون قوتي أفضل من قوتكم أو خلقي أعظم قدرا من خلقكم ونحو  
 ذلك<sup>٥</sup> من الفضل الصوري الذي جعلتموه هو الفضل ، فلا / تكون<sup>٦</sup>  
 الآية دليلا على أفضلية الملائكة . و تقدم في الانعام سر إسقاطه<sup>٧</sup> لكم<sup>٨</sup>.

/ ٦٣٧

١٠ ولما كان تعريضهم بنى الملكية<sup>٩</sup> عنه من باب الإزراء ، أتبعه تأكيد  
 بقوله لمن آمن كائنا من كان وإن ازدروه بقوله : ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ﴾  
 أى لأجل الذين ﴿تزدري﴾ أى تحتقر<sup>١٠</sup> ﴿اعينكم﴾ أى تقصرون به  
 عن الفضل عند نظركم له و تعيونه<sup>١١</sup> ﴿لن يؤتيهم الله﴾ أى الذى له  
 الكمال كله ﴿خييرا<sup>١٢</sup>﴾ ولما كان كأنه قيل : ما لك لا تقول ذلك ؟ أجاب  
 ١٥ بما تقديره : لأنى لا أعلم ضمائرهم ولا أحكم إلا على الظاهر : ﴿الله﴾ أى  
 المحيط بكل شيء ﴿اعلم﴾ أى حتى منهم<sup>١٣</sup> ﴿بما فى أنفسهم﴾ ومن  
 المعلوم أنه لا يظلم أحدا<sup>١٤</sup> ، فن كان فى نفسه خيرا<sup>١٥</sup> جازاه عليه ، ويجوز

(١) من ظ ، وفى الأصل : علم (٢) فى ظ : اما (٣-٢) فى ظ : قدزتموهم (٤) سقط  
 من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : فلا يكون (٦) فى ظ : الملائكة (٧) فى ظ :  
 تستصغر (٨) من ظ ، وفى الأصل : تعيونه (٩) فى ظ : منى (١٠) من ظ ، وفى  
 الأصل : احد (١١) من ظ ، وفى الأصل : خيرا .



أن يكون هذا راجعا إلى "بأدى الراى" بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم  
 كما تقدم ؛ [ ثم علل كفه عن ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم ظله على  
 ذلك التقدير - ] : ﴿ اى - اذا ﴾ أى إذا قلت لهم ذلك ﴿ لمن الظالمين ﴾  
 أى المريقين فى وضع<sup>٢</sup> الشئ فى غير موضعه ؛ والحزان : أخيه  
 المتاع الفاخرة<sup>٣</sup> ، [ وخزان الله مقدراته لأنه يوجد منها ما يشاء<sup>٤</sup> ،  
 وفى وصفها بذلك بلاغة - ]<sup>١</sup> ؛ والغيب : ذهاب الشئ عن  
 الإدراك ، ومنه الشاهد خلاف الغائب<sup>٥</sup> ، وإذا قيل : علم غيب .  
 كان معناه : علم من غير تعليم ؛ والازدراء : الاحتقار ، وهو افتعال  
 من الزراية ، زريت عليه - إذا عبته ، وأزريت عليه - إذا قصرت به ؛  
 والملك أصله مآلك من الآلوكه وهى الرسالة .

فلما استوفى نقض<sup>٦</sup> ما أبرموه فى زعمهم من جوابهم على غاية الإنصاف  
 واللين والاستعطاف ، استأنف الحكاية عنهم بقوله : ﴿ قالوا ﴾ [ أى - ]  
 قول<sup>٧</sup> من لم يجد فى رده شبهة يديها ولا مدفعا يغير به : ﴿ ينوح<sup>٨</sup> قد جادلنا ﴾  
 أى أردت قتلنا وصرفنا عن آرائنا بالحجاج<sup>٩</sup> ، وأردنا صرفك عن رأيك  
 بمثل ذلك ﴿ فأكثرت ﴾ أى فتسبب عن<sup>١٠</sup> ذلك [ وعن تضجرنا - ]<sup>١١</sup>  
 أنك أكثرت ﴿ جدالنا ﴾ أى كلامنا على صورة الجدل ﴿ فاتنا ﴾  
 أى فتسبب عن ذلك [ وعن - ]<sup>١٢</sup> تضجرنا أنا نقول لك<sup>١٣</sup> : لم يصح<sup>١٤</sup>

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : وصف (٣) فى ظ : الفاخر (٤) فى ظ : الغيب .  
 (٥) من ظ ، وفى الأصل : بعض (٦) من ظ ، وفى الأصل : قوله (٧) سقط  
 من ظ (٨) فى ظ : بالنجاح (٩) من ظ ، وفى الأصل : من (١٠) من ظ ، وفى  
 الأصل : لسم (١١) فى ظ : لم تصح .

عندنا دعواك ، اثنتا ﴿ بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا  
هو جلة لك ﴿ من الصديقين ٥ ﴾ أى العريقين [ فى الصدق فى أنه يأتينا - ١ ]  
فصرحوا<sup>١</sup> بالعناد المبعد من الإنصاف و الاتصاف بالسداد و سموه باسمه  
و لم يسمحوا بأن يقولوا له : يا ابن عمنا ، مرة واحدة كما كرر لهم : يا قوم ،  
ه فكان<sup>٢</sup> المعنى أنا غير قابلين لشيء مما تقول وإن أكثرت و أطلت - بغير حجة  
منهم بل عنادا و كبرا - فلا تتعب ، بل قصر الامر بما تتوعدنا به ،  
و سموه وعدا سخريه به ، أى أن هذا الذى جعلته وعيدا هو عندنا وعد  
حسن سار باعتبار أننا نحب حلوله . المعنى أنك لست قادرا على ذلك و لا  
أنت صادق فيه ، فإن كان حقا فاتتنا به ، فكأنه قيل : ماذا قال لهم ؟ فقيل :  
١٠ ﴿ قال ﴾ جريا على سنن قوله ” ولا اقول لكم عندى خزن الله و لا اعلم  
الغيب “ : ﴿ انما ياتىكم به الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء فتبرا من  
الحول و القوة و رد ذلك [ إلى - ١ ] من هو له ، و أشار بقوله : ﴿ ان شاء ﴾  
إلى أنه مخير فى إيقاعه و إن كان قد تقدم قوله به إرشادا إلى أنه سبحانه  
لا يجب عليه شيء و لا يقع منه شيء ، بل [ و - ١ ] لا يسأل عما يفعل  
١٥ [ و إن كان لا يقع إلا ما أخبر به - ١ ] ؛ ثم بين لهم عجزهم و خطأهم فى  
تعرضهم للهلاك فقال : ﴿ و ما اتم بمعجزين ٥ ﴾ أى فى شيء من الاوقات  
لشيء مما يريد به سبحانه ؛ و الإكثار : الزيادة على مقدار الكفاية ؛  
و المجادلة : المقاتلة<sup>٣</sup> بما يقتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهة ، و هو من  
الجدل و هو شدة القتال . و المطلوب<sup>٤</sup> به الرجوع عن المذهب ، و المطلوب<sup>٥</sup>

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فصرح (٣) فى ظ : فقال (٤) سقط من ظ (٥) فى  
ظ : المقاتلة (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ .

بالحجاج ظهور الحجة ، فهو قد يكون مذموماً كالمرء ، و ذلك حيث يكون للتشكيك في الحق بعد ظهوره . و حيث قيد الجدال بـ " التي هي احسن " فالمراد به إظهار الحق .

ولما بين أنهم إنما هم في قبضته سبحانه ، زاد في بيان عظمتهم و أن إرادته تفضل معها كل إرادة في سياق دال على أنه بذلك ناصح لهم ه و أن نصحه خاص بهم ، فقال جواباً لما وهما<sup>١</sup> من أن جداله لهم / كلام بلا طائل : ﴿ ولا ينفعكم نصحي ﴾ و ذكر إرادته لما يريد أن يذكره من إرادة الله فقال : ﴿ ان أردت ﴾ [ أي جمعت إلى فعل النصح إرادة = <sup>٢</sup> ] ﴿ ان انصح لكم ﴾ باعلام موضع النفي ليتق و الرشد ليتبع ، و جزاءه محذوف تقديره : لا ينفعكم نصحي ﴿ ان كان الله ﴾ أي ١٠ الذي له الأمر كله ﴿ يريد ان يغويكم <sup>٣</sup> ﴾ أي يضلكم و يركبكم غير الصواب [ فانه إرادته سبحانه تغلب إرادتي و فعلي معاً - <sup>٢</sup> ] لا ينفعكم شيء . إشارة إلى أنكم لا تقدرون على دفع العذاب بقوة فتكونوا غاليين ، و لا بطاعة فتكونوا<sup>٤</sup> محبوين مقربين إن كان الله يريد إهلاككم بالإغواء ، و إن أردت أنا نجاتكم ، و لم يقل : و لا ينفعكم نصحي إن نصحت ١٥ لكم ، إشارة إلى أني لا أملك إلا إرادتي لنصحكم ، فإذا أردته فغاية ما يترتب عليه من فعلي وقوع النصح ، و إخلاصه لكم ، و أما النفع به فلا شيء منه إلى . بل هو تابع لمراد الله ، فان أراد غوايتكم حصلت

(١) في ظ : اوهوا (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في الأصل : ولا يقل ، و العبارة من هنا إلى و نصحت لكم . ساقطة من ظ (٥) في ظ : ما .

لا محالة ، ولم يقع ما قد يترتب على النصح من عمل المنصوح بمقتضاه المستجلب للنفع المستدفع للضرر؛ ثم رغبهم في إحسانه ورهبهم من انتقامه معللا لعدم ما لا يريد : ﴿ هو ربكم ﴾ أى الموجد لكم المدير لأموركم فهو يتصرف وحده لما يريد .

٥ ولما كان التقدير : فنه مبدءكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و إليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ ترجعون ﴾ أى بأيسر أمر و أهونه بالموت ثم البعث فيجازيكم على أعمالكم كما هى عادة الملوك مع عمالهم .

ولما كان مضمون هذه الآية نحو مضمون قوله ” إنما انت نذير و الله على كل شئ وكيل “ فإن النذير من ينصح المنذر ، و الوكيل [ هو - ٢ ] المرجوع إليه فى أمر الشئ الموكل إليه ، و ما قبلها تعريض<sup>١</sup> بنسبة نوح عليه السلام إلى الافتراء ، تلاه بما تلا به ذاك من النسبة إلى الافتراء ، وإشارة إلى أن هذه القصص كلها للتسلية فى أمر النذارة و التأسية فكأنه قيل : أيقولون لك مثل هذه الأقوال فقد قالوها لنوح كما ترى ، ثم وإلى<sup>٢</sup> عليهم من الإنذار ما لم يطمعوا معه فى ترك شئ مما أمرناه ١٥ به أعجبهم أو أغضبهم ، فلك<sup>٣</sup> به أسوة و حسبك به قدوة فى أن تعد<sup>٤</sup> كلامهم عدما و تقبل على ما أرسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة : ﴿ ام يقولون ﴾ فى القرآن ﴿ اقترنه ﴾ إصرارا على ما تقولوه فدمغه الدليل و أدهضته الحجة فكأنه قيل : نعم ، [ لأنهم - ٢ ] يقولون ذلك .

(١) فى ظ : للضرر (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : تعريضا (٤) سقط من ظ .

(٥) فى ظ : ولى (٦) فى ظ : ذلك .

فقيل : لا عليك فانه قول يقصدون به مجرد العناد وهم يعلنون خلافه  
بعد ما قام عليهم من الحجج التي وصلوا معها إلى عين اليقين  
فلا يهمنك قولهم هذا، فانهم يجعلونه وسيلة إلى تركك بعض ما يوحى إليك  
فلا تفعل ، بل ( قل ) في جواب قولهم هذا ( ان افتريته ) أى  
قطعت كذبه ( فعلى ) أى خاصا بى ( اجرامى ) ، أى وباله وعقابه :  
دونكم وإذا استعلى على الإجرام عرف ذلك لأرباب العقول وظهر  
ظهورا أفضح به وأنتم أعرف الناس بأنى أبعد من ذلك مما بين اجتماع  
الضدين وارتفاع النقيضين لما تعلنون متى من طهارة الشيم وعلو الهمم  
وطيب الذكر وشريف القدر وكريم الأمر، هذا لو كنت قادرا على  
ذلك فكيف وأنا وأنتم في العجز عنه سواء ( وانا برىء ) أى غاية ١٠  
البراءة ( مما تجرمون ) أى توجدون إجرامه ، ليس على من إجرامكم  
عائد ضرر بعد أن أوضحته لكم وكشفت عنكم غطاء الشبه ، إنما ضرره  
عليكم فاعلموا على تذكر هذا المعنى فان سوق جوابهم على هذا الوجه  
أنكى لهم من إقامة حجة أخرى لانهم يعلنون منه أنه إلزام لهم بالفضيحة  
لا لقطعاعهم لدى من له وعى ، ويمكن أن يكون التقدير : هل اتقه ١٥  
قومك يا محمد فعملوا قبح مثل هذه الحال و أنها حال المعاندين ، فرجعوا  
تكرما عن ركوب مثلها / واستحياء " ام يقولون افترته " أى كذبه  
متعمدا استمرارا على العناد وتماديا فى البعاد كما تمادى قوم نوح فيحل

(١) فى ظ : ان (٢-٢) فى ظ : عنه فى العجز (٣) من ظ ، وفى الأصل : فاعملوا .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : ازكا - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : بالنصيحة .

بهم ما حل بهم، أى هل رجعوا بهذا المقدار من قصة قوم نوح أم هم مستمرّون على ما نسبوك إليه فى أوائل السورة من اقترائه فيحتاجون إلى تكميل القصة بما وقع من عذابهم ليخافوا مثل مصابهم؛ و اقترأ الكذب: افتعاله من قبل النفس فهو أخص من مطلق الكذب لأنه قد يكون تقليدا للغير .

ولما فرغ من هذه الجملة التى هى المقصود بهذا السياق كله وإن كانت اعتراضية فى هذه القصة ، رجع إلى إكمالها يانا لأن نوحا عليه السلام كان يكشف قومه بجميع ما أمر به وإن عظمت مشقته عليهم بحيث لم يكن قط موضع رجاء لهم فى أن يترك شيئا منه وتحذيرا ١٠ لكل من سمع قصتهم من أن يحل به ما حل بهم فقال: ﴿ و اوحى ﴾ أى من الذى لا موحى إلا هو وهو ملك الملوك ﴿ الى نوح ﴾ بعد تلك الخطوب ﴿ انه لن يؤمن ﴾ بما جئت به ﴿ من قومك الا من ﴾ ولما كان الذى يجب الإنسان إلى ما يسأله فيه يلوح<sup>٢</sup> عليه مخايل قبل الإجابة يتوقع السائل بها الإجابة ، قال: ﴿ قد امن فلا ﴾ أى تسبب ١٥ عن عليك بأنه قد تم شقاهم أنا نقول لك: [ لا - ٣ ] ﴿ تبش ﴾ أى يحصل لك بؤس ، أى شدة يعظم عليك خطبها بكثرة تأملك فى عواقبها ﴿ بما كانوا ﴾ أى بما جلبوا عليه ﴿ يفعلون ﴾ فانا نأخذ لك بحقك منهم قريبا ، وكأنه كان أعلمه أنهم [إن - ٣] لم يحيبوه أغرقهم وأنجاه ومن معه فى فلك<sup>٣</sup> يحملهم فيه على متن الماء فقال: ﴿ واصنع الفلك ﴾ حال (١) فى ظ : فانه (٢) فى ظ : تلوح (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ذلك .

- كونك محفوظا ( باعينا ) نحفظك أن تزيع في عملها<sup>١</sup>، وجمع مبالغة في الحفظ و الرعاية على طريق التمثيل ( ووحينا ) فنحن نلهمك أصلح ما يكون من عملها و أنت تعلم ما لنا من العظمة التي تغلب كل شيء ولا يتعاضدها شيء، فلا تهتم بكونك لا تعرف صنعتها؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله أوحى إليه أن يصنع مثل جوجوء الطائر - أى صدره . وأشار إلى شفقتة على قومه و حبه لنجاتهم كما هو حال هذا النبي الكريم مع أمته فقال : ( ولا تخاطبني ) أى بنوع مخاطبة وإن قلت ( في الذين ظلموا ) أى أوجدوا الظلم واستمروا عليه في أن أنجيهم؛ ثم علل النهي بأن الحكم فيهم [ قد - ٢ ] أنبرم فقال : ( انهم مفرقون )
- قد أنبرم الأمر بذلك<sup>٢</sup>؛ و الابتاس : حزن في استكانة، لأن أصل البؤس ١٠ الفقر و المسكنة؛ و الوحي : إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء، و قد يكون إيهاما من غير كلام بأشارة و نحوها، و قد يكون بكلام خفي؛ و الفلك : السفينة، يؤنث و يذكر<sup>٣</sup>، واحده و جمعه سواء، و أصله الإدارة من الفلكة .
- ولما أمره تعالى ونهاه، أخبر أنه امثل ذلك بقوله عاطفا على ما تقديره : فأيس من إيمان أحد منهم فترك دعاءهم و شرع يسلى نفسه : ١٥ ( ويصنع ) أى صنعة ماهر جدا، له ملكة عظيمة بذلك الصنع ( الفلك )
- فلكي<sup>٤</sup> فعله حال عليه بأنه سبحانه بت الأمر بأنه كان يعمل ما أمره<sup>٥</sup> به
- 
- (١) في ظ : عليها (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) في ظ : فرغ من ذلك (٤ - ٤) في ظ : يذكر و يؤنث (٥) من ظ ، وفي الأصل : الارادة (٦) في ظ : على .
- (٧) في ظ : امن .

سبحانه ولم يخاطبه فيهم ولا أسف عليهم ، وأشار إلى أنهم ازدادوا  
 بغيا بقوله : ﴿ و كلما ﴾ أى والحال أنه كلما ﴿ مر عليه ملا ﴾ أى أشراف  
 ﴿ من قومه ﴾ وأجاب ' كلما ' بقوله : ﴿ تسخروا منه ﴾ أى ولم يمنهم  
 شرفهم من ذلك ، وذلك أنهم رأوه يعانى ما لم يروا قبله مثله ليجرى  
 ٥ على الماء وهو فى البر وهو على صفة من الهول عظيمة فمن الحسن  
 أن طولها ألف ذراع و مائتا ذراع وعرضها ستمائة ، فقالوا : يا نوح !  
 ما تصنع ؟ قال : أبى بيتا على الماء ، ويجوز أن يكون ' تسخروا ' : صفة للملا ،  
 وجواب ' كلما ' ، قال ' . ولما أياسه الله من خيرهم ، ترك ما كان من لينة  
 لهم واستعطافهم فلم أن ذلك ما كان لإلهه سبحانه ، فقال حاكيا عنه

١٠ / ٦٤٠ استئنفا : ﴿ قال ان تسخروا منا ﴾ ولما كانوا يظنون أنه غائب فى عمله

كان [ عندهم - ٢ ] موصفا للخزى والسخرية ، وكان هو صلى الله  
 عليه وسلم عالما بأن عملهم سبب لخزيهم بالعذاب المستأصل ، فكان المعنى :  
 إنه تسخروا منا - أى منى و بمن ٤ يساعدى - لظن أن عملنا غير مشر  
 ﴿ فانا نسخر ﴾ أى نوجد السخرية ﴿ منكم ﴾ جزاء لكم ﴿ كما تسخرون ﴾

١٥ منا الآن لأن عملنا منج وعملكم ليس مقتصرا على الضياع بل هو موجب

لما توعدون من العذاب فاتم المخزيون ٥ دونى . ولما كان قوله " نسخر منكم "

واقعا موقع هذا الإخبار ، حسن الإتيان بالفاء المؤذنة بتسبب العلم  
 المذكور عنه فى قوله : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : هود (٤) فى ظ : بمن (٥) فى

ظ : المجزون .



- (من ياتيه عذاب يخزيه) أى يفضحه فيذله، وكان المراد به عذاب الدنيا
- (ويحل عليه) أى حلول الدين الذى لا محيد عنه (عذاب مقيم) هـ
- وهو عذاب الآخرة، وقد مضى نحوه فى الانعام عند قوله "فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار" ؛ والسخرية: إظهار ما يخالف
- الإبطان على جهة تفهم استضعاف العقل، من التسخير وهو التذليل هـ
- استضعافا بالقهر، وهى تفارق اللعب بأن فيها خديعة استنفاض، فلا تكون<sup>٢</sup>
- إلا بحیوان، و اللعب قد يكون بمجاهد لآله مطلق طلب الفرح؛ والخزى:
- الغيب الذى تظهر فضيخته والعار به، ونظيره الذل والهوان؛
- واستمر ذلك دأبه ودابهم (حتى اذا جاء امرنا) أى وقت إرادتنا
- لإهلاكهم<sup>٣</sup> (وفار) أى غلا وطفح (التنور لا) هـ وعن ابن عباس ١٠
- رضى الله عنهما والحسن ومجاهد أنه الحقيقى الذى يخبز فيه، وهذا
- هو الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل، لأن صرف اللفظ عن ظاهره بغير
- دليل عبث [كما - ٦] قاله أهل الأصول (قلنا) [بعظمتنا - ١]
- (احمل) [ولما كان الله تعالى قد أمره أن يجعل لها غطاء - كما قال
- أهل التفسير - لئلا تمتلئ من شدة الأمطار، كانت الظرفية فيها بخلاف ١٥
- غيرها من السفن واضحة فلذلك قال - ٦]: (فيها) أى السفينة
- (من كل زوجين) من الحيوانات، والزوج فرد يكون معه آخر لا يكمل
- نفعه إلا به<sup>٧</sup> (اثنين) ذكر أو أنثى (واهلك) أى احملهم، والأهل:
- (١) آية ١٣٥ (٢) فى ظ: فلا يكون (٣) فى ظ: بالاهلاك (٤ - ٤) من ظ،
- وفى الأصل: اى (٥ - ٥) فى ظ: هو هذا (٦) زيد من ظ (٧ - ٧) تأخر ما بين
- الرقين فى الأصل عن «ابنه كنعان» والترتيب من ظ.

العیال ﴿ الا من سبق ﴾ غالباً ﴿ علیه نقول ﴾ بانی أغرقه و هو امرأته  
و بنه کنعان ﴿ و من ﴾ ای و أحمل فیها من ﴿ امن ﴾ قال أبو حیان :  
و كانت السفينة ثلاث طبقات : السفلی للوحوش ، و الوسطی للطعام  
و الشراب ، و العلویا له و لمن آمن معه ؛ ثم سلی مخاطب بهذه القصص  
ه صلی الله علیه و سلم و ذکره نعمته بکثرة من اتبعه مع صدعهم بمؤلم  
الإنذار علی قصر الزمان دون نوح علیهم السلام مع تطاول الزمن فقال :  
﴿ و ما آخ ﴾ ای و الحال أنه ما ﴿ امن ﴾ کائناً ﴿ معه ﴾ ای بانذاره  
﴿ الا قلیل ﴾ بسبب تقدیرنا لا باغضائهم بما کوفخوا به من الإنذار ؛  
و التثبور - قال أبو حیان : أوزنه فِعُول عند أي علی و هو أعجمی ، و قال  
١٠ ثعلب : وزنه تفعول من النور ، و أصله تنور ، همزت الواو ثم خففت  
و شدد الحرف الذی قبلها . و الزوج قد کثر علی الرجل الذی له امرأة ؛  
قال الرماني : و قال الحسن فی " و من کل شیء خلقنا زوجین - " : السماء  
زوج و الارض زوج ، و الشتاء زوج و الصيف زوج ، و اللیل زوج  
و النهار زوج ، حتی یصیر الأمر إلى الله الفرد الذی لا یشبهه شیء ،  
١٥ و معنى ذلك فی صحیح البخاری . و أقل ما قیل فیمن کان فی السفينة  
ثمانية : نوح و امرأة له . و ثلاثة بنین : سام و حام و یافث ، و نساؤهم ؛  
و أكثر ما قیل أنهم ثمانون - روى عن ابن عباس رضی الله عنهما .

( ١ - ١ ) تقدم ما بین الرقیین علی « اثنين » و الترتیب من ظ ( ٢ ) راجع البحر

المحیط ٢٢٣/٥ ( ٣ ) راجع النهر علی هامش انبحر المحیط ١٢١/٥ ( ٤ ) سورة ٥١

آیه ٤٩ .

ولما أتاه الأمر بذلك ، بادر الامثال لجمع من أمره الله به إلى  
السفينة بعد أن هياها لهم ﴿ وقال ﴾ أى لمن أمر بحمله ﴿ اركبوا ﴾  
ولما كانت الظرفية أغلب على السفينة قال : ﴿ فيها ﴾ أى السفينة ،  
ولما أمرهم بالركوب فركبوا ، استأنف قوله ، أو أمرهم بالركوب قائلين :  
﴿ بسم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ بحربها ومرسها ﴾ أى  
إجرائها وإرساءها ومحلبها وقتبها ، وقرأ الحسن و قتادة و حميد  
الأعرج و إسماعيل بن مجالد عن عاصم بكسر الراء و السين كسرا خالفا  
بعده ياءان خالصتان على أن الاسمين صفتان للجلالة / : ثم علل نجاتهم  
بالإجراء و الإرساء اعترافا بأنه لا نجاة إلا بعفوه بقوله : ﴿ ان ربي ﴾  
أى المحسن إلى بما دبر من هذا الأمر و غيره ، و زاد فى التأكيد تطيبا ١٠  
لقلوب من معه معرفا لهم بأن أحدا لن يقدر الله حق قدره وأن العبد  
لا يسعه إلا الغفران فقال : ﴿ اغفور ﴾ أى بالغ الستر للزلات و الحفوات  
﴿ رحيم ﴾ أى بالغ الإكرام لمن يريد . فركبوها واستمروا سائرين  
فيها يقولون : بسم الله ﴿ وهى ﴾ أى و الحال أنها ﴿ تجري بهم ﴾ .  
ولما كان الماء مهيبا للاغراق ، فكان السير على ظهره من الخوارق . ١٥  
و أشار الى ذلك بالظرف فقال : ﴿ فى موج ﴾ و نبه على علوه بقوله :  
﴿ كالجبال ﴾ أى فى عظمه و تراكمه [ و ارتفاعه - ٢ ] ، فالجبل حال من  
' فركبوها ' المقدر لأنه لظهوره فى قوة الملفوظ ، وكان هذه الحال مع  
(١) فى ظ : ان يحمله (٢) من ظ و غاية النهاية ١٦٧/١ ، و فى الأصل : مخالد .  
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : العفو (٥) فى ظ : بليغ (٦) فى ظ :  
فقال (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : هذا .

أن استدامة الركوب ركوب إشارة إلى سرعة امتلاء الأرض من الماء  
 و صيرورته فيها أمثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير تراخ،  
 قالوا : و كان أول ما ركب معه الذرة ، و آخر ما ركب معه الحمار ،  
 و تعلق إبليس بذنبه فلم يستطع الدخول حتى قال له<sup>١</sup> نوح عليه السلام :  
 ٥ ادخل ولو كان الشيطان معك - كذا قالوا ، و قيل : إنه منع الحية  
 و العقرب و قال : إنكما سبب الضر<sup>٢</sup> ، فقالا : احملنا و لك أن لا نضر  
 أحدا ذكرك ، فمن قال ” سلم على نوح في الغلين “ انا كذلك نجري  
 المحسنين انه من عبادنا المؤمنين<sup>٣</sup> “ لم تضراه . و لما كان ابتداء الحال في  
 تفجر الأرض كلها عيونا و انهيار السماء انهيارا - مرشدا إلى أن الحال  
 ١٠ سيصير إلى ما أخبر الله به من كون الموج كالجبال لا ينجى منه إلا السبب  
 الذى أقامه سبحانه ، تلا ذلك بأمر ابن نوح فقال عاطف<sup>٤</sup> على قوله  
 ” و قال اركبوا “ ﴿ و نادى نوح ذابنه ﴾ [ أى - ٦ ] كنعان و هو  
 اصلبه - نقله الرماني<sup>٥</sup> عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك ﴿ و كان ﴾  
 أى الابن ﴿ فى معزل ﴾ أى عن أبيه فى مكانه و فى دينه لأنه كان  
 ١٥ كافرا ، و بين أن ذلك المعزل<sup>٦</sup> كان على بعض البعد بقوله : ﴿ بينى ﴾  
 صغره تحنا و تعطفنا ﴿ اركب ﴾ كائنا ﴿ معنا ﴾ - أى فى السفينة لتكون  
 من الناجين ﴿ و لا تكن ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ مع الكافرين ﴾  
 أى فى دين و لا مكان إشارة إلى أن حرص الرسل عليهم السلام

(١) من ظ ، و فى الأصل : كثير (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الضر (٤) سورة

آية ٧٩ - ٨١ (٥) فى ظ : عطفا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الكرمانى .

و شفقتهم - و إن كانت مع رؤية الآيات العظام و الأمور الهائلة - ليست سببا للين القلوب و خضوع النفوس ما لم يأذن الله ، انظر إلى استعطاف نوح عليه السلام بقوله ” يبنى “ مذكرا له بالبنوة مع تصغير التحن و التراؤف و فظاظة الابن مع<sup>٢</sup> عدم سماحه<sup>٣</sup> بأن يقول<sup>٤</sup> : يا أبت ، و لم يلبس<sup>٥</sup> مع ما رأى من الآيات العظام و لا تنهى اشيء منها عن تقبح الجهل بدلًا من العلم و تعسف الشبهة بدلًا من الحجة .

و لما كان الحال حال دهش و اختلال . كان السامع جديرا بأن لا يصبر بل يبادر إلى السؤال فيقول : فما قال ؟ فقل : ( قال ) قول من ليس له عقل تبعًا لمراد الله ( ساوَى الى جبل يعصمى ) أى بعلمه ( من الماء ) أى فلا أغرق ( قال ) أى نوح عليه السلام ( لا عاصم ) أى لا مانع<sup>١٠</sup> من جبل و لا غيره موجود<sup>١١</sup> ( اليوم ) أى لأحد ( من امر الله ) أى الملك الأعظم المحيط أمره و قدرته و علمه ، و هو حكمه بالفرق على كل ذى روح [ لا يعيش فى الماء - ٧ ] ( الا من<sup>١٢</sup> رحم<sup>١٣</sup> ) أى إلا مكان من رحمة<sup>١٤</sup> الله فانه مانع من ذلك و هو السفينة ، أو لكن من رحمه الله فان الله يعصمه .

١٥

و لما ركب نوح و من أمره الله به و أراد . و لم تبق حاجة فى تدرج ارتفاع الماء . فعلا<sup>١٥</sup> و طما و غلب و عتا فهال الأمر و زاد على الحد و القدر ، [ قال تعالى عاطفا على ما تقديره : فلم يسمع ابنه ذلك

(١) فى ظ : فظاعة (٢) فى ظ : فى (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٤) فى الأصل و ظ : لم يكن (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : موجودا (٧) زيد من ظ . (٨) من ظ ، وفى الأصل : رحم (٩) من ظ ، وفى الأصل : على .

منه بل عصى أباه كما عصى الله فأوى إلى الجبل الذى أرادَه فعلا  
 الماء عليه ولم يمكنه بعد ذلك اللحاق بأبيه ولا الوصول إليه - [١]:  
 ﴿و حال بينهما﴾ أى بين الابن و الجبل أو بينه وبين أبيه ﴿الموج﴾  
 المذكور فى قوله "فى" موج كالجبال "﴿فكان﴾ أى [الابن - ١]  
 ٥ بأهون أمر ﴿من المغرقين﴾ [وهم كل من لم يركب مع نوح عليه السلام  
 من جميع أهل الأرض - ١]؛ قال أبو حيان<sup>٢</sup>: قيل كانا يتراجعا  
 الكلام فاستتمت لمراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على  
 فرس قد بطر و أعجب بنفسه فالتقمته و فرسه وحيل بينه و بين نوح  
 عليه السلام ففرق - انتهى . و الركوب: العلو على ظهر الشيء ، ركب  
 ١٠ الدابة و السفينة و البر و البحر؛ و الجرى: مر سريع؛ يقال: هذه العلة  
 تجرى فى أحكامها. أى تمر من غير مانع، و الموج جمع موجة -  
 لقطعة عظيمة من الماء الكثير ترتفع\* عن حملته، و أعظم ما يكون ذلك  
 إذا اشتدت الرياح؛ و الجبل: جسم عظيم الغلط شاخص من الأرض  
 هو لها كالوتد؛ و العصمة: المنع من الآفة ﴿وقيل﴾ أى<sup>٢</sup> بأذى إشارة  
 ١٥ بعد هلاك أهل الأرض و خلوها من الكافرين و تدمير من فى السهول  
 و الجبال من الخاسرين، و هو من إطلاق المسبب - و هو القول - على  
 السبب - و هو الإرادة - لتصوير أمر و مأمور هو فى غاية الطاعة فانه  
 أوقع فى النفس .

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) راجع البحر المحيط ٢٢٧/ (٤) فى ظ :

فالتقمه (٥) من ظ ، و فى الأصل: يرتفع .

و لما كان كل شيء دون مقام الجلال و الكبرياء و العزة بأمر<sup>١</sup>  
لا يعلمه إلا الله . دل على ذلك بأداة البعد فقال : ﴿ يَأْرَضُ الْبُلْبُي ﴾  
أى اجذبني من غير مضغ إلى مكان خفي بالتدرج ، و عين المبلوع لئلا يعم  
فتبلع<sup>٢</sup> كل شيء على ظهرها من جبل وغيره ، و لذلك أفرد ولم يجمع  
فقال : ﴿ مَاءَك ﴾ أى الذى تجدد على ظهرك للاغراق ليكون ذلك ه  
كالغذاء للآكل الذى يقوى بدنه به فيقوى به على الإنبات و سائر المنافع  
و جعله ماءها لاتصاله بها اتصال الملك بالملك ﴿ وَيَسْمَاءُ أَقْلَمِي ﴾ أى  
أمسكى عن الإمطار ، قطعنا مبادرتين لأمر الملك الذى لا يخرج عن  
مراده شيء ﴿ وَغِيضُ الْمَاءِ ﴾ أى المعهود ، حكم عليه بالدبوب<sup>٣</sup> فى أعماق  
الأرض ، من المتعدى فانه يقال : غاض الماء و غاضه الله ، كما يقال : نقض<sup>٤</sup>  
الشيء و نقضته أنا ﴿ وَقَضَى الْأَمْرَ ﴾ أى فرغ و انبت و انبرم فى  
إهلاك من هلك و نجاة من نجا كما أراد الجليل على ما تقدم به وعده  
نوحا عليه السلام ، لم يقدر أحد أن يحبسه عنهم و لا أن يصرفه و لا أن  
يؤخره دقيقة و لا أصغر منها . فليحمد الله من آخر عنه العذاب و لا يقل  
"ما يحبسه" لئلا يأتيه مثل ما أتى هؤلاء أو من بعدهم ﴿ وَاسْتَوَتْ ﴾ أى ١٥  
استقرت و اعتدلت السفينة ﴿ عَلَى الْجُودَى ﴾ إشارة<sup>٥</sup> باسمه إلى أن  
الانتقام العام قد مضى ، و ما بقى إلا الجود بالنماء و الخير و الخصب و الرحمة  
العامة ، و هو جبل بالموصل بعد خمسة أشهر ؛ قال قتادة : استقلت بهم  
(١) من ظ ، و فى الأصل : يامن (٢) فى ظ : فتبلع (٣) فى ظ : التى (٤) فى  
ظ : بالرسوب (٥) فى ظ : اشار (٦) فى ظ : و النماء .

لعشر خلون من رجب وكانت في الماء<sup>١</sup> خمسين ومائة يوم، واستقرت بهم على الجودي شهرا، وهبط بهم يوم عاشوراء ﴿وقيل﴾ أى إعلاما بهوان المهلكين والراحة منهم ﴿بعدا﴾ هو من بعد - بالكسر مرادابه البعد من حيث الهلاك، فان حقيقته بعدٌ بعيدٌ لا يرجى منه عود، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء، وعبر بالمصدر لتعليقه باللام الدالة على الاستحقاق والاختصاص ﴿للقوم﴾ [أى المعهودين في هذه القصة التى كانت فيها من شدة القيام فيما يحاولونه ما لا يعلمه إلا الله -<sup>٢</sup>] ﴿الظلمين﴾ أى العريقين في الظلم، وهذه الآية تسع عشرة لفظة فيها أحد وعشرون نوعا من البديع - عدها أبو حيان ١٠ وقال: وروى أن أعرايا سمعها فقال: هذا كلام القادرين. وذكر الرماني<sup>٣</sup> عدة من معانيها. منها إخراج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من غير معاناة ولا لغوب، ومنها حسن تقابل المعاني، ومنها حسن ائتلاف الألفاظ، ومنها حسن البيان في تصوير الحال، ومنها الإيجاز من غير إخلال، ومنها ثقل الفهم على أتم الكمال؛ و البلع: إجراء ١٥ / ٦٤٣ شئ في الخلق إلى الجوف؛ والإقلاع: إذهاب الشئ/ من أصله حتى لا يبقى له أثر؛ والغيبض: غيبة الماء في الأرض على جهة النشف؛ وإبراز الكلام على البناء للمفعول أدل<sup>٤</sup> على الكبرياء والعظمة للفاعل للإشارة إلى أنه معلوم لأنه لا يقدر على مثل هذه الأفعال غيره، ونقل

(١) من ظ، وفي الأصل: الماية - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: الكرمال. (٤) في ظ: النشف (ه) في ظ: دل.



الأصهباني عن صاحب المفتاح فيها كلاماً أعلى من الجوهر .  
 ولما كان الاستثناء من أهله في قوله " الا من سبق عليه القول " يجوز أن يراد به امرأته فقط . فتكون نجاة ابنه جائزة ، وكان ما عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من فرط الشفقة على الخلق لا سيما الأقارب يحملهم على السعي في صلاحهم ما كان لذلك وجه كما تقدم ٥  
 مثل ذلك في قوله تعالى " ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم " ٢  
 لأن أجنحة الخلق كسيرة وأيديهم قصيرة وأمرهم ضعيف وحالهم رث ، فأدنى هوان يورثهم الخسران ، وأما جناب الحق فقصيح شأنه عظيم وأمره على ، فلا يلحقه نقص بوجه ولا يدانيه ضرر ولا يعتري أمره وهن ٣ ، لما كان ذلك كذلك ، سأل نوح عليه السلام نجاة ولده كما ١٠  
 أخبر عنه تعالى في قوله : ﴿ و نادى نوح ربه ﴾ [ أى الذى عوده بالإحسان الجزيل - ١ ] ، ودل سبحانه بالعطف بالفاء ٢ دون أن يأتى بالاستئناف المفسر للنداء على أن ما ذكر هنا من نداء نوح عليه السلام بعض ندائه وأن هذا المذكور مرتب معقب على شيء منه سابق عليه أقرب ٤ أن يكون ما أرشده ٥ إليه سبحانه في سورة المؤمنين ويشعر به ١٥  
 قوله تعالى بعد هذا جواباً له " يَنُوحِ اهْبِط بِسَلْمٍ مِّنَّا " فيكون

- (١) زيد بعده في ظ : في (٢) سورة ٩ آية ٨٠ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الخلق (٤) في ظ : لا يعنى (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦) زيد من ظ . (٧) من ظ ، وفي الأصل : بالباء (٨) من ظ ، وفي الأصل : للاستئناف (٩) من ظ ، وفي الأصل : أقربته (١٠) في ظ : ارشد .

تقدير الكلام قال<sup>١</sup>: رب أنزلني منزلا مباركا - وما قدر له من الكلام  
 ﴿ فقال ﴾ أى عقبة لما حمّله على ذلك من رحمة النبوة وشفقة الأبوة  
 وسجية البشر متعرضا لنفحات الرحمة وعواطف العفو؛ أو الفاء تفصيل  
 لمجمل<sup>٢</sup> "نادى" مثل ما [ فى - <sup>٣</sup> ] : توضحاً ففعل ﴿ رب ان ابني ﴾ أى  
 ٥ الذى غرق ﴿ من اهلى ﴾ أى وقد أمرتني بحمل أهلى، وذلك الأمر  
 محتمل للإشارة إلى إرادة نجاتهم ﴿ وان وعدك الحق ﴾ أى الكامل  
 فى نجاتهم إلا من سبق عليه القول، وقد علمت ذلك فى المرأة الكافرة  
 ﴿ واثك احكم الحكمين ٥ ﴾ لأنك أعلمهم، ومن كان أعلم كان أحكم  
 فتعلم أن قولك "الا من سبق عليه القول" يصح باستثنائها وحدها،  
 ١٠ فان كان ابني ممن نجأفتنى به؛ وإن كان هذا الدعاء عند حيولة<sup>٤</sup> الموج  
 بينهما فالمعنى: فلا تهلكه ﴿ قال ينوح ﴾ وأكد فى نفي ما تقدم منه  
 إثباته فقال: ﴿ انه ليس من اهلك ج ﴾ [ أى - <sup>٥</sup> ] المحكوم بنجاتهم  
 لإيمانهم وكفره، ولهذا علل بقوله: ﴿ انه عمل ﴾ أى ذو عمل،  
 [ ولكنه جعله نفس العمل فى قراءة الجماعة مبالغة فى ذمه، وذلك لأن  
 ١٥ الجواهر متساوية الأقدام فى نفس الوجود لا تشرف إلا بآثارها، فبين  
 أنه ليس فيه أثر صالح أصلا، ويثبت قراءة يعقوب والكسائي بالفعل  
 أن من باشر السوء مطلق مباشرة وجبت البراءة منه، ولا سيما للأمر  
 فلا يواصل إلا باذن، وعبر بالعمل دون الفعل لوعده أن أعماله مبنية  
 على العلم، وأكدته لما لا يخص من سؤال نوح عليه السلام هذا - <sup>٦</sup> ]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شجيرة (٣) من ظ . وفى الأصل : المجمل (٤) زيد  
 من ظ (٥) فى ظ : قومنا (٦) فى ظ : حيولة .

(غير صالح لزماء) يعلمى، وقد حكمت فى هذا الأمر أنى لا أنجى منه إلا من اتصف بالصلاح وأنا أعلم بذات الصدور، وأنت يخفى عليك كثير من الأمور فربما ظننت الإيمان بمن ليس بمؤمن لبنائك الأمر على ما راه من ظاهره؛ وقد نقل الرمانى<sup>١</sup> عن الحسن أنه كان يوافق باظهار الإيمان، وهذا يدل على أن الموافق فى الدين ألصق ما يكون وإن كان فى غاية البعد فى النسب، [والمخالف فيه أبعد ما يكون وإن كان فى غاية القرب فى النسب - ٢] .

ولما تسبب عن هذا الجواب أن ترك السؤال كان أولى، ذكر أمرا كليا بندرج فيه فقال: (فلا تسئلن) أى بنوع من أنواع السؤال (ما ليس لك به علم) فلا تعلم أصواب السؤال فيه أم لا، لأن اللائق ١٠ بأمثالك من أولى القرب بناء أمورهم على التحقيق وانتظار<sup>٢</sup> الإعلام منا، انظر إلى قول موسى عليه السلام فى حديث الشفاعة فى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: وإنى قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها. ومن المعلوم أن تلك النفس كانت كافرة من آل فرعون (إنى أعظك) بمواعظى كراهية (إن تكون) أى كونا تتخلق به (من الجهلين) ١٥ أى فى عداد الذين يعملون بالظن لأنهم لا سبيل لهم إلى الوقوف على حقائق الأمور من قبلنا فتسأل مثل ما يسألون .

٢٣٤ /

ولما انجلى للسامع ما هو فيه صلى الله عليه وسلم من علو المقام وعظم

(١) فى ظ: الكرماني (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: انتظام (٤) سقط من ظ .

الشأن الموجب للعتاب على كثير من الصواب فتشوف للجواب، استأنف  
 بيانه بقوله: ﴿ قال ﴾ أى مبادرا على ما يقتضيه له من كمال الصفات  
 ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلى، وأكد دلالة للسامعين<sup>٢</sup> على عظيم رغبته  
 فقال: ﴿ انى اعوذ بك ان ﴾ أى من أن ﴿ اسئلك ﴾ [ أى -<sup>٣</sup> ] فى  
 شىء من الأشياء ﴿ ما ليس لى به علم ﴾ تأدبا باذنك و اتعاطا بموعظتك  
 و ارتقاء<sup>٤</sup> لما رقيتلى إليه من علو الدرجة و رفيع المنزلة ﴿ والا تغفر لى ﴾  
 أى الآن و فى المستقبل ﴿ و ترحمنى ﴾ أى تستر زلاتى و تمنحها و تكرمنى  
 ﴿ اكن من النحرين ﴾ أى العريقين فى الحسارة فكأنه قيل: ما ذا  
 أجب عن ذلك؟ قيل: ﴿ قيل ﴾ بالبناء للفعل دلالة على العظمة  
 ١٠ و الجلال الذى<sup>٥</sup> تكون الأمور العظيمة لأجله بأدنى إشارة ﴿ ينوح اهبط ﴾  
 أى من السفينة ﴿ بسلم ﴾ أى عظيم ﴿ منا ﴾ أى و من سلمنا عليه  
 فلا هلك يلحقه ﴿ و بركت ﴾ أى خيرات نامية<sup>٦</sup> عظيمة صالحة<sup>٧</sup> ﴿ عليك ﴾  
 أى خاصة بك ﴿ و على امم ﴾ ناشئة ﴿ من معك ﴾ لكونهم على ما يرضينا  
 و لا نمتعهم بالدنيا إلا قليلا، و لهم إذا رجعوا إلينا نعيم مقيم، و قد دخل  
 ١٥ فى هذا الكلام<sup>٨</sup> كل مؤمن و مؤمنة إلى يوم القيامة ﴿ و امم ﴾ أى منهم  
 ﴿ ستمتعهم ﴾ فى الدنيا بالسعة فى الرزق<sup>٩</sup> و الخفض فى العيش على وفق  
 علمنا و إرادتنا و لا يركات عليهم منا و لا سلام، فالآية من الاحتباك:

(١) فى ظ: حسباً (٢) من ظ، و فى الأصل: للسابق (٣) زيد من ظ (٤) فى  
 ظ: ارتفاعاً (٥) فى ظ: فكان (٦) من ظ، و فى الأصل: التى (٧ - ٧) فى  
 ظ: صالحة عظيمة (٨) فى ظ: السلام (٩) من ظ، و فى الأصل: الدنيا.

ذكر البركات والسلام 'أولا دليلا' على تقيها ثانيا، و المتاع' ثانيا، دليلا على حذفه' أولا (ثم يمسهم منا) أى فى الدارين أو فى الآخرة 'أو فيها' (عذاب اليم ه) لجريهم على غير هدينا و جرأتهم على ما يسخطنا، و يجوز أن يكون "وامم" مبتدأ من غير تقدير صفة محذوفة، فيكون المسوغ للابتداء كون المقام مقام التفضيل؛ و العياذ: طلب النجاة بما ه يمنع من الشر؛ و البركة: ثبوت الخير بناته حالا بعد حال، و أصله الثبوت، و منه البروك و البركة ثبوت الماء فيها .

ذكر قصة نوح عليه السلام من التوراة و هو نوح بن ملك بن متوشلح بن خنوخ<sup>٦</sup> بن يارد بن مهلايل<sup>٧</sup> بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، و ذلك<sup>٨</sup> لأنه فى أوائل السفر الأول<sup>٩</sup> منها: و إن ١٠ آدم طاف نحو حيلته<sup>١٠</sup> فخلبت وولدت ابنا فسماه<sup>١١</sup> شيث و قال: الآن أخلف الله على نسل آخر بدل هابيل الذى قتله قابيل، و ذلك بعد أن عاش آدم مائة و ثلاثين سنة. و كان جميع حياة آدم تسعمائة<sup>١٢</sup> و ثلاثين سنة، و عاش شيث مائة و خمس<sup>١٣</sup> سنين فولد له أنوش، و كان

- (١-١) فى ظ: لا دليل (٢) زيد فى ظ: و العذاب (٣) زيد فى ظ: ضدهما .  
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ: ممتدا (٦) فى تاريخ يعقوبى  
 ١٢/١ : اخنوخ (٧) فى تاريخ يعقوبى ١٠/١ مهلائيل، و فى التوراة: مهلائيل،  
 - راجع الأصحاح الخامس من السفر الأول (٨) فى ظ: ذكر (٩) سقط من ظ .  
 (١٠) فى ظ: حلقته (١١) فى ظ: وسماه (١٢) من ظ و الأصحاح الخامس من  
 السفر الأول، و فى الأصل: سبعمائة (١٣) فى ظ: خمسة .

جميع حياة 'شيث تسعمائة و اثنى عشرة سنة ، فعاش أنوش تسعين سنة فولد له قينان وكان جميع حياة ' أنوش تسعمائة و خمس سنين ، وعاش قينان سبعين سنة فولد له مهلايل وكان جميع [ حياة - ٢ ] قينان تسعمائة وعشرين سنة ، وعاش مهلايل خمسا وستين سنة فولد له يارد ' وكانت جميع حياة مهلايل مئائمائة سنة و خمسا و تسعين سنة ، وعاش يارد ' مائة و ائتين وستين سنة فولد له خنوخ فكانت جميع حياة يارد تسعمائة و ائتين وستين سنة ، وعاش خنوخ خمسا وستين سنة فولد له متوشلح وكانت جميع حياة خنوخ ثلاثمائة و خمسا وستين سنة ، وعاش متوشلح مائة و سبعا و ثمانين سنة فولد له لك وكانت جميع حياة متوشلح تسعمائة ١٠ و تسعا وستين سنة ، وعاش لك مائة و ائتين و ثمانين سنة فولد له ابن ٢ فسماه نوحا ، ثم قال : هذا يريحنا من أعمالنا ، وكد / أيدينا في الأرض / ٦٤٥ / التي قد لعنها الله ، وكانت جميع أيام حياة لك سبعمائة و سبعا و سبعين سنة ، وتوفي و نوح ابن خمسماية ٣ سنة ، فولد لنوح بنون : سام و حام و يافث ، فلما بدأ الناس أن يكثرُوا على وجه الأرض و ولد لهم البنات ١٥ نظر بنو الأشراف منهم بنات العامة حسانا جدا فأخذوا منهم النساء على ما اختاروا و أحبوا ، فقال الله عند ذلك : لا تحل عنايتي و شفقتي على هؤلاء الناس لأنهم يتبعون أهواء الجسد و اللحم و كانت ٤ على الأرض جبابرة في تلك الأيام و من بعدها ، لأن بنى الأشراف دخلوا على بنات العامة فولد لهم جبابرة مذكورون ، فرأى الرب أن شر الناس قد كثر

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : ابنا (٤) في ظ : مائة (٥) في ظ : كان .

على الأرض وأن هوى<sup>١</sup> فكرهم وحقد ردى<sup>٢</sup> في جميع الأيام، فقال الرب:  
أحق الذين خلقت وأيدهم عن جديد الأرض من الناس و البهائم حتى  
الهوام و طير السماء؛ و ظفر نوح من الله برحمة و رأفة، و كان نوح رجلا  
بارا تقيا في حقبه فأرضى الله، و فسدت الأرض بين يدي الله و امتلأت  
إثما و فجورا، فرأى الرب الإله أن الأرض قد فسدت و قال الله لنوح: ٥  
قد وصل<sup>٣</sup> إلى [ أمر - ٢ ] جميع الناس و سوء أعمالهم لأن الأرض  
قد امتلأت إثما و فجورا بسوء سيرتهم. فهأنذا مفسدم مع<sup>٤</sup> الأرض،  
فاتخذ لك أنت تابوتا مربعا من خشب الساج - و في نسخة: الشمشار -  
واجعل في التابوت<sup>٥</sup> علالي، و اطلها<sup>٦</sup> بالقار من داخلها و خارجها،  
و ليكن طول الفلك ثلاثمائة ذراع، و عرضه خمسين ذراعا، و سمكه ١٠  
ثلاثين ذراعا، و اجعل في التابوت كوى<sup>٧</sup> و ليكن عرضها من أعلاها  
ذراعا واحدا، و اجعل باب الفلك في جانبه، و اجعل فيه منازل أسفل  
و أوساط و علالي. و هأنذا<sup>٨</sup> محدر ماء الطوفان على الأرض لأفسد به  
كل ذى لحم فيه نسمة<sup>٩</sup> الحياة من تحت السماء، و يبيد كل ما على الأرض،  
و أثبت عهدي بيني و بينك، و تدخل التابوت أنت و بنوك و امرأتك ١٥  
و نساء بنيك معك، و من كل حي من ذوى<sup>١٠</sup> اللحوم من كل صنف  
اثنان لتحيي معك، و لتكون<sup>١١</sup> ذكورا و إناثا، من كل الطيور كأجناسها،

---

(١) في ظ: هو (٢) زيد في ظ: الله (٣) زيد من ظ: (٤) في ظ: من (٥) في  
ظ: على و اطلقها - كذا (٦) في ظ: كوة (٧) في ظ: هانا (٨) في ظ: نسبة.  
(٩) في ظ: ذى (١٠) من ظ، وفي الأصل: ليكن.

و من الأنعام لأصنافها ، و من كل الهوام التي تدب على الأرض لجواهرها ،  
 اثنين اثنين أدخل معك من كلها لتسجيها ذكرا و أنثى ، و اجعل من  
 كل [ ما - <sup>١</sup> ] يؤكل فاخزنه معك ، و ليكن مأكلك و مأكلها ؛ فصنع نوح كل  
 شيء كما أمر الله ثم قال الله لنوح : ادخل أنت و كل أهل بيتك إلى  
 ٥ التابوت لأنى إياك وجدت بارا تقيا فى هذا الحقب ، و من كل الأنعام  
 الزكية أدخل معك سبعة سبعة من الذكور و الإناث ، و من الأنعام  
 التي ليست بزكية <sup>٢</sup> أدخل معك اثنين ذكورا و إناثا ، و من الطير الزكى  
 سبعة سبعة ذكورا و إناثا ، و من الطير الذى ليس بزكى اثنين اثنين ذكورا  
 و إناثا <sup>٣</sup> ، ليحي منها نسل على وجه الأرض . لأنى من الآن إلى سبعة أيام  
 ١٠ أهبط القطر على وجه الأرض أربعين يوما و لياليها ، و أريد كل  
 ما خلقت على وجه الأرض : فصنع نوح كما أمره الرب الإله . فلما  
 كان بعد ذلك بسبعة أيام نزلت مياه الطوفان ، تفجرت [ مياه - <sup>١</sup> ]  
 الغمر و تفتحت مخابئ السماء . و أقبلت الأمطار على وجه الأرض  
 أربعين نهارا و أربعين ليلة ، [ و - <sup>١</sup> ] فى هذا اليوم دخل نوح و سام  
 ١٥ و حام و يافث بنو نوح و امرأة نوح و نساء بنيه الثلاث معه الفلك هم <sup>٢</sup>  
 و جميع السباع لأجناسها و جميع الدواب لأصنافها و كل حشرة تدب  
 على الأرض بجواهرها و جميع الطيور <sup>٣</sup> لأجناسها ، و دخل مع نوح التابوت  
 من كل عصفور و من كل ذى جناحين اثنان اثنان ، و من <sup>٤</sup> كل ذى لحم فيه

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بزكى (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى  
 ظ : ابتداء (٥) فى ظ : ما (٦) جمع مثعب و هو المسيل (٧) سقط من ظ .



٦٤٦/

روح الحياة / و كل شيء دخل<sup>١</sup> من ذوى اللحوم دخلوا ذكورا و إناثا  
 كما أمر الله نوحا، ثم أغلق الله الرب الباب عليه، و كان الطوفان على  
 الأرض أربعين يوما و أربعين ليلة، و كثرت المياه<sup>٢</sup> حتى احتملت  
 التابوت فارتفع عن الأرض، و غزرت المياه و كثرت على الأرض جدا  
 [ و جعل التابوت يسير على وجه الماء و اشتدت المياه على وجه الأرض ٥  
 جدا - ٢ ] جدا. و توارت جميع الجبال العالية الشاهقة التى تحت السماء،  
 و ارتفعت المياه من فوق كل جبل خمسة عشر ذراعا، و باد كل ذى  
 لحم على الأرض من الطيور؛ أجمع و السباع و الدواب و جميع الحشرة  
 التى تدب على الأرض و جميع الناس و البهائم، و مات كل شيء كان  
 [ فيه - ٣ ] نسمة الحياة مما فى اليبس، وبقى نوح و من معه فى الفلك، ١٠  
 و اشتدت المياه على الأرض مائة و خمسين يوما؛ و إن الله ذكر نوحا  
 و كل السباع و الدواب و جميع الطيور التى معه فى التابوت، فأهاج الله  
 رجحا على وجه الأرض فسكنت المياه و الأمطار، و اشتدت ينابيع الغمر  
 و ميازيب السماء، و غاضت المياه بعد مائة و خمسين يوما، و سكن التابوت  
 و وقف فى الشهر السابع ثلاث عشرة ليلة بقيت من الشهر على جبال ١٥  
 قودى<sup>٤</sup> و جعلت المياه تنصرف و تنتقص إلى الشهر العاشر، و ظهرت  
 رؤس الجبال فى أول يوم من الشهر العاشر، فلما كان بعد<sup>٥</sup> ذلك بأربعين  
 (١) تكرر فى ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الماء (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ :  
 الطير (٥) و من هنا استأنفت نسخة مد (٦) فى ظ : عشر (٧) من ظ و مد، و فى  
 الأصل : فودى، و فى التوراة : اراراط (٨) سقط من ظ .

يوما فتح نوح الكوة التي عملها في التابوت فأرسل الغراب ، فخرج  
 الغراب من عنده فلم يعد إليه حتى يبتس المياه عن<sup>١</sup> وجه الأرض ،  
 [ ثم أرسل الحمامة من بعده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض -<sup>٢</sup> ]  
 فلم تجد الحمامة موضعا لموطئ رجلها فرجعت إلى التابوت لأن المياه كانت  
 ٥ بعد على وجه الأرض ، فد يده فأخذها<sup>٣</sup> وأدخلها إليه و انتظر سبعة أيام  
 أخرى ، ثم عاد فأرسل الحمامة فعادت عند المساء و<sup>٤</sup> في منقارها ورقة  
 زيتون ، فعلم أن الماء<sup>٥</sup> قد غاض عن وجه الأرض فصبر أيضا سبعة  
 [ أيام -<sup>٦</sup> ] آخر ، ثم أرسل الحمامة فلم تعد إليه أيضا ، ففتح نوح باب الفلك  
 فرأى فإذا وجه الأرض قد ظهر وجفت<sup>٧</sup> الأرض . فكلّم الرب الإله  
 ١٠ نوحا وقال له : اخرج من التابوت أنت وامرأتك و بنوك و نساء بنيك  
 معك و كل السباع التي معك من كل ذى لحم و الطيور و الدواب ،  
 و اخرج<sup>٨</sup> كل الهوام التي تدب على الأرض معك ، و لتولد و تنمو في  
 الأرض و تكثر و تزداد على الأرض . فخرج نوح و من ذكر و بنى للرب  
 مذبحا و أخذ من جميع الدواب و الطيور الزكية فأصعد منها على المذبح  
 ١٥ قربانا للرب الإله . فقال الرب الإله : لا أعود ألعن الأرض أبدا من  
 أجل أعمال الناس لأن هوى قلب الانسان و حقه ردى<sup>٩</sup> منذ صباه ،  
 و لا أعود أيضا أيد كل حي كما فعلت ، و من الآن جميع أيام الأرض

(١) في ظ : على (٢) زيد من ظ و مد غير أن في ظ : الماء - موضع : المياه (٣) زيد  
 من ظ و مد (٤) في ظ : فاخذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :  
 المياه (٧) في ظ و مد : خفت (٨) في مد : اخر (٩) في ظ : روى .

يكون فيها الزرع والحصاد والبرد والحر والقيظ والشتاء، فبارك الله على نوح وبنيه وقال لهم: انموا واكثروا واملاؤا الأرض، وليغش ربكم وخوفكم جميع السباع وبهائم الأرض وكل طيور السماء وكل دابة تدب على الأرض، وجميع حيتان البحور [ تكون - ١ ] تحت أيديكم، وكل الدواب الطاهرة<sup>٢</sup> الحية تكون لأكلكم، وقد جعلت ه الأشياء كلها حلالة لكم مثل عشب البرية وخضرها. وأما المخنوق الذي دمه فيه<sup>٣</sup> فلا تأكلوه فإن دمه نفسه، وأما دماؤكم من أنفسكم فأطلبها بالتهى من يد جميع الحيوان ومن يد جميع الناس، أى إنسان قتل أخاه طالته بدمه، ومن سفك دم الإنسان سفك<sup>٤</sup> دمه لأن الله خلق آدم بصورته، وأنتم فأنموا واكثروا وتولدوا فى الأرض واكثروا فيها؛ ١٠ وقال الله لنوح ولبنيه معه: هاأنا مثبت عهدي بينى وبينكم ومع أنسالكم من بعدكم ومع كل نفس حية منكم<sup>٥</sup>، / ومع الطيور والدواب ومع كل سباع الأرض جميع الذين خرجوا من الفلك، وأثبت عهدي بينى وبينكم فلا يبيد كل ذى لحم أيضا بماء الطوفان ولا يهبط الطوفان أيضا ليفسد<sup>٦</sup> جميع الأرض، قال الله لنوح: هذه علامة لعهدى الذى ١٥ أجعله بينى وبينكم وبين كل<sup>٧</sup> نفس حية معكم فى جميع أحقاب العالم، قد أظهرت قوسى فى السحاب فهى أمارة ذكر العهد [ الذى - ٨ ]

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : الظاهرة (٣) سقط من ظ (٤) زيد فى ظ : لأن الإنسان سفك - كذا (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : معكم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : ليعند (٧) فى ظ : ذى (٨) زيد من مد .

يبنى وينسك و بين أهل الأرض ، فاذا أنشأت السحاب في الأرض  
وأظهرت قوس السحاب فاذكروا العهد<sup>١</sup> الذى يبنى و بينكم ، و كان  
بنو نوح الذين خرجوا معه من التابوت سام و حام و يافث ، [و حام -<sup>٢</sup>  
يكنى أبا كنعان ، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ، و تفرق الناس من هؤلاء  
٥ فى الأرض كلها ؛ ثم ذكر أن نوحا عليه السلام نام فرأى حام عريه فأظهر  
ذلك لأخويه<sup>٣</sup> ، فتناول سام و يافث رداءه فألقياه على أكتافهما ثم سعا  
على أعقابهما مدبرين فواريا عرى أبيهما ، فلما علم نوح ما صنع ابنه الأصغر  
دعا عليه أن يكون عبدا لأخويه ، و كانت جميع أيام حياة نوح تسعمائة<sup>٤</sup>  
سنة و خمسين سنة ، ثم توفى عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام ؛  
١٠ ثم ذكر أن الناس بعده أرادوا<sup>٥</sup> أن يبنوا صرحا لاحقا بالسماء ،  
و اجتمع جميعهم على ذلك لأن لغتهم كانت واحدة و رأيهم واحد<sup>٦</sup>  
ففرق الله ألسنتهم و فرقهم من هنالك على وجه الأرض و لم يبنوا القرية  
التي هموا بها ، ولذلك سميت بابل و بوبال معناه بالعبرانى : الشتات ، و ما فى  
تفسير البغوى و غيره من أن عوج بن عوق - بضمهما كما فى القاموس -  
١٥ كان [ فى -<sup>٧</sup> ] زمن نوح و سلم من الطوفان ، و أن الماء لم يجاوز ركبته  
و نحو هذا كذب بحت<sup>٨</sup> منابذ لقوله تعالى ” و لا تخاطبنى فى الذين ظلموا  
انهم مغرقون “ و قوله ” لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم “  
و قوله ” رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا “ و نحوها ، فان

(١) فى ظ : للعهد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : لآخوته (٤) فى ظ : ستمائة .

(٥ - ٥) فى ظ : أرادوا بعده (٦) فى ظ : واجده (٧) زيد من ظ (٨) فى

الأصل : تحت ، و غير منقوط فى ظ و مد (٩) سورة ٧١ آية ٢٦ .

كل من ذكر ذلك ذكر أن موسى عليه السلام قتله كافرا .

ولما تمت هذه القصة على النحو الوافي ببيان اجتهد نوح عليه السلام في إبلاغ الإنذار من غير مراعاة إقبال ولا إدبار، وكانت مع ذلك دالة على علم تام واطلاع على دقائق لا سبيل إليها إلا من جهة الملك العلام .  
فهى على إزالة اللبس عن أمره صلى الله عليه وسلم أوضح من الشمس ، ه  
قال تعالى منها على ذلك : ﴿ تلك ﴾ أى هذه الأنباء البديعة الشأن الغريبة <sup>٢</sup> الأمر البعيدة عن طوق المعارض ، العلية الرتب عن يد المتناول ﴿ من أنباء الغيب ﴾ أى أخباره العظيمة ، ثم أشار إلى أنه لا يزال يحدد له أمثاله بالمضارع في قوله : ﴿ نوحياً إليك <sup>٣</sup> ﴾ فكانه قيل : إن بعض أهل الكتاب يعلم بعض تفاصيلها ، فأشار إلى أن <sup>٢</sup> ذلك بمجموعه ١٠ غيب وبما يعلمونه غيب نسبي بقوله : ﴿ ما كنت تعلمها ﴾ أى على هذا التفصيل ﴿ انت ﴾ ولما كان خفاها عن قومه دليلاً على خفائها عنه لأنه لم يخاطب غيرهم قال : ﴿ ولا قومك ﴾ أى وإن كانوا أهل قوة في القيام على ما يحاولونه <sup>٦</sup> و عدداً كثيراً <sup>٦</sup> ، ومنهم من يكتب ويخاطب العلماء .

ولما كان زمان <sup>٤</sup> خفاء ذلك عنهم - وإن كان عاماً لهم - بعض ١٥ الزمان الماضي ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل هذا <sup>٥</sup> ﴾ أى من إيحائي إليك حتى بطرق <sup>٥</sup> الوهم حيثئذ أنك تعلمتها من أحد منهم وإن كان يعلم

(١) في ظ : دلالة (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : سى - كذا (٥) في ظ : يجادلونه (٦-٦) من ظ و مد ، في الأصل : عدد كثير (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : جهلهم دال (٨) في ظ : انجائي (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : يطوف .

كثيرا منها أهل الكتاب كما رأيت عن نص التوراة فإن أن لا غرض  
لقومك إلا العناد، ﴿فاصبر<sup>١</sup>﴾ على ذلك ولا تقتر عن الإنذار، فستكون  
لك العاقبة كما كانت لنوح لأجل تقواه ﴿ان العاقبة﴾ أى آخر الامر من  
الفوز والنصر والسعادة ﴿للتقين ٢﴾ أى العريقين فى مخافة الله فى كل  
هـ زمن، وقد تضمنت القصة أليان عما يوجه حال أهل الخير والإيمان  
وأهل الشر والطغيان / من الاعتبار بالنبا عن الفريقين ليجتبى حال<sup>٣</sup>  
هؤلاء. وبقى حال أولئك لسوء العاقبة فى الدنيا والآخرة .

/٦٤٨

ولما تم من ذلك ما هو كفى بغرض السورة، وختم بأن العاقبة  
دائما للتقين، اتبع بالدليل على ذلك من قصص الأنبياء مع الوفاء بما  
١٠ سيق له قصة نوح - على جميعهم السلام - من الحث على المجاهرة

بالإنذار فقال تعالى: ﴿والى﴾ أى؛ ولقد أرسلنا إلى ﴿عاد اخام﴾  
وبينه فقال: ﴿هودا<sup>٤</sup>﴾ ولما تقدم أمر نوح مع قومه، استشف السامع<sup>٥</sup>  
إلى معرفة ما قال هود عليه السلام هل<sup>٦</sup> هو مثل قوله أولا؟ فاستأنف  
الجواب بقوله: ﴿قال ينقوم﴾ الذين هم أعز الناس لدى ﴿اعبدوا الله﴾  
١٥ أى ذا<sup>٧</sup> الجلال والإكرام وحده؛ ثم صرح وعلل فقال: ﴿مالكم﴾  
وأغرق فى النفي فقال: ﴿من اله﴾ أى معبود بحق ﴿غيره<sup>٨</sup>﴾ فدعا  
إلى أصل الدين كما هو دأب سائر النبيين والمرسلين؛ ثم ختم ذلك بمواجهتهم

(١) فى ظ و مد : فى (٢) زيد فى مد : أهل الخير والإيمان (٣) من مد ، وفى  
الأصل و ظ : المجاهدة (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ،  
وفى الأصل : بمثل (٧) من مد ، وفى الأصل : ذو (٨) تقدم فى الأصل على  
« من اله » والترتيب من ظ و مد .

بما يسوءهم من الحق وما ثناه<sup>١</sup> عن ذلك رجاء ولا خوف فقال: ﴿ان﴾  
 أى [ ما - ٢ ] ﴿انتم الا مفترونه﴾ أى متعمدون الكذب على الله  
 فى إشراككم به سبحانه لأن ما على التوحيد من أدلة العقل غير خاف  
 على عاقل فكيف مع تنبيه النقل! وذلك مكذب لمن أشرك، أى  
 فاحذروا عقوبة المفترى؛ ثم نعى أن يكون له فى ذلك غرض غير نصحهم  
 بقوله [ موضع "إنى ناصح لكم بهذا الأمر فلا يسوءكم مواجعتى لكم  
 فيه بما تكرهون" ١ ] ﴿يُقوم﴾ مكرراً لاستعطاف ﴿لَا اسئلكم﴾  
 أى فى المستقبل كما لم أسألكم فى الماضى ﴿عليه﴾ أى على هذا الإنذار  
 ﴿اجراء﴾ أى فليست موضع تهمة ﴿ان﴾ [ أى ما - ٢ ]؛ ﴿اجرى﴾  
 [ ثم وصف من توكل عليه سبحانه بما يدل على الكفاية فعلى وجوب ١٠  
 شكره فقال - ٢ ]: ﴿الا على الذى فطرني﴾ أى ابتداء خلقى<sup>٢</sup> ولم يشاركه  
 فى<sup>٣</sup> أحد فهو الغنى المطلق لا أوجه رغبتى إلى غيره كما يجب<sup>٤</sup> على كل أحد  
 ذلك لكونه فطرة .

ولما كان الخلاف الذى لاحظ فيه جهة الدنيا لا يحتاج الإنسان  
 فى الدلالة على أن صاحبه ملجأ إليه من جهة الله، وأنه لا نجاة إلا به إلى غير ١٥  
 العقل، سبب عن<sup>٥</sup> قوله هذا<sup>٦</sup> الإنكار عليهم فى قوله: ﴿افلا تعقلون﴾ .  
 ولما دعاهم مشيراً إلى ترهيبهم مستدلاً على الصدق بنفى الغرض،  
 رغبهم فى إدامة<sup>٧</sup> الخوف مما<sup>٨</sup> مضى بقوله: ﴿و ينقوم﴾ ومن هم  
 (١) من ظ و مد، وفى الأصل: بنا - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٢) فى  
 ظ: لم يشافيه (٤) زيد فى ظ: ذلك (٥) فى ظ: عنه (٦) فى ظ: هـ - ل .  
 (٧ - ٧) فى ظ: الحرف بما .

أعز الناس على\* ولهم قدرة على ما<sup>١</sup> طلب منهم ﴿استغفروا ربكم﴾ أى  
اطلبوا غفرانه بطاعتكم له لما يجب له باحسانه إليكم . وأشار إلى علو رتبة  
التوبة بأداة التراخي فقال : ﴿ثم توبوا إليه﴾ أى تسموا على هذه الرتبة  
بأن تطلبوا من الله لذنوبكم ثم رجعوا إلى طاعته بالندم والإفلاع  
٥ والاستمرار ﴿يرسل السماء﴾ أى الماء النازل منها أو السحاب بالماء  
﴿عليكم مدرارا﴾ أى هائلة بمطر غزير متتابع ﴿ويزدكم قوة﴾ أى  
عظيمة بمجموعة ﴿الى قوتكم﴾ ثم عطف على قوله ” استغفروا “ قوله :  
﴿ولا تتولوا﴾ أى تكلفوا أنفسكم غير ما جبلت عليه من سلامة<sup>٢</sup>  
الانقياد فبالغوا فى الإعراض - بما أشار إليه إثبات التاء ﴿مجرمين﴾  
١٠ أى قاطعين لأنفسكم - ببناء أمركم على الظنون الفاسدة عن<sup>٣</sup> خيرات الدنيا  
والآخرة .

ولما تحض لهم النصح على غاية البيان ، ما كان جوابهم إلا أن  
﴿قالوا﴾ أى عاد بعد أن أظهر لهم [هود عليه السلام - \*] من  
المعجزات ما مثله آمن عليه البشر ﴿يُهود﴾ نادوه باسمه غلظة وجفاء  
١٥ ﴿ما جئنا بيته﴾ فأوضحوا لكل<sup>٤</sup> ذى لب أنهم مكابرون لقويم العقل  
وصريح النقل ، فهم<sup>٥</sup> مفترون كما<sup>٦</sup> كان العرب يقولون للنبي صلى الله عليه  
وسلم بعد أن أتاهم من الآيات<sup>٧</sup> على يده ما يفوت الحصر ” لو لا أنزل عليه

(١) سقط من مد (٢) من ظ ، وفى الأصل : سلاطة ، وفى مد : سلاسة (٣) فى  
ظ : من (٤) من ظ ، وفى الأصل و مد : ظهر (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى  
مد : كل (٧) فى ظ : فمنهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : الايمان .



اية من ربه " (وما نحن) وأغرقوا في النفي فقالوا: (بتاركي الهتاء) مجاوزين لها أو صادرين (عن قواك) وتركهم للعطف بالفاء - المؤذنة بأن الأول سبب للثاني أى الواو في قولهم: (وما نحن لك) أى خاصة، وأغرقوا في النفي فقالوا: (بمؤمنين ه) - دليل على أنهم تركوا اتباعه عنادا، لا<sup>١</sup> أنهم يعتقدون أنه لم يأت بيته؛ [وإلى ذلك يرشد ه أيضا تعبيرهم بالاسمية التي تدل على الثبات فاذا نفي لم ينف الاصل -<sup>٢</sup>]؛ و البينة: الحجة الواضحة في الفصل بين الحق والباطل، والبيان: فصل المعنى من غيره حتى يظهر للنفس محورا مما سواه، والحامل على ترك البينة بعد ظهورها صد<sup>٣</sup> الشبهة عنها أو تقليد الرؤساء في دفعها و اتهام موردها أو<sup>٤</sup> اعتقاد أصول فاسدة تدعو إلى جحدها أو العناد للحسد ونحوه، ١٠. والجامع له كله وجود الشبهة.

ولما قالوا هذا الكلام البين الفساد من غير تعرض لنقض ما قال لهم بنوع شبهة، كان كأنه قيل لهم: هذا الذى قلته لكم وهو لا أبن منه ولا أعدل، افرضوا أنه ما ظهر<sup>٥</sup> لكم صحته فما تقولون إنه حملنى عليه مع أن فيه منابذتكم وأتم أولاد عمى وأعز الناس على؟ فقالوا: ١٥ (ان نقول الا اعترلك) أى أصابك وغشيك غشيانا التصق<sup>٦</sup> بك التصاق<sup>٧</sup> العروة بما هي فيه مع التعمد والقوة (بعض الهتاء بسوء<sup>٨</sup>) من نحو الجنون والخبال<sup>٩</sup> فذاك الحامل لك على<sup>١٠</sup> النهى عن عبادتها.

(١) في ظ: اتبعوه (٢) في ظ: الا (٣) زيدت من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: تظهر (٥) في ظ: بل (٦) من مد، وفي الأصل وظ «و» (٧) في ظ: اظهر (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) في ظ ومد: الخبل . (١٠) في ظ: عن .

ولما كان الطبع البشرى قاضيا بأن الإنسان يخشى من مسه بسوء  
 وهو يتوهم أنه قادر على ضرره فلا يواجهه بما يكره، [وكان قولهم  
 محركا للسامع إلى الاستعلام عن جوابه لهم، استأنف سبحانه الإخبار  
 عنه بقوله - ١]: ﴿قال﴾ نافيا لما قالوا ميثا أن آلهتهم لا شيء ضاما  
 ٥ لهم معها، وأكد لأنهم بحيث لا يظنون أن أحدا [لا - ١]  
 يقول ما قاله ﴿انـ اشهد الله﴾ أى الملك الأعظم ليقوم عذرى عنده  
 [١- وعدل أدبا مع الله عن أن يقول: وأشهدكم - لئلا يتوهم تسوية -  
 إلى صيغة الأمر تهاونا بهم فقال - ٢]: ﴿واشهدوا﴾ [أى - ١] أنتم  
 لتقوم الحجة عليكم لا يسكم وبين عجزكم ويعرف كل أحد أنكم بحيث  
 ١٠ يتهاون بكم وبدينكم ولا يبالي بكم ولا به ﴿انى برىء مما تشركون﴾ وبين  
 سفولها بقوله: ﴿من دونه﴾ كائنا ما كان ومن كان، فكيف إذا لم يكن  
 إلا جمادا ﴿فكيدونى﴾ حال كونكم ﴿جميعا﴾ أى فرادى إن شئتم  
 أو مجتمعين أنتم وآلهتكم .

ولما كانت المعالجة فى الحرب أهول، وكان شأنها أصعب وأخطر،  
 ١٥ بين عظمها بأداة التراخى فقال: ﴿ثم لا تنظرون﴾ والكيد: طلب  
 الغيظ بالسوء فى مكر، وهذه الآية من أعلام النبوة الواضحة لهود  
 عليه السلام. فكانه قيل: هب أن آلهتنا لا شيء، فاحملك على الاجترار  
 (١) زيد من ظ ومد (٢) من مد، وفى ظ: فقالوا (٣) من مد، وفى الأصل  
 وظ: بين (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: عقولها (٥-هـ) من مد، وفى الأصل:  
 الفيض بالسوء، وفى ظ: الغيظ بالسل (٦) فى ظ: فكان .

على مخالفتنا نحن و أنت تعلم كثرنا و قوتنا و أنت لا تزيد على أن تكون<sup>١</sup> واحدا منا فقال: ﴿ أنى ﴾ أى جسرت<sup>٢</sup> على ذلك لانى ﴿ توكلت ﴾ معتمدا<sup>٣</sup> ﴿ على الله ﴾ الملك المرهوب عقابه الذى لا ملك سواه و لا رب غيره؛ و بين إحاطة ملكه بقوله: ﴿ ربى و ربكم<sup>٤</sup> ﴾ أى الذى أوجدنا و دبر أمورنا قبل أن يخلقنا<sup>٥</sup> فلم ما يعمل<sup>٦</sup> كل منا فى هـ حق الآخر لأنه ﴿ ما من دابة ﴾ أى صغرت أو كبرت ﴿ الا هو اخذ ﴾ أى أخذ قهر<sup>٧</sup> و غلبة ﴿ بناصيتها<sup>٨</sup> ﴾ أى قادر عليها، و قد صار الأخذ بالناصية عرفا فى القدرة، لأن الكل جaron<sup>٩</sup> مع مراده لا مع مرادهم بل لا ينفك أحد عن كراهة لبعض ما هو فيه فدل ذلك قطعا على أنه بغير مراده وإنما هو بمسراد قاهر قهره على ذلك وهو الملك الأعلى ١٠ سبحانه؛ و الناصية: شعر<sup>١١</sup> مقدم الرأس، و من<sup>١٢</sup> أخذ بناصيته فقد انقاد لآخذه لا يستطيع ميلا ﴿ ان ﴾ أى لأن ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى بما أقامنى فيه ﴿ على صراط ﴾ أى طريق واسع بين ﴿ مستقيمه ﴾ ظاهر أمره لكل أحد لا لبس فيه أصلا و لا خلل و لا اضطراب و لا اعوجاج<sup>١٣</sup> بوجه، فلذلك كان كل من فى السكون يتأله و يدعوه و يخافه<sup>١٤</sup> و يرجوه ١٥ و إن اتخذ بعضهم من دونه شركاء، و أما ما يعبد من دونه فلا يعظمه إلا عابده، و أما غير عابده فانه لا يقيم له وزنا؛ فصح بهذا أنه غالب

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يكون (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: حرب.  
(٣) فى مد: متعمدا (٤) من مد، وفى الأصل: تخلقها، وفى ظ: يخلقها (٥) فى ظ: يعلم (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: قهرا (٧) فى ظ: جبارون (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: صفة (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: بمن (١٠) فى ظ: عوج (١١) فى ظ: يخالفه.

على كل شيء [ غلبة - ' ] يعلمها كل موجود من غير خفاء أصلاً ، فهو  
مرجو مرهوب باجماع العقلاء بخلاف معبوداتكم ، والحاصل أنه يلزم  
الصراط<sup>١</sup> المستقيم الظهور ، فيلزم عدم الاختلاف لاتقاء اللبس ، فن كان

عليه كان على<sup>٢</sup> القدر شهير الأمر ، بصيراً بما يريد ، مع الثبات والتمكن ،

٥ / ٦٥٠ مرهوب العاقبة ، مقصوداً بالاتباع والمحبة ، من لم / يقبل إليه ضل ، ومن

أعرض عنه أخذ لكثرة أعوانه وعز سلطانه ، فظهرت قدرته على عصمة

من يتوكل عليه وعجز معبوداتهم معهم ، لأن نواصي الكل بيده وهو

ربها وربهم ورب كل شيء ، " فقد انطبق ختام الآية على قولهم " ما جئنا

بينة " رداً له لأن من كان على صراط مستقيم لم يكن شيء أبين من

١٠ أمره ، وعلى جوابه في توكله وما في حيزه آتم انطباق ؛ والناصية :

٤ "مقدم الشعر من الرأس ، و٥ أصلها الاتصال" من قولهم : مفازة تناصي

مفازة - إذا كانت متصلة بها .

ولما استوفى تشييد أمره وهدم قولهم ، أخذ يحذرهم فقال مبيناً

أن العدول عما جاء به لا يكون إلا بمعالجة الطبع السليم : ( فان تولوا )

١٥ ولو أدنى تولية - بما يشير إليه حذف التاء ، فعليكم اللوم دوني ، لأنني

فعلت ما على ( فقد ) أي بسبب أني قد ( ابلغتكم<sup>٨</sup> ما<sup>٨</sup> ) أي كل شيء .

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط

ما بين الرقين من ظ و مد (٥) في ظ و مد : الايصال (٦) من القرآن الكريم

وظ ، وفي الأصل و مد : وان (٧) من ظ و مد و القرآن الكريم ، وفي الأصل :

بلغتكم (٨) تأخر في الأصل عن " كل شيء " والترتيب من ظ و مد .

( ارسلت ) أى تقدم<sup>١</sup> إرسالى من<sup>٢</sup> عند من لا مرسل فى الحقيقة غيره  
 ( بة اليكم<sup>٣</sup> ) كاملا لم أدع منه شيئا رجاء لإقبالكم ولا خوفا من  
 إعراضكم، فأيتيم إلا التكذيب لى<sup>٤</sup> والاستكبار عما جئت به، فالذى أرسلنى  
 ينتقم منكم فيهلككم ( ويستخلف ربى ) أى يوجد المحسن إلى باقامتى  
 فيما يرضيه ( قوما غيركم<sup>٥</sup> ) يخلفونكم فى دياركم وأموالكم، فتكونون ه  
 أعداءه، ويكون المستخلفون متعرضين لأن يكونوا أولياء [ مع كونهم  
 ذوى بأس وقوة -<sup>٦</sup> ] فيختص الضرر بكم ( ولا تضرونه ) أى الله  
 بأعراضكم ( شيئا<sup>٧</sup> ) ثم علل وعيده لهم بقوله مؤكدا لأن العاصى فاعل  
 بعصيانته فعل<sup>٨</sup> من يظن<sup>٩</sup> أن الله غافل عنه : ( ان ربى ) أى المحسن إلى  
 المدير لمصالحى .

١٠

ولما كان الأهم فى هذا السياق بيان استعلائه وقدرته، قدم قوله :  
 ( على كل شيء ) صغير أو كبير جليل أو حقير ( حفيظه<sup>١٠</sup> ) أى عالم  
 بكل شيء وقادر على كل شيء [ و -<sup>١١</sup> ] بالغ الحفظ له، فيعلم ما يعمل  
 محفوظه فيجازيه بما يستحق من نعمه ونقمه، فهو تعليل لاستخلاف  
 غيرهم وتنزهه عن حقوق ضرر، لأن الحفظ : الحراسة، ويلزمها العلم<sup>١٢</sup>  
 والقدرة، فمن القدرة حافظ العين، أى<sup>١٣</sup> لا يغلبه نوم، والحفيظة -  
 للحمية والغضب، ومنهما<sup>١٤</sup> مع المحافظة - للواظبة على الشيء؛ والتولى عن  
 الشيء : الذهاب إلى غير جهته إعراضا عنه؛ والإبلاغ : إلحاق الشيء نهايته؛

(١) من ظ ومد، وفى الأصل : بعدم - كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط من  
 مد (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ : ظن (٦) فى مد : ان (٧) فى ظ : منها .

والاستخلاف: جعل الثاني بدلا من الاول يقوم مقامه؛ والضرب: إيجاب الألم بفعله أو التسبب له.

ولما تم ذلك كان كأنه قيل: فلم يرجعوا ولم يرجعوا لينة ولا رغبة ولا رهبة فأنزلنا بهم أمرا (ولما جاء أمرنا) أى وقت ه إرادتنا لإهلاك عاد (نجينا) أى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة (هودا والذين آمنوا) كائنين (معه) فى الإيمان والنجاة من قومهم فلم يقدروا أن يصلوا إليهم بسوء مع اجتهدهم فى ذلك وإعجابهم بقوامه ويقال: إن الذين آمنوا كانوا أربعة آلاف.

ولما كان سبحانه [بحيث-٢] لا يجب عليه لأحد شيء لأنه لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره وإن اجتهد فى طاعته، فإن طاعته نعمة منه عليه، أشار إلى ذلك بقوله: (برحمة منا) تحقيقا لتوكل عبدنا؛ ولما بين إنجاءهم من قومهم بين إنجاءهم بما أهلكهم به فقال [مكررا ذكر التنجية دلالة على أن عذابهم كان فى غاية الفظاعة-٣]: (ونجينهم) أى بما لنا من العظمة، وبين فظاعة ما أهلك به أعداءهم بقوله: (من عذاب غليظ) ١٥ أى أهلكنا به مخالفهم وهو الريح الصرصر، وهذا أولى من حمله على عذاب الآخرة لما بأتى من قوله "ومن خزي يومئذ" كأنهم كانوا إذا رأوا مخايل العذاب قصدوا نبيهم ومن آمن به ليهلكهم قبلهم كما

(١) فى ظ: الضرر (٢-٢) فى ظ ومد: المؤمنين (٣) زيد من ظ ومد.

(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: نجاهم (٦) من ظ، وفى الأصل: ادل، وفى

مد: اول.

صرح به في قصة صالح ، و النجاة : السلامة من الهلاك ؛ و حقيقة العاقبة<sup>١</sup>  
عظم الجثة ، فاستعير للعذاب ثقله على النفس و طول مكثه .

- و لما تمت قصتهم على هذا الوجه البديع و الأسلوب / المطرب<sup>٢</sup> ،  
قال تعالى عاطفا على قوله " تلك من انبوء الغيب " : ﴿ و تلك عاد ق<sup>٣</sup> ﴾  
أى قصة القوم البعداء<sup>٤</sup> البغضاء ، ما كنت تعلمها على هذا التفصيل أنت ه  
و لا قومك و لا أهل الكتاب ، وإنما نفيت عن أهل الكتاب لأنهم  
لا يعلمون إلا ماله أصل عن أنبيائهم ، وهذه قصة ثمود ليستا في  
التوراة و لا شيء من أسفار أنبيائهم . و سألت بعض علماءهم فلم أجد  
عنده شيئا من علمها و لا حرفا واحدا و لا سمع بعاد و لا هود ، وتلخيص  
قصتهم أنهم ﴿ جحدوا ﴾ أى كذبوا عنادا و<sup>٥</sup> استهانة ﴿ بنأيت ربهم ﴾ ١٠  
المحسن إليهم ﴿ و عصوا رسله ﴾ فان من عصى واحدا منهم فقد عصى  
الكل لاتفاقهم على أمر واحد مع التساوى في<sup>٦</sup> مطلق المعجزة  
﴿ و اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ امر كل جبار ﴾ أى قاهر بليغ القهر<sup>٧</sup>  
يجبر غيره على ما يريد ، و هذا يدل على أنه لا عذر في أصل الدين  
بوجه فان الضمائر لا يعلمها إلا الله [ فيمكن كل أحد مخالفة الجبار ١٥  
فيه -<sup>٨</sup> ] ﴿ عنده ﴾ أى طاع باغ لا يقبل الحق بوجه ، فأهلكوا  
و لم يمنعهم تجبرهم و لا أغنى عنهم عنادهم و تكبرهم ﴿ و اتبعوا ﴾ جميعا بعد  
(١) في ظ و مد : الغلط (٢) في مد : المضطرب (٣) زيد في مد : اى (٤) زيد  
بعده في مد : القوم (٥) سقط من ظ و مد (٦) من مد ، و في ظ : واحد .  
(٧) زيد من ظ و مد .

إهلاكهم بأيسر وجه لعظيم قدرة المتبع ﴿ في هذه الدنيا ﴾ حقرها في هذه العبارة بما أشارت إليه الإشارة مع<sup>١</sup> التصغير، وبما دل على الدنو وبأن من اغتر بها فهو بمن وقف مع الشاهد لما له من الجود ﴿لغة﴾ أى طردا وبعدا وإهلاكاً<sup>٢</sup> ﴿ويوم القيامة<sup>٣</sup>﴾ أى كذلك بل<sup>٤</sup> أشد، فكأنه قيل: أفما لمصبتهم من تلاف؟ فقيل: لا، ﴿الآ﴾ مفتوحاً<sup>٥</sup> للاخبار عنهم بهذه الآداة التى لا تذكر إلا بين يدى كلام يعظم موقعه ويحمل<sup>٥</sup> خطبه، والتأكيد فى الإخبار بكفرهم تحقيق لحالهم، وفيه من أدلة النبوة وأعلام الرسالة الرد على طائفة قد حدثت<sup>٦</sup> بالقرب من زماننا يصوّبون جميع الملل وخصوا عادا هذه لكونها أغنام بأن ١٠ قالوا: إنهم من المقربين إلى الله وإنهم بعين الرضى [منه -<sup>٧</sup> ]، فالله المسئول فى الادالة عليهم وشفاء الصدور منهم، وهم<sup>٨</sup> أتباع ابن عربى<sup>٩</sup> الكافر العنيد أهل الاتحاد، المجاهرون بعظيم الإلحاد، المستخفون برب العباد، فلذلك قال تعالى مينا لحالم بياناً لا خفاء معه: ﴿ان عادا كفروا﴾ ولم يقصر الفعل، بل عداه إعظاماً لطغيانهم فقال: ﴿ربهم<sup>١٠</sup>﴾ أى ١٥ غطوا [جميع أنوار -<sup>١١</sup> ] الظاهر الذى لا يصح أصلاً خفائه لأنه لانتعمة على مخلوق إلا منه، [فكان كفرهم أغلظ الكفر، ومع ذلك فلم ينن هود عليه السلام عن إبلاغهم جميع ما أمر به ولا ترك شيئاً مما أوحى إليه فلك به أسوة حسنة<sup>١٢</sup> وفيهم قدوة -<sup>١٣</sup> ]، ومن كفر من

- (١) فى مد: من (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: هلاكا (٣) من ظ ومد، وفى الأصل «و» (٤) فى ظ ومد: افتتاحاً (٥) فى ظ: يجعل (٦) فى مد: حثت . (٧) زيد من ظ ومد (٨-٨) فى ظ: كبعض (٩) ليس فى ظ .



أحسن إليه بعد بعدا لا قرب معه .

ولما كان الأمر عظيما و الخطب جليلا ، كرر الأداة التي يقال  
عند الأمور الجليلة فقال : ﴿ (الابعدا لعاد ) ﴾ [ هو - ٢ ] من بعد - ٢ - 'بكر  
العين' إذا كان بعده ' بالهلاك ، و بينهم بقوله : ﴿ ( قوم هود ع ) ﴾ تحقيقا  
لهم لأنهم عادان : الأولى و الآخرة ، و إيماء إلى أن استحقاقهم للإبعاد ٥  
بما جرى لهود عليه السلام معهم من الإنكار و الدعاء عليهم بعد الهلاك  
كناية ' عن الإخبار ' بأنهم كانوا مستحقين ' للهلاك ' ؛ و الجحد : الخبر  
عما ' يعلم صحته أنه لا يعلمها ، وهو ضد الاعتراف ' كما أن ' ' النفي ضد  
الإثبات ، فهو خبر بمجرد العدم فهو أعم ؛ و العصيان خلاف ما أمر به  
الداعي على طريق الإيجاب ؛ و اللعنة : الدعاء بالإبعاد ، و أصلها الإبعاد من ١٠  
الخير ؛ و الاتباع : جعل الثاني على أثر الأول ، و الإبلاغ أخص منه ،  
و المراد هنا بلوغها لهم لأن الذي قضى بذلك قادر و قد ألحق بهم عذاب  
الدنيا المبعد لهم من مظان الرحمة .

ولما انقضت قصة عاد على ما أراد سبحانه ، أتبعها " قصة من كانوا  
عقبهم في الزمن و مثلهم في سكنى " أرض العرب و عبادة الأوثان ١٥  
و المناسبة في الأمر المعذب به لأن الموصل للصيحة " إلى الاستماع هو الريح  
(١) في مد : يقال (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ ومد ،  
و في الأصل : بالكسر (٥) في مد : بدوا (٦) زيدت الواو في ظ (٧-٧) من  
ظ ومد ، و في الأصل : بالأخبار (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : متحققين .  
(٩) في ظ : مما (١٠-١٠) في ظ : كان (١١) في ظ : اتبعه (١٢) من مد ، و في  
الأصل و ظ : سكن (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : الصيحة .

و في خفاء<sup>١</sup> أمرهم . مفصلا على أهل ذلك الزمان فقال : ﴿إِذْ إِلَىٰ أَىٰ<sup>٢</sup>  
ولقد أرسلنا إلىٰ<sup>٣</sup> ﴿نمود اخام﴾ و بينه<sup>٤</sup> بقوله : ﴿صلحاء﴾ ثم أخرج  
قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير سؤال فقال : ﴿قال يقوم﴾ أَىٰ  
يا من<sup>٥</sup> / يعز على أن يحصل لهم سوء ﴿اعبد الله﴾ أَىٰ الملك الأعظم  
وحده لأن عبادتكم له مع غيره ليست بشيء ؛ ثم استأنف تفسير ذلك  
فقال : ﴿مالكم﴾ أغرق في النقي فقال : ﴿من اله غيره<sup>٦</sup>﴾ جريا على  
منهاج الدعاة إلى الله في أصل الدين . وهو أفراد المنعم بالعبادة .

ولما أمرهم<sup>٧</sup> بذلك ، ذكرهم قدرته ونعمته مرغبا مرهبا فقال :  
﴿هو﴾ أَىٰ وحده ﴿انشاكم﴾ أَىٰ ابتداء خلقكم ﴿من الارض﴾  
١٠ . بخلق آدم عليه السلام منها بغير واسطة و بخلقكم من الحى [من الدم -<sup>٨</sup>  
هو من<sup>٩</sup> الغذاء وهو من النبات وهو من الارض كما أنشأ<sup>١٠</sup> أوثانكم منها  
﴿و﴾ رفع مقداركم عليها بأن ﴿استعمركم﴾ أَىٰ أهلكنكم<sup>١١</sup> لما لم يؤهل<sup>١٢</sup>  
له الأوثنان من أن تكونوا<sup>١٣</sup> عمارا ﴿فيها﴾ فلا تنسوا حق إليهم<sup>١٤</sup>  
و ما فضلكم به من حق أنفسكم بخضوعكم لما لا<sup>١٥</sup> يساريكم فكيف بمن أنشأكم  
١٥ و إياها ؛ و الإنشاء : الابتداء بالإيجاد من غير استعانة بشيء من الاسباب .  
ولما بين لهم سبحانه عظمتهم . و كان الشيطان قد شبه عليهم أنه

اعظمته لا يوصل إليه إلا بوسيلة كما هو حال الملوك و ألقى إليهم أن الأوثنان

(١) في ظ : اخفاء (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) في ظ : بينهم (٥) في  
ظ : قوم (٦) في ظ : امر لهم (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد ، وفي الأصل :  
انشالكم ، وفي ظ : انشاكم (٩) في ظ : اهلكهم (١٠) في ظ : لم توهل ، وفي مد :  
لم يتوهل (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : يكونوا (١٢) في ظ : أهلككم .  
(١٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم .

وسائل ، نفى ذلك مبينا طريق الرجوع إليه بقوله : ﴿ فاستغفروه ﴾  
 أى فأقبلوا بكل قلوبكم عليه طالبين أن يستر ذنوبكم ؛ وذكر شرط المغفرة  
 بقوله مشيرا بأداة البدل إلى عظيم المنزلة : ﴿ ثم توبوا ﴾ أى ارجعوا  
 بجميع قلوبكم ﴿ إليه ﴾ ثم علل ذلك بلفظه وعطفه ترغيبا فى الإقبال إليه  
 فقال مؤكدا لأن من يرى إيماله للمصدا يظن الظنون ومن عصاه كان عمله هـ  
 عمل من يشكر قربه وإجابته : ﴿ ان ربي ﴾ الذى أخذت له عبادة  
 لإحسانه إلىّ وأدعوكم إلى الإخلاص له لإحسانه إليكم ﴿ قريب ﴾ من كل  
 من أقبل إليه من غير حاجة إلى معاناة مشى ولا حركة جارحة  
 ﴿ يجب .. ﴾ لكل من ناداه لا كعبوداتكم فى الأمرين معا .

و لما دعاهم إلى الحق ونصب لهم عليه من الأدلة ما هم به معترفون ١٠  
 وذكرهم نعمه مؤمنا إلى التحذير من تقمه ، وسهل لهم طريق الوصول  
 إليه ، ما كان جوابهم إلا أن سلخواه من طور البشرية لمحضر التقليد ،  
 فلذلك استأنف الإخبار عن جوابهم بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى ثمود  
 ﴿ يصلح ﴾ نادوه باسمه قلة أدب منهم وجفاء ﴿ قد كنت فينا ﴾ أى فيما  
 بيننا إذا تذاكرنا أمرك ﴿ مرجوا ﴾ أى فى حبز من يصح أن يرجى أن ١٥  
 يكون فيه خير وسودد ورشد وصلاح ، واستغفروا الزمان فخذفوا  
 الجار وقالوا : ﴿ قبل هذا ﴾ أى الذى دعوتنا إليه فأما بعد هذا فانسخت  
 من هذا العدد ؛ ثم بينوا ما أوجب سقوطه عندهم بقولهم منكروا إنكار

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : عليه (٢) فى ظ : اخصت (٣) فى ظ : كعبودتكم ،  
 وفى مد : كعبوداتهم (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : بمحض (٦) فى ظ :  
 الاجبار (٧) زيد فى مد : له .

مخترق<sup>١</sup> ﴿ اتنهنا ﴾ اى مطلق نهى ﴿ ان نعبد ﴾ اى دائما ﴿ ما يعبد الاونا ﴾  
و عبروا بصيغة المضارع تصويرا للحال كأن آباءهم موجودون فلا تمكن  
مخالفتهم<sup>٢</sup> إجلالا لهم ، فأجلوا من يروونه سببا قريبا في وجودهم ولم يهابوا<sup>٣</sup>  
من أوجدهم وآباءهم أولا من الأرض و ثانيا من النطف ، ثم خولهم  
ه فيما هم فيه ، ثم فزعوا - في أصل الدين بعد ذكر الحامل لهم على الكفر  
المانع لهم من تركه - إلى البهت بأن ما يوجب القطع لكل عاقل من  
آيته<sup>٤</sup> الباهرة لم يؤثر عندهم إلا ما هو دون الظن في ترك إجابته ، فقالوا  
مؤكدين لأن شكهم حقيق بأن ينكر لأنه في أمر واضح جدا لا يحتمل  
الشك أصلا : ﴿ واتنا لنى شك ﴾ [ و - ٦ ] زادوا التأكيد بالنون  
١٠ و اللام و بالإشارة بالظرف إلى إحاطة الشك بهم ﴿ بما ﴾ و لما كان  
الداعى واحدا و هو صالح عليه السلام<sup>٥</sup> لم يلحق بالفعل<sup>٦</sup> غير نون واحدة  
هى ضميرهم بخلاف ما فى سورة إبراهيم عليه السلام فلذلك قالوا :  
﴿ تدعوننا إليه ﴾ من عبادة الله وحده ﴿ مريب ﴾ أى موقع فى  
الرية و هى قلق النفس و انتفاء الطمأنينة باليقين ؛ و الرجاء : تعلق النفس  
١٥ / ٦٥٣ لمجئء الخير على / جهة الظن ، و نظيره الأمل و الطمع ؛ و النهى : المنع  
من<sup>٧</sup> الفعل بصيغة " لا تفعل " .

(١) فى ظ : مخترق ، و زيد بعده فى الأصل : بقولهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ  
و مد لحذفها (٢) زيد فى ظ : فى (٣) فى ظ : لم تهابوا (٤) من ظ و مد ،  
و فى الأصل : بانه (٥) فى مد : آياته (٦) زيد من ظ و مد (٧) العبارة من هنا  
إلى إبراهيم عليه السلام « ساقطة من ظ (٨) فى مد : الفعل (٩) من مد ، و فى  
الأصل : على (١٠) فى مد : عن (١١ - ١١) فى ظ : الفعل .

ولما أبرزوا له أمرهم فى قالب الشك على سبيل الجزم ، قابلهم بمثله  
على سبيل الفرض [ إنصافاً لهم لئلا يلائم الخطاب حال المخاطبين - ' ] ،  
فاستأنف سبحانه الإخبار عنه بذلك فى قوله : ﴿ قال ﴾ أى صالح نادياً  
لهم إلى النظر فى أمره برفق ﴿ يقوم أرىتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كنت ﴾  
أورده بصيغة الشك لأن خطابه للجاحدين<sup>٢</sup> ﴿ على بينة من ربى ﴾ أى ه  
المحسن إلى<sup>٣</sup> ، لا شك عندى فيها ﴿ واتنى منه رحمة ﴾ أى أوامرى  
سبب الرحمة ﴿ فن ينصرنى ﴾ وأظهر موضع الإضمار وعبر بالاسم  
الاعظم لاقتضاء<sup>٤</sup> المقام التهويل فقال : ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم  
﴿ ان عصيته ﴾ أى أن<sup>٥</sup> وقوعكم فى الشك [ على زعمكم - ' ] حماكم على  
هيئة الإباء فى التلبس<sup>٦</sup> بأعمالهم<sup>٦</sup> مع زوالهم واضمحلالهم ولو كانوا ١٠  
موجودين وعصيتهم لم تبالوا بهم ، وأما أنا فالذى<sup>٧</sup> أمرنى بعبادته<sup>٧</sup> حى  
قادر على جزاء من يطيعه أو يعصيه ، وأقل ما يحمل على طاعته الشك فى  
عقوبته ، وهو كاف للعافل فى ترك الخطر ﴿ فا ﴾ أى فتسبب عن نهيك  
لى<sup>٨</sup> عن الدعاء إليه سبحانه أنكم ما<sup>٩</sup> ﴿ تزيدونى ﴾ بذلك شيئاً فى عملى بما  
ترومونه<sup>١٠</sup> منى من عطفى عنه باتباعكم فى عملكم أو الكف عنكم لأصير ١٥  
فى عداد من يرجى عنكم من له عقل ﴿ غير تحسیره ﴾ أى إيقاعى فى  
الحسارة على هذا التقدير : فلا تطمعوا فى تركى لشيء من مخالفتكم ما دمتم

(١) زيد من ظ ومد (٢-٢) فى ظ ومد : ذا يقين واستعلاء (٣) سقط من ظ .  
(٤) فى مد : اقتضاء (٥) من مد . وفى الأصل وظ : التلبس (٦) فى ظ :  
بأعمالكم (٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : بأمرنى بعبادته - كذا (٨) سقط  
من مد (٩) فى ظ : ترومونه .

على ما أنتم عليه ، والآية كما ترى ناظرة إلى قوله تعالى ” فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك “ .

- ولما أخبرهم أن معصية الله خسران ، ذكرهم<sup>١</sup> أمر الناقة التي أخرجها سبحانه لهم<sup>٢</sup> من الأرض شاهدا على كونهم مساوين للأوثان في كونهم منها مفضلين عليها بالحياة محذرا لهم من شديد انتقامه فقال : ﴿ وَيَقَوْمِ هَذِهِ ﴾ إشارة إلى حاضر ، وذلك بعد أن أخرجها لهم سبحانه عند ما دعاه صالح عليه السلام ؛ وبين الإشارة بقوله : ﴿ ناقة الله ﴾ أى الملك الأعلى ، ثم بنى حالا من ” آية “ مقدما عليها لئلا يكون صفة لها فقال : ﴿ لَكُمْ ﴾ أى خاصة لنظركم إياها عند ما خرجت ولكل من سمع بها بعدكم ، ١٠ وليس الخبر كالمعاينة ، أشير إليها حال كونها ﴿ آية ﴾ بكون الله تعالى أخرجها لكم من صخرة ، وهى عشاء على حسب<sup>٣</sup> ما اقترحتم وأنتم تشاهدون وبكونها تنفرد بشرب يوم ، وتنفردون<sup>٤</sup> كلكم بشرب يوم ، وتنفرد برعى يوم ، وتنفرد<sup>٥</sup> جميع الحيوانات من دوابكم ووحوش بلادكم برعى يوم إلى غير ذلك مما أنتم له مبصرون وبه عارفون ﴿ فذروها ﴾ أى اتركوها ١٥ على أى حالة كانت<sup>٦</sup> ترككم لها ﴿ تاكل ﴾ [ أى<sup>٧</sup> بما أرادت<sup>٨</sup> - ] ﴿ فى أرض الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله التى خلقها منها ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ والأكـل : مضغ يقع عند بلع ، والمس<sup>٩</sup> مطلق الإصابة ويكون بين الحيوان وغيره ، واللـس أخص منه لما فيه من الإدراك
- (١) زيد فى ظ و مد ١ ان (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سبب (٤) فى ظ : تنفرد ، (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ينفرد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يتكوى ، (٧) ليس فى ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ : السوء .

{ فإخذكم } أى فيتسبب عن ذلك أن يأخذكم { عذاب قريب ٥ }  
 أى من ' زمن إصابتكم لها بالسوء ؛ ثم أشار إلى قرب مخالفتهم لأمره  
 فيها بقوله مسيباً عن أوامره ونواهيه ومعقبا : { ففقروها } أى الناقة  
 { فقال } أى [ عند - ' ] بلوغه الخبر { تمتعوا } أى [ أنتم - ' ]  
 تعيشون { فى داركم } أى داركم هذه ، وهى بلدة الحجر { ثلثة أيام ٥ }  
 أى بغير زيادة عليها ، فانظروا ما ذا يغنى عنكم تلذذكم وزفهم وإن  
 اجتهدتم فيه .

ولما كان كأنه قيل : هل فى هذا الوعيد مثوية ، قال مجيبا :

{ ذلك } أى الوعد العالى الرتبة فى الصدق والنعضب { وعد غير مكذوب ٥ }  
 أى فيه ؛ والتمتع : التلذذ بالمدركات الحسان من المناظر والاصوات ١٠  
 وغيرها مما يدرك بالحواس ، وسميت البلاد دارا لأنها جامعة لأهلها  
 - كما تجمع الدار - و يدار فيها ، وأشار إلى تعقب العذاب للأيام وتسيبه  
 عن الوعيد المعين بقوله : { فلما جاء امرنا } بالفاء / بخلاف ما فى قصة  
 هود وشعيب عليهما السلام ، أى مع مضي الأيام كان أول ما فعلنا  
 أن { نجينا } بما لنا من العظمة أوليائنا { صلحا والذين آمنوا ١٥ } معه  
 من كيد قومهم ، [ ويبنى أن ' إحسانه سبحانه لا يكون إلا فضلا منه  
 بقوله - ' ] : { برحمة منا } وذلك أنه عليه السلام قال لهم : تصبحون

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ  
 و مد (٤) فى ظ : مثوبة (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : تسيبه (٦) سقط  
 من ظ (٧) ليس فى مد .

غدا يوم مؤنس<sup>١</sup> - يعنى الخميس - و وجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون<sup>٢</sup>  
يوم عروبة - يعنى الجمعة - و وجوهكم محمرة ، ثم تصبحون يوم شبار  
و وجوهكم مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم أول - أى الأحد - فقال  
التسعة رهط الذين عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا ، فان كان صادقا عجلناه  
ه قبلنا<sup>٣</sup> ، وإن كان كاذبا قد [ كنا - ٤ ] ألقناه بناقته ، فأتوه ليلا  
ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم  
أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح : أنت قتلتهم !  
ثم هموا به فقامت عشيرته<sup>٥</sup> دونهم ولبسوا السلاح و قالوا لهم<sup>٦</sup> : والله  
لا تقتلونهم<sup>٧</sup> أبدا فقد وعدكم أن العذاب يكون بكم بعد ثلاث ، فان كان  
١٠ صادقا لم تزيدوا<sup>٨</sup> ربكم عليكم إلا غضبا ، وإن كان كاذبا فآتم وراء  
ما تريدون ، فانصرفوا فلما أصبحت وجوههم مصفرة عرفوا أنه قد  
صدقهم ، فطلبوه ليقتلوه فجاء إلى بطن منهم يقال له ' بنو غنم ' فنزل على  
سيدهم [ رجل - ٩ ] فغيبه عنده<sup>١٠</sup> ، فعدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوم  
عليه فقالوا : يا نبي الله ! إنهم يعذبوننا لندهم عليك ، أفندهم ؟ قال :

(١) من ظ و مد و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٢/ ٢١١ ، وفى الأصل :  
موس (٢) فى ظ : يصبحون (٣) من المعالم ، وفى الأصول الثلاثة : قبلها (٤) زيد  
من ظ و مد و المعالم (٥) من ظ و مد و المعالم ، وفى الأصل : غيرته (٦) سقط  
من ظ (٧) فى ظ : لا تقتلوه (٨) من ظ و مد و المعالم ، وفى الأصل : لم يزيدوا  
(٩) زيد من المعالم (١٠) فى المعالم : عنهم .



نعم ، فدلّوهم عليه فأتوه فقال الغنمي : نعم<sup>١</sup> عندى ولا سبيل إليه ، فتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم - [ كذا - ٢ ] ذكر ذلك<sup>٣</sup> البغوى عن ابن إسحاق وروى وروى وغيرهما مطولا .

ولما ذكر نجاتهم من كل هلكة ، ذكر نجاتهم من خصوص ما عذب به قومهم<sup>٤</sup> فقال : ( ومن ) أى ونجيناهم من ( خزي ) ٥ أى ذل<sup>٦</sup> وفضيحة ( يومئذ ) أى يوم إذ جاء أمرنا باهلاكم بالصيحة وحل بهم دونهم فرقا [ بين - ٧ ] أوليائنا<sup>٨</sup> [ و - ٩ ] أعدائنا ، [ وحذف 'نجينا' هنا يدل على أن عذابهم دون عذاب عاد - ١٠ ] ثم عقب ذلك بتعليله إهلاكا وإنجاء باختصاصه بصفات القهر والغلبة والانتقام فقال : ( ان ربك ) أى المحسن إليك كما أحسن إلى الأنبياء من<sup>١١</sup> قبلك ١٠ ( هو ) أى وحده ( القوى ) فهو يغلب كل شيء ( العزيزه ) أى القادر على منع غيره من غير أن يقدر أحد عليه أو على الامتناع منه ، من عز الشيء أى امتنع ، ومنه العزاز - للأرض الصلبة الممتعة بذلك عن التصرف فيها ؛ والحزى : العيب الذى تظهر فضيخته<sup>١٢</sup> ويستحي من مثله ؛ ثم بين إبقائه بأعدائه بعد إنجائه لأوليائه فقال معظما للأخذ بتذكير ١٥ الفعل : ( واخذ الذين ظلموا الصيحة ) وأشار<sup>١٣</sup> إلى عظمة هذه الصيحة

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : الغنم ، وفى المعالم : أباهذب (٢) سقط من ظ .  
(٣) زيد من ظ (٤ - ٤) فى ظ : ذكره (٥) فى ظ : قوميه (٦) فى ظ : ذلة .  
(٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : أوليا - كذا (٩) فى ظ : نصيحته (١٠) فى الأصل : إشارة ، والعبارة مع ضم هذه الكلمة إلى « علامة التائيث » ساقطة من ظ و مد .

باسقاط علامة التانيث وسبب عنها قوله: ﴿فاصبحوا في ديارهم جثين﴾<sup>١</sup>  
 أى ساقطين على وجوههم ، و قيل : جاثين على الركب موتى لا حراك  
 بهم ، و تقدم سر التعبير بالديار مع الصيحة و الدار مع الرجفة في  
 الاعراف ، و خصت هود بما ذكر فيها لأن لمقصودها<sup>٢</sup> أعظم نظر<sup>٣</sup> إلى  
 التفصيل ، و كل من الديار و الصيحة أقرب إلى ذلك .

و لما كان الجثوم كناية عن الموت أوضحه بقوله : ﴿كأن﴾ أى  
 كأنهم<sup>٤</sup> ﴿لم يغنوا﴾ أى يقيموا أغنياء لاهين بالغناء ﴿فيها﴾<sup>٥</sup> ثم نبه  
 - على ما استحقوا به ذلك لمن لعله يغفل فيسأل - بقوله مفتتحا بالأداة التى  
 لا تقال إلا عند الأمور الهائلة : ﴿آلا ان ثمودا﴾ قراءة الصرف دالة

١٠ على الاستخفاف بهم [لطيشهم فى المعصية - °] ﴿كفروا ربهم﴾<sup>٦</sup> أى  
 أوقعوا التغطية و الستر على المحسن إليهم بالخلق و الرزق و الإرسال و هو  
 الظاهر و بصفاته<sup>٧</sup> و أفعاله ، فلا يخفى على أحد أصلا ، [فايصال الفعل دون  
 قصره كما فى أكثر أضرابه بيان لغلظة كفرهم - °] ؛ ثم كرر ذلك تأكيدا  
 له و إعلاما بتأييد<sup>٨</sup> هلاكهم بقوله : ﴿الا بعدا لثمود﴾<sup>٩</sup> ترك صرفهم

١٥ فى قراءة غير الكسائى إيذانا بدوام لبثهم فى الطرد و البعد؛ و الصيحة : صوت  
 / عظيم من فم حى ،<sup>١٠</sup> و الجثوم لدوام مكان واحد أو السقوط على الوجه ،  
 و قيل : القعود على الركب<sup>١١</sup>؛ و قال "اصبحوا" زيادة فى التخويف و التأسيف

/ ٦٥٥

(١) فى مد : عنه (٢) فى ظ : بمقصودها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 نظرا (٤) فى ظ : كانوا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 صفاته (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : باييدها - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين  
 الرقمين من ظ و مد .

بما وقع لهم من التحسير لو أدركه أحد منهم لأن الإنسان يفرح إذا أصبح بقيامه من نومه مستريحاً قادراً<sup>١</sup> على ما يريد من الحركات للاستمتاع بما يشتهى من التصرفات ، فأصبح هؤلاء - بعد هذه الصفة على ما قص الله - خفوتاً أجمعين كنفس واحدة رجالاً ونساء صغاراً وكباراً كأنهم<sup>٢</sup> لم يكونوا [ أصلاً ، ولا أصدرُوا فصلاً<sup>٣</sup> ولا وصلوا<sup>٤</sup> كأنهم لم يكونوا -<sup>٥</sup> ] للعيون هرة ، ولم يعدوا في الأحياء مرة كأن لم يغنوا<sup>٦</sup> أى يقيموا لاقطاع آثارهم إلا ما بقي من أجسادهم الدالة على الخزي ؛ والمغاني : المنازل ، وأصل الغناء : الاكتفاء ؛ ومعنى 'الا' التثنية ؛ قال الرماني : 'وهي ألف الاستفهام دخلت على 'لا' فالألف تقتضي معنى ، و'لا' تنفي معنى ، فاقضى الكلام بهما معنى التثنية مع نفي الغفلة - انتهى . وكان حقيقته -<sup>١٠</sup> والله أعلم - أن 'لا' دخلت على ما بعدها فنفته<sup>٧</sup> ، ثم دخلت عليها همزة الإنكار فنفتها ، ومن المعلوم أن نفي النفي إثبات فرجع المعنى كما كان على أتم وجه [ التثنية و -<sup>٨</sup> ] التأكيد ، لأن إثبات المعنى بعد نفيه أكد من إثباته عريان عن النفي ولا سيما إذا كان المفيد لذلك الإنكار ، وهذا المعنى<sup>٩</sup> مطرد في [ 'الأ' -<sup>٩</sup> ] العرضية و'هلا' التخصيصية ونحوهما ، ويمشى<sup>١١</sup> في كل ١٥ صلة بأن تردّها<sup>١١</sup> إلى أصل مدلولها في اللغة ثم تصرف<sup>١٢</sup> بما يقتضيه الحال -

(١) في ظ : قادر (٢) في ظ : فانهم (٣-٣) ليس ما بين الرقين في ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : فنفيه (٨) زيد من مد (٩) في ظ : معنى (١٠) في ظ : لمشي (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : يردّها (١٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : يتصرف .

و الله الهادى! 'ولما جاز الصرف في ثمود باعتبار أنه اسم أبي القبيلة  
و عدمه باعتبار إطلاقه على القبيلة اختير الصرف في النصب فقط لحفته'.  
ولما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط عليه السلام  
إذ كانت أشهر الوقائع بعدها وهي أفضع منها و أروع، و قدم عليها  
٥ ما يتعلق بها من أمر إبراهيم عليه السلام و ذكر 'بشراه لما في ذلك كله  
من التنبيه لمن تعنت بطلب إنزال الملائكة في قولهم "اوجاء معه ملك"  
على أن ذلك ليس عزيزا عليه. و قد أكثر من فعله و لكن نزولهم  
مرهب، و أمرهم عند المكاشفة مرعب، و أما مع الستر فلا يقطع تعنتهم،  
هذا مع ما في ذلك من مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة في تكوين كل  
١٠ منهما بخارق<sup>٦</sup> للعادة إشارة إلى تمام القدرة و كمال العلم المبني عليه أمر السورة

في إحكام الكتاب و تفصيله و تناسب جدالى نوح و إبراهيم عليهما السلام  
في أن كلا منهما شفقة على الكافرين و رجاء لنجاتهم من العذاب بحسن<sup>٧</sup>  
المتب، و لعله سبحانه كرر 'لقد' في صدرها عطفًا على ما في قصة نوح  
للتنبيه على مثل هذه الأغراض، لأن 'قد' للتوقع<sup>٨</sup> فجاءت لتؤذن بأن السامع<sup>٩</sup>  
١٥ في حال توقع لذلك لأنه إذا انقضت قصة توقع الخبر عما بعدها فقال  
تعالى: ﴿و لقد﴾ قال الرماني: و دخلت اللام لتأكيد الخبر كما يؤكد

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل «ذ»  
كذا (٣) في ظ: قوله (٤) في ظ: مراتب (٥) في ظ: نعتهم (٦) من ظ و مد،  
و في الأصل: لخارق (٧) في ظ: بحسب (٨) من ظ، و في الأصل: المتوقع، و في  
مد: للتوقع (٩) في ظ: للسامع.

القسم ﴿ جاءت رسلاً ﴾ أى الذين عظمهم من عظمتنا ، قيل : كانوا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ﴿ ابراهيم ﴾ هو خليل الله عليه السلام ﴿ بالبشرى ﴾ أى التى هى من أعظم البشائر وهى إكرامه بإسحاق عليه السلام ولدا له من زوجته سارة رضى الله عنها ، [ جاءوه - ٣ ] فى الصفة التى يحبها وهى صفة الأضياف ، فلم يعرفهم مع أنه الخليل بل ٥ أنكرهم كما قال تعالى فى الذرئيت " قال سلم قوم منكرون " فيحمل إنكاره أولا على الاستغراب بمعنى أنه لم ير عليهم زى أهل تلك البلاد ولا أثر السفر ، فكأنه قيل : ما كان من أمرهم ؟ قيل : ﴿ قالوا سلما ﴾ أى سلما عليك سلاما عظيما ﴿ قال سلم ﴾ أى ثابت دائم عليكم لا زوال له أبدا ، فللرفع مزية على النصب لأنه إخبار عن ثابت ، والنصب تجديد ١٠ مالم يكن ، فصار مندرجا فى " فحيوا باحسن منها " ثم أكرم نزلهم وذهب يفعل ما طبعه الله عليه من سجايا الكرم وأفعال الكرام فى أدب الضيافة من التعجيل مع الإتيان ﴿ فالبث ﴾ أى [ فتسبب عن محبتهم وتعقبه أنه - ٦ ] ما تأخر ﴿ ان جاء بعجل حنذه ﴾ أى مشوى على حجارة محماة فى أخذود [ وفوقه حجارة محماة ليشتد نضجه ، فكان بعد ١٥ الشئ - ٦ ] يقطر<sup>١</sup> دسمه لأنه سمين ، كل ذلك وهو لا يعرف أنهم ملائكة ، بل هو قاطع بأنهم بمن يأكل ، وهذا ناظر إلى قول قوم<sup>٢</sup> نوح

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد غير أن فى الأخرى جاء وهاء (٤) آية ٢٥ (٥) راجع سورة ٤ آية ٨٦ (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : فإ (٨) فى ظ : يطر (٩) سقط من ظ .

”وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ“ وقوله ”وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ“  
 الآية ، أى أن الله جعل المعاني في القلوب و ناط بها السعادة و الشقاوة ،  
 وقد تخفى تلك المعاني كما خفى على أكل أهل ذلك الزمان أن ضيفه  
 ملائكة حتى خاف منهم و قد أتوه بالبشرى ، فلا ينبغي لأحد أن يحتقر  
 هـ أحدا إلا بما أذن الله فيه .

و لما وضع الطعام بين أيديهم لم يلبوا به ﴿ فلما رآ آيديهم ﴾  
 أى الرسل [ عقب الوضع سواء<sup>٢</sup> - ] ﴿ لا تصل إليه ﴾ أى [ إلى -<sup>٣</sup> ]  
 العجل الذى وضعه ليأكلوه ﴿ نكروهم ﴾ أى اشتدت نكارتهم لهم و انفعل  
 لذلك ، و هذا يدل على ما قال بعض العلماء : إن نكر أبلغ من أنكر  
 ١٠ ﴿ و اوجس ﴾ أى أضمر تخفيا في قلبه<sup>٤</sup> ﴿ منهم خيفة ﴾ [ أى عظيمة -<sup>٥</sup> ]  
 لما رأى من أحوالهم و شاهد من جلالهم ، [ وأصل الوجوس : الدخول -<sup>٦</sup> ] ،  
 والدليل - على أن خوفه كان لعله بالتوسم أنهم ملائكة نزلوا لأمر يكرهه  
 من تعذيب من يعز عليه أو نحو هذا - أنهم ﴿ قالوا لا تخف ﴾  
 ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ أنا أرسلنا ﴾ أى من لا يرد أمره ﴿ إلى قوم لوط ﴾  
 فانهم نفوا الخوف عنه بالإعلام بمن أرسلوا إليه ، لا بكونهم ملائكة ،  
 قالوا ذلك و بشروه<sup>٧</sup> بالولد ﴿ و امراته ﴾ أى [ جاءت الرسل بالبشرى  
 أى ذكروها له -<sup>٨</sup> ] و الحال أن زوجة إبراهيم التى هى كاملة المروءة  
 وهى سارة ﴿ قائمة ﴾ قيل : على باب الخيمة [ لأجل -<sup>٩</sup> ] ما لعلها

(١) - سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد من ظ (٤) - سقط من مد .

(٥) فى ظ : نكر (٦-٧) فى ظ : فى قلبه تخفيا (٧) فى ظ : بشرف .

تفوز به من المعاونة على خدمتهم ، فسمعت البشارة بالولد التى دل عليها  
 فيما مضى قوله " بالبشرى " ( فضحكت ) أى تعجبت من تلك البشرى  
 لزوجها<sup>١</sup> مع كبره ، وربما ظنته من غيرها لأنها - مع أنها كانت عقيما -  
 عجوز<sup>٢</sup> ، فهو من إطلاق المسبب على السبب [ إشارة إلى أنه تعجب  
 عظيم -<sup>٣</sup> ] ( فبشرئها ) أى قسب<sup>٤</sup> عن تعجبها أنا أعدنا لها البشرى ه  
 مشافهة بلسان الملائكة تشريفا لها وتحقيقا أنه منها ( باستحقاق<sup>٥</sup> ) تلده  
 ( ومن وراءه استحق يعقوب ه ) أى يكون يعقوب ابنا لإسحاق ، والذى  
 يدل على [ ما -<sup>٦</sup> ] قدرته - من أنهم بشروه بالولد قبل امرأته فسمعت  
 فعجبت - ما يأتى عن نص التوراة ، والحكم العدل على ذلك كله قوله  
 تعالى فى الذرئيت " قالوا لا تخف و بشروه بعلام عليم فاقبلت امراته ١٠  
 فى صرة فصكت وجهها<sup>٧</sup> " - الآية .

ولما شافهوها بذلك ، صرحت<sup>٨</sup> بوجه العجب من أنه جامع بين  
 عجيبين فى كونه منه<sup>٩</sup> ومنها بأن ( قالت يويلتى<sup>١٠</sup> ) وهى كلمة تؤذن  
 بأمر فظيع تخف على أفواه النساء ويستعملنها إلى اليوم ، لكنهن  
 غيرن فى لفظها كما<sup>١١</sup> غير كثير من الكلام ؛ والويل : حلول الشر ، ١٥  
 والآلف فى آخره بدل عن ياء الإضافة ، كنى بها هنا<sup>١٢</sup> عن العجب  
 الشديد لما فيه من الشهرة ومراجعة<sup>١٣</sup> الظنون ؛ وقال الرماني : إن

(١) فى ظ : لزوجها (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : عجوزا (٣) زيد من ظ  
 ومد (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : تسبب (٥) آية ٢٨ و ٢٩ (٦) فى مد :  
 خرجت (٧) سقط من مد (٨) فى ظ : لا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : مزاحمة .  
 (١١) فى ظ : الكرماني .

معناها الإيذان بورود الأمر الفظيع كما تقول العرب : يا للدواهي ! أى تعالين فانه من أحيائك فحضور ما حضر من أشكالك .

ولما كان ما 'بشرت به' منكرا في نفسه بحسب العادة قالت :

( ءالد وانا ) أى والحال أنى ( عجوز وهذا ) أى من هو حاضرى ؟

هـ ( بعل شىخا ) " ثم ترجمت " ذلك بما هو نتيجه فقالت [ مؤكدة لانه -

لما له من خرق العوائد - في حيز المنكر عند الناس - ] : ( ان هذا )

أى الأمر المبشر به ( لشيء عجيب ) فكأنه قيل : فما ذا ؟ قيل لها ؟

فقيل : ( قالوا ) أى الملائكة متعجبين من تعجبها ( اتعجبين من امر الله )

أى الذى له الكمال كله ، وهو لا ينبغي لك لأنك " معتادة من " الله

١٠ بما ليس لغيركم من الخوارق ، والعجب إنما يكون بما خرج عن أشكاله

وخفى سببه ، وأنت - لثبات علمك بالسبب الذى هو قدرة الله على

كل شيء وحضوره / لديك مع اصطفاء الله لكم وتكرر خرقه للعوائد

/ ٦٥٧

في شؤونكم - لست كغيرك " بمن ليس كذلك ؛ ثم عللوا إنكارهم لتعجبها

بقولهم : ( رحمت الله ) أى كرامة الذى له الإحاطة بصفات الجلال

١٥ والإكرام ( وبركته ) أى خيراته النامية الثابتة ( عليكم ) ودينوا

خصوصيتهم باسقاط أداة النداء [ مدحة " لهم فقال - ] : ( اهل البيت " )

قد تمرتم " على مشاهدة العجائب لكثرة ما ترون من آثاره بمثل ذلك

( ١-١ ) فى ظ : يشرب منه ( ٢ ) فى مد : حاضر يرى - كذا ( ٣-٣ ) فى ظ : اى

ترجمة ، وفى مد : ترجمت ( ٤ ) زيد من ظ ومد ( ٥ ) منقط من ظ ( ٦ ) من ظ

ومد ، وفى الأصل : لانه ( ٧ ) فى ظ : عن ( ٨ ) من ظ ومد ، وفى الأصل :

كغيرى ( ٩ ) فى ظ : فرحة ( ١٠ ) من ظ ومد ، وفى الأصل : تمرنهم .



و غيره ؛ [ ثم علل إحسانه إليهم مؤكداً تثبتاً لأصل الكلام الذى أنكرته فقال - ١ ] : ﴿ انه ﴾ أى بخصوص هذا الإحسان ﴿ حميد مجيد ﴾ [ أى - ١ ] كثير التعرف إلى من يشاء من ٢ جلائل النعم و عظيم المقدور بما يعرف أنه مستحق الحمد على المجد ، وهو الكرم الذى ينشأ عنه الجود ، فلما سمعوا ذلك و اطمأنوا ، أخذ فى قص ما كان بعده ، فقال مشيراً بالقاء إلى قلة ٣ هـ : زمن الإنكار الذى هو سبب ٤ الفرع : ﴿ فلما ذهب ﴾ بانكشاف الأمر ﴿ عن ابراهيم الرزع ﴾ أى الخوف و الفرع الشديد ﴿ و جاءته البشرى ﴾ فامتلاً سروراً ﴿ بمجادلنا ﴾ أى أخذ يفعل معاً بمجادلة رسلنا فعل المجادل الذى يكثر كلامه لإرادة لقتل مخاطبه عما يقوله ٥ ﴿ فى قوم لوط ﴾ أى يسألنا فى نجاتهم سؤالاً يحرص فيه حرص المجادل فى صرف الشئ ٦ هـ ، من ٧ الجدل وهو القتل ، و وضع المضارع موضع الماضى إشارة إلى تكرار المجادلة مع ٨ تصوير الحال ، أى جادلنا فيهم جدالاً كثيراً ؛ ثم علل مجادلتهم بقوله : ﴿ ان ابراهيم لحليم ﴾ أى بليغ الحلم ، و هو إهمال صاحب الذنب على ما يقتضيه العقل ﴿ اواه ﴾ أى رجاع للتأوه خوفاً من التقصير ﴿ منيب ﴾ أى رجاع إلى الله بالسبق فى ارتقاء درج ٩ هـ القرب ، فهو - لما عنده هذه المحاسن - لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة . و لما [ كان - ١٠ ] أكثر المجادلة لما عنده من الشفقة على عباد الله لما له

- (١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : ما (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : قرب .  
 (٤) فى ظ : زمن (٥) سقطت الواو من مد (٦) فى ظ ومد : يقول (٧) فى ظ ومد : ممن (٨) فى ظ : فى (٩) من ظ ومد والقرآن الكريم ، وفى الأصل : حليم .  
 (١٠) زيد من ظ .

من هذه الصفات الجليلة ، أعلمه الله أن الأمر قد حتم بقوله حكاية أن  
الرسول قالت له بعد طول المجادلة منادين بالأداة التي هي أم الباب  
إعلاماً بأن ما بعدها عظيم الشأن على المنزلة : ﴿ يَا بَرَهِيمِ اعْرُض ﴾  
أى بكليتك ﴿ عن هذا ج ﴾ أى السؤال فى نجاتهم ؛ ثم علل ذلك بقوله  
مؤكداً لأنه بمجادلته فى حيز من ينكرت الأمر : ﴿ انه قد ﴾ افتحه بحرف  
التوقع لأنه موضعه ﴿ جاء امر ربك ﴾ أى الذى عودك باحسانه الجم ،  
فلو لا أنه حتم الأمر بعدايمهم لأمهلهم لاجلك ، ولذا عطف على العلة  
قوله مؤكداً إعلاماً بأنه أمر قد انبرم ومضى : ﴿ وانهم اتهم ﴾ أى إتيانا  
ثابتاً ﴿ عذاب غير مردود ﴾ أى يوجه من الوجوه من أحد كائنا  
١٠ من كان ، والإعراض : الانصراف ، و حقيقته الذهاب عن الشيء فى  
جهة العرض ؛ و الرد : إذهب الشيء إلى ما جاء منه كالرجع ؛ و الدفع  
أعم لأنه قد يكون إلى جهة القدم ؛ فلما علم مراد الله تعالى فيهم ،  
قدمه على مراده ولم ينطق بعده بينت شفة .

ذكر هذه القصة من التوراة : قال فى السفر الأول : واستعلن الله

١٥ لإبراهيم فى مرج - و فى نسخة : بين بلوط يمرى الأمورانى - و كان  
جالساً على باب خيمته إذ اشتد النهار ، فرفع عينه فنظر فإذا هو بثلاثة  
رجال وقوف على رأسه ، فلما رآهم أحضر إليهم من باب الخيمة

- (١) فى ظ : طلوع (٢) فى ظ : على (٣) زيد بعده فى ظ : لا (٤-٥) فى الأصل :  
منكرت ، و فى ظ و مد : ينكرتب (٥) فى ظ : افتتح (٦) سقط من مد :  
(٧) فى مد : كذا (٨) سقط من ظ (٩) راجع الأصحاح الثامن عشر .

و سجد على الأرض وقال : يارب - وفى نسخة : يا ربلى الله - إن كان لى  
عندك مودة فلا تبعد عن عبدك حتى آتى بماء أغسل به أرجلكم .  
واتكثروا تحت الشجرة وأصيبوا شيئا من الطعام تقرون به أنفسكم ، ثم حيثئذ  
تجوزون لأنكم مررتم<sup>١</sup> بعبدكم بغته ، فقالوا له : اصنع كما قلت ، فاستعجل  
إبراهيم فأحضر إلى الخيمة إلى سارة وقال : عجلى<sup>٢</sup> بثلاثة أصع من درمك<sup>٣</sup> - ٥  
وفى نسخة : دقيق سمد - فاعجنيه واخبرى منه مليلا<sup>٤</sup> ، وسعى إلى قطع  
البقر فأخذ عجلا سمينا شابا فدفعه إلى الغلام وأمر بمجبل صنعته وأخذ  
سمنا ولبنا والعجل الذى / صنع له أيضا فقربه إليهم . وكان هو واقفا  
بين أيديهم تحت الشجرة وقالوا له : أين سارة امرأتك ؟ فقال : فى الخيمة ،  
فقال له : إني أرجع إليك فى مثل هذا الحين من قابل وهى فى الحياة ولها . ١٠  
منك ابن ، فسمعت سارة وهى على باب الخيمة مسترة وكان هو خلفها ،  
وكان إبراهيم وسارة قد شاخا وقدم<sup>٥</sup> سنهما وانقطع عن سارة سبيل النساء ،  
فضحكت سارة فى قلبها وقالت : أمن بعد ما بليت أرجع شابة وسيدى  
قد شاخ ؟ فقال الله لإبراهيم : لم ضحكت سارة وقالت : أنى لى بالولد  
وقد شخت ؟ أيعسر هذا على الله ؟ إني أرجع إليك فى [ مثل - ١ ] هذا ١٥  
الحين من قابل وهى حية ولها ابن ، فحدثت سارة وقالت : كلا  
ما ضحكت ، لأنها فرغت ، فقال : كلا<sup>٦</sup> ! ولكنك قد ضحكت ، ثم قام

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مرر (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : عجل .

(٣) فى ظ : إدرىكه (٤) فى ظ : ميلا (٥) فى ظ : قدا ، وفى مد : قدتم - كذا .

(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

الرجال و تعمدوا طريق سدوم و عامورا ، و انطلق معهم إبراهيم ليشيعهم .  
 و قال الله : 'أأأكم' عبدى إبراهيم شيئا بما أصنع ؟ و إبراهيم يكون رئيسا  
 لشعب عظيم كبير ، و تتبارك به شعوب الأرض ، لأنى عالم أنه يوصى  
 بنيه و أهل بيته من بعده أن يحفظوا طرق الرب ليعملوا<sup>١</sup> بالبر و العدل ،  
 ٥ لأن الرب يكمل لإبراهيم جميع ما وعده به . فقال الرب [لإبراهيم-<sup>٢</sup>]:  
 لقد وصل إلى حديث سدوم و عامورا و قد كثرت خطاياهم جدا ،  
 ثم إلى القوم و مضوا إلى سدوم ، و كان إبراهيم بعد واقفا قدام الرب ،  
 [فدنا إبراهيم-<sup>٣</sup>] و قال : يارب ! تهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد ؟  
 إن كان فى القرية خمسون بارا أتهلكهم بغضب واحد ؟ حاشاك<sup>٤</sup> يارب  
 ١٠ أن تصنع<sup>٥</sup> هذا الصنيع و تهلك البرئى مع السقيم<sup>٦</sup> ، و يكون البرئى بحال  
 السقيم ، حاشا لك يا حاكم الأرض كلها ! لا يكون هذا من صنيعك !  
 فقال الرب : إن وجدت بسدوم خمسين بارا فى القرية عفوت عن جميع  
 البلد من أجلهم ، فأجاب إبراهيم و قال : إني قد بدأت بالكلام بين يدى  
 الرب ، وإنما أنا تراب و رماد ، فان نقص من الخمسين بارا خمسة تخرب  
 ١٥ القرية<sup>٧</sup> كلها من أجل الخمسة<sup>٨</sup> ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت بها<sup>٩</sup>  
 خمسة<sup>١٠</sup> و أربعين بارا ، فعاد إبراهيم و قال له : فان وجد فيها أربعون<sup>١١</sup> ؟

(١-١) فى ظ : لا أكم ، و فى مد : لا أكم (٢) فى ظ : لشعيب (٣) من مد ، و فى  
 الأصل و ظ : ليعملوا (٤) فى ظ : قال (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد .  
 (٧) فى ظ : حاشاه (٨-٨) فى مد : اتصنع (٩) فى ظ : المستقيم (١٠) فى ظ : الأرض  
 (١١) فى ظ : القرية (١٢) فى ظ : فيها (١٣-١٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .

'فقال: لا أخربها إن وجدت فيها أربعين'، فقال: لا يمكن الرب كلامي فأتكلم، فإن كان هناك' ثلاثون؟ فقال: لا أخربها إن وجدت فيها ثلاثين، فقال: إني قد أمعنت<sup>٢</sup> في الكلام بين يدي الرب، فإن وجد بها عشرون؟ فقال: لا أخربها من أجل العشرين، فقال لانشقن<sup>٣</sup> على الرب، فأتكلم هذه المرة يارب فقط<sup>٤</sup>، فإن وجد بها عشرة رهط<sup>٥</sup>؟ فقال: ه لا أفسدها من أجل العشرة؛ فارتفع استعلان الرب عن إبراهيم لما فرغ إبراهيم من كلامه ورجع إبراهيم إلى موضعه - انتهى . وقد مضى أمر حبل سارة وولادها في البقرة .

و لما انقضى<sup>٦</sup> أمر إنبائهم<sup>٧</sup> بيشارة الأولياء و هلاك الأعداء، و علم من ذلك أنهم لا ينزلون إلا للأموال الهائلة و الأحوال المعجبة، أخذ يقص ١٠ أمرهم مع لوط عليه السلام، فقال عاطفا على ما تقديره: فعلوا مع إبراهيم<sup>٨</sup> انفصالهم عن إبراهيم عليه السلام<sup>٩</sup> ما ذكر، ثم فارقه نحو لوط، [ ولم يذكر الحرف المصدرى لأن سياقه<sup>١٠</sup> و مقصود السورة لا يقتضى ذلك كما نشير إليه في العنكبوت - ١٠ ]: ﴿ ولما جاءت رسلنا ﴾ على ما قارنهم من عظمتنا ﴿ لوطا ﴾ بعد انفصالهم عن إبراهيم عليه السلام، ١٥ و بين البلدين ثمانية أميال، و قيل: أربعة<sup>١١</sup> فراسخ، استضافوه<sup>١٢</sup> فلم يجد بدا<sup>١٣</sup>

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) في ظ و مد: هنالك (٣) ظ: اصفعت .

(٤) من مد، و في الأصل: لاشقن، و في ظ: لاشقن (٥) سقط من ظ .

(٦) في مد: ربط (٧-٧) من مد، و في الأصل: إبراهيم بيانهم، و في ظ:

إبراهيم إنبائهم - كذا (٨-٨) في ظ: مع السلام (٩) زيد بعده في مد: السياق .

(١٠) زيد من ظ و مد (١١) في ظ: أربع (١٢-١٢) في مد: فلم يجدوا .

من قبولهم على ما أوصى الله بالضيف مطابقا لعوائد [أهل - ' المكارم،  
قبلهم وأزعم المقاتلة عنهم لما رأى من حسن أشكالهم ورونق جمالهم  
مع ما يعلم من قبح أفعال قومهم وخبث سرائرهم، ولما جاءه على هذه الصفة  
(سوء بهم) أى حصلت له المساءة بسبب / مجيئهم إلى قربته لما يعلم  
من لؤم أهلها، والتعبير عن هذا المعنى بالمبنى للفعل أحضر وأوقع  
في النفس وأرشق\* (وضاق بهم ذرعا) أى ذرعه أى اتساعه في كل  
[وقت - ٢] قوة أوتيتها، وهو مثل يقال لمن لم يجد من المكروه مخلصا،  
ومادة ذرع - بأى ترتيب كان - تدور على الاتساع لأنه لا يذرع إلا الكثير،  
وذرع الرمل: اتسع، وموت ذريع: فاش، والمذرع: الذى أمه عرية  
١٠ وأبوه غير عربى، فهو أكثر انتشارا ممن انحصر فى أحدهما؛ والذريعة:  
ما يمتلئ به الصيد، فهو يوسع له من الأمل ما يحمله على الإقدام، وحلقة  
يتعلم عليها الرمى<sup>١</sup>، لأنها تسع<sup>٢</sup> السهم، أو لأن مصيها واسع الأمر في صناعة  
الرمى، والوسيلة لأنها توصل المتوصل؛ والذعر: الخوف، لاتساع الفكر  
فيه وتجويزه أدنى احتمال؛ والعذر: إيساع الحيلة في وجه يزيل ما ظهر  
١٥ من التقصير، من العذور - للحمار الواسع الجوف، وهو أيضا الملك لسعته،  
والعذار: أوسع ما في الوجه، وأعدرت الغلام: خنته<sup>٣</sup>، أى أوسعت  
(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: ارسق (٣) زيد من مد .  
(٤) في ظ: بدوع (٥) في ظ: يحتظر (٦) في ظ: الرمل (٧) في ظ: تسرع (٨) في  
ظ: تجوز (٩) زيد بعده في مد: اتساع الحيلة في وجه يزيل ما ظهر (١٠) في  
ظ: خنته .

أكرته ، و الإعذار - لطعام الختان ونحوه منه ، و عذرة الجارية موجبة لعذرها في النفرة<sup>١</sup> للخوف على نفسها، والعذرة: وجع في الحلق، وهو سقوطه حتى يغمز، كأنه شبه بعذرة البكر في سده<sup>٢</sup> الحلق بما يوجب الغمز، وكذا العذرة - للناسية لبذل الجهد في المدافعة عنها، والعذراء: نجم إذا طلع اشتد الحر فأتسع بساط الأرض، والعذرة - بفتح ثم كسر: فناء الدار، و به سمي الحدث، و العذراء<sup>٣</sup>: شيء من حديد يعذب به الإنسان، كأنه سمي لأنه يوسع الخوف بما يجب<sup>٤</sup> ما يوجب الاعتذار، فلا تزال تلك الحديدية بكرا لا يوجد من يعذب بها، وأما عذر - بالتشديد - إذا قصر فهو للسلب، أي فعل ما لا يوجد له عذر، و<sup>٥</sup> كذا تعذر<sup>٦</sup> الأمر أي صعب، يعني أنه تجنب<sup>٧</sup> العذر فلم يبق لسهولته<sup>٨</sup> وجه، و أعذر - إذا كثرت عيوبه، أي دخل فيما يطلب له العذر كأنجد.

ولما ذكر حاله، ذكر قاله [ بقوله - <sup>٩</sup> ] : ﴿ وقال ﴾ أي لوط ﴿ هذا ﴾ أي اليوم ﴿ يوم عصيب ﴾ أي شديد جدا لما أعلم من جهالة من<sup>١٠</sup> أنا بين ظهرائهم<sup>١١</sup>، وهو مشتق من العصب وهو أطناب المفاصل وروابطها، ومداره على الشدة ﴿ وجاءه قومه ﴾ أي الذين فيهم قوة ١٥ المحاولة ﴿ يهرعون ﴾ أي كأنهم يحملهم على ذلك حامل لا يستطيعون دفعه ﴿ إليه ﴾ أي في غاية الإسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه،

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: الصفرة (٢) في مد: شدة (٣) في ظ: العذرا .
- (٤) في ظ: يجنب (هـ-هـ) في ظ: ذلك العذر- كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: يجنب (٧) زيد بعده في مد: صعب - كذا (٨) زيد من ظ ومد.
- (٩) من مد، وفي الأصل: ظهرائهم، وفي ظ: ظهرائهم - كذا .

فهو يضطرب<sup>١</sup> لذلك ، أو لاجل الرعب من لوط عليه السلام أو من الملائكة عليهم السلام .

ولما كان وجدانهم - فكيف عصيانهم - لم يستغرق زمن القبل ،  
أدخل<sup>٢</sup> الجار فقال : ﴿ ومن قبل ﴾ أى قبل هذا المجيء ﴿ كانوا ﴾ أى  
هـ جبلة و طبعاً ﴿ يعملون ﴾ أى مع الاستمرار ﴿ السيئات ﴾ أى الفواحش  
التي تسوء غاية المساء فضربوا<sup>٣</sup> بها ومرتوا عليها حتى زال عندهم استعجابها ،  
فهو يعرف ما يريدون ، وكأنهم كانوا لا يدعون مليحاً ، ولا غيره من  
الغرائب ، فلذلك لم يذكر أن الرسل عليهم السلام كانوا على هيئة<sup>٤</sup> الرد  
الحسان ، ولا قيد الذكران في قصتهم في موضع من المواضع بالمرودية<sup>٥</sup> .  
١٠ فكأنه قيل : فما قال لهم ؟ فقيل<sup>٦</sup> : ﴿ قال يقوم ﴾ مستعظفاً لهم  
﴿ هؤلاء بناتى ﴾ حادياً لهم إلى الحياء والكرم .

ولما كان كأنه قيل : ما تفعل بهن ؟ قال : ﴿ هن ﴾ ولما كان في  
مقام المدافعة<sup>٧</sup> باللين ، قال إرخاء للعنان في تسليم طهارة ما يفعلونه على  
زعمهم مشيراً بلطافة إلى خبث ما يريدونه : ﴿ اطهر لكم ﴾ وليس المراد  
١٥ من هذا حقيقته ، بل تنبيه القوم على أنهم لا يصلون إليهم إلا إن وصلوا  
إلى بناته لأن الخزي فيها<sup>٨</sup> على حد سواء أو<sup>٩</sup> في الضيف أعظم ، ومثل  
(١) في ظ : يضرب (٢) في ظ : ادخال (٣) في ظ : فضروها ، وفي مد :  
فضرواها (٤) في ظ : متجاً ، وفي من : ملتجياً (٥) في ظ : هيئات (٦) سقط  
من ظ و مد (٧) في ظ : فقال (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : المرافعة (٩) في  
ظ : فيها (١٠) في ظ : و .



٦٦٠ / هذا أن يشفع الإنسان فيمن يضرب ، فاذا عظم الأمر ألقى نفسه عليه فصورته أنه فعله ليقه الضرب بنفسه ، ومعناه احترامه باحترامه ، وعلى هذا يدل قوله في الآية الأخرى " ان كنتم فاعلين " و هنا قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم فى هذا الأمر الذى تريدونه ﴿ ولا تخزون ﴾ أى توقعوا فى الفضيحة التى فيها الذل والهوان<sup>٢</sup> والعار<sup>٣</sup> ﴿ فى ضيق<sup>٤</sup> ﴾ إذ لا يشك ذو مسكة من أمره فى أن التقوى إذا حصلت منعت من الأمرين ، وأن الخزي على تقدير عدمها فى البنات أعظم لأنه عار لازم للزوم البنات للاب ، وكل هذا دليل على أنه لا يشك أنهم آدميون ولم يلم بخاطره أنهم ملائكة ، فهو تنبيه للكفار على أنه لا ينتفع بانزال الملائكة إلا البار الراشد التابع للحق ؛ ثم أنكر أشد الإنكار حالهم ١٠ فى أنهم لا يكون منهم رشيد حثا على الإقلاع عن الفى ولزوم سبيل الرشد<sup>٥</sup> فقال : ﴿ اليس منكم رجل ﴾ أى كامل الرجولية ﴿ رشيد ﴾ كامل الرشد<sup>٦</sup> ليكشفكم عن هذا القبيح<sup>٧</sup> ، فلم يكن منهم ذلك ، بل قالوا لقد علمت ﴾ أى بالوط مجرين<sup>٨</sup> الكلام على حقيقته غير معرجين على ما كنى به عنه ﴿ ما لنا فى بئتك ﴾ وأغرقوا فى النفى فقالوا : ١٥ ﴿ من حق ﴾ أى حاجة ثابتة ، [ ولم يريدوا به<sup>٩</sup> ضد الباطل لأن البنات والضيف فى نفى حقهم عنهم<sup>١٠</sup> سواء -<sup>١١</sup> ] ، وأكدوا معلين بما لهم

- (١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (٢) فى ظ : الاهوان (٣) فى ظ : الرشاد .  
(٤-٤) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « فقال » والترتيب من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : بخرى (٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده فى مد : فيه .  
(٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد .

من الرغبة في الفجور وقاحة<sup>١</sup> وجرأة فقالوا: ﴿وانك لتعلم﴾ أى  
علما لا تشك فيه ﴿مازಿದೆ﴾ وهو إتيان الذكور<sup>٢</sup> للتطرق والتطرف،  
فحملوا عرضه لبناته على الحقيقة خبثا منهم وشرعوا يبنون على ذلك  
بوقاحة وعدم مبالاة بالمعاصي، فأخبر تعالى عن قوله لهم على<sup>٣</sup> طريق  
الاستئناف بقوله: ﴿قال﴾ [أى - ٤] متمنيا أن يكون له بهم طاقة  
ليروا ما يصنع من الإيقاع بهم متفجعا على فوات ذلك ﴿لو ان لى بكم﴾  
أى فى دفعكم ﴿قوة﴾ بنفسى ﴿او﴾ لو أنى ﴿اوى﴾ من الاعوان  
والانصار ﴿الى ركن شديد﴾ أى جماعة هم كالركن الموصوف بالشدة  
لحلت بينهم وبين ما جئتم له، وحذفه أبلغ لذهاب النفس فيه كل مذهب؛  
١٠ والسوء: ما يظهر مكرهه لصاحبه؛ والعصيب: الشديد فى الشر خاصة  
كأنه التف شره؛ والقوة خاصة يمكن أن يقع بها<sup>٥</sup> الفعل وأن لا يقع؛  
والركن: معتمد البناء بعد الأساس، والركن هنا<sup>٦</sup> من هو مثله؛ والشدة:  
يجمع<sup>٧</sup> يصعب معه الإمكان، ووصفه الركن بالشدة وهو يتضمنها تأكيد  
يدل على أن قومه كانوا فى غاية القوة والجلادة، وأنه كان يود  
١٥ معاجلتهم لو قدر. وذلك أن مادة 'ركن' بكل ترتيب تدور على الرزاة،  
من ركن - بالضم بمعنى رزن، ويلزمها القوة، ومنه الركن للجانب  
الأقوى والأمر العظيم وما يتقوى به من ملك وجند وغيره والعز  
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الذكر (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: عرب .  
(٤) زيد من ظ ومد (٥) فى مد: فيها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: هذا .  
(٧) من ظ ومد، وفى الأصل: تجمع .

والمنعة، ومن ذلك النكر بالضم للدهاء والفتنة، والنكر للنكر والامر الشديد وما يخرج من الزحير من دم أو قيح، ونكر الامر: صعب وطريق ينكور<sup>١</sup>: على غير قصد، والمنكر ضد المعروف<sup>٢</sup> لأن الشيء إذا جهل صعب أمره، وتناكر القوم: تعادوا، والتتكر<sup>٣</sup>: التغير من حال يسر إلى حال يكره، والمكسر - كحدث: الضخم السمج، ويلزم الرزاقة ٥ أيضا الميل والسكون، ومنه ركن إليه - بالفتح: مال وسكن، وركن بالمنزل - بالكسر: أقام؛ والكنارة - بالكسر والتشديد: الشقة من ثياب الكتان، لأنه يمال إليه لهجته، وكذا الكنارات للعيان والطبول، والكران ككتاب للعود أو الصنج<sup>٤</sup>، أو يكون ذلك من الشدة لقوة أصواتها - والله أعلم.

١٠

فلما عظم الشقاق وضاق الخناق كان كأنه قيل: فما قال له الرسل؟ فقيل: ﴿ قالوا ﴾ ودلوا بحرف النداء الموضوع للبعد على أنه كان قد خرج عن الدار وأجاف بابها وأن الصياح كان شديدا ﴿ يُلَوِّط ﴾ إنك لتأوى إلى ركن / شديد؛ ثم عللوا ذلك بقولهم: ٦٦١ / ﴿ انا رسل ربك ﴾ أى المحسن إليك باحسانك وكل ما ترى عما يسوءك ١٥ ويسرك؛ ثم لما ثبت له ذلك كان من المحقق أنه سبب في ألا يدانيه معه سوء فأوضحوه بقولهم: ﴿ لن يصلوا إليك ﴾ من غير احتياج

(١) من القاموس، وفي الأصول: منكور (٢) زبدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ ومدفعتها (٣) في ظ: التنكير (٤) في ظ ومد: تكروه (٥) من القاموس، وفي الأصول: الصيغ (٦) في ظ: تريد.

إلى الربط بالفاء ، أى و نحن مهلكوهم و قالبو 'مدنهم بهم' (فاسر) أى  
 سر' بالليل ماضيا (باهلك) موقعا ذلك السير و الإسراء (بقطع) أى  
 بطائفة<sup>٢</sup> ، أى و الحال أنه قد بقى عند خروجك جانب (من آل و لا يلتفت)  
 أى ينظر إلى ورائه و لا يتخلف (منكم احد) أى لا تلتفت أنت  
 ه و لا تدع أحدا من أهلك يلتفت (الا امراتك) استثناء من 'احد'  
 بالرفع و النصب لأن المنهى كالمنفى في جواز الوجهين ، و النهى له  
 صلى الله عليه و سلم ، فالفعل بالنسبة إليه منهى ، و بالنسبة إليهم منى<sup>٦</sup> .  
 و يمكن أن يكون أخرجها معه لأن معنى الاستثناء أنه غير مأمور  
 بالإسراء بها إلا أنه منهى عنه<sup>٧</sup> ، و استثناءها من الالتفات معهم<sup>٨</sup> مفهم  
 ١٠ أنه لا حجر عليه في الإسراء بها ، أو أنه خلفها فتبعتهم و التفتت ، فيكون  
 قراءة النصب من "اهلك" ، و قراءة الرفع من "احد" و لا يلزم من  
 ذلك أمرها بالالتفات بل مخالفتها للمستثنى منه في عدم النهى ، و لذلك  
 عللوا ما أفهمه<sup>٩</sup> إهمالها<sup>١٠</sup> من الإسراء و النهى من أنها تلتفت بقولهم مؤكدين  
 لأن تعلق الأمل<sup>١١</sup> بنجاتها<sup>١٢</sup> شديد رحمة لها<sup>١٣</sup> : (انه) أى الشأن (مصيبها)

(١-١) في ظ : مدنهم به (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : مسرا (٣) في ظ و مد :  
 طائفة (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : او (٥) سقط من مد (٦-٦) سقط ما بين  
 الرقين من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) سقط من ظ و مد .  
 (٩) زيد بعده في مد : انها ثا امر لا - كذا (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل :  
 اهماله (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : الامر (١٢-١٢) في ظ : رحمة لها  
 شديدة ، وفي مد : رحمة لها شديد .

لا محالة ﴿ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ [سواء التفتت أو لا ، تخلفت أو لا ، ثم ظهر  
لى من التعبير 'فى حقها' باسم الفاعل و فى حقهم بالماضى أنه حكم بأصابة  
العذاب لهم عند هذا القول للوط عليه السلام لأن ذنوبهم تمت ،  
وأما هى فأنما يرم الحكم بذلك فى حقها عند تمام ذنوبها التى رتب  
عليها الإصابة وذلك عند الالتفات - ٢ ] .

و لما عبروا<sup>٢</sup> بالماضى تحقيقاً للوقوع و تنبيها على أنه تقدم دخولها  
معهم<sup>١</sup> فى أسباب العذاب ، كان منها لأن يقال : كان الإيقاع بهم  
قد دنا [ بهم - ٢ ] جداً ؟ ف قيل : نعم ، و أكد تحقيقاً للوقوع تلذذاً  
به و لأنه - لقرب الوقت - بحيث ينكر : ﴿ ان موعدهم ﴾ أى لا ابتداء<sup>٥</sup>  
الآخذ ﴿ الصبح<sup>١</sup> ﴾ و كأن لوطاً عليه السلام أبطاً فى جميع أهله ١٥  
و ما يصلحهم ، فكان فعله فعل من يستبعد الصبح ، فأنكروا<sup>٦</sup> ذلك بقولهم :  
﴿ اليس الصبح بقرىب<sup>٥</sup> ﴾ أى فأسرع الخروج بمن أمرت بهم ؛  
و الإسراء : سير الليل كالسرى .

و لما انقضى تسكين لوط عليه السلام و التقدم إليه فيما يفعل ،  
أخبر تعالى عن حال قومه فقال : ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ بالقاء لما مضى ١٥  
فى قصة صالح عليه السلام من التسديب و التعقيب ، أى فلما خرج  
منها لوط بأهله جاءها أمرنا ، و لما جاء أمرنا الذى هو عذابنا و الأمر به  
﴿ جعلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عاليها ﴾ أى على مدنها و هم فيها

( ١ - ١ ) ليس ما بين الرقین فی ظ ( ٢ ) زید ما بین الحاجزین من ظ و مد .  
( ٣ ) فی ظ : عبر ( ٤ ) من ظ و مد ، و فی الأصل : معه ( ٥ ) فی ظ : للابتداء .  
( ٦ - ٦ ) سقط ما بین الرقین من ظ .

﴿ساقطها و امطرنا عليها﴾ أى على مدنهم بعد قلبها من أجلهم و سيأتى فى سورة الحجر سر الإتيان هنا بضمير 'ها' دون ضمير 'هم' (حجارة من سجيل<sup>١</sup>) أى مرسله من مكان هو فى غاية العلو (منضود<sup>٢</sup>) بالحجارة هى 'فيه متراكبة' بعضها على بعض حال كونها (مسومة<sup>٣</sup>) أى معلمة بعلامات تدل على أنها معدة للعذاب من السيام [و السومة -<sup>٤</sup>] و هى العلامة تجعل للابل السائمة لتمييز إذا اختلطت فى المرعى ، و فى الذريت "حجارة من طين"<sup>٥</sup> و ذلك أن الحجارة أصلها تراب يجعل الله فيه بواسطة الماء قابلية للاستحجار<sup>٦</sup> كما جعل فيه قابلية التحول إلى المعدن من الذهب و الفضة و الحديد و غيرها ، فاعتبار أصله<sup>٧</sup> هو طين ، و باعتبار أوله حجر و كبريت ١٠ و نار ، و لعل حجر الكبريت أثقل الحجارة مع ما فيه من قوة النار و قبح الريح ، ثم نغمها بقوله : ﴿عند ربك<sup>٨</sup>﴾ و عبر بالرب إشارة إلى كثرة إحسانه إليه و أنه إنما أمره صلى الله عليه و سلم بالإنذار رحمة لأمته التى جعلها خير الأمم و سيجعلها أكثر الأمم ، و لا يهلكها كما أهلكهم ، و مادة سجيل - بأى ترتيب كان - تدور على العلو ، من الجلس لما ارتفع ١٥ عن<sup>٩</sup> الغور و هو النجد ، و يلزم منه الغلاظ و العلو ، و من الغلاظ الجلس للغليظ من الأرض و الجمل الوثيق ، و يلزم العلو التصويب / و منه جلس - إذا قعد ؛ و السجل للدلو العظيمة ، و يكون غالبا فى مقابلتها أخرى ، كلما نزلت واحدة طلعت الأخرى ، فتأتى المساجلة<sup>١٠</sup> بمعنى المباراة و المفاخرة<sup>١١</sup> ،

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متراكبة فيها (٢) زيد من ظ و مد .  
 (٣) آية ٣٣ (٤) فى ظ : جعل (٥-٥) فى ظ : قابلة الاستحجار (٦) فى ظ : أصلها .  
 (٧) فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقعين من ظ و مد .

١' والسجل : الضرع العظيم<sup>١</sup> ، والسجل - بالكسر وشد<sup>٢</sup> اللام : الكتاب لأنه يذكر فيه ما يكون به المفاخرة والمغالبة ، وسلج الطعام : بلعه ، والسلجان : نبات رخو ، كأنه سمي بذلك لأن أغصانه [ تأخذ - ٢ ] إلى أسفل لرخايتها ، وقد دل على هذا المعنى في هذه الآية بثلاثة أشياء : الإمطار ، ولفظ 'على' ، وسجيل .

ولما كان المعنى أنها من مكان هو في غاية العلو لعظم وقعها ، حسن كل الحسن إتباع ذلك قوله : ( وما هي ) على شدة بعد مكانها ( من الظلمين ) أي من أحد من العريقين في الظلم في ذلك الزمان ولا هذا ولا زمن من الأزمان ( يبعيد ) لتلا يتم الاحتياج في وصولها إلى المرمى بها إلى زمن طويل .

١٠

ذكر هذه القصة من التوراة : قال في السفر الأول بعد ما مضى في قصة بشرى إبراهيم عليه السلام : فأتى الملكان إلى سدوم عشاء ، وكان لوط جالسا على باب سدوم ، فنظر إليهما لوط فتلقاها ، ثم خرّ على وجهه ساجدا على الأرض وقال : إني طالب إليك يا سيدي ، اعدلا إلى منزل عبدك فيبيتا فيه واغسلا أقدامكما وبكرا فانطلقا في طريقكما ، فقالا : ١٥

كلا ! ولكننا نبيت في السوق ، فألح عليهما لوط إلحاحا شديدا فانصرفا معه ودخلا منزله فأعد لهما طعاما ، ومن قبل وقت الهجوع إذا أهل القرية أهل سدوم قد أحاطوا بالباب من الشبان إلى المشايخ جميع الشعب بأسره ،

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ ومد (٢) في ظ : بشد (٣) زيد من ظ ومد . (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : لتعظيم (٥) زيد بعده في ظ : يبعيد .

فدعوا بلوط و قالوا له : أين الرجلان اللذان أتياك ممسين<sup>١</sup> أخرجهما إلينا  
 فنعرفهما - وفي نسخة : حتى نواقعهما - فخرج لوط إليهم وأغلق الباب  
 خلفه ، فقال لهم لوط : لا تسيئوا بي يا إخوة ! هذا لي بتان لم يمسهما رجل ،  
 أخرجهما إليكم فاصنعوا بها ما حسن في أعينكم ، ولا ترتكبوا من هذين  
 الرجلين شيئا لأنهما ولجا ظلال بيتي ، فقالوا له : تنح عنا ، إن واحدا أتى  
 ليسكن بيتنا فصار يحكم فينا<sup>٢</sup> ، فالآن نسيء إليك أكثر منهما ، فجاهد لوط القوم  
 جدا فدنوا ليكسروا الباب فد الرجلان أيديهما فأدخل لوطا إليهما إلى منزله ،  
 ثم إن القوم الذين كانوا بالباب ضربوا بالعشى من كبيرهم حتى صغيرهم فأعيوا  
 في طلب الباب ، فقال المملكان للوط : ما تصنع ههنا ؟ اعمد إلى أختانك  
 ١٠ و بنيك و بناتك و جميع ما لك في هذه القرية فأخرجهم من هذه البلدة  
 لأننا نريد الخسف بالبلدة<sup>٣</sup> لأن فعالهم و خبت صنيعهم قد بلغ الرب ،  
 فأرسلنا الرب لنفسدها . فخرج لوط وكلم أختانه وأزواج بناته وقال  
 لهم : قوموا فأخرجوا من هذه القرية فإن الرب مززع لحرايبها ، وكان  
 عند أختانه كالمستهزئ بهم ، فلما كان عند طلوع الصبح<sup>٤</sup> ألح المملكان على لوط  
 ١٥ وقالوا له : قم فأخرج امرأتك و ابنتيك اللتين معك لكيلا<sup>٥</sup> تبتي بخطايا  
 أهل هذه القرية ، فأبطأ لوط فأخذ المملكان يده و بيد امرأته و ابنتيه<sup>٦</sup>  
 لأن الله رحمه فأخرجاه وصيراه خارجا عن القرية ، فلما أخرجاهم خارجا  
 (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : ممسين (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : بيتنا .  
 (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في مد : الشمس (٥) في ظ : لثلا .  
 (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : ابنته .



قالا له : اتج بنفسك ولا تلتفتن إلى خلفك ولا تقف في شيء من جميع  
القاع ، و التجى إلى الجبل وخلص نفسك ، فقال لها لوط : أطلب  
إليكما ياسيدى أن أظفر الآن لأن<sup>٢</sup> عبدكما<sup>٣</sup> برحمة و رأفة<sup>٤</sup> و كثرت<sup>٥</sup> نعمكما  
إلى<sup>٦</sup> لتجى<sup>٧</sup> نفسى ، لست أقدر أن أنجو إلى الجبل ، لعل الشر يرهقنى  
فأموت ، وهذه القرية هى قرية للهرب إليها وهى صغيرة . أتأذنان لى هـ

٦٦٣ /

بالهرب إليها لأنها حقيرة ، فلتجىا نفسى ، فقال له : قد شفعتك فى هذا<sup>٨</sup>  
أيضا فلا أقلب / هذه القرية التى سألت ، أسرع فنج نفسك إلى هناك ،  
لأننا لسنا نقدر أن نعمل شيئا حتى تدخلها ، ولذلك سميت تلك القرية  
صاغار - وفى نسخة : زغر - فشرقت الشمس على الأرض وقد دخل  
لوط صاغار ، وفى نسخة : زغر - فأهبط الرب على سدوم و عامورا نارا ١٠  
و كبريتا من بين يدى الرب<sup>٩</sup> من السماء<sup>١٠</sup> فقلب<sup>١١</sup> هذه القرى والقاع<sup>١٢</sup>  
بأسره ، وأهلك جميع سكانها وجميع من فيها وجميع نبت الأرض ،  
فالتفتت امرأته إلى خلفها لتتظر فصارت<sup>١٣</sup> نصبة ملح ، فأدبج إبراهيم باكرا  
إلى الموضع الذى كان يقف فيه بين يدى<sup>١٤</sup> الرب ؛ فدبصره نحو سدوم  
و عامورا وإلى جميع أرض القاع فنظر فاذا دخان القرية يرتفع كدخان ١٥  
الآخود ، فلما خسف الله قرى القاع ذكر الله إبراهيم فأرسل لوطا من  
المأفوكة إذ قلب الله القرى التى كان<sup>١٦</sup> ينزلها لوط فطلع [ لوط - ١٧ ] من

- (١) فى ظ : لا تفت (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ : برأفة ورحمة (٤) من مد ،  
وفى الأصل : كثر ، وفى ظ : كثرة (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لتجى .  
(٦) فى ظ و مد : هذه (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : قفلت .  
(٩) فى ظ : القلوع (١٠) فى ظ : فصار (١١) زيد من ظ و مد .

صاغار - وفي نسخة: زغر - فسكن الجبل هو و 'ابتناه معه لانه' تخوف  
أن يسكن صاغار، فجلس في مغارة<sup>٢</sup>.

ولما انتهت القصة معلنة بما قام به لوط عليه السلام من أمر الله  
غير وإن فيه لرغبة ولا رهبة وبما في إنزال الملائكة من الخطر، أتبع  
٥ أقرب القصص الشهيرة إليها في الزمن فقال تعالى: ﴿وإلى﴾ أى  
ولقد أرسلنا إلى ﴿مدين﴾ وهم قبيلة أيهم<sup>٣</sup> مدين بن إبراهيم عليه السلام  
﴿إخاهم شعيباً﴾ فكان قاتلاً قال: ما قال لهم؟ فقليل: ﴿قال﴾ ما قال  
إخوانه من الأنبياء<sup>٤</sup> في البداءة<sup>٥</sup> بأصل الدين: ﴿يقوم﴾ مستعظفاً لهم  
مظهراً غاية الشفقة ﴿اعبدوا الله﴾ أى الملك الأعلى غير مشركين به  
١٠ شيئاً لانه واحد ﴿مالكم﴾ وأغرق في النفي فقال<sup>٦</sup>: ﴿من اله غيره﴾

فلقد اتفقت - كما ترى - كلمتهم و اتحدت إلى الله وحده دعوتهم، وهذا  
وحده قطعى الدلالة على صدق كل منهم<sup>٧</sup> لما علم قطعاً من تباعد أعصارهم  
و تنافى ديارهم وأن بعضهم لم يُلْمَ<sup>٨</sup> بالعلوم ولا عرف أخبار الناس  
إلا من الحى القيوم؛ قال الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي  
١٥ في كتابه "رشف النصائح الإيمانية"<sup>٩</sup> وكشف الفضائح اليونانية  
في ذكر الأنبياء: اتحدت مصادرهم<sup>١٠</sup> كأنهم بنيان مرصوص، عبروا

(١-١) في ظ: نبأته مع لان - كذا (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: مغارها.  
(٣) في ظ: إبراهيم، وفي مد: ابوه (٤-٤) في ظ: وائل فقال ما قالهم - كذا.  
(٥) زيد بعده في ظ: إن (٦-٦) في ظ: بالبداءة (٧) زيد بعده في ظ: مالكم.  
(٨) في مد: منها (٩) في ظ: لم يلوم (١٠-١٠) في ظ: المصاييح الابالينت - كذا.  
(١١) من ظ ومد، وفي الأصل: مصارهم.

بأسنة مختلفة تنتهى إلى بحر متصل بالقلوب متحد بها يستمد من البحر المحيط  
بعالى الشهادة والغيب ، و اختلف الموارد من الشرائع بحسب ما اقتضت  
الحكمة الإلهية من مصلحة أهل كل زمان وكل ملة ، فاضر اختلافهم  
في الفروع مع اتحادهم في الأصول ، وقال قبل ذلك : إن الفلاسفة لما  
لم يغترفوا من بحار الأنبياء وقفت بهم أفراس أفكارهم في عالم الشهادة ، ه  
فلما حاولوا الخوض في الإلهيات انكشفت عورة جهلهم واقتضوا  
باضطرابهم<sup>١</sup> و اختلافهم<sup>٢</sup> ” تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى “ انقطع بهم  
سير الفكر في منتهى<sup>٣</sup> عالم الملك و الشهادة ، ولم يدخل إسكندر نظرم  
ظلمات عالم الغيوب حتى يظفروا<sup>٤</sup> بعين الحياة التى من شرب منها  
لا يموت - انتهى .

١٠

و لما دعا إلى العدل فيما بينهم و بين الله ، دعاهم إلى العدل فيما بينهم  
و بين عبيده في أقبح ما كانوا قد اتخذوه بعد انشرك ديدنا<sup>٥</sup> فقال :  
( ولا تنقصوا ) أى بوجه من الوجوه ( المكيال و الميزان ) لا الكيل  
ولا ° آله و لا الوزن و لا آله ° ؛ و الكيل : تعديل الشيء بالآلة في  
القلة و الكثرة ؛ و الوزن : تعديله في الخفة و الثقل ، فالكيل للعدل في ١٥  
الكمية و الوزن للعدل في<sup>٦</sup> الكيفية ؛ ثم علل ذلك بقوله - :  
( انى ارنكم بخير ) أى بسعة تغنيكم عن البخس - مرهبا و مرغبا بالإشارة  
(١) سقط من ظ (٢) في ظ : باضرا بهم (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : نظروا .  
(٤) في مد : دينا (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقين  
من مد .

إلى أن الكفر موجب للنقمة كما أن الشكر موجب للنعمة .

ولما كان كانه / قيل : فاني أخاف عليكم الفقر بالنقص ، عطف عليه مؤكدا لإنكارهم : ﴿ واني أخاف عليكم ﴾ به وبالشرك ﴿ عذاب يوم محبط ﴾ بكم صغارا وكبارا وبأموالكم طيبا وخبيثا ، هـ أى مهلك كقوله<sup>١</sup> " واحيط بشعره<sup>٢</sup> " وأصله من إحاطة العدو ، ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ<sup>٣</sup> لأنه محبط بما فيه من عذاب وغيره ، والعذاب محبط بالمعذب فذكر المحيط [ بالمحيط - ٤ ] أهول ، وهو الدار بالشيء من كل جانب ، وذلك يكون بالتقاء طرفيه ؛ والنقصان : أخذ شيء من المقدار كما أن الزيادة ضم شيء إليه ، وكلاهما خروج عن<sup>٥</sup> المقدار ؛ ١٠ والوزن : تعديل الشيء بالميزان ، كما أن الكيل تعديله بالمكيال ، ومن الإحاطة ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لم ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا .

١٥ ولما كان عدم النقص قد يفهم منه التقريب ، اتبعه بما<sup>٦</sup> ينبنى هذا الاحتمال وللتنبية على أنه [ لا - ٤ ] يكفي الكف عن تعدد التطفيف ، بل يلزم السعى في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى بدونها ، ولأن التصريح

(١) في ظ : لقوله (٢) راجع سورة ١٨ آية ٤٢ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ ومد (٥) في ظ : على (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ ومد (٧) في ظ ومد : ما .

بالامر بالشئ بعد النهى عن ضده أوكد ، فقال مستعطفاً لهم بالتذكير بأنه  
منهم يسوءه ما يسوءهم و بأنهم لما أعطاهم الله من القوة جديرون بأن يعرضوا  
عن تعاطي سفاسف الأخلاق و رذائلها : ﴿ وَيَقُومُ ﴾ أى أيها  
الذين لهم قوة فى القيام فيما ينوبهم ﴿ اوفوا ﴾ أى أتموا إتماماً حسناً  
﴿ المكيل و الميزان ﴾ [أى-٢] ، <sup>٢</sup> المكيل و الموزون <sup>٢</sup> و آلتها ؛ و أكدده  
بقوله : ﴿ بالقسط ﴾ أى العدل السوى ، فصار الوفاء مأموراً به فى هاتين  
الجلتين مراراً تأكيداً له و حرصاً عليه و إظهاراً لعموم نفعه و شمول  
بركته ، فزال بالمجموع توهم المجاز على أبلغ وجه ، و قد مضى فى الانعام  
و يأتى فى هذه السورة <sup>١</sup> عند "غير منقوص" أن الشئ يطلق مجازاً على  
ما قاربه ؛ ثم أكدده أيضاً بتعميم النهى عن كل نقص بذلك و غيره فى ١٠  
جميع الأموال ؛ فقال : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا ﴾ أى تنقصوا [ على وجه الجحد  
و الإهانة - <sup>٢</sup> ] ﴿ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ ثم بين أن أفعالهم ثمرة الهجوم  
عن غير فكر لأنها ليست ناشئة عن شرع فأولها سفه و آخرها فساد  
فقال : ﴿ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أى تنصرفوا و تضطربوا فيها عن  
غير بصيرة و لا تأمل حال كونكم ﴿ مُفْسِدِينَ ﴾ أى فاعلين ما يكون ١٥  
فساداً فى المعنى كما كان فساداً فى الصورة ، فهو دعاء إلى تقديم التأمل  
و التروى على كل فعل [ و ذلك - <sup>٢</sup> ] لأن مادة "عوى" بكل ترتيب دائرة  
على الطلب عن غير <sup>١</sup> بصيرة ، من العيث - للأرض السهلة ، فانها لسهولةا  
(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :  
الكيل و الوزن (٤) فى ظ : الامور (٥) فى ظ : اللحوم (٦) فى ظ : كل .

يغتر بها فسيلسكها الغبي بلا دليل فيأتى الخفاء والجهل ، ومنه التعيث -  
 اطلب الأعمى الشيء ؛ و الأعشى : الأحق الثقيل ، ولون إلى السواد ،  
 والكثير الشعر ، ويلزم ذلك اتباع الهوى فيأتى الإفساد والمسارة  
 فيه ، وذلك هو معنى العشى ؛ قال أئمة اللغة : عثى و عاث : أفسد ، وفى  
 ٥ مختصر العين للزبيدي : عثى فى الأرض بمعنى عاث يعيث عيثا ، وهو  
 الإسراع فى الفساد ، فالمعنى على ما قال الجمهور : ولا تفعلوا الفساد عمدا  
 وهو واضح ، 'وعلى ما قدرته من أصل المعنى الذى هو المدار أوضح'.  
 وعلى ما قال الزبيدي : ولا تسرعوا فيه ، فلا يظن أنه يكون الإسراع  
 حيثذ قيدا حتى ينصب النهى إليه ، بل هو إشارة إلى أنه لا يكون  
 ١٠ 'الإقدام بلا' تأمل إلا كذلك للملاءمة للشهوة - والله أعلم ؛ والوفاء :  
 تمام الحق ؛ والبخس : النقص ، فهو أخص من الظلم لأنه وضع الشيء  
 فى غير موضعه .

ولما كان نظرهم / بعد الشرك مقصورا على الأموال ، وكان نهيه / ٦٦٥  
 عما نهى عنه موجبا لمحقتها فى زعمهم ، كانوا كأنهم قالوا : 'إنا إذا تبعناك  
 ١٥ فيما قلت فبیت أموالنا أو قلت فتضعضت أحوالنا ، فلا يبقى لنا شيء ؟  
 فقال : ( بقيت الله ) أى فضل الملك الأعلى 'المستجمع لصفات' الكمال ،  
 وبركته فى أموالكم وجميع أحوالكم وإبقائه عليكم ونظره إليكم الموجب  
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : للاقدام بل ،  
 وفى ظ : أقدام بل - كذا (٣) فى ظ : لحقها (٤-٤) من مد ، وفى الأصل :  
 إذا انا ، وفى ظ : انا (٥-٥) فى ظ : المحيط لصفات ، وفى مد : المحيط بصفات .  
 لعفوه ٣٥٤

لعفوه الذى هو 'ثمرة اتباع أمره ﴿ خير لكم ﴾ مما تظنونهم زيادة بالنقص والظلم ، وذلك أن بقية الشيء ما فضل منه ، وتكون<sup>٢</sup> أيضا بمعنى البقيا<sup>٣</sup> ، من أبقى عليه يبقى إبقاء ، واستبقيت فلانا - إذا عفوت عن ذنبه ، كأن ذلك الذنب أوجب فناء وده أوفاه عندك ، فإذا استبقيته فقد تركت ما كان وجب ، ويقولون : أراك تبقى هذا يبصرك - إذا كان ينظر إليه - ه

قاله الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه الجامع ، و سياتى فى آخر السورة بيان ما تدور عليه المادة .

ولما كانت خيرية ما يقيه العدل من الظهور بمحل لا يخفى على ذى لب ، تركها وبين شرطها بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ مؤمنين ﴾<sup>٤</sup> أى راسخين فى الإيمان إشارة إلى أن خيريتها لغير المؤمن ١٠ مبنية على غير أساس ، فهى غير مجدية<sup>٥</sup> إلا فى الدنيا ، فهى عدم لسرعة الزوال والنزوح عنها والارتحال ، ودلت الواو العاطفة على غير مذكور أن المعنى : فآمنوا فاعلين ما أمرتكم به لتظفروا بالخير قائما أنا نذير ﴿ وما أنا ﴾ وقدم ما يتوهمونه من قصده للاستعلاء نافيا له فقال : ﴿ عليكم ﴾ وأعرق فى التنى فقال : ﴿ بحفيظ ﴾<sup>٦</sup> أعلم جميع أعمالكم ١٥ [ وأحوالكم -<sup>٨</sup> ] وأقدر على كفكم عما يكون منها فسادا : " وأصل البقية ترك شيء من شيء قد مضى<sup>٩</sup> .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : يكون (٣) فى ظ : البقيا (٤) فى ظ : كان (٥) من ظ ومد : وفى الأصل : خيرتها (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : محربة (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : نال - كذا (٨) زيد من مد (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : منها (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ ومد .

ولما كان حاصل ما دعاهم إليه ترك ما كان عليه آباؤهم من السفه  
 في حق الخالق بالشرك والخلائق بالخيانة ، وكان ذلك الترك<sup>٢</sup> عندهم قطعة  
 وسفها ، كان ذلك محكما<sup>٣</sup> للعقول ومحزا للآراء يعرف به نافذها من  
 جامدها ، فكان كأنه قيل : ما قالوا ؟ فقيل : ﴿ قالوا يشعيب ﴾ سموه باسمه  
 ٥ جفاء وغلظة وأنكروا عليه مستهزئين بصلاته ﴿ اصلوتك تارك ﴾ أى  
 تفعل معك فعل [ من - <sup>٤</sup> ] كان<sup>٥</sup> يأمر دائما بتكليفنا ﴿ ان ترك ما يعبد ﴾  
 أى على سبيل المواظبة ﴿ اباؤنا و ﴾ ترك ﴿ ان تفعل ﴾ أى دائما  
 ﴿ فى اموالنا ما نشؤ ﴾ من قطع الدرهم والدينار وإفساد المعاملة  
 والمقامرة ونحوها مما يكون<sup>٦</sup> إفسادا للمال<sup>٦</sup> ، يعنون أن ما تأمرنا به لا يمشى  
 ١٠ على منهاج العقل ، فإيا بأمرك به إلا ما تارك تفعله من هذا الشيء<sup>٧</sup> الذى  
 تسميه صلاة ، أى أنه من وادى : فعلك للصلاة<sup>٨</sup> ؛ ومادة صلا - واوية  
 ويائية مهموزة<sup>٩</sup> وغير مهموزة بجميع تقاليها<sup>٩</sup> - تدور على الوصلة ،  
 فالصلاة لصلة العبد بربه ، وكذا الدعاء والاستغفار ، و صلوات اليهود :  
 كنائسهم اللاتى تجمعهم ، والصلا : وسط الظاهر وجمعه وما حول الذنب  
 ١٥ أيضا ، والمصلى من الخيل : التابع للسابق ، وصال الفحل - إذا حمل  
 على العانة ، و لصوت الرجل و لصيته : عته ، كانتك ألصقت به العيب ،  
 والواصلة<sup>١٠</sup> واضحة فى ذلك ، و كأنها الحقيقة التى تفرعت منها جميع  
 معانى المادة ، و سياتى<sup>١١</sup> شرح ذلك عند قوله تعالى ” بالغدو والإصالح<sup>١١</sup> “

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الشرك (٣) فى ظ : محكما .  
 (٤) زيد من ظ ومد (٥) سقط من ظ ومد (٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل :  
 افاد الكمال (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : بتقاليها (٩) فى مد : الوصلة (١٠) من  
 ظ ومد ، وفى الأصل : لياتى (١١) آية ١٥ .



في سورة الرعد إن شاء الله تعالى، فعنى الآية حيثئذ: أما تعانيه من الصلوات<sup>١</sup>: الحقيقية ذات الأركان، والمعنوية من الدعاء والاستغفار وجميع أفعال البر الحاملة على أنواع الوصل الناهية عن كل قطعة تأمر بـ 'بمجاهرتنا لآبائنا بالقطعة'<sup>٢</sup> مع تقدير حضورهم ومشاهدتهم لما نفعل<sup>٣</sup> بما يخالف أغراضهم وبتوك التمنية لأموالنا بالنقص وهو مع مخالفة ه أفعال الآباء تبذير فهو سفه - فدارت شبهتهم في الأمرين على تقليد الآباء وتزيههم عن الغلط لاحتمال أن يكون لأفعالهم / وجه من الصواب خفي عنهم، وزادت في الأموال بظن التبذير - فقد صرت بدعائنا إلى كل من الأمرين حيثئذ داعياً إلى ضد ما أنت متلبس به ﴿انك﴾ إذا ﴿لانت﴾ وحدثك ﴿الحليم﴾ في رضاك بما يغضب<sup>٤</sup> منه ذووا الأرحام ١٠ ﴿الرشيد﴾ في تضييع الأموال، يريدون بهذا - [كما -<sup>٥</sup>] زعموا - سلخه من كل ما هو متصف به دونهم من هاتين الصفتين الفائقين<sup>٦</sup> بما خيل إليهم سفههم أنه دليل عليه قاطع، وعنوا بذلك نسبته إلى السفه والغنى على طريق التهكم.

ولما اتهموه بالقطعة والسفه، شرع<sup>٧</sup> في إبطال ما قالوا ونفى ١٥ التهمة فيه، وأخرج مخرج الجواب لمن كأنه قال: ما أجابهم به؟ فقل:

---

(١) في ظ: الصلاة (٢-٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بمجاهرة آبائنا لقطعة.  
 (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: يفعل (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: تغضب.  
 (٦) في الأصل: وذو، وفي ظ ومد: ذو (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: الفائقين (٩) في ظ: شرعوا.

﴿ قال يقوم ﴾ مستعظفا لهم بما بينهم من عواطف القرابة منها لهم على حسن النظر فيما ساقه على سبيل الفرض و التقدير ليكون أدعى إلى الوفاق و الإنصاف ﴿ اريهم ﴾ أى أخبروني ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ على ينة ﴾ أى برهان ﴿ من ربى ﴾ الذى أحسن إلى بما هو إحسان إليكم، و عطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله ﴿ و ﴾ قد ﴿ رزقنى ﴾ و عظم الرزق بقوله: ﴿ منه رزقا حسنا ﴾ جليلا و مالا جما حلالا لم أظلم فيه أحدا، و الجواب محذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب، و يمكن أن يقال فيه: هل يسع عاقلا أن ينسبني إلى السفه بتبذير المال بترك الظلم، أو يسعنى أن أحلم عن عبد غيره و أترك دعاءكم إلى الله، فقد بان بهذا أنى ما أمرتكم بما يسوءكم من ترك ما ألقمتم و تعرضت لغضبكم كلكم، و تركت مثل أفعالكم لإخوفا من غضبه و رجاء لرضاه، فظهر أن لا تهمة فى شيء من أمرى و لا خطأ، ما فعلت قط ما نهيتكم عنه فيما مضى ﴿ و ما أريد ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ ان اخالفكم ﴾ أى [ بأن - ٢ ] أذهب وحدى ﴿ الى ما آتاكم عنه ﴾ ١٥ فى المستقبل، و ما نقص مال بترك مثل أفعالكم، فهو إرشاد إلى النظر فى باب :

لاته عن خلق و تأتى بمثله عار عليك إذا فعلت عظيم  
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم

(١) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن الكريم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

[و قد نهت هذه الأجوبة الثلاثة<sup>١</sup> على أن العاقل يجب أن يراعى في كل ما يأتي و يذر أحد حقوق ثلاثة أهمها و أعلاها حق الله و ثانيها حق النفس و ثالثها حق العباد على وجه الإخلاص في الكل -<sup>٢</sup>] ثبت<sup>٣</sup> يبعده عن التهمة مع سداد الأفعال و حسن المقاصد - حله صلى الله عليه و سلم و رشفه، فلذلك اتبعه بما تضمن معناه مصرحا به فقال: ﴿ان﴾ أى ما هـ ﴿اريد﴾ أى شيئا من الأشياء ﴿الا اصلاح﴾ و أقر بالعجز فقال: ﴿ما استطعت<sup>٤</sup>﴾ أى مدة استطاعنى الإصلاح و هو كما أردت فان مالى - مع اجتنابى ما أنتم عليه - صالح، ليس بدون مال أحد منكم، فلم، مشاهدة أن لا تبذير في العدل، و أما التوحيد<sup>٥</sup> فهو - مع انتفاء التهمة عنى<sup>٦</sup> فيه - دعاء إلى القادر على كل شيء الذى لا خير إلا منه و لا محيص عن الرجوع ١٠ إليه؛ ثم تبرأ من الحول و القوة، و أسند الأمر إلى من هو له فقال: ﴿و ما توفيتى﴾ أى فيما استطعت من فعل الإصلاح ﴿الا بالله<sup>٧</sup>﴾ أى الذى له الكمال كله؛ ثم بين أنه الأهل لأن يرجى فقال مشيرا إلى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ ﴿عليه﴾ أى وحده ﴿توكلت﴾ و لما طلب<sup>٨</sup> التوفيق لإصابة الحق فيما يأتي و يذر من<sup>٩</sup> الله و الاستعانة ١٥ به<sup>١٠</sup> في مجامع أمره و أقبل عليه بركبته و حسم أطماع الكفار عنه و أظهر الفراغ عنهم و عدم المبالاة بهم، و كان في قوله ” ما استطعت“

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) في ظ و مد: فقيت (٤) في ظ و مد: ما (٥) في ظ: التوجيه (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: عن (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: علب (٨) في ظ: في (٩) سقط من مد.

إقرار بأنه محل التقصير ، أخبر بأنه لا يزال يحدد التوبة لعظم الأمر ،  
وعبر عن ذلك بعبارة صالحة للتحذير من يوم البعث تهديدا لهم فقال  
منبها على معرفة المعاد ليكمل الإيمان بالله و اليوم الآخر : ﴿ واليه ﴾  
أى خاصة ﴿ انيبه ﴾ أى أرجع معنى سبق ' للتوبة وحسا تيقن'  
د بالبعث بعد الموت ؟ و التوفيق : خلق قدرة ما هو وفق الأمر من  
الطاعة ، من الموافقة للطائفة ؛ و التوكل على الله : تفويض الأمر إليه على  
الرضا بتديره مع التمسك بطاعته .

/ ٦٦٧

و لما بين لهم عذره بما اتفت به<sup>٥</sup> تهمة<sup>٥</sup> ، / أتبعه بما يدلهم<sup>٥</sup> على  
أن الحق وضع لهم وضوحا لم يبق معه إلا المعاندة ، فحذرهم عواقبها  
١٠ و ذكرهم أمر من ارتكبها فقال : ﴿ و يقوم ﴾ و أعز الناس على  
﴿ لا يجرمنكم ﴾ أى يحملنكم ﴿ شقاقى ﴾ [ أى - ١ ] شقاقكم لى على  
﴿ ان يصيكم ﴾ من العذاب ﴿ مثل ما ﴾ [ أى العذاب الذى - ١ ]  
﴿ اصاب قوم نوح ﴾ بعد طول أعمارهم و تنأى أقطارهم ﴿ او قوم هود ﴾  
على شدة أبدانهم و تمداد أمانهم ﴿ او قوم صالح ﴾ مع نحتهم البيوت  
١٥ من الصخور و تشييدهم عوالى القصور .

و لما كان للمقاربة<sup>٥</sup> أثر فى المشاكلة و المناسبة ، غير الأسلوب تعظيما  
للتهويل فقال : ﴿ و ما قوم لوط ﴾ [ أى - ١ ] على قبح أعمالهم و سوء  
(١) فى ظ : يتى (٢) فى ظ : بنفسى (٣) فى ظ : بطاعتك (٤) سقط من ظ .  
(٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : التهمة (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ  
و مد و القرآن الكريم ، وفى الأصل و و (٨) فى ظ : تقارئة .

حالمهم وقوة أخذهم ووبالهم ﴿ منكم يعيده ﴾ [أى - ' ] لا فى الزمان ولا فى المكان فأتهم أجدر الناس بذكر حالمهم للاتعاض بها ، وإنما فسر جرم بحمل لأن ابن القطاع نقل أنه يقال : جرمت الرجل : حملته على الشيء ، وقد عزا الرمانى تفسيرها بذلك للحسن و قتادة ، ويجوز أن تفسر بما تدور<sup>٢</sup> عليه المادة من القطع ، أى لا يقطعنكم شقاقى عن<sup>٣</sup> اتباع<sup>٤</sup> ما أدعوكم إليه خوف أن يصيبكم ، وقد جوزه الرمانى .

ولما رهبهم ، أتبعه الترغيب فى سياق مؤذن بأنهم إن<sup>٥</sup> لم يبادروا إلى المتاب بادرهم العذاب ، بقوله عاطفا لهذا الأمر على ذلك النهى المتقدم : ﴿ واستغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا ستر المحسن إليكم ، ونبه على مقدار التوبة بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم توبوا إليه<sup>٦</sup> ﴾ ثم علل ذلك مرغبا<sup>٧</sup> فى الإقبال عليه بقوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المختص لى<sup>٨</sup> بما ترون من الإحسان دينا ودنيا ﴿ رحيم ودود<sup>٩</sup> ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يرجع إليه بأن يحفظه على ما يرضاه بليغ الحبب إليه ، ولم يبدأه بالاستعطاف على عادته بقوله<sup>١٠</sup> : يا قوم ، إشارة إلى أنه لم يبق لى وقت آمن فيه وقوع العذاب حتى أشتغل فيه بالاستعطاف ، فربما كان الأمر أجمل من ذلك ، ١٥ فاطلبوا مغفرته بأن تجعلوها غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبة ؛ فثم على بابها فى الترتيب ، وأما التراخى فباغتيال عظم<sup>١١</sup> مقدار التوبة وعلورتبتها

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : يدل ، وفى مد : تدل (٣) فى ظ : عند .  
(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : اتباعى (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : عظيم .

لأن الغفران لا يحصل بالطلب إلا إن اقترن بها ، هذا الشأن في كل كبيرة من أنها لا يكفر إلا بالتوبة ، وذلك لأن الطاعة المفعولة بعدها يكون مثلها كبيرة في جنس الطاعات<sup>٢</sup> [ كما أن تلك كبيرة في جنس المعاصي فلا تقوى الطاعة على محوها وتكرر -<sup>٢</sup> ] الطاعات يقابله تكرر المعاصي بالإصرار الذي هو بمنزلة تكرير المعصية في كل حال ، فلما رأوه لا ينزع عنهم ولم يقدروا لكلامه على جواب ، أيأسوه من الرجوع إليه بأن أنزلوا أنفسهم عنادا في الفهم لهذا الكلام الواضح جدا إلى عداد البهائم ، وهددوه فأخبر تعالى عنهم [ بذلك -<sup>٢</sup> ] استئنفا في جواب من يقول : ما قالوا بعد هذا الدعاء الحسن ؟ بقوله : ﴿ قالوا يشعيب ﴾ منادين ١٠ له باسمه جفاء وغلظة ﴿ ما نفقه ﴾ أي الآن لأن 'ما' تخص بالحال ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ وإذا لم يفهم الكثير من الكلام لم يفهم مقصوده ، يعنون : خفض عليك و اترك كلامك فانا لا نفهمه تهاونا [ به -<sup>٢</sup> ] كما يقول الإنسان لخصمه إذا نسبته إلى الهذيان : أنا لا أدري ما تقول ، ولما كان غرضهم مع العناد قطع الأمر ، خصوا عدم الفهم بالكثير ليكون ١٥ أقرب إلى امكان ، وكأنهم - والله أعلم - أشاروا إلى أنه كلام غير منتظم فلا حاصل له ولا لمضمونه وجود في الخارج .

ولما كان في ذلك إشارة إلى أنه ضعيف العقل لأن كلامه مثل كلام المجانين ،

(١) من مد ، وفي الأصل وظ : تكون (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بجنسها طاعة رب - كذا (٣) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ : تختص .

أتبعوه قولهم: ﴿ وانا لنزك ﴾ أى رؤية مجددة مستمرة ﴿ فينا ضعيفا ٥ ﴾  
 أى فى البدن وغيره، فلا تتعرض لسخطنا فانك لا تقدر على الامتناع  
 من مكروه نخله بك بقوة عقل ولا جسم ولا عشيرة، وأشاروا الى  
 ضعف العشيرة بتعبيرهم بالرهط فى قولهم: ﴿ ولولا رهطك لرجمك ٥ ﴾  
 أى قتلناك شر قتلة - فان الرهط من ثلاثة إلى عشرة وأكثر ما قيل: إن ه  
 نخذه أربعون - فما أنت علينا بممتنع لضعفك / وقلة قومك ﴿ وما أنت ﴾  
 أى خاصة، لأن 'ما' لنفى الحال اختصاص بالزمان، والقياس أن  
 يكون مدخولها فعلا أو شبهه، وحيث أوليت الاسم لا سيما الضمير دل  
 على أن التقديم للاهتمام والاختصاص ﴿ علينا بعززه ﴾ بكريم مودود،  
 تقول: أعززت فلانا - إذا كان له عندك ود، بل قومك هم الأعزة ١٠  
 عندنا لموافقهم لنا، ولو كان المراد: ما عززت علينا، لكان الجواب:  
 لم لا أعزو قد شرقي الله - أو نحو هذا، ويصح أن يراد بالعزير القوى  
 الممتنع، ويصير إفهامه لامتناع رهطه محمولا على أن المانع لهم موافقتهم  
 لهم لا قوتهم؛ والفقه: فهم الكلام على ما تضمن من المعنى، وقد  
 صار اسما لضرب من علوم الدين، وأصل الرهط: الشدة، من الترهيط ١٥  
 لشدة الأكل، ومنه الراهطاء: جحر اليربوع لشدة وتوثقه ليخبا  
 فيه ولده.

ولما كان تخصيصهم نفي العزة به يفهم أن رهطه عليهم أعزة، أنكر  
 عليهم ذلك فى سياق مهدد لهم فقال تعالى حاكيا عنه استئنافا: ﴿ قال ﴾

(١) فى ظ: قوله .

نظم الدرر (سورة هود ١١: ٩٢ و ٩٣) ج - ٩

أى شعيب ﴿يقوم﴾ و'لم يخل' الأمر من جذب واستعطاف بذكر  
الرحم العاطفة ﴿ارهطى﴾ أى أقارب الأقربون منكم ﴿اعز عليكم من الله'﴾  
أى المحيط بكل شيء 'علما و قدرة' حتى نظرتهم إليهم<sup>٢</sup> فى لقائى منهم  
ولم تنظروا إلى الله فى قربى منه بما ظهر على من كرامته ﴿واتخذتموه﴾  
هـ أى [بما - ' ] كلفتم به أنفسكم مما هو خلاف الفطرة الأولى ﴿ورآءكم﴾  
أى أعرضتم عنه إعراض من جعل الشيء وراءه ؛ وحق معنى الورا  
بقوله : ﴿ظهرياً'﴾ أى جعلتموه كالشيء الغائب عنكم المنسى عندكم الذى  
لا يعبأ به ، ولم تراقبوه فى<sup>٣</sup> لنسبى إليه بالرسالة والعبودية .

ولما كان معنى الكلام لاجل الإنكار : إنكم عكستم فى الفعل  
١٠ فلم تعرفوا الحق لأهله إذ كان ينبغى لكم أن لا تنسوا الله بل تراقبوه فى كل  
أموركم ، حسن تعليل هذا المفهوم بقوله : ﴿ان ربى﴾ أى المحسن إلى ؛  
ولما كان المراد المبالغة<sup>٤</sup> فى إحاطة علمه تعالى بأعمالهم قدم قوله :  
﴿بما تعملون محيط هـ﴾ من جليل وحقير ، فهو مقتدر فى كل فعل  
من أفعالكم على إنفاذه وإبطاله ، فهو محيط بكم لا يرد عنه نصرته منكم  
١٥ والإيقاع بكم مراعاة أحد لعزة ولا قوة ، بل لكم عنده أجل هو مؤخركم  
إليه لأنه لا يخشى الفت<sup>٥</sup> ؛ و الاتخاذ : أخذ الشيء لا مريستم فى المستأنف  
كالتخاذ<sup>٦</sup> البيت ؛ والمحيط : المدير على الشيء كالحائط يحصره بحيث

(١-١) فى ظ : لمن نحل (٢-٢) فى ظ و مد : قدرة و علما (٣) من مد ، وفى  
الأصل و ظ : إليه (٤) زيد من ظ و مد (هـ) فى ظ : بما (٦) فى مد : بالمبالغة .  
(٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : القوة - كذا (٨) فى ظ : لاتخاذ .



لا يفوته منه شيء .

ولما ختم الآية بتهديدهم<sup>١</sup> بما بين أن تهديدهم له عدم لا يسأل به ،  
أتبعه ما يصدق من أنه ليس ببارك شيئا من عمله لشيء مما جملوا به ،  
وزاد في التهديد فقال : ﴿ وَيَقُومُ أَعْمَلُوا ﴾ أى أوقعوا العمل لكل  
ما تريدون قارين مستعلين ﴿ عَلَى مَكَاتِكُمْ ﴾ أى حالكم الذى تتمكنون<sup>٥</sup>  
به من العمل ﴿ إِنِى عَامِلٌ ﴾ على ما صار لى مكاتة ، أى حالا أتمكن به  
من العمل لا أنفك عنه ما أنا عامل من تحذيرى لمن كفر و تبشيرى لمن  
آمن و قيامى بكل ما أوجب<sup>٢</sup> على الملك غير هائب لكم ولا خائف منكم  
ولا طامع فى مؤالفتكم ولا معتمد على<sup>٣</sup> سواه .

ولما كانت ملازمته لآعمالهم سببا لوقوع العذاب المتوعد به ١٠  
[ و - ٤ ] وقوعه سببا للعلم بمن يخزى لمن<sup>٤</sup> يعلم أى هذين الأمرين يراد<sup>٤</sup> ،  
ذكره بعد هذا التهديد فحسن حذف الفاء من قوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>٥</sup> ﴾  
أى بوعد لا خلف فيه وإن تأخر زمانه ، وسوقه مساق الجواب لمن  
كأنه قال : ما المراد بهذا الأمر بالعمل المبالغ قبل فى النهى عنه ؟ وقد  
تقدم فى قصة نوح عليه السلام ما يوضحه . وأحسن منه أنهم لما قالوا ١٥  
” ما نفقه كثيرا عما تقول “ كذبهم - فى إخراج الكلام على تقدير سؤال  
من هو منصب الفكر كله إلى كلامه - قائل : ما ذا يكون إذا عملنا  
وعملت ؟ فهذا وصل خفى مشير إلى تقدير السؤال ولو ذكر الفاء لكان

(١) فى ظ : بتهديد (٢) فى ظ : أوجه (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) زيد من ظ  
ومد (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : لم (٦) زيد بعده فى ظ : ان (٧) فى ظ :  
يعلمون .

وصلا ظاهرا، [ وقد ظهر الفرق بين كلام الله العالم بالأسباب وما يتصل بها من المسببات المأمور بها أشرف خلقه صلى الله عليه وسلم في سورة الأنعام والزمر والكلام المحكى عن نبيه شعيب عليه السلام في هذه السورة-١ ] ﴿من﴾ أى أينأ أو الذى ﴿يأتية عذاب يخزيه﴾ ولما كان من مضمون قولهم "ما نفقه كثيرا مما تقول" النسبة إلى الكذب لأنه التكلم بما ليس له نسبة فى الواقع تطابقه<sup>٢</sup>، قال: ﴿ومن هو كاذب﴾ أى منى ومنكم، فالتقدير إن كانت 'من' موصولة: ستعلون الخزي بالعذاب والكذب أنا أو أتم، وإن كانت استفهامية: أينأ يأتية عذاب يخزيه وأينأ هو كاذب، فالزموا مكاتكم لا تتقدموا عنها ﴿وارتقبوا﴾ ١٠ أى انتظروا ما يكون من عواقبها .

ولما كانوا يكذبونه<sup>٣</sup> وينكرون قوله، أكد فقال: ﴿انى معكم رقيب﴾ لمثل ذلك، وإنما قدرت هذا المعطوف عليه لفصل الكلام [ فى قوله "سوف" ويجوز عطفه على "اعملوا" و جرد ولم يقل: مرتقب، إشارة إلى أن همه الاجتهاد فى العمل بما أمره الله لأنه مبالغ فى ارتقاب عاقبه معهم استهانة بهم .

ولما كان كأنه قيل: فأخذوا الكلام-١ ] على ظاهره ولم ينتفعوا بصادع وعيده وباهره . فاستمروا على ما هم عليه من القبيح إلى أن جاء أمرنا فى الأجل المضروب له . قال عاطفان عليه ، وكان العطف بالواو

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢) فى ظ : المتكلم (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : بطايفة (٤) فى ظ : مكانكم (٥) فى ظ : يكذبون (٦) فى ظ : عطفان

لأنه لم يتقدم<sup>١</sup> وعيد بوقت معين - كما في قصتي<sup>٢</sup> صالح ولوط عليهما السلام -  
 يتسبب عنه المجيء و يتعقبه: ﴿ ولما جاء امرنا ﴾ أى تعلق إرادتنا بالعذاب  
 ﴿ نجينا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ شعيبا ﴾ أى تنجية عظيمة ﴿ والذين آمنوا ﴾  
 كائنين ﴿ معه ﴾ منهم<sup>٣</sup> وما عذبناهم به ، و كان إنجاءنا لهم ﴿ برحمة منا ﴾ ولما  
 ذكر<sup>٤</sup> نجاة المؤمنين ، أتبعه هلاك الكافرين فقال: ﴿ واخذت الذين ظلموا ﴾ ٥  
 أى أوقعوا الظلم ولم يتوبوا ﴿ الصيحة ﴾ و كأنها كانت دون صيحة  
 ثمود لأنهم كانوا أضعف منهم فلذلك أبرز علامة التأنيث فى هذه  
 دون تلك .

ولما ذكر الصيحة ذكر ما تسبب عنها فقال: ﴿ فاصبحوا ﴾ أى  
 فى الوقت الذى يتوقع الإنسان فيه السرور وكل خير ﴿ فى ديارهم نجمين ﴾ ١٠  
 أى ساقطين لازمين لمكانهم .

ولما كان الجثوم قد لا يكون بالموت ، أوضح المراد بقوله:  
 ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ أى لم يقيموا فى ديارهم أغنياء متصرفين مترددين  
 مع الغواني لاهين بالغناء ؛ ولما كان مضمون ذلك الإبعاد أكد به بقوله:  
 ﴿ الا بعدا لمدين ﴾ بعدا مع أنه بمعنى ضد القرب معه هلاك ، فهو من ١٥  
 بعد - بالكسر ، وأيد ما فهمته من أن أمرهم كان أخف من أمر ثمود بقوله:  
 ﴿ كما بعدت ثمود ﴾ .

ولما كان شعيب ختن موسى عليهما السلام ، كان ذكر قصته هنا

(١ - ١) من ظ و مد ، وفى الأصل: لو تقدم (٢) فى مد: قصة (٣) سقط من  
 ظ (٤) فى ظ: رحمة (٥) من مد ، فى الأصل وظ: كان .

متوقعا مع ما حرك إلى توقعها من ذكر كتابه أول السورة وما في عصى موسى من مناسبة ناقة من ختم بالتشبيه بحالهم ، فذكرها بعدها مفتحا لها بحرف التوقع فقال مؤكدا تنيها على أن فرعون فعل فعل قريش في الإدبار عن الآيات العظيمة ولم يترك موسى عليه السلام شيئا مما أوحى إليه من إنذاره : ﴿ ولقد أرسلنا ﴾ أعاد الفعل وأبرزه في مظهر العظمة إشارة إلى باهر معجزاته ﴿ موسى بآيتنا ﴾ أى المعجزات التى أظهرها ﴿ وسلطان ﴾ أى أمر قاهر للقطب<sup>١</sup> ، والظاهر أنه حكاية<sup>٢</sup> موسى عليه السلام منه على ما كان له من السطوة والتهرق عليه ﴿ مبین لا ﴾<sup>٣</sup> أى بين بنفسه ، وهو فى قوة يانه كأنه مبین لغيره ما فيه من الأسرار<sup>٤</sup> ، والآية تعم الإمارة<sup>٥</sup> ١٠. والدليل القاطع ، والسلطان يخص القاطع ، والمبين [ يخص -<sup>٦</sup> ] ما فيه جلاء ﴿ الى فرعون ﴾ طاغية القطب ﴿ وملائه ﴾ أى أشراف قومه الذين تتبعهم الأذناب ، لأن القصد الأكبر رفع أيديهم عن بنى إسرائيل . ولما كان الناصح لنفسه من لا يتبع أحدا إلا فيما يعلم أنه صواب ، قال معجبا من الملا مشيرا إلى سرعة<sup>٧</sup> تكذيبهم بالبينات واتباعهم فيما ضلّاله لا يخفى على من له مسكة : ﴿ فاتبعوا ﴾ أى قسب عن هذا الأمر الباهر أن عصى فرعون وحمل ملأه أنفسهم على أن تبعوا لإرادتنا ذلك

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : للقيظ (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : حماية .  
(٣) العبارة من « حكاية موسى » إلى هنا تأخرت فى مد عن « مبین لغيره » .  
(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الاشرار (٥) فى ظ : المارة (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : سرعة .

٢٧٠ /

منهم ﴿ امر فرعون ع ﴾ [ أى كل ما يفهمون عنه أنه يهواه و يأمر به - ١ ]  
و تبهم السفلة فأطبقوا على المنابذة إلا من شاء الله منهم ﴿ و ما ﴾  
أى و الحال أنه ما ﴿ امر فرعون برشيد \* ﴾ / أى سديد ، مع أن فى هذا  
التعقيب بعد ذكر نمود من التذكير بآتى الناقه و العصا إشارة إلى القدرة  
على البعث المذكور أول السورة الموجب خوفه لكل خير كما أن ذلك ه  
أىضا كان من فوائد تعقيب قصة إراهيم لقصة صالح عليهما السلام ،  
و اقتصر هنا على ذكر فرعون و قومه لأن المقصود من هذه القصص -  
كما تقدم - التثبيت فى المكافئة بإبلاغ الإنذار و إن اشتدت كراهية  
المبلغين و قل المتبع منهم ، و أن لا يترك شئ منه خوف إصرارهم  
أو إدبارهم و لا رجاء إقبالهم و كثرة مؤمنهم ، و هذه حال آل فرعون ، ١٠  
و أما بنو إسرائيل فانهم لم يتوقفوا إلا خوفا من فرعون فى أول الأمر ،  
ثم أطبق كلهم على الاتباع ، ثم صاروا بعد ذلك كل قليل يبدلون  
لا كراهية للإنذار بل لغير ذلك من الأمور و عجائب المقدور كما بين فى  
قصصهم ؛ و الملا : الأشراف الذين تملأ الصدور هيئتهم عند رؤيتهم ؛  
و الاتباع ، طلب الثانى للتصرف بتصرف الأول فى أى جهة أخذ ، ١٥  
و قد يكون عن كره بخلاف الطاعة ؛ و الأمر : الإيجاب بصيغة ' افعل '  
و هو يتضمن إرادة المأمور به فى الجملة ، و قد لا يراد امثال عين

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : لا (٣) فى ظ : يتبدلون (٤) فى ظ : الذى (٥) فى  
ظ : هيئتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتصرف (٧) من ظ و مد ، و فى  
الأصل : الأولى .

المأمور، والرشد: القائد إلى الخير الهادى إليه؛ ثم أوضح عدم رشد  
أمر فرعون بقوله: ﴿ يقدم قومه ﴾ أى الذين كان لهم قوة المدافعة  
﴿ يوم القيمة ﴾ ويكونون له تبعاً كما كانوا فى الدنيا، وأشار بإيراد  
ما حقه المضارع ماضياً إلى تحقق وقوعه تحقق ما وقع ومضى فقال:  
﴿ فأوردكم النار ﴾ أى كما أوردكم فى الدنيا غطاءها وهو البحر. ولما  
كان التقدير: فبئس الواردون، عطف عليه بيان الفعل والمفعول فقال:  
﴿ وبئس الورد المورود ﴾ كما كان البحر إذ وردوه أقبح ورد ورده إنسان،  
لأن الورد يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، وهذا يفيد<sup>٢</sup> ضد ذاك<sup>١</sup>.  
ولما كان فرعون موصوفاً بعظم الحال وكثرة الجنود والأموال

١٠. وضخامة المملكة، حقر تعالى دنياه بتحقيق جميع الدنيا التى هى منها  
باسقاطها فى الذكر اكتفاء بالإشارة إليها ولم يثبتها كما فى قصة عاد فقال:

﴿ واتبعوا ﴾ بينائه للمفعول لأن المنسكى الفعل لا كونه من معين  
﴿ فى هذه ﴾ أى الحياة الخسيسة ﴿ لعنة ﴾ فهم يلعنون فيها من كل  
لاعن من المسلمين وغيرهم من أهل الملل<sup>١</sup> فلعنة الله على من حسن حالهم  
١٥ وارتضى ضلالهم لإضلال العباد من أهل الإلحاد بفتنة الاتحاد  
﴿ ويوم القيمة<sup>٢</sup> ﴾ أيضاً بلعنهم اللاعنون، حتى أهل الاتحاد الأخلاء

يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين؛ ثم بين ما يحق أن يقوله سامع  
ذلك بقوله<sup>٣</sup>: ﴿ بئس الرفد المرفود ﴾ أى التبس المتبوع والعون

(١) فى ظ: يكونوا (٢) سقط من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل:  
خريد (٤) فى ظ: ذاك (٥) فى ظ: فقالوا (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: الملك.  
(٧) سقط من ظ.

المعان ، فان اللعنة تابعة لعذابهم في الدنيا ومتبوعة [ باللعنة - ١ ] في الآخرة والعذاب ردف لها وهي ردف له ، و مادة 'ردف' تدور على التبع ، أو يكون المراد أن لعنهم لا يزال مترادفا تابعا بعضه لبعض ، فكل لعنة تابعة لشيء من الحزى : عذاب أولئك ، متبوعة بلعنة مضافة إليها ، وسمى ذلك ردفاً وهو حقيقة العون من باب قولهم : نحية بينهم ضرب وجميع ه ومعنى " يقدم " أنه يكون قدامهم [ غير - ١ ] سائق لهم ، بل هم على أثره متلاحقين ، فيكون دخولهم إلى النار معاً ؛ والقيامة : القومة من الموت للحساب ؛ والإتباع : طلب الثاني للهاق\* بالاول كيف تصرف ؛ واللعن من الله : الإبعاد من الرحمة بالحكم بذلك ، ومن العباد : الدعاء به .

ولما كانت هذه الأخبار على غاية من التحذير<sup>١</sup> ، لا يعرفه إلا بالغ ١٠ في العلم ، كان من المعلوم قطعاً أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت بها إلا من عند الله للعلم بالمشاهد<sup>٢</sup> بأنه لم يعانِ علماً ولا ألّم بعالم يوماً ، هذا [ مع - ١ ] ما اشتملت عليه من أنواع البلاغة و تضمنته من أمحاء الفصاحة و أومأت / إليه بحسن سياقاتها من صروف الحكم<sup>٣</sup> وإفادة تفصيلها من فنون المعارف ،  
فلذلك<sup>٤</sup> استحققت أن يشار إليها بأداة البعد إيماء إلى بعد المرتبة و علو الأمر ١٥  
فقال تعالى : ﴿ ذلك ﴾ أى النبأ العظيم و الخطب الجسيم ﴿ من أنباء القرى ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) - قط من ظ (٣) في ظ : هي (٤) في ظ : تقدم .  
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : للخفاو - كذا (٦) في ظ : البعاد (٧) في ظ : التجويز ، وفي مد : التحوير (٨) في ظ : المشاهد (٩) زيد من - مد (١٠) في مد : فكذلك .

وأكد هذا المعنى بلفظ النبأ لانه الخبر بما فيه عظيم الشأن ، ومنه النبي ،  
و أشار بالتعبير بالمضارع في قوله : ﴿نقصه عليك﴾ إلى أنا كما قصصناها  
عليك في هذا الحال للمقصد المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك من الأغراض  
في فنون البلاغة و تصارييف الحكم كما سترى عند قصه ؛ ثم أشار - بما  
٥ أخبر من حالها بقوله : ﴿منها﴾ أي القرى ﴿قآثم و حصيده﴾ - إلى أنك  
مثل ما سمعت ما قصصنا [ عليك - ١ ] من أمرها بأذنك و وعيته<sup>٢</sup> بقلبك  
تحسها بعينك بمشاهدة أبنيتها و آثارها قائمة و مستحصدة ، أي متهدمة<sup>٣</sup>  
لم يبق من بنائها<sup>٤</sup> إلا بعض جدرانها .

ولما كان فيما تقدم في هذه السورة من القصص أشد تهديد  
١٠ و أعظم وعيد لمن له تبصرة ، صرح لغلطي الالكباد بأن الموجب  
للابقاع بهم إنما هو الظلم ، فقال تعالى عاطفا على نحو أن يقال : فعلنا  
بهم و أنبأناك<sup>٥</sup> به : ﴿و ما ظلمنهم﴾ في شيء منه ﴿و لكن ظلموا أنفسهم﴾  
و اعتمدوا على أندادهم<sup>٦</sup> معرضين عن جنابنا آمنين من عذابنا فأخذناهم  
﴿فآ﴾ أي قسبب عن اعتمادهم على غيرنا أنه ما ﴿اغنت عنهم﴾ أي  
١٥ بوجه من الوجوه ﴿التهتهم التي﴾ و صور حالهم الماضية<sup>٧</sup> فقال :  
﴿يدعون﴾ أي دعوها و استمروا على دعائهم لها إلى حين الأخذ ،  
[ و بين خسة رتبها فقال - ٨ ] : ﴿من دون الله﴾ أي الذي له جميع

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : غيبة (٣) في ظ : متهمة (٤) في  
ظ : بنائها (٥) في ظ : اتيناك (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : انذارهم (٧) زيد  
بعده في الأصل و ظ : التي ، ولم تكن الزيادة في مد لخذفها (٨) زيد ما بين  
الحاجزين من ظ و مد .



صفات الكمال؛ و ذكر مفعول " اغنت " معرقاً في النفي فقال: ( من شيء )  
 أى و إن قل ( لما جاء امر ) أى عذاب ( ربك ) أى المحسن إليك  
 بتأخير العذاب المستأصل عن أمتك و جعلك نبي الرحمة ( و ما زادوهم )  
 في أحوالهم التي كانت لهم قبل عبادتهم إياها ( غير تنيبه ) أى إهلاك  
 و تخسير، فانهم كانوا في عداد ' من يرجى ' فلاحه ، فلما تورطوا في ه  
 عبادتها و نشبوا في غوايتها و بعدوا عن الاستقامة<sup>٢</sup> بضلالتها خسروا  
 أنفسهم التي هي رأس المال . فكيف لهم بعد ذلك بالأرباح؛ و القص :  
 إتباع الأثر، فهو هنا الإخبار بالأمور التي يتلو بعضها بعضاً؛ و الدعاء :  
 طلب الطالب الفعل من غيره ، و نداء الشيء [ باسمه - ٣ ] بحرف النداء،  
 ٤ و كلا الأمرين مرادان<sup>٥</sup>؛ و " من دون الله " : من<sup>٦</sup> منزلة أدنى من ١٠  
 منزلة عبادة<sup>٧</sup> الله لانه من الأدنى ، و هو الأقرب إلى جهة السفلى؛  
 ٨ و التب : الهلك و الخسر<sup>٩</sup> .

و لما كان المقصود من ذلك رمي<sup>١٠</sup> قلوب العرب بما فيه من سهام  
 التهديد ليقنعوا عما تمكنوا فيه<sup>١١</sup> من عمى التقليد ، قال تعالى معلماً بأن  
 الذي أوقع بأولئك لظلمهم [ و - ١٢ ] هو لكل ظالم بالمرصاد سواء ظلم ١٥  
 نفسه أو غيره : ( وكذلك ) أى و مثل ذلك الأخذ العظيم ( اخذ ربك )  
 (١-١) من مد ، و في الأصل : من تربى ، و في ظ : فلا يرجى (٢) من ظ و مد ،  
 و في الأصل : الاستعانة - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) في ظ :  
 مراد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : عباد .  
 (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : من .  
 (١٠) زيد من ظ .

ذكره بوصف الإحسان ما إليه من البر لئلا يخاف على قومه من مثل هذا الأخذ (إذا آخذ القرى) أى أهلها وإن كانوا غير من تقدم الإخبار عنهم وإن عظموا وكثروا، ولكن الإخبار عنها أهول لأنه يفهم أنه ربما يعمها الهلاك لأجلهم بشدة الغضب من فعلهم كقرى قوم لوط عليه السلام (وهي ظلة) روى البخارى فى التفسير عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ "وكذلك آخذ ربك" - الآية. ولما كان مثل هذا الأخذ لا يدانيه مخلوق ولا يقدر عليه ملك،

حسن كل الحسن إتباع ذلك قوله: (إن آخذهم اليم) أى مؤلم قاطع ١٠. للآمال مالى البدن والروح والنفس بالنكال (شديد) أى صعب

مفتت للقوى، ولعله عبر هنا باسم الرب / مضيفاً له إلى المنبأ بهذه / ٦٧٢

الأنباء مكرراً لذلك فى هذا المقام الذى ربما سبق فيه الوهم إلى أنه باسم الجبار والمتنقم مثلاً أليق، إشارة إلى أنه سبحانه يريك أحسن تربية فى إظهارك على الدين كله وانقياد العظماء لأمرك وذل الأعزة لسلطوتك ١٥. وخفض الرأس لعلو شأنك، فلا تتكلف أنت شيئاً من قصد إجابتهم إلى إنزال آية أو ترك ما يغيظ من إنذار ونحو ذلك - والله الموفق. ولما كان بما جر هذه القصص وهذه المواعظ تكذيبهم لما يوعدون

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: أكثروا (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: أهون (٣) فى مد: لشدة (٤) سقط من ظ (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: الراس.

من العذاب الناشئ عن إنكار البعث المذكور في قوله تعالى " و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت " - الآيات ، أشار تعالى إلى تحقق أمر الآخرة و أنه مما ينبغي الاهتمام به رداً للقطع على المطلع . و إعلاماً بأنه لا فرق بينه وبين ما تحقق إيقاعه من عذاب هذه الأمم في القدرة عليه بقوله مؤكداً لأجل جحودهم أن يكون في شيء مما مضى دلالة عليه بوجه من الوجوه : ( ان في ذلك ) أى النبأ العظيم و القصص و الوعظ بما يذكر ( لآية ) أى لعلامة عظيمة و دلالة بته . و لما كان وجود الشيء عدماً بالنسبة إلى ما لا تقع له به ، قال : ( لمن خاف عذاب ) يوم الحياة ( الآخرة ) لأنه تقع خاص به ، و إنما كان آية له لأنه إذا نظر إلى إهلاكه للظالمين إهلاكاً عاماً بسبب ١٠ ظلمهم و إنجائهم للمؤمنين ، علم أنه قادر على ما يريد ، و أنه لا بد أن يجازى كلا بما فعل ، فإذا رأى أن ظلمة كثيرين يموتون بغير انتقام ، علم أنه لا بد من يوم يجازيهم فيه ، و هو اليوم الذى أخبر به عنه رسله . و زاد في الإشارة إلى تهويله بأعادة اسم الإشارة في قوله : ( ذلك ) أى اليوم العظيم الذى يكون فيه عذاب الآخرة ( يوم ) ١٥ و أشار - إلى يسر البعث و سهولته عليه و أنه [ أمر ثابت - ] لا بد منه - باسم المفعول من قوله : ( مجموع له ) أى لإظهار العدل فيه

(١) في مد : الامة (٢) في ظ و مد : بينة (٣) في مد : من (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : كثيرة من (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد بعده في مد : له (٧) في ظ و مد : لاجل اظهار .

والفضل ﴿الناس﴾ أى كل من فيه أهلية التحرك والاضطراب،  
وما تَمَّ يوم غيره يكون بهذه 'الصفة أصلاً' .

ولما لم يسبقه يوم اجتمع فيه جميع الخلق من الجن والإنس  
والملائكة وجميع الحيوانات أحياء، كان ذلك مسوغاً لأن تعد شهادة  
غيره عندما فقال تعالى: ﴿وذلك﴾ أى اليوم العظيم ﴿يوم مشهود﴾  
أى هو نفسه لهم ولغيرهم من جميع الخلق، فيكون تنوينه للتعظيم بدلالة  
المقام، أو يكون المعنى أنه أهل لأن يشهد، وتوفر الدواعى على  
حضوره لما فيه من عجائب الأمور والأحوال العظام والمواقف الصعبة،  
فلا يكون ثم شغل إلا نظر ما فيه والإحاطة بحوادثه خوف التلاف  
١٠ ورجاء الخلاص؛ 'والآية: العلامة العظيمة لما فيها من البيان عن  
الامر الكبير'؛ والخوف: انزعاج النفس بتوقع الشر، وضده الأمن  
وهو سكون النفس بتوقع الخير؛ والعذاب: استمرار الألم.

ولما تقدم قولهم "ما يحبه" كان كأنه قيل فى الرد عليهم:  
نحن قادرون على تعجيله، وهو - كما أشرنا إليه فى هذه الآية - عندنا  
١٥ متى شئنا فى غاية السهولة: ﴿وما تؤخره﴾ أى اليوم أو الجزاء مع ما لنا  
من العظمة والقدرة التامة على إيجاده لشيء من الأشياء ﴿الالاجل﴾  
أى لاجل انتهاء أجل ﴿معدودة﴾ سبق فى الأزل تقديره بمن لا يبدل  
القول لديه وكل شيء فى حكمه، فهو لا يخشى الفتور؛ ومادة 'أجل'  
بتركيها الأربعة: أجل وجأل وجلأ ولجأ تدور على المدة المضروبة للشيء،  
٢٠ فالأجل - محركة: مدة الشيء وغاية الوقت فى الموت وحلول الدين<sup>٢</sup>

(١-١) سقط ما بين من الرقين من ظ (٢) فى ظ: الاجل .

من تسمية الجزء باسم الكل، والتأجيل: تحديد الأجل، ويلزمه التأخير،  
ومنه أجل الشيء كفرح - إذا تأخر، والآجلة: الآخرة، وأجل الشيء -  
بافتح: حبسه ومنعه، لأن الأجل حابس ومانع للتوكل، ومنه أجل  
كجمزي<sup>١</sup>، وهو مرعى لهم معروف كأنه لحسنه يحبس الراعى فيه،  
وأجل الشر عليهم: جناه وأثاره / وهيجه، ولاهله<sup>٢</sup>: كسب وجمع ه / ٦٧٣  
واحتال، لأن ذلك كله من لوازم ذى الأجل، أو<sup>٣</sup> المعنى أنه أوجد  
أجل ذلك، وكقعد ومعظم: مستنقع الماء، لأنه محيط به إحاطة  
الأجل بالتوكل. وأجله فيه تأجيلا: جمعه؛ فتأجل، والمأجل: الحوض  
يحبس فيه الماء، وأجلوا ما لهم: حبسوه في<sup>٤</sup> المرعى، والأجل - بالكسر:  
قطيع. من بقر الوحش، تشبها له في اجتماعه من حيث أنه أحسن له ١٠  
بالأجل لأنه - كما قيل - حصن حصين<sup>٥</sup>، والأجل - بالكسر أيضا:  
وجع في العنق، لأنه من أسباب حلول الأجل، وأجله: دأواه منه،  
وبالضم جمع أجل للتأخر وللجتمع من الطين يجعل حوله النخلة، لإحاطته  
بها إحاطة الأجل وتحصينه لها، وتأجل القوم: تجمعوا، لأن التجمع  
أحسن لهم، وأجل - بفتحين ثم سكون: جواب كنتم وزنا ومعنى ١٥  
إلا أنه أحسن منه في التصديق، ونعم منه في الاستفهام، وحقيقة  
ذلك الإخبار بأن أجل - أى وقت - ذلك الفعل الموجب أو المستفهم

---

(١) من القاموس، وفي الأصول: كحمرى (٢) في ظ: لاهل (٣) في ظ: ومد  
" و (٤) سقط من ظ (٥) في تاج العروس: عن (٦-٦) سقط ما بين الرقين  
من ظ (٧) في ظ: او.

عنه 'قد حضر' ، و فعلت ذلك أجلك - من غير 'من' - ومن أجلك ،  
 ومن أجلاك [ومن أجلاك - ' ] ويكسر في الكل ، أى من جلك -  
 قاله في القاموس ، و قال في فصل الجيم : وفعله من جلك - بالضم -  
 وجلاك<sup>٢</sup> وجلك - محرك<sup>٣</sup> - وتجتلك 'وإجلالك' - بالكسر ، ومن أجل  
 ٥ إجلالك ومن أجلك بمعنى - انتهى . وحقيقته أن فعلى مبتدئ من  
 أجلك - بالتحريك ، أو تكون 'من' سببية ، أى أجلك سبب فيه ، ولو لا  
 وجودك ما فعلته فهو لتعظيمك ؛ والمليجأ واللجأ - محرك : المعقل والملاذ ،  
 كأنه شبه بالاجل ، ومنه لجأ إليه - كمنع وفرح : لاذ ، وألجأ أمره  
 إلى الله : أسنده ، وألجأ فلانا إلى كذا : اضطره ، والتلجئة<sup>٤</sup> : الإكراه ،  
 ١٠ واللجأ - محرك : الضفدع ، لالتجائها إلى الماء : ومن ذلك الجيال -  
 كصقل ، وجيل<sup>٥</sup> وجيل<sup>٦</sup> وجيل<sup>٧</sup> ممنوعين ، وجيل بلا همز كله اسم الضبع لكثرة  
 لجاتها إلى وجارها ، ومنه جئل - كفصرح - جالانا : عرج ، كأنه  
 تشبه<sup>٨</sup> بمشيها ، لأن من أسمائها العرجاء ، أو تشبه بمشية الراقى في درج  
 المليجأ ، أى الحصن ، وكذا الاجل - كقنب<sup>٩</sup> وقبر - وهو ذكر الأوعال ،  
 ١٥ لأن قرونه كالحصن له ، وجيل<sup>١٠</sup> الجرح : غثيه ، وهو مريه ، لأنه من  
 أسباب قرب الاجل ، وكذا الاجتلال<sup>١١</sup> - أى الفزع - ربما كان سببا

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من القاموس (٣) في ظ : جلاك .  
 (٤) من القاموس ، وفي الأصول : محرك<sup>٥</sup> (هـ) في ظ : اللجئة (٦) من ظ ومد  
 والقاموس ، وفي الأصل : جيل<sup>٧</sup> في ظ ومد : تشبه (٨) من ظ ومد  
 والقاموس ، وفي الأصل : كقنب (٩) في ظ : جالة (١٠) في ظ ومد : الاجلال :  
 لذلك ٣٧٨

لذلك، وربما كان سبباً للبادة<sup>١</sup> إلى الحصن، و جأل - كمنع: ذهب  
 وجاء، والصوف: جمعه واجتمع - لازم متد، كله من لوازم الاجل بمعنى  
 المدة، و جلا<sup>٢</sup> بالرجل<sup>٣</sup> - كمنع<sup>٤</sup>: صرعه، و بثوبه: رماه، كأنه جعله في  
 قوة من حضر أجله، و إن شئت قلت في ضبط<sup>٥</sup> ذلك: إن المادة - مع  
 دورانها على المدة - تارة تنظر إلى نفس المدة،<sup>٦</sup> و تارة إلى آخرها<sup>٧</sup>، ه  
 و تارة [إلى -<sup>٨</sup>] امتدادها و تأخرها، و تارة إلى ما يدنى منه<sup>٩</sup>، و تارة  
 إلى<sup>١٠</sup> منفعتها، و تارة إلى ما يلزم فيها<sup>١١</sup>، فن النظر إلى نفس المدة:  
 التأجيل بمعنى تحديد الاجل، و هو مدة الشيء<sup>١٢</sup>، و فعلت هذا من أجلك،  
 أى لو لا وجودك ما فعلته، و أجل بمعنى نعم، أى حضرت مدة الفعل،  
 و من النظر إلى الآخر: دنا الاجل - في الموت و الدين، و من النظر  
 إلى التأخر: أحل<sup>١٣</sup> الشيء - إذا تأخر، و الآجلة: الآخرة، و من النظر  
 إلى السبب المدنى: الاجل - بالكسر - لوجع في العنق، و جباله<sup>١٤</sup> الجرح -  
 لثيئه أى مريه، و جلا<sup>١٥</sup> بالرجل: صرعه، و بثوبه: رماه، و أجل الشر  
 عليهم: جناه، أو أثاره و هيجه، و الاجتلال: الفزع، و من النظر  
 إلى المنفعة و هي<sup>١٦</sup> أن التأجيل الذى هو تحديد الاجل للشيء مانع<sup>١٧</sup>  
 من أخذه دون ما ضرب له من المدة: الاجل - بالكسر - للقطيع من  
 بقر الوحش، و أجل الشيء: حبسه و منعه، و أجل يكمرى<sup>١٨</sup>: مرعى

(١) في مد: لادة (٢) في القاموس: الرجل (٣) في ظ: منع (٤) سقط من ظ.  
 (٥-ه) سقط ما بين الرقمن من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في  
 الأصل: منها - كذلك (٨) في ظ: منها (٩) سقط من مد (١٠) في ظ: اجر.  
 (١١) في ظ: جاله (١٢) في ظ: هو (١٣) من القاموس، و في الأصول: كحمرى.

لهم معروف، وتأجل القوم: تجمعوا، وجأل الصوف: جمعه،  
واللجاء والملجأ: المعقل والملاذ. والصفدع للزومها ملجأها من  
الماء، والجبال للضبع للزومها وجارها، ولذلك تسمى 'أم عامر،  
وجتل - كفرح: عرج، كأنه شبه بمشيتها لأنها تسمى العرجاء، والأجل  
كقنب' وقبر - لذكر الأوعال، / لتحصنه بقروته، والأجل - بالضم:  
المجتمع من الطين يحمل حول النخلة، والمأجل: الحوض يحبس فيه  
الماء، ومستنقع الماء مطلقا، وأجله تأجيلا: جمعه، ومن النظر إلى  
ما يلزم في المدة: أجل لأهله: كسب وجمع و جلب و احتال،  
وجأل - كمنع: جاء. وذهب؛ فقد تبين أن المراد بالأجل هنا الحين.

١٠. ولما كان كأنه قيل: يا ليت شعري ماذا يكون حال الناس إذا  
أتى ذلك الأجل وفيهم الجبارة والرؤساء وذوو العظمة والكبراء؟  
أجيب بقوله: ﴿يوم يات﴾ أى ذلك الأجل لا يقدرّون على الامتناع  
بل<sup>٢</sup> ولا على مطلق الكلام، وحذف ابن عامر وعاصم و حمزة الياء  
اجتزاء عنها بالكسرة؛ كما هو فاش في لغة هذيل، وكان ذلك إشارة  
١٥ إلى أن شدة هوله تمنع أهل الموقف الكلام أصلا في مقدار ثلثيه،  
ثم يؤذن لهم في الكلام في الثلث الآخر بدلالة المحذوف و قرينة الاستثناء،  
فان العادة أن يكون المستثنى أقل من المستثنى منه ﴿لا تكلم﴾ ولو أقل  
كلام بدلالة حذف التاء ﴿نفس﴾ من جميع الخلق في ذلك اليوم

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: ممي (٢) من ظ و مد والقاموس، وفي  
الأصل: كقنب (٣) سقط من ظ و مد (٤) في ظ: كالكسرة.



الذى هو يوم الآخرة، وهو ظرف هذا الأجل وهو يوم طويل جدا ذو ألوان وفنون وأموال وشؤون، تارة يؤذّن فيه في الكلام، وتارة يكون على الأفواه الختام، وتارة يسكتهم الخوف والحسرة والآلام، وتارة ينطقهم الجدال والخصام (الاباذنه ج) أى باذن ربك المكرر ذكره في هذه الآيات إشارة إلى حسن الترية<sup>١</sup> وإحكام التدبير<sup>٢</sup>.

ولما علم من هذا<sup>٣</sup> أنه يوم عظمة وقهر، سبب عن تلك العظمة تقسيم الحاضرين فقال: (فنهم) أى الخلائق الحاضرين لأمره (شقى) ثبتت له الشقاوة فيسر في الدنيا لأعمالها (وسعيده) ثبتت له السعادة فشى على منوالها؛ والتأخير: الإذهاب عن جهة الشيء بالإبعاد منه، وضده التقديم؛ والأجل: الوقت المضروب لوقوع أمر من الأمور؛ واللام تدل على العلة والغرض والحكمة بخلاف 'إلى'؛ والشقاء: قوة أسباب البلاء.

ولما كان أكثر الخلق هالكا مع أن المقام مقام تهديد وتهويل، بدأ تعالى بالاشقياء ترتيبا للنشر<sup>٤</sup> على ترتيب اللف<sup>٥</sup> فقال: (فاما الذين شقوا) أى أدركهم العسر والشدة (ففى النار) أى [محكوم لهم<sup>٦</sup> بأنهم يدخلون النار - ١] التى هى النار لو علمتم (لهم فيها زفير) أى عظيم جدا (وشهيق لا) من زفر - إذا أخرج نفسه بعد مدّه إياه<sup>٧</sup>، وشهق - إذا تردد البكاء في صدره - قاله في القاموس؛ وقال ابن كثير في تفسير

(١) سقط من ظ ومد (٢) فى ظ: التذكير (٣) فى ظ: هذه (٤-٥) سقط ما بين الرقین من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: بخلا - كذا (٦) فى ظ ومد: للتنقسم (٧) فى ظ ومد: التفريق (٨-٩) فى ظ: يحكم بهم (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ: أيام.

سورة الأنبياء: الزفير: خروج أنفاسهم، 'و الشهيق: ولوج أنفاسهم'؛  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق:  
الصوت الضعيف، وعن الضحاك ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار،  
و الشهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا رده في جوفه، و سياتى كلام  
ه الرماني في ذلك ﴿تخلدين فيها﴾ أى بلا انقطاع، وعبر عنه بقوله جريا  
على أساليب العرب: ﴿ما دامت السموات والارض﴾.

ولما كان له كل شيء لا يقيح منه شيء وهو قادر على كل شيء،  
دل على ذلك بقوله: ﴿الا ما شاء﴾ [أى مدة شاءها فانه لا يحكم لهم  
بذلك فيها فلا يدخلونها - ٢].

١٠ ولما كان الحال في هذه السورة مقتضيا - كما تقدم - لتسليية النبي

صلى الله عليه وسلم عما أخبر به سبحانه في قوله "فلعلك تارك بعض  
ما يوحى إليك" - الآية، من ضيق صدره، ولذلك أتى بهذه القصص  
كما مضى بيان ذلك، عبر باسم الرب إشارة إلى أنه يحسن إليه بكل ما يسر  
قلبه ويشرح صدره فقال: ﴿ربك﴾ وقد جرى الناس في هذا الاستثناء

١٥ على ظاهره ثم أطلوا الاختلاف في تعيين المدة المستثناة، والذي ظهر لى

- والله أعلم - أنه لما تكرر الجزم بالخلود في الدارين وأن الشرك لا يغفر  
والإيمان موجب للجنة فكان ربما ظن أنه لا يمكن غير ذلك كما ظنه  
المعتزلة لا سيما إذا توهم القطع في مثل قوله "ان الله لا يغفر ان يشرك  
به" مع تقيد غيره بالمشيئة في قوله "و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء"

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ: كما .

جاء هذا الاستثناء معللاً أن الأمر فيه إلى الله تعالى كغيره من الأمور ،  
له أن يفعل في كلها ما يشاء وإن جزم القول فيه ، لكنه لا يقع غير  
ما أخبر به ، وهذا كما تقول : اسكن هذه الدار عمرك إلا ما شاء زيد ،  
وقد لا يشاء / زيد شيئاً ، فكما أن التعليق بدوام السماوات والأرض غير مراد  
الظاهر كذلك الاستثناء لا يشاء الله قطع . نود لأحد من الفريقين ، وسوقه هـ  
هكذا أدل على القدرة وأعظم في تقليد المنه ، ثم رأيت الإمام أبا  
أحمد البغوي قد ذكر معنى هذا آخر ما أورده في تفسيره من الأقوال  
في الآية وحكى نحوه عن لفراء ، ومثله بأن تقول : والله لأضربنك  
إلا أن أرى ، وعزيمتك أن تضربه ، وعزاه الطحاوي في بيان المشكل  
إلى أهل اللغة منهم لفراء .

١٠

ولما كان تخليد الكفار من الحكم بالقسط بين الفريقين لأنه من  
أكبر تعميم المؤمنين الذين عادوهم في الله كما تقدم التنبيه عليه أول  
سورة يونس عليه السلام عند قوله " ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
بالقسط " كان ربما توهم أن الاستثناء لو أخذ على ظاهره لم يكن إخراجهم  
من النار حينئذ ، ففى هذا التوهم بقوله : ( أن ربك ) أى المحسن إليك ١٥  
( فعاز لما يريد ) أى لا يجوز عليه البدء بالرجوع عما أراد ولا المنع  
عن مراده ولا يتعذر عليه شيء منه مع كثرة المرادات فلا اعتراض  
عليه ولا يلزمه لأحد شيء ، بل له أن يخلد العاصين في الجنة ويخلد  
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : دال (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقول .  
(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عزيمتك (هـ) زيد فى مد : من (٦) فى ظ :  
الروايات .

الطائعين في النار<sup>١</sup>، ولكنه كما ثبت ذلك ليعتقد لكونه من صفة الكمال  
ثبت أنه لا يفعل ذلك سبحانه ولا يبدل القول لديه لأن ذلك من  
صفات الكمال أيضا مع أن في ختم الآية بذلك ترجية لأهل النار في  
إخراجهم منها زيادة في عذابهم .

٥ ولما تم أمر الأشقياء . عطف عليه قسيمهم فقال :

(واما الذين سعدوا) أى فازوا بمطالبهم وتيسر أمرهم (ففي الجنة)  
أى التى صارت معلومة من الدين بالضرورة (خلدين فيها) دائما أبدا  
(مادامت السموات والارض) على ما جرت به عادة العرب في  
إرادة التأييد بلا آخر بمثل هذا (الا ماشاء ربك<sup>٢</sup>) وأدل دليل على  
١٠ ما قلت في الاستثناء قوله: (عطاء) هو<sup>٣</sup> نصب على<sup>٤</sup> المصدر (غير مجذوزمه)

أى مقطوع [ولا مكسور ولا مفصول - لعطاء من الاعطية ولا مفرق  
ولا مستهان به -<sup>٢</sup>] : لأنهم لو انفكوا من التعميم حقيقة أو معنى ولو لحظة  
لكان مقطوعا [أو منقوصا -<sup>٢</sup>] ؛ وفي الختم بذلك من الجزم بالدوام  
طمأنينة لأهل الجنة زيادة في نعيمهم عكس ما كان لأهل النار؛ قال

١٥ أبو الحسن الرماني: والزفير: ترديد النفس مع الصوت حتى تنتفخ  
الضلوع، وأصله الشدة من المزفور الخلق، والزفر: الحمل على الظهر،  
لشدته، والزفر: السيد؛ لأنه يطبق حمل الشدائد، وزفرت النار -  
إذا سمعت لها صوتا في شدة توقدها، والشهيق: صوت فطبع يخرج  
من الجوف بمد النفس، وأصله الطول المقرط من قولهم: جبل شاهق

(١) سقط من ظ ومد (٢-٢) من ظ ومد، وفي الأصل: على نصب (٣) زيد  
من ظ ومد (٤) في ظ: الشد .

أى ممتنع طولاً؛ والخالد: الكائن فى الشئ أبداً، والدائم: الباقي أبداً، ولهذا يوصف الله تعالى بالدائم دون الخالد.

ولما أخبره تعالى بوقوع القضاء بتميز الناس فى اليوم المشهود إلى

القسمين المذكورين على الحكم المشروح<sup>١</sup> مرها ومرغبا، كان ذلك كافياً

فى الثبات على أمر الله والمضى لإنفاذ<sup>٢</sup> جميع ما أرسل به وإن شق اعتياداً ٥

على النصرة فى ذلك اليوم بحضرة تلك المجموع<sup>٣</sup>، فكان ذلك سبباً للنهى

عن القلق فى شئ من الأشياء وإن جل وقعه<sup>٤</sup> وتعظم خطبه، فقال

تعالى: ﴿ فلا ﴾ ولما كان ما تضمنه هذا التقسيم أمراً عظيماً وخطباً جسيماً،

اقتضى عظيم تشوف النفس<sup>٥</sup> وشديد شوقها<sup>٦</sup> لعلم ما سبب<sup>٧</sup> عنه، فاقضى

ذلك حذف النون من 'كان' إيجازاً فى الكلام للاسراع بالإيقاف<sup>٨</sup> على ١٠

المراد [ والإبلاغ فى نبي الكون على أعلى الوجوه - ٩ ] فقال: ﴿ تك ﴾

[ أى " فى حالة " من الأحوال - ٩ ] ﴿ فى مربة ﴾ والمربة: الشك مع

ظهور الدلالة للهمة - قاله الرماني ﴿ بما بعد هؤلاء<sup>٩</sup> ﴾ أى لا تفعل فعل

من هو فى مربة بأن تضطرب من أجل ما يعبدون مواظبين على عبادتهم

مجددين ذلك [ فى - ١٠ ] كل حين فتجع نفسك فى إرادة مبادرتهم إلى ١٥

امثال الأوامر فى النزوع<sup>١٠</sup> عن ذلك بالكف عن مكاشفتهم بغاظة الإنذار

(١) سقط من مد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: المشروع (٣) من ظ ومد،

وفى الأصل: لا يعاد (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: المجموع (٥) فى ظ:

دفعه (٦ - ٦) فى ظ: شدة قوتها (٧) فى ظ: تسبب (٨) فى ظ ومد: الاتفاق.

(٩) زيد من ظ ومد (١٠ - ١٠) فى ظ: بحجة (١١) زيد من مد (١٢) من ظ

ومد، وفى الأصل: الروع.

و الطلب لإجابة مقترحاتهم رجاء الازدجار كما مضى / في قوله تعالى  
 "فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك" - الآية ، ذلك أن مادة مرى'  
 - بأى ترتيب كان - تدور على الاضطراب ، وقد يلزمه الطرح و الفصل :  
 رمى يرمى رميا ، و المرماة : ظلف الشاة لأنه يطرح ، و الرمى : قطع من  
 ٥ السحاب رفاق ؛ و الریم : البراح ، ما يريم يفعل كذا : ما يزال ، و الریم :  
 الدرج للاضطراب فيها ، و القبر لنبذه في جانب من الارض و طرح  
 الميت فيه ، و ریم فلان بالمكان : أقام به<sup>٢</sup> مجاوزا لغيره منفصلا عنه كأنه  
 رمى بنفسه فيه ، و ریمت السحابة - إذا دامت فلم تقلع ، لأن من شأنها  
 رمى القطر ، و مرى الضرع : مسح للحلب ، و الرمح تمرى السحاب<sup>٣</sup> ،  
 ١٠ و المرى : المدة\* لقفذها ما فيها ، و المرية : الشك ، أى تزلزل الاعتقاد ،  
 و الميرة : جلب الطعام ؛ ثم استأنف تعالى خبرا هو بمنزلة العلة لذلك  
 فقال : ﴿ ما يعبدون ﴾ أى يوقعون العبادة على وجه الاستمرار  
 ﴿ الا كما يعبد آباؤهم ﴾ و لما كانت عبادتهم في قليل من الزمن الماضى  
 أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل<sup>٤</sup> ﴾ أى أنهم لم يفعلوا ذلك لشبهة إذا  
 ١٥ كشف عنها القناع رجعوا ، بل لمحض تقليد الآباء مع استحضارهم  
 لتلبسهم بالعبادة كأنهم حاضرون لديهم يشاهدونهم مع العمى عن النظر  
 فى الدلائل و الحجج كما كان من قصصنا عليك أخبارهم من الأمم فى  
 تقليد الآباء سواء بسواء مع عظيم شكيمتهم و شدة عصبيتهم<sup>٦</sup> للآجانب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : برى (٢) فى ظ : به (٣-٢) سقط ما بين  
 الرقین من ظ (٤) فى ظ و مد : مرمى (٥) فى ظ : المعدى (٦) فى ظ : عصبيتهم .

فكيف بالأقارب فكيف بالآباء ١ فاقم عليهم الحجة ببلاغ جميع ما تأمرك به كما فعل من قصصنا عليك أنباءهم من إخوانك من الرسل غير مخطر في البال شيئاً مما قد يترتب عليه إلى أن ينفذ ما نريد من أوامرنا كما سبق في العلم فلا تستعجل فانا ندر الأمر في سفول شأنهم وعلو شأنك كما نريد ( وانا ) بما لنا من العظمة ( لموفوم نصيهم ) ٥ من الخير والشر من الآجال وغيرها وما هو ثابت ثباتاً لا يفارق أصلاً ؛ ولما كانت التوفية قد تطلق على مجرد الإعطاء وقد يكون ذلك على التقريب ، نفى هذا الاحتمال بقوله : ( غير منقوص ٤ ) والنصيب : القسم المجهول ٢ لصاحبه كاللحظ ؛ والمنقوص : المقدار المأخوذ جزء منه ؛ والنقص : أخذ جزء من المقدار .

١٠

ولما ذكر في هذه الآية إعراضهم عن الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأزل عليه من الكتاب ، سلاه بأخيه موسى عليهما السلام لأن الحال إذا عم خف ، وابتدأ ذكره بحرف التوقع بما دعا إلى توقعه من قرب ذكره مع فرعون مع ذكر كتابه أول السورة فقال تعالى : ( ولقد آتينا ) [ أى - ' ] بما لنا من العظمة ( موسى الكتب ) ١٥ أى التوراة الجامعة للخير .

ولما كان الضار والمسلئ \* نفس الاختلاف ، بنى للفعول قوله : ( فاختلف فيه ' ) قائم به قوم وكفر به آخرون مع أنه إمام ورحمة ( ١ ) من ظ ومد ، وفي الأصل : ( ٢ ) في ظ : على ( ٣ ) في ظ : المجموع . ( ٤ ) زيد من ظ ومد ( ٥ ) في ظ : النسلي .

وكتب سبحانه له فيه من كل شيء<sup>١</sup> موعظة و تفصيلا لكل شيء، وكان معجبا لأهل ذلك الزمان [ كما اختلف في كتابك مع إعجابه لأهل هذا الزمان - <sup>٢</sup> ] و يانه للهدى أتم يان، إشارة إلى أن الخلق مهما جاءهم عن الله، وهو لا يكون إلا مصحوبا بالأدلة القاطعة نأوا عنه و اختلفوا فيه، و مهما تلقفوه عن آبائهم تلقفوه بالقبول و ناضلوا عنه و سمحوا فيه بالهيج و إن كان منابذا للعقول، فكان قوم موسى باختلافهم في الكتاب كل قليل يأتي<sup>٣</sup> فريق منهم بعض أحكامه و يريدون نقض إبراهيم كما سلف يانه غير مرة عن نص التوراة و سفر يوشع إلى أن آل أمرهم الآن إلى أن صاروا ثلاث فرق: ربانيين<sup>٤</sup>، و قرابين، و سامرة<sup>٥</sup>، يضل بعضهم بعضا، و مع ذلك فلم يعاجلهم بالأخذ مع قدرته على ذلك<sup>٦</sup> فعل بمن قص أمره من الأمم لما سبق من حكمه<sup>٧</sup> بتأخيرهم إلى الأجل المعدد، و فصل بين هذا و بين قصة موسى عليه السلام مع فرعون ليكون مع ما دعا إلى تقديم ما تقدم من الآيات أرفع في التسلية و أبلغ في التعزية و التأسية كما هو شأن / كل ما ألقى إلى المحتاج شيئا فشيئا

١٥ ﴿ و لو لا كلمة ﴾ أى عظيمة لا يمكن تغييرها لأنها من كلام الملك الأعظم ﴿ سبقت من ربك ﴾ [ أى - <sup>٢</sup> ] المحسن إليك و إليهم بارسالك رحمة للعالمين ﴿ لقضى ﴾ أى لوقع القضاء ﴿ بينهم ﴾ أى بين من<sup>٨</sup> اختلف في

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد .  
 و في الأصل: يأتي (٤) من ظ و مد، و في الأصل: إبانين (٥) في ظ: حكمة .  
 (٦) في ظ: ما .



كتاب موسى عاجلا ، ولكن سبقت الكلمة أن القضاء الكامل إنما يكون يوم القيامة كما قال في سورة يونس " فما اختلفوا حتى جاءهم العلم " - الآية .

ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين أنه به ، فقال مؤكدا  
لأن كل طائفة من اليهود تنكر شكها فيه وفعلها فعل الشاك : ﴿ وانهم لنى شك ﴾ ه  
أى عظيم محيط بهم ﴿ منه ﴾ أى من القضاء أو الكتاب ﴿ مريب ه ﴾  
أى موقع فى الريب و التهمة والاضطراب مع ما رأوا من الآيات التى  
منها سماع كلام الله ورؤية ما كان يتجلى فى جبل الطور من الجلال  
ويتبدى لهم فى قبة الزمان من خارق الأحوال ﴿ وان كلا ﴾ من  
المختلفين فى الحق من قوم موسى وغيرهم من هو على الحق ومن هو على  
الباطل ؛ و " ان " عند نافع وابن كثير وأبى بكر عن عاصم عاملة مع  
[ تخفيفها - ' ] من الثقيلة فى قراءة غيرهم اعتبارا بأصلها ﴿ لما ﴾ هى فى  
قراءة ابن عامر و حمزة و عاصم بالتشديد الجازمة حذف فعلها - قال ابن  
الحاجب : و هو شائع فصيح ، و فى قراءة غيرهم بالتخفيف مركبة من لام  
الابتداء و ' ما ' المؤكدة بنى نقيض ما أثبتته الكلام ليكون ثبوته مع ١٥  
نقى نقيضه على أبلغ وجه .

ولما كان الشرط فى حذف الفعل بعد ' لما ' الجازمة أن يكون

عما يتوقع بوقوع فعل قبلها يدل عليه ، كان التقدير : يقض بينهم ، و سيقضى<sup>١</sup>

(١) آية ٩٣ (٢) فى ظ و " و " (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (ه) من  
ظ و مد ، و فى الأصل : توبته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتقضى .

و هو معنى ما قرن بعدها بلام القسم من قوله: ﴿لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ﴾  
 أى المحسن إليك بأقامتك على المنهاج الأعدل و الفضل من العباد  
 ﴿اعمالهم﴾ لا يدع منها شيئاً لأنه لا يخفى عليه منها شيء، و السياق  
 يقتضى أن يكون 'ما' فى 'لما' فى قراءة التخفيف للتأكيد على النحو الذى  
 ٥ مر غير مرة أن النافى إذا زيد فى سياق الإثبات كان كأنه نفى النقيض  
 تأكيداً لمثبت ﴿انه بما يعملون﴾ قدم الظرف لتأكيد الخبر ﴿خير﴾  
 فاذا علمت أن شأنك فى أمتك شأن الرسل فى أممهم وأنه لا بد من  
 الاختلاف فى شأن الرسول و الكتاب كما جرت بذلك السنة الإلهية  
 و أن الجزاء بالأعمال كلها لا بد منه ﴿فاستقم﴾ أى أوجد القوم  
 ١٠ بغاية جهدك بسبب أنك لا تكلف إلا نفسك و أن الذى أرسلك لا يغفل  
 عن شيء، و من استقام استقيم له

و لما كان من المقطوع به أن الأمر له صلى الله عليه وسلم من  
 له الأمر كله. بى للفعول قوله: ﴿كَمَا أَمَرْتُ﴾ أى كما استقام إخوانك  
 من الأنبياء فى جميع الأصول و الفروع سواء كان فى نفسك أو فى  
 ١٥ تبليغ غيرك معتدلاً بين الإفراط و التفريط و لا يضيق صدرك من  
 استهزائهم و تغتهم و اقتراحهم للآيات و إرادتهم أن تترك بعض  
 ما يوحى إليك من التشنيع عليهم و العيب لدينهم بل صارحهم بالأمر  
 و أتركهم و أهواءهم. نحن ندر الأمر كما زيد على حسب ما نعلم.

(١) فى ظ: شيئاً، و العبارة من هنا إلى «تأكيد المثبت» ساقطة منه (٢) فى  
 ظ و مد: تعملون - كذا وليست هى بقراءة (٣) من ظ و مد، وفى الأصل:  
 الجزء (٤) فى ظ: لا يضيع (٥) فى ظ: حسن.

ولما كان الفاصل بين [ المعطوف و - ' ] المعطوف عليه يقوم مقام تأكيد الضمير المستتر، عطف عليه قوله: ﴿ ومن ﴾ أى وليستقيم<sup>٢</sup> أيضا من ﴿ تاب ﴾ عن الكفر مؤمنا ﴿ معك ﴾ على ما أمروا تاركين القلق من استبطائهم للنصرة كما روى البخارى وأبو داود والنسائى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة<sup>٣</sup> فقلنا: ألا تدعو الله لنا، فقعده وهو محمر وجهه فقال: كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمشاة فيوضع فوق رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه [ ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه - ٦ ] ١٠ والله ليتمن الله<sup>٤</sup> هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله / والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما: ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد ولا أشق من هذه الآية . والاستقامه : الاستمرار في جهة واحدة .

ولما كانت وسطا بين إفراط و تفريط و كان التفريط لا يكاد يسلم منه إلا الفرد النادر، وهو في الأغلب يورث انكسار<sup>٥</sup> النفس واحتقارها والخوف من الله، و كان الإفراط يورث إعجابا، وربما

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : لتستقيم (٣) سقط من مد (٤) في ظ : بالمشاة (٥) من صحيح البخارى ٥١٠ ، وفي مد « و » (٦) زيد ما بين الحاذرين من مد والصحيح (٧) في ظ : لكساد.

أفضى بالإنسان إلى ظن أنه شارع فينسلخ لذلك من الدين، طوى التفريط ونهى عن الإفراط فقال: ﴿ ولا تطغوا ﴾ أى تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة إفراطا ، فان الله تعالى إنما أمركم ونهاكم لتهديب نفوسكم لا لحاجته إلى ذلك ولن تطيقوا أن تقدروا الله حق قدره .  
 ٥ والدين متين لن يشاده أحد إلا غلبه ، فقد رضى منكم سبحانه لاقتصاد في العمل مع حسن المقاصد ، ويجوز أن يكون المعنى : ولا تبتركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة يمتة أو يسرة .

ولما نهى عن الإفراط وهو الزيادة تصریحا ، فأفهم النهى عن التفريط ، وهو النقص عن الأمور تلوحا من باب الأولى ،  
 ١٠ علل ذلك مؤكدا تنزيلا لمن يفرط أو يفرط منزلة المنكر فقال : ﴿ انه بما تعلمون ﴾ قدم الظرف لما تقدم من تأكيد الإبصار ﴿ بصيره ﴾ ومادة 'طغى' واوية ويائية بكل ترتيب تدور على مجاوزة الحد مع العلو ، فالغطاء : ما ستر به الشيء عاليا عليه ، ولا يكون ساترا لجميعه إلا إذا فضل عنه فتجاوز حده ، وغطى الليل - إذا غشى ، وكل شيء ارتفع ١٥ فهو غاط . وطفى السيل - إذا جاء بماء كثير ، والبحر : هاجت أمواجه ،

(١-١) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا يكاد يسلم منه الا الفرد النادر وهو فى الاغلب يورث انكسار النفس واحتقارها والخوف من الله وكان الإفراط يورث إعجابا وربما أفضى بالإنسان إلى أظن أنه شارع فينسلخ لذلك من الدين طوى التفريط ونهى عن الإفراط - وقد مر آنفا (٢) فى ظ : الحب - كذا .  
 ٣٩٢ (٩٨) والطغيان

والطغيان : مجاوزة الحد<sup>١</sup> فى العصيان ، والغايط و' الغيط : المظلم من الأرض ، لأن<sup>٢</sup> ما كان كذلك وكانت<sup>٣</sup> أرضه طيبة كانت لا تزال ربياً يفعلو ما نبت فيها ويخصب فيتجاوز الحد فى<sup>٤</sup> ذلك ، ومنه الغوطة - لموضع بالشام كثير الماء والشجر .

و لما نهى عن الإفراط<sup>٥</sup> فى الدين ، أتبعه النهى عن التفريط بالتقصير •  
فيه بسفول الهمم<sup>٦</sup> [ على وجه عام ، وكان الحب فى الله والبغض منه أوثق عرى الإيمان ] ، إشارة إلى ضده الذى هو من أوثق عرى الشيطان -<sup>٧</sup> [ فقال : ( ولا تركنوا ) أى شيئاً من ركون ، وقال : ( الى الذين ظلموا ) أى وجد منهم الظلم ولم يقل ' الظالمين ' ، أى بالليل إليهم بأن تناقل أنفسكم نخوم لليل إلى أعمالهم ولو بالرضى بها<sup>٨</sup> ١٠ والتشبه<sup>٩</sup> بهم والتزيى بزيمهم ، وحاصل الآيتين : لا تظلموا بأنفسكم ولا تستحسنوا أفعال الظالمين ، وفسر الزخشرى الركون بالليل اليسير ، وهو حسن من جهة المعنى لكنى لم أره لغيره من أهل اللغة ، وقال الرماني - وهو أقرب : الركون : السكون إلى الشيء بالحجة والانصباب إليه ، وقيقضه الفور عنه . وهو على التفسير الثانى فى ' تطفوا' من ١٥ عطف الخاص على العام ، والآية ملتفة إلى قوله تعالى " فاعلمك تارك

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : كان (٤) سقط من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ ، وفى مد : وانتفريط (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) فى مد : منها . (٨-٨) فى ظ : بالتشبه (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا أنفسكم .

نظم الدرر (سورة هود ١١ : ١١٣ و ١١٤) ج - ٩

بعض ما يوحى اليك " (تمسك النار) أى فتنسب<sup>١</sup> عن ركونكم إليهم مشها لكم فلا تقدرُوا على التخلص منها بنوع حيلة من أنفسكم؛ [و-<sup>٢</sup>] من إجلال النبي صلى الله عليه وسلم إفراده<sup>٣</sup> بالخطاب<sup>٤</sup> فى الأمر بأفعال الخير، و الإتيان بضمير الجمع فى النهى عن أفعال الشر - به على ذلك الإمام أبو حيان<sup>٥</sup>.

ولما كان كل موجود سوى الله فى قهره و تحت أمره، قال تعالى : (وما لكم) و لما كان دون رتبته تعالى من الرتب و الذوات ما لا يحصيه غيره سبحانه، أدخل الجار تبعيضا فقال : (من دون الله) أى الملك الأعظم، و أعرق فى النفي فقال : (من أولياء) أى يخلصونكم من عذابه ١٠ لما تقرر أن 'دون' من الادون و هو الأقرب إلى جهة السفلى، و الولي :

المختص بأن من شأنه تولى / المعوة<sup>٦</sup> عند الحاجة، و أشار إلى أن نصر من<sup>٧</sup> لا ناصر له من الله محال بأداة البعد و بناء الفعل للمفعول فقال : (ثم لا تصرون) أى ثم إذا فاتكم هذا و ذاك<sup>٨</sup> فما أبعدكم من النصرة ١١ و لما كان العلم حاصلًا بما سبق من الحكم من أن الآدمي محل

العجز و التقصير، اتبع ذلك بأعلى مكفر لما يوجب العجز و يقضى به الفتور و الوهن من الصغار و أعمه و أجلبه للاستقامة، و ذلك يدل على أنها بعد الإيمان أفضل العبادات، فقال تعالى : (واقم الصلوة)

(١) فى ظ : قسب (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : افراد .  
(٤) فى ظ : فى الخطاب (٥) راجع البحر المحيط ٥ / ٢٧٠ (٦) زيد بعده فى مد :  
من (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : ما (٨) فى ظ : ذلك .

أى

أى عملها على استواء (طرفى النهار) بالصبح و العصر كما كان مفروضا  
 بمكة فى أول الأمر قبل الإسراء، و يمكن أن يراد مع ذلك الظهر  
 لأنها من الطرف الثانى (و زلفا) أى طوائف و درجات و أوقات،  
 جمع زلفة (من اليل) يمكن أن يكون المراد به التهجد، فقد كان  
 مفروضا فى أول الإسلام، و يمكن أن يراد المغرب و العشاء مع  
 الوتر أو التهجد؛ ثم علل ذلك بقوله: (إن الحسنت) أى الطاعات  
 كلها الصلاة و غيرها المبنية على أساس الإيمانية (يذهبن السيئات)  
 أى الصغائر، و أما الكبائر [التي يعبر عنها بالفواحش و نحوہ - ٤] فقد  
 تقدم فى قصة شعيب عليه السلام عند قوله "ثم توبوا إليه" أنه  
 لا يكفرها إلا التوبة لما فيها من الإشعار بالتهاون بالدين، و اجتنابها  
 لا يكفر إلا إذا كان عن نية صالحة كما أفهمه صيغة الافتعال من قوله  
 "ان تجنبوا"؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن مسعود رضى الله عنه  
 أن رجلا أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فذكر له ذلك فأنزل الله عليه "اقم الصلوة طرفى النهار" - الآية، قال  
 الرجل: ألى هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتى. و هذا الحديث يؤيد قول ١٥  
 ابن عباس رضى الله عنهما: إن هذه الآية من هذه السورة المكية مدنية.  
 و لما تم هذا على هذا الوجه الأعلى و الترتيب الأولى، قال تعالى

---

(١) فى ظ: دوائف (٢) من ظ و مد. وفى الأصل «و» (٣) زيد بعده فى  
 الأصل: و لما كان دون رتبته تعالى من الرتب و الذوات، و لم تكن الزيادة  
 فى ظ و مد لحذفها و قد تقدمت آنفا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد،  
 وفى الأصل: الأولى.

نظم الدرر (سورة هود ١١: ١١٤ - ١١٦) ج - ٩

مادحا له ليعرف مقداره فيلزم : ( ذلك ) أى الأمر العالى الرتبة الذى تقدم من 'الترغيب و الترهيب' و التسلية و تعليم الداء و الدواء للخلاص من الشقاء ( ذكرى ) أى ذكر عظيم ( للذكرين ) أى لمن فيه أهلية الذكر و الانتباه به بحضور القلب و صفاء الفكر<sup>٢</sup> و نفوذ الفهم<sup>٣</sup> .

و لما كان الصبر لله على المكاره أعلى الطاعة ، أتبع ذلك قوله : ( و اصبر ) أى ليكن منك صبر على الطاعات و عن المعاصى و لا تترك إنذارهم بما أمرت به مهما كان و لا تخفهم ، فان العاقبة لك إذا فعلت ؛ و لما كان مقام الصبر صعبا<sup>٤</sup> و الاستقامة<sup>٥</sup> على المحمود منه خاصة<sup>٦</sup> خطرا ، وكانت النفس - لما لها من الجزع فى كثير من الأحوال - كالمنكرة ، أكد قوله : ( فان )<sup>٧</sup> الصبر هو الإحسان كل الإحسان و إن ( الله ) أى المحيط بصفات الكمال ( لا يضيع ) أى بوجه من الوجوه ( اجر المحسنين ) أى العريقين فى وصف الإحسان بحيث أنهم يعبدون الله كأنهم يرونه ، فلذلك يهون عليهم الصبر ، و ذلك لأن الطاعة كلفة فلا تكون<sup>٨</sup> إلا بالصبر . ١٥ و كل ما عداها فهو هوى النفس لا صبر فيه ، فالدين كله صبر و حفت الجنة بالمكاره و النار بالشهوات ، و لذا فضل ثواب الصابر " انما يوفى<sup>٩</sup> الصبرون اجرهم بغير حساب " و الصبر المحمود : حبس النفس عن

(١-١) فى ظ : الترهيب و الترهيب (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى ظ و مد : اى (٥) فى ظ و مد : فلا يكون (٦) فى ظ : يوتى ، و راجع سورة ٣٩ آية ١٠ . ٣٩٦ (٩٩) الخروج



الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق ، و نقيضه الجزع ، قال الشاعر :

إن تصبرا فالصبر خيرٌ مغبّةً وإن تجزعا فالأمر ما تريان

و هو من الصبر الذى هو المر المعروف لأنه تجرع ' مرارة الحق بحبس النفس عن ' الخروج إلى المشتى مع الزاجر المعتر من الشرع و العقل ، فهو أكره ' شئ إلى النفس ' ، و المعين عليه ما فى استشعار لزوم الحق ه من العز و الأجر بالطاعة و العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه و عادة النفس له ، و قد غلب إطلاقه ' على الحق حتى لا يجوز إطلاقه ' إلا فيه -

قاله الرماني .

٦٨٠ /

/ ولما كان ما تقدم كله مشيرا إلى استبعاد إيمان المعاندين بشئ من تدير آدمى كما تكاد القصص تنطق به ، و كذا الإعلام بأن عبادتهم ١٠ إنما هى للتقليد و باختلاف قوم موسى فى كتابه الذى هو هدى و رحمة ، و كل ذلك فظما عن طلب ما قد يهيجس فى الخاطر من تمنى إجابتهم إلى ما يقترحون أو الكف عن بعض ما يغيظ من الإنذار ، و كان من طبع البشر البعد عن الانتهاء عن الخواطر إلا بعد التجربة ، كان ذلك ربما أوجب أن يقال : لو أجيئوا إلى سؤالهم ٦ ربما رجعوا عن كثير مما هم فيه ، فدعاهم ١٥ ذلك إلى الرشاد ، فتسبب عنه أن يقال دفعا له : ( ' فلو لا كان ' ) و يجوز أن يكون مناسبتها أنه لما ذكر إهلاك القرون الماضية و الأمم السالفة

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجرع (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : اكره .

(٤) سقط من ظ و مد (هـ - هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ و مد : سؤالهم .

بما مضى إلى أن ختم بالأمر بالصبر على الإحسان من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان من الجائز أن يقع في فكر الاعتراض بأن يقال: ما الموجب لذلك؟ فبين<sup>١</sup> أن سبب الهلاك الإعراض عن نهى منتهك الحرمات والمجتري على هتك الأستار الجليلة<sup>٢</sup>، والرتع في الحمى مع تمكنهم بما أودع فيهم سبحانه من القوى والقدرة على اختيار<sup>٣</sup> جانب الخير والإعراض عن جانب الشر فقال تعالى: "فلولا" بصيغة تحتل<sup>٤</sup> التخصيص، وفيها معنى التفجع والتأسف<sup>٥</sup>، لاعتبار كل من<sup>٦</sup> كان على مثل حالهم (من القرون) أي المهلكين الأشداء<sup>٧</sup> الكائنين في زمان ما.

ولما كان المراد القرون التي تقدم ذكر إهلاكها، وكانت أزمتهم بعض الزمان الماضي، أتى بالجار فقال: (من قبلكم أولوا) أي أصحاب (بقية) أي<sup>٨</sup> حفظ وخير ومراقبة لما يصلحهم، لأن مادة 'بقى' تدور على الجمع، ويلزمه<sup>٩</sup> القوة والثبات والحفظ، من قولهم: ابقه بقوتك مآلك - وزن ادعه - أي احفظه حفظك مالك، ويلزمه النظر والمراقبة: بقيت الشيء - إذا نظرت إليه ورصدته، ويلزمه الثبات: ١٥ بقي بقاء - إذا دام<sup>١٠</sup>، والخير والجودة؛ قال الزمخشري: لأن الرجل يستبقى ما<sup>١١</sup> يخرج أجزوده وأفضله، ويقال: فلان من بقية قوم، أي

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: فتيين (٢) في ظ: الجلية (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: اجتناب (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: يحتمل (٥) في ظ: التأسف. (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في ظ: الاسراء (٨) سقط من ظ (٩) في مد: تلمزه (١٠) في ظ: ادام (١١) في ظ: بما .

من خيارهم ، وسيأتى شرح ذلك مستوفى عند قوله تعالى ” وجعلنا بينهم موبقا “ إن شاء الله تعالى ﴿ ينهون ﴾ أى يحددون النهى فى كل حين إشارة إلى كثرة المفسدين ﴿ عن الفساد ﴾ [ الكائن - ٢ ] ﴿ فى الارض ﴾ و’لولا‘ هنا كالتى فى يونس تويخية أو استفهامية كما جوزها الرمانى ، ويجوز أن تكون تخصيصية كما قال الزمخشري ، هـ ويكون للسامع لا للهالك ، لأن الآية لما تضمنت إهلاك المقر على الفساد كان فى ذلك أقوى حث لغيرهم على الأمر والنهى [ و - ٢ ] أوفى تهديد زاجر عن ارتكاب مثل حالهم الموقع فى أضعاف نكاحهم ، وفى تعقيب هذه الآية لآية الصبر إشارة إلى أن الصبر على ’ الأمر بالمعروف ’ والنهى عن المنكر فى الذروة العليا ، والآية ناظرة إلى قوله تعالى ١٠ ” إنما انت نذير “ .

و لما كانت المعانى الثلاثة متضمنة للنق ، كان المعنى : لم يكن من يفعل ذلك ، فاتصل الاستثناء فى قوله : ﴿ الا قليلا ﴾ أى صالحين ﴿ ممن انجينا منهم ج ﴾ و الظاهر أن ’ من ’ يانية ، أى هم الذين أنجينا فانهم نهوا عن الفساد ، [ وعبر بالإنجاء لأنه الدال على الخير ١٥ الحامل للنهى عن الفساد دون النتيجة الدالة على التدرج و ’ الإبلاغ فى ’ الإنجاء فلو عبر بها فسد المعنى - ٢ ] ﴿ و اتبع ﴾ الأكثر وهم ﴿ الذين ظلموا ﴾ (١) سورة ١٨ آية ١٢ (٢) فى ظ : يحددون (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يكون (٥) سقط من مد (٦) فى ظ : لانه (٧ - ٧) فى مد : المروف (٨ - ٨) ليس ما بين الرقيين فى ظ .

أى أوقعوا الظلم بترك<sup>١</sup> النهى عن الفساد ، وما أحسن إطلاقتها عن  
التقييد بـ "منهم" (مآ) ولما كان المبطر لهم نفس الترف ، بنى  
للفعل قوله : ( اترفوا فيه ) فأبطرهم<sup>٢</sup> النعمة حتى طفوا و تجبروا  
( وكانوا مجرمين \* ) أى متصفين على سبيل الرسوخ بالإجرام ، وهو  
ه قطع جبل الله على الدوام ، فأهلكهم ربك لإجرامهم ، ولولا ذلك  
لما فعل ، فان إهلاكهم على تقدير الانشكاك عن الإجرام يكون ظلما  
على ما يتعارفون<sup>٣</sup> .

ولما لاح بما مضى أن العبرة في الإهلاك و الإنجاء للاكثر ، قرره  
وأكدته و بيته بقوله : ( وما كان ربك ) ذكر سبحانه بالوصف المفهم  
١٠ للاحسان<sup>٤</sup> تثبيتا [ له - ° ] و تأمينا ( ليهلك القرى ) أى إهلاكا عاما ( بظلم )  
أى أى<sup>٥</sup> ظلم<sup>٦</sup> كان ، / صغير أو كبير<sup>٧</sup> ( و أهلها مصلحون ه ) أى فى حال  
ظلم<sup>٨</sup> بأن يوقع إهلاكهم فى حال إصلاحهم الذى هم عريقون فيه ، فيكون  
الإهلاك فى غير موقعه على ما يتعارف العباد مع العلم بأن له أن يفعل ذلك  
فى نفس الأمر لأنه لا يستل عما يفعل ؛ و الإهلاك : لإيجاب ما يبطل  
١٥ الإحساس ، و الهلاك : ضياع الشئ ، و هو حصوله بحيث لا يسدى  
أين هو ؛ و الإصلاح : لإيجاب ما يستقيم به الأمر<sup>٩</sup> على ما يدعو إليه العقل<sup>١٠</sup>

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترك (٢) فى ظ : فأبطرتم (٣) سقط من ظ  
و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لاحسان (ه) زيد ما بين الحاجزين من  
ظ و مد (٦) زيد فى ظ : فى (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) فى  
ظ : الذى .

ولما كان مثل هذه الآيات ربما أوم أن إيمان مثل هؤلاء بما لا يدخل تحت المشيئة ، نفي ذلك الوهم مبينا انشكاك المشيئة عن الأمر بقوله : ﴿ ولو شاء ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل إحسان يزيدك رفعة ﴿ لجلل الناس ﴾ أى كلهم ﴿ أمة واحدة ﴾ على الإصلاح ، فهو قادر ٥ على أن يجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الإيمان فلا يهلكهم ، ولكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء اختلافهم والأمر تابع لمشيئته فاختلفوا ﴿ ولا يزالون محتلمين ﴾ أى ثابتا اختلافهم لكونهم على أديان شتى ﴿ إلا من رحم ربك ﴾ أى المحسن إليك بالتأليف بينهم في جعلهم من أهل طاعتك فانهم لا يختلفون في أصول الحق ٢ . ولما كان ما تقدم ربما ١٠ أوجب أن يقال : لم لم يقبل بقلوبهم إلى الهدى ويصرفهم عن موجبات الردى إذا كان قادرا ؟ قال تعالى مجيبا عن ذلك : ﴿ ولذلك ﴾ أى الاختلاف ﴿ خلقهم ﴾ [ أى اخترعهم وأوجدهم من العدم وقدرهم - ٣ ] ، وذلك أنه لما طبعهم سبحانه على خلائق من الخير والشر تقتضى الاختلاف لتفاوتهم فيها . جعلوا كأنهم خلقوا له فجروا مع ١٥ القضاء والقدر ، ولم يمكنهم الجرى على ما تدعو إليه العقول في ٤ أن الاتفاق رحمة والاختلاف نقمة ، فاستحق فريق منهم النار وفريق الجنة ، وليس ذلك مخالفا لقوله تعالى ” وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون “

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : ثابت (٢) زيد بعده في مد : شتى (٣) زيد من

ظ ومد (٤) في مد : من (٥) سورة ٥١ آية ٥٦

بل هو من شكله ، أى أنه تعالى لما ركبهم على العجز و منحهم العقول  
مع نصب الأدلة ، كان ذلك مهيتا للعبادة فكانوا كأنهم ما خلقوا إلا لها  
أى ما خلقتهم<sup>١</sup> إلا ليعرفون بنفوذ أفضيتى و نصارىنى فيهم فيعبدون ، أى  
"يخضعوا لى"<sup>٢</sup> فمن كان منهم طائفا فهو عابد حقيقة . و من كان عاصيا كان  
عابدا مجازا ، أى خاضعا للأمر لنفوذ فيه و عجزه عن الامتناع كما قال  
تعالى "و لله يسجد من فى السموات و الارض طوعا و كرها"<sup>٣</sup> - الآية ،  
فقد بان أن خلقهم للعبادة فقط يتافى خلقهم للاختلاف ، لأن جريهم  
فى قضائه بالاختلاف عبادة و سجود لغة . و ذلك أن مادى عبد و يسجد  
تدوران<sup>٤</sup> على الخضوع و الذل و الانقياد ، و بذلك كان الكل عبيد الله ،  
١٠. أو \* الإشارة إلى مجمع الاتفاق و الاختلاف ليظهر فضله على من ثبتهم  
و يظهر عدله فيمن خذلهم .

و لما كان هذا الاختلاف سبب الكفر الذى أرسل رسله بالقتال  
عليه ، كان ربما ظن أنه بغير مشيئته ، فين أنه إنما هو بمراده و لا اعتراض  
عليه فقال : ﴿ و تمت ﴾ أى فبادروا إلى ما خلقهم لهم<sup>٥</sup> معرضين عن  
١٥ أوامره و لم تغن عنهم عقولهم ، و تمت حينئذ ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن  
إليك بقهر أعدائك التى سبقت فى الأزل و هى و عزى ﴿ لاملئن جهنم ﴾

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : خلقهم (٢-٢) فى ظ : يخضعون إلى .  
(٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يدوران (٥) من ظ  
و مد ، وفى الأصل : ام (٦) فى ظ : ربما (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : له .  
أى

[أى - ١] التى تلقى<sup>١</sup> المعضب فيها بالتجهم<sup>٢</sup> و العبوسة<sup>٣</sup> (من الجنة) أى قبيل الجن، قدمهم لأنهم أصل فى الشر، ثم عم فقال<sup>٤</sup> [١]: (و الناس اجمعين<sup>٥</sup>) فحشوا<sup>٦</sup> على ما أراد<sup>٧</sup> و لم يمكنهم مع عقولهم الجيدة الاستعداد و قواهم الشداد غير إلقاء القياد، فن قال: إنه يخلق فعله أو له قررة على شئ<sup>٨</sup>، فليفعل غير ذلك بأن يخبر باتفاقهم ثم يفعله<sup>٩</sup> ليتيم قوله. و إلا فليعلم أنه مربوب مقهور فيسمع رسالات ربه و يقبل إليه بقاله و قلبه.

و لما أخبر سبحانه بما فعل بالقرى الظالمة، و حذر كل من فعل أفعالهم بسطواته فى الدنيا و الآخرة، و أمر باتباع أمره و الإعراض عن اختلافهم الذى حكم به و أراد<sup>١٠</sup>، عطف على قوله "نقصه عليك" قوله: (و كلا نقص) أى و نقص (عليك) كل نبا أى خبر عظيم جدا (من انباء الرسل) مع أنهم: صالحهم و فاسدهم<sup>١١</sup>، فعم تفخيما للامر، و لما كان الذى جر هذه القصص ماضى من قوله "فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صدرك" - الآية، و كان ساكن الصدر القلب، و هو الفؤاد الذى به قوام الإنسان بل<sup>١٢</sup> الحيوان، و هو أحر ما فيه، و لذا<sup>١٣</sup> عبر عنه بما اشتق من الفؤاد و هو

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفى الأصل: يلقى، وفى ظ: تلتقى (٣) من مد، وفى الأصل: بالتجهيم، وفى ظ: بالتحريم - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: ارادوا (٦) فى ظ: الشئ (٧ - ٨) فى ظ و مد: صالحهم و فاسدهم (٨) فى مد: كذا.

الحرق ، وكان من لازم الحرارة الاضطراب و التقلب الذى اشتق منه القلب فيضيق به الصدر ، أبدل من " كلا " قوله : ﴿ ما ثبت ﴾ أى تثبيتاً عظيماً ﴿ به فؤادك ج ﴾ أى فيسكن فى موضعه و يطمئن أو يزداد يقينه فلا يضيق الصدر من قولهم " لو لا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك " ونحوه ، و بهذا تبين أن المراد بذلك العام خاص لحصول المقصود به ، وهو اتسالية نظراً إلى قوله تعالى " و ضائق به صدرك " لأن المشاركة فى الأمور الصعبة تهون على الإنسان ما يلقى من الأذى ، و الإعلام بمقويات المكذبين فيها تأنيس للكروب ؛ و التثبيت : تمكين إقامة شئ ؛ و الفؤاد : العضو الذى من شأنه أن يحمى بالغضب الحال ١٠ فيه ، من الفتاد و هو المستوى .

ولما بين أن كل ما قص عليه من أخبارهم يستلزم هذا المقصود ، بين أنه ليس كما يعطل به غالباً من الأخبار الفارغة و الأحاديث المزخرفة الباطلة و لا بما ينقله المؤرخون مشوباً بالتحريف فقال : ﴿ و جآءك فى هذه ﴾ أى الأخبار ﴿ الحق ﴾ أى الكامل فى الثبات الذى لا مرية فيه ، و فائدة ١٥ الطرف التأكيد لعظم المقصود من آية " فلعلك " و صعوبته .

ولما كان الحق حقاً بالنسبة إلى كل أحد عرفه و نكر ما هو خاص بقوم دون قوم فقال : ﴿ و موعظة ﴾ أى مرقق للقلوب ﴿ و ذكرى ﴾ أى تذكير عظيم جداً ﴿ للؤمنين ه ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، و قد (١) فى ظ : كل (٢) فى ظ : معك (٣-٣) فى ظ : هذا يعين (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهون (٥) فى ظ : كلا (٦) فى ظ : فيه (٧) فى ظ : مشجوناً . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما .



تضمنت الآية الاعتبار من قصص الرسل<sup>١</sup> بما فيها من حسن صبرهم على أمهم واجتهادهم على دعائهم إلى عبادة الله بالحق و تذكير الخير والشر وما يدعو إليه كل منهما من عاقبة النفع والضرر للثبات على ذلك جميعه اقتداء بهم .

ولما ذكر نفع هذا الحق ، كان كأنه قيل : فظفهم بذلك وذكرهم به ، فعطف عليه قوله : ﴿ وقل ﴾<sup>٢</sup> ويجوز أن يكون معطوفا على قوله " واصبر " أى اصبر على ما أمرناك به من تبليغ وحينا وامثاله ، وقل ﴿ للذين ﴾ أى لم تؤثر فيهم هذه الموعظة<sup>٣</sup> فهم ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد لهم<sup>٤</sup> إيمان منذرا لهم ﴿ اعملوا ﴾ متمكين ﴿ على مكاتكم<sup>٥</sup> ﴾ أى طريقتم التي تتمكنون من العمل عليها .

١٠

ولما كان العمل واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل من<sup>٦</sup> تبعه فهم عاملون لا محالة سواء عمل الكفار أولا ، قال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يدوموا على العمل المخالف لهم مع<sup>٧</sup> ما يصل إليهم<sup>٨</sup> لأجله من الضرر ، محريا له عن فاء السبب<sup>٩</sup> [ لذلك والاستئناف -<sup>١٠</sup> ] :

﴿ انا ﴾ [ أى أنا ومن معي -<sup>١١</sup> ] ﴿ اعملون<sup>١٢</sup> ﴾ [ أى ثابت عملنا<sup>١٣</sup> ، ١٥ لا نحول عنه لأن ما كان لله فهو دائم بدوامه سبحانه -<sup>١٤</sup> ] ، وحذف النون

- (١) من ظ ومد ، وفي الأصل : الرسول (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ .  
 (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : المواعظ (٤) سقط من مد (٥) في ظ ومد : منهم (٦) زيد في مد : تبعهم (٧) في ظ : على (٨) زيد من مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد .

الثانية اكفاء بمطلق التأكيد لأنه كافٍ في 'الإعلام بالجزم في النية'، وفيه تأدب<sup>٢</sup> بالإشارة إلى أن المستقبل أمر لا اطلاع عليه لغير الله فينبغي أن لا يطلع في التأكيد فيه غيره، وهذا بخلاف ما في سورة فصلت مما هو جارٍ على السنة<sup>٣</sup> الكفرة ﴿انتظروا ج﴾ أي ما أتم منتظرون له من قهرنا ﴿انا منتظرون ه﴾ أي ما وعدنا الله في أمركم، فإن الله مهلكهم ومنجيك لأنه عالم بغيب حالك وحالهم وقادر عليكم؛ والانتظار: طلب الإدراك لما يأتي من الأمر الذي يقدر النظر إليه؛ والتوقع: طلب ما يقدر أنه يقع، وهما يكونان في الخير والشر ومع العلم والشك، والترجي لا يكون إلا مع الخير والشك.

١٠ ولما تضمن هذا التهديد العلم والقدرة، قال عاطفا على ما تقديره: فله كل ما شوه من أمرنا وأمركم وأمر عالم [الغيب و-<sup>٦</sup>] الشهادة كله ما كان من ابتداء أمورنا ﴿ولله﴾ أي المحيط وحده بكل شيء مع ذلك ﴿غيب السموات والارض﴾ أي جميع ما غاب عنه عن العباد فهو تام العلم، [ومنه ما ينهى عنه وإن ظن الجهلة أنه خارج عن قدرته ١٥ لما أظهر<sup>٧</sup> من الزجر عنه ومن كراهيته .

ولما كان السياق هنا لأنه سبحانه خلق الخلق ذواتهم ومعانيهم للاختلاف، وكان تهديدهم على المعاصي ربما أوهم أنه بغير إرادته، فكان ربما قال جاهل: أنا بريء من المخالفين لأوليائه كثير جدا، وعادة الخلق أن من خالفهم خارج عن أمرهم، كان الجواب على تقدير التسليم لهذا الأمر

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٢) في ظ: تأديب (٣) في ظ و مد: السن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في مد: كما (٦) زيد من ظ . (٧) في ظ: ظهر .

الظاهر : فله كان الأمر كله ظاهراً و باطناً - [١] ﴿ و إليه ﴾ أى وحده  
 ﴿ يرجع ﴾ [ بعد أن كان ظهر للجاهل أن خرج عنه - [١] : و الرجوع :  
 ذهاب الشيء إلى حيث ابتدأ منه ﴿ الامر كله ﴾ فى الحال على لبس  
 و خفاء ، و فى المآل على ظهور و اتضاح و جلاء ، فهو شامل القدرة  
 كما هو شامل العلم ، فلا بد من أن يرجع إليه أمرك و أمر أعدائك ، ه  
 أى يعمل فيه عمل من يرجع إليه الأمر فيجازى المحسن باحسانه و المسيء  
 باسائه ، و لذلك سبب عن إسناد الأمور كلها [ إليه قوله - [١] :  
 ﴿ فاعبده ﴾ أى وحده عبادة لا شوب فيها ﴿ و توكل ﴾ معتمداً فى أمورك  
 كلها ﴿ عليه ١ ﴾ فانه القوى المتين ، و فى تقديم الأمر / بالعبادة على  
 التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد .

١٠

و لما كانت العادة جارية بأن العالم قد يغفل ، نزه عن ذلك سبحانه  
 [ نفسه - [١] فقال [مرغباً مرهباً - [١] : ﴿ و ما ربك ﴾ أى المحسن إليك بما  
 يعلمه ، باحاطة علمه ، إحساناً ، و أغرق فى النفي فقال : ﴿ بغافل عما تعملون ٥ ﴾  
 [ و لا تهديد أبلغ من العلم - [١] ، و هذا بعينه مضمون قوله تعالى  
 ” كتب احكمت ايته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله ١٥  
 انى لكم منه نذير ٥ و بشير ٥ “ .

- (١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان .  
 (٣) فى ظ : بما (٤ - ٤) فى ظ : باحاطة عمله ، و فى مد : من احاطة علمه .  
 (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) تحته فى الأصل ، النهاية ، الخزائن العامة ،  
 الرباط . و إلى هنا ينتهى الجزء الثانى من الأصل .

## خاتمة الطبع

تم بمتة تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء التاسع من تفسير  
 نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، للشيخ العلامة برهان الدين  
 أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء السادس  
 ٥ من رجب الله المرجب سنة ١٣٩٥ هـ = ١٦ يوليو سنة ١٩٧٥ م تحت إشراف  
 مدير الدائرة وعميدها أفضل العلماء بروفيسور السيد عبد الوهاب البخاري -  
 أبقاه الله لخدمة العلم والدين !

وقد ألم بتصحيحه والتعليق عليه مصصح الدائرة رفيق الفاضل  
 محمد عمران الأعظمي العمري ( أفضل العلماء - جامعة مدراس ) حفظه الله ١  
 ١٠ واعتنى بتتقيقه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له  
 ولوالديه !

ويليه الجزء العاشر إن شاء الله تعالى أوله «سورة يوسف عليه السلام» ،  
 ونهائيا ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبه ويرضاه وهو  
 المسؤول لحسن الخاتمة ، ونصلي ونسلم على من علم فوائده الخير وخواتمه .  
 ١٥ سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله  
 رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

( كامل الجامعة النظامية )

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية